

١٠٠٠  
١

معجم "المحيط في اللغة" للصاحب بن عباد

دراسة تحليلية

إعداد:

بسمه بحودة سلمان الرواشدة

تعتمد كلية الدراسات العليا  
هذه النسخة من الرسالة  
التوقيع: ..... التاريخ: ١٠/١٢/٢٠٠١

المشرف

الدكتور محمد حسن عواد

المشرف المشارك

محمود عبد الله الحديد

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الدكتوراه

في اللغة العربية وآدابها

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

آب ٢٠٠١ م

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ ١٦/٨/٢٠٠١م

وأجازتها لجنة المناقشة المكونة من

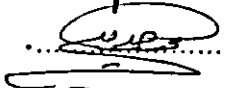
التوقيع

لجنة المناقشة



مشرفاً رئيساً

١- الدكتور محمد حسن عواد



مشرفاً مشاركاً

٢- الدكتور محمود عبد الله الحديد



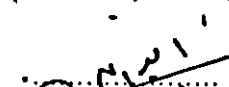
عضواً

٣- الأستاذ الدكتور اسماعيل عمارة



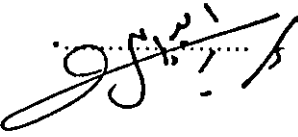
عضواً

٤- الدكتور جعفر نايف عبابنة



عضواً

٥- الأستاذ الدكتور علي توفيق الحمد



٥٤٥٥٢٤

## الإهداء

إلى من جابها وهج الشمس لأنفياً في وارف الخضراء، وقارعا غبار  
 الفيافي لأعناق العلياء.. إلى والدي.

إلى من ألهم الرواسي الشّم علوّ الهمم، وشحذ النفس على مطاولة  
 القم، وجسد المودة والأمل.. إلى خالي وأبي الثاني المحامي فيصل حسن  
 الرواشدة، وعائلته الذين ارتويت من حنانهم الكثير.

إلى من كانت سويداء قلوبهم لي مرتعاً، وحدقات عيونهم لي مترجعاً،  
 وهمسات شفاههم لي مرجعاً.. إلى إخوتي وأخواتي سالم، وعلاء الدين،  
 ونازك، وعوني، وأمل، وعصام.

إلى الذين احتوا ألمي وأملني بسعة صدورهم ودفء مودتهم وغمرة  
 عطائهم ومحبتهم.. إلى عائلة المحامي زيد يوسف الزين النسور.

إلى من جسدت الصداقة مثلاً يُحتذى، وكانت قسيمي فسي همسات  
 أنسي ولحظات وجدي.. إلى صديقتي غدير الزين.

إلى من كانت حدقة عيني وأامل يدي، وعملت على محو المصاعب  
 والعثرات بقدرتها على تحويل تطلعات النفس الطامحة إلى واقع معاش..

إلى صديقتي عبير رزق

بسمه الرواشدة

## شكر وتقدير

يجدر بي وأنا أنهى حولي العاشر في هذه الجامعة أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي العالمين الجليلين د. محمد حسن عواد، ود. محمود عبد الله الحديد اللذين ملكا علي جانب الشكر، وفتقاً فيّ عشق العربية، وكان كل واحد منهما أنموذجاً يحتذى لباحث بسط فكره طوعاً لمرتابه، فقد تحملاً معي مشاق الرسالة وأعباءها، وأضاء لي السبل التي تخطيت بوساطتها أهوال الرسالة ومعوقاتها.

كما أتقدم بعميق الشكر والعرفان إلى أستاذي الأستاذ الدكتور اسماعيل عمارة الذي يعد نقطة وصل بين علوم الأوائل المتجذرين في القدم، وبين أحدث المناهج اللغوية في الغرب، فقد علمني كيفية إدراكها، وكان فاتحة اتصالي بها. ولأستاذي الدكتور جعفر عباينة حبل موصول من التقدير، فقد تلمذت له سنين طوالاً وصلني فيها بإبداع أجدادنا الأفاضل، وأن معظم ما استحدثت من نظرات علمية ونقدية موجودة في جوف الفرا.

أما الأستاذ الدكتور علي الحمد فأزجيه الشكر الوافر، فقد أفدت بعلمه المنشور وكلفته مشقة قراءة هذا البحث ومناقشته على الرغم من كثرة مشاغله.

وإنه ليسعدني أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى رجل الأعمال مروان الحموي الذي تظل أبلغ الكلمات وأجزؤها عاجزة عن وصف مآثره وسجاياه، فلطالما استظل في وارف رعايته طلبة العلم لا سيما المتفوقون.

ويسرني أن أشكر كل من مدّ لي يد العون والمساندة على إنجاز هذه الرسالة، وأخص بالشكر موظفي مركز الوثائق والمخطوطات، وجامعة الإسراء، والدكتورة سهى فتحي، وصديقاتي الوفيات منال حداد، وفاطمة العموش، ورحمة العموش.

بسمه رواسحة

## الفهرست

الصفحة	الموضوع
ب	قرار لجنة المناقشة.....
ج	الإهداء.....
د	شكر وتقدير.....
هـ	الفهرست.....
ط	قائمة بالمختصرات الواردة في البحث.....
ي	الملخص باللغة العربية.....
١	التمهيد: بين يدي مراسة صاحب السياسية ومصنفاته الأثيلة الثرية.....
٩٠-٢٣	الباب الأول: منهج صاحب بن عباد في ترتيب مواد معجمه.....
٢٤	الفصل الأول: تحليل مقدمة معجم المحيط في اللغة.....
٥١	الفصل الثاني: تحليل أبواب المحيط.....
٥٢	أ- باب الثنائي المضاعف.....
٥٦	ب- باب الثلاثي الصحيح.....
٥٩	ج- باب الثلاثي المعتل.....
٦١	د- باب اللفيف.....
٦٦	هـ- باب الرباعي.....
٦٩	و- باب الخماسي.....
٧٣	ز- المستعمل والمهمل من كلام العرب في المحيط.....
٧٧	ح- سمات منهج صاحب العامة في معالجة مواد المحيط.....
٨٢	ط- مأخذ على منهج صاحب في ترتيب مواد معجمه.....
١٥٦-٩١	الباب الثاني: مصادر المحيط وشواهد ولغات القبائل فيه.....
٩٢	الفصل الأول: مصادر المحيط وسعة ثقافة صاحب.....
١١٩	الفصل الثاني: شواهد المحيط.....
١١٩	أ- الآيات القرآنية.....
١٢٢	ب- الحديث النبوي الشريف.....
١٢٥	ج- أمثال العرب وأقوالهم.....

١٣٠	.....د- الشعر
١٣٧	.....هـ- السمات الغالبة على منهج صاحب في الشواهد
	الفصل الثالث: لغات القبائل في المحيط ودورها في نشوء قضايا لغوية
١٤١	.....مختلفة
٢٣٤-١٥٧	.....الباب الثالث: مستويات التحليل اللغوي في المحيط
١٥٨	.....أ- المستوى الصوتي
١٥٨	.....١- علم الأصوات العام
١٥٩	.....٢- علم الأصوات الوظيفي
١٦١	.....٣- حذف أحد حروف أو أصوات الكلمة
١٦١	.....٤- الهمز
١٦٣	.....٥- التوكين
١٦٤	.....٦- التخفيف والتثقل
١٦٥	.....٧- القلب المكاني
١٦٩	.....٨- الإبدال
١٧٧	.....ب- المستوى الصرفي
١٨١	.....١- الفعل
١٨١	.....أ- منهجه في عرض الفعل وزمنه
	.....ب- استصفاء صاحب للأفعال المجردة والمزيدة المتماثلة في
١٨٣	.....المعنى
١٨٤	.....ج- المعاني التي تضيفها أحرف الزيادة على الأفعال
١٨٥	.....د- الفعل اللازم والمتعدي
١٨٦	.....هـ- الممات من الأفعال
١٨٧	.....٢ - الاسم
١٨٧	.....أ- المصدر
١٩٠	.....ب- الاسم المقصور والممدود
١٩٣	.....ج- المذكر والمؤنث
١٩٤	.....د- المثني
١٩٦	.....هـ- الجمع

١٩٩	.....و- التصغير
٢٠١	.....ج- المستوى النحوي
٢٠٤	.....د- المستوى المعجمي
٢٠٦	.....هـ- المستوى الدلالي
٢٠٧	.....١- المعرب
٢١٢	.....٢- المشترك اللغوي
٢١٣	.....أ- الترادف
٢٢٠	.....ب- المشترك اللفظي
٢٢٥	.....ج- الأضداد
٢٢٩	.....٣- المجاز
٢٣٥-٢٩٨	.....الباب الرابع: أساليب الصاحب في تبيان دلالة الكلم وتأثره وتأثيره
٢٣٦	.....الفصل الأول: أساليب الصاحب في تبيان دلالة الكلم
٢٣٨	.....١- الدلالة الصرفية
٢٤٠	.....٢- السياق
٢٤٣	.....٣- ضدية المعنى
٢٤٤	.....٤- المشترك اللفظي
٢٤٤	.....٥- الحقول الدلالية
٢٤٨	.....٦- الممائل والرديف والشبيه
٢٥٠	.....٧- الوصف الدقيق
٢٥١	.....٨- الانتقال من الخاص إلى العام
٢٥٢	.....٩- الانتقال من العام إلى الخاص
٢٥٣	.....١٠- المقايسة
٢٥٤	.....١١- الحروف التفسيرية
٢٥٤	.....١٢- الاعتماد على ما سبق ذكره
٢٥٥	.....١٣- الاعتماد على ما سيأتي ذكره
٢٥٥	.....١٤- المشهور والمعروف
٢٥٦	.....١٥- المعرب
٢٥٧	.....مأخذ على منهج الصاحب في شرح الدلالة

## الفصل الثاني: تأثر الصاحب بن عباد بمن سبقه من المعجميين وأثره في

٢٦١	من تلاه منهم.....
٢٦٢	١- تأثر الصاحب بمن سبقه من المعجميين.....
٢٦٢	أ- معجم العين.....
٢٧٣	ب- معجم تهذيب اللغة.....
٢٧٥	ج- معجم التكملة.....
٢٧٦	٢- أثر المحيط في المؤلفات اللغوية والمعجمية.....
٢٧٦	أ- فقه اللغة للثعالبي.....
٢٧٧	ب- الغباب للصاغاني.....
٢٧٧	ج- التكملة والذيل والصلة.....
٢٧٨	د- تاج العروس للزبيدي.....
٢٧٩	٣- سمات منهج الصاحب في المحيط.....
٢٨٢	أ- ظهور شخصية مؤلفه.....
٢٨٩	ب- الالتفات.....
٢٨٩	ج- إهمال سلسلة السند.....
٢٩١	د- قلة الشواهد.....
٢٩١	هـ- عدم التكرار.....
٢٩٢	و- المجاز.....
٢٩٣	ز- وفرة الألفاظ البدوية.....
	ح- معجم المحيط في اللغة هو المعجم الحقيقي أن
٢٩٣	يسمى معجماً.....
٢٩٩	المصادر والمراجع.....
٣١٥	الملحق.....
٣٢٠	الملخص باللغة الانجليزية.....

٥٤٥٥٢٤



## قائمة بالمختصرات الواردة في البحث

الرمز	الاختصار
ت	توفي
تحق	تحقيق
ج	جزء
د.ت	دون تاريخ نشر
د.م	دون مكان نشر
د.ن	دون ناشر
ص	صفحة
ط	طبعة
م	ميلادي
م.ن	المصدر نفسه
هـ	هجري

## الملخص

### "معجم المحيط في اللغة" للصاحب بن عباد

#### دراسة تحليلية

بسمه لوحدة الرواخذة المشرف، د. محمد حسن مواد، ود. محمود عبد الله العديد

على الرغم من وفرة المصنفات التي ألفت حول حياة الصاحب، وإسهاب كتب التراجم في إبراز مآثره، إلا أن معجمه "المحيط في اللغة" على أهميته لم يحظ بالبحث والدراسة قديماً وحديثاً، ولم يحاول أي باحث تحليل مواده اللغوية وإظهار مميزات منهج مؤلفه عدا حسين نصار في صفحات قليلة من كتابه المعجم العربي.

نحن نعلم أن معجم المحيط هو الحلقة الرابعة من مدرسة العين التي طبقت مبادئها وأسسها الرئيسة في هذا المعجم. غير أنه زاد عليها مواد لغوية غزيرة، وامتاز بمنهج علمي قويم في تبيان دلالة الكلم، فهو معجم بما ضم بين دفتيه من ثروة لغوية ضخمة قد مثل لنا بكل دقة وشموخ- ذلك التطور العظيم في العمل المعجمي في القرن الرابع الهجري.

ولإهمال الدارسين قديماً وحديثاً معجم المحيط، ولميزات مؤلفه ومآثره العلمية واللغوية والأدبية، ولسمات نهج الصاحب في إظهار النضج الفكري وتبيان دلالة الكلم في شتى حقولها؛ جاءت رغبتني هذه في الكشف عن مكونات هذا الإرث الثقافي والعلمي الذي ضمّه المحيط بين دفتيه، فهو معجم حرّ بالدراسة والتحليل بوصفه حلقة مضيئة من حلقات درس اللغوي المعجمي.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون في تمهيد وأربعة أبواب:

أ- التمهيد: بين يدي دراسة الصاحب السياسية ومصنفاته الأثيلة الثرية، عمل على تبيان مراسة الصاحب في شؤون الدولة والعظمة التي اضفتها فرادة شخصيته عليه من قبل الحكام والأمراء والعامة، كما أنه سلط الضوء على تفوق الصاحب العلمي واللغوي والأدبي ومظاهر ذلك التميز في الحقول العلمية المختلفة.

ب- الباب الأول: منهج الصاحب بن عباد في ترتيب مواد معجمه، وقد ضمّ فصلين:

أولهما: تحليل مقدمة المحيط وإظهار الأسس التي بُني المحيط عليها، فضلاً عن النظرات اللغوية المختلفة.

ثانيهما: توقف عند مفهوم صاحب لأبواب معجمه.

ج- الباب الثاني: مصادر المحيط وشواهد ولغات القبائل فيه، واقتضت طبيعة هذا الباب أن ينقسم إلى ثلاثة فصول:

أولها: محاولة استخلاص مصادر مواد المحيط التي أخذت من كتب علماء العربية الأفاضل. ثانيها: عرض لأسلوب صاحب في استغلاله الشواهد على اختلاف مصادرها، ونهجه المميز فيها.

أما ثالثها: فركز على استكناه موقف صاحب من اللغات، وتحديد اللغات التي أخذ منها مواد كتابه، عدا عن دور اختلاف اللغات في نشوء قضايا لغوية تحتاج إلى البحث والتحليل.

د- الباب الثالث: مستويات التحليل اللغوي في المحيط، وهو محاولة كشف لموقف صاحب من المستوى الصوتي، والصرفي، والنحوي، والمعجمي، والدلالي، ودوره العلمي والنقدي في التنبيه عليها.

هـ- الباب الرابع: أساليب صاحب في تبيان دلالة الكلم وتأثره وتأثيره. وقد ضمّ هذا الباب فصلين رئيسيين:-

أولها: تحدث عن المناهج والأساليب التي اتكأ عليها صاحب في تبيان دلالة الألفاظ وشرح معاني التراكيب.

أما الفصل الثاني: فقد نبّه على مدى تأثر صاحب بالمعجميين الذين سبقوه - ولا سيما الخليل والخارزنجي -، وأثر معجمه في من تلاه من اللغويين والمعجميين - ولا سيما الثعالبي والصاغانبي والزبيدي -. وقد ختم هذا الفصل بإظهار السمات التي مازت المحيط مما سواه من المعجمات.

التمهيد:

بين يدي دراسة الصاحب السياسية ومصنفاته  
الأثيلة الثرية

## الصاحب بن عباد

الصاحب بن عباد هو أبو القاسم اسماعيل بن ابي الحسن عباد بن العباس بن ادريس<sup>(١)</sup>، أجمعت معظم التراجم قديمها وحديثها إلا من شذ<sup>(٢)</sup> منها على أنّ ولادته كانت في اليوم الرابع عشر من ذي القعدة سنة ست وعشرين وثلاثمائة في اصطخر، وقيل في طالقان<sup>(٣)</sup> قزوين، غير أنّ السمعاني<sup>(٤)</sup> والذهبي<sup>(٥)</sup> وابن تغري بردي<sup>(٦)</sup> قالوا: إن موطنه طالقان ليس غير، ونقل ياقوت<sup>(٧)</sup> عن أبي الحسن البيهقي إنّ ولادته كانت في كورة فارس دون أن يحددها، وذكر صاحب معالم العلماء<sup>(٨)</sup> أنه من أصبهان.

ولد الأديب الشهير في طالقان، ووقع وشبّ في اصفهان، وشاعت الأقدار أن يتصل اسماعيل بن عباد بالكاتب الوزير أبي الفضل ابن العميد الذي تنبأ فيه ذكاءً متوقداً، وحنكة سياسية وذوقاً أدبياً من العسير توافرها للكثيرين، فاختره أن يكون كاتباً له، وبعد لأي من الزمن رشحه ابن العميد أن يكون كاتباً للأمير أبي منصور مؤيد الدولة بن بويه السذي اصطحبه معه إلى بغداد سنة سبع وأربعين وثلاثمائة، وهناك التقى ابن عباد العلماء الأفاضل، واللغويين المبرزين.

(١) لم يخالف سلسلة نسب الصاحب سوى بيتين شعريين ذكرهما ياقوت، أحدهما للرستمي وثانيها للسلامي "وقد قال الرستمي شاعره: يهني ابن عباد بن عباس بن عبد الله نعي بالكرامة ترفد"

وقال أبو السلامي يهجو: يا ابن عباد بن عباس بن عبد الله حرها" ياقوت الحموي، معجم الأبناء، تحقق: إحسان عباس، دار المغرب الإسلامي، ١٩٩٣م، ج ٢، ص ٦٦٢. وأميل إلى أن السبب الذي جعلهما يستبدلان عبد الله بالادريس الضرورة الشعرية، انظر أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، مطبعة الانصاف، بيروت - لبنان، ١٩٦١م، ط ٢، ج ١١، ص ٢٣١.

(٢) عم صاحب الأنساب سنة ولادة الصاحب فقال: "ولد الصاحب اسماعيل بن عباد سنة نيف وعشرين وثلاثمائة" السمعاني. الأنساب، تحقق: محمد عوامل، مطبعة محمد هاشم الكتبي بدمشق، بيروت-لبنان، دت، ج ٨، ص ١٧٨، وذهب النويري إلى أنها كانت في سنة عشرين وثلاثمائة، النويري، نهاية الأرب. نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، مطابع كوستانتينوبوليس وشركاه، القلعة، دت، ج ٣، ص ١١٣، وبعضهم رأى أنها كانت في سنة أربع وعشرين وثلاثمائة أمثال: الميوطي "بغية الوعاة"، تحقق: محمد أبو الفضل ابراهيم، المكتبة المصرية، بيروت-لبنان، دت، ج ١، ص ٤٤٩، والسيد حسن الصدر، تأسيس الشيعة، دار الرائد العربي، بيروت-لبنان، ١٩٨١م، ص ١٥٩-١٦١.

(٣) الطالقاني - بفتح الطاء المهملة وبعد الألف لام مفتوحة ثم كاف وبعد الألف النائية نون - هذه النسبة إلى الطالقان وهو اسم لمدينتين إحداهما بخراسان والأخرى من أعمال قزوين، والصاحب منسوب إلى طالقان قزوين لا طالقان خراسان. انظر: ابن خلكان، وفیات الأعيان، تحقق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت-لبنان، دت، ج ١، ص ٢٢٨، وغيرها ورد في الملحق، وقد ردد نسبته إلى الطالقان معظم المحققين الذين أرخوا له، وقد زاد على القنماء عبارة "الدليمي القزويني الطالقاني" وقد كررها عنها صاحب أعيان الشيعة مضيئاً لها "الأصفهاني" مقتدياً بصاحب معالم العلماء، انظر: الخوانساري: روضات الجنات، مكتبة اسماعيليان، ١٩٧٠م، د.م، ج ٢، ص ١٩، والسيد محسن الأمين، أعيان الشيعة ج ١١، ص ٢٣١، وابن شهر آشوب، معالم العلماء، منشورات المطبعة الحيدرية-النجف، ١٩٦١، ص ١٠.

(٤) السمعاني، الأنساب، ج ٨، ص ١٧٨.

(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام، تحقق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، دت، د.م، ج ٢٧، ص ٩٣.

(٦) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، تحقق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط ١، ١٩٩٢م، ج ٤، ص ١٧١.

(٧) ياقوت الحموي، معجم الأبناء، ج ٢، ص ٦٩٧.

(٨) ابن شهر آشوب، معالم العلماء، ص ١٤٨.

علت منزلة ابن عباد عند الأمير، فحصل بقدم الخدمة قدم، وأنس منه مؤيد الدولة كفاية وفراة، فلقبه بالصاحب كافي الكفاة.

ذكرت التراجم أن اسماعيل بن عباد كان أول كاتب ووزير يلقب بالصاحب، وقد قيل إنه لقب به لطيلة صحبته لمؤيد الدولة، وقيل لأنه كان يصحب أبا الفضل بن العميد.

والمرجح عندي ما ذهب إليه الصابيء في كتابه التاجي "أنه إنما قيل له الصاحب لأنه صحب مؤيد الدولة بن بويه منذ الصبا وسماه الصاحب، فاستمر عليه هذا اللقب واشتهر به، ثم سمي به كل من ولي الوزارة بعده"<sup>(١)</sup>.

لما توفي ركن الدولة بن بويه-مستورز أبي الفضل ابن العميد ثم ابنه أبي الفتح ابن العميد-سنة ست وستين وثلاثمائة وولي مؤيد الدولة حكم الري وأصبهان، وأبقى أبا الفتح وزيراً له على مضض؛ لأنه كان يتوسم في الصاحب صفات الوزير المثل، فدبر مكيدة لابن العميد ذكرتها كتب التراجم<sup>(٢)</sup> كان نتيجتها أن قتل أبو الفتح، وخلع مؤيد الدولة على الصاحب خلع الوزارة.

وفي عام ثلاثة وسبعين وثلاثمائة مات مؤيد الدولة، فأنفذ الصاحب إلى أخيه فخر الدولة كتاباً، وأحضره وملكه البلاد، فأقر فخر الدولة وزارة الصاحب، وبقي الصاحب وزيراً لفخر الدولة إلى أن توفي الصاحب في الري سنة خمس وثمانين وثلاثمائة على الأرجح<sup>(٣)</sup>.

يعد الصاحب من الشخصيات السياسية والأدبية الفذة التي كان لها دور مؤثر في رسم سياسة آل بويه وتوسع دولتهم، وقد تنبّه البويهيون أنفسهم إلى حذق الصاحب وحنكته، فقدروه لذلك، فكان الصاحب كان الحاكم المستورز لا الوزير المطيع، ولم تات فراة الصاحب السياسية عبثاً، وإنما دعمتها وسدّدت خطاها عوامل كثيرة منها: أن أمه كانت تعطيه كل يوم ديناراً ودرهما ليتصدق به على أول فقير يلقاه حينما يذهب ليتلقى العلم في المسجد، فكان هذا دأبه إلى أن كبر، وقد أرادت أمه أن تعلمه معنى العطاء، وأنه سيد يعطي ولا يأخذ، ويظهر أثر هذه التربية في توقيعه الذي بعث به إلى العميري قاضي قزوین حينما أهداه كتباً:

ورددنا لوقتها الباقيات

" قد قبلنا من الجميع كتاباً

قول خذ ليس مذهبي قول هات"<sup>(٤)</sup>.

لست استغنم الكثير فطبعي

والصاحب وزير ابن وزير نشأ في بيت مارس السياسة، وترعرع في مراتبها، فنهل من مساقط ريبها الكثير الكثير، ولذلك قال أبو بكر الخوارزمي:

(١) ابن خلکان، وفيات الأعيان، ج١، ص ٢٢٩.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، تحق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م، ج٩، ص ٤٢٥٢، والذهبي، تاريخ الإسلام، ج٢٧، ص ٩٣، وأبو الفداء، البداية والنهاية، تحق: أحمد أبو ملحم، وعلي نجيب عطوي وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٩٨٧م، ج٦، ص ١١١، ص ٣٣٦.

(٣) انفراد أبو القاسم القوباني بالإشارة إلى أن وفاة الصاحب كانت سنة سبع وثمانين وثلاثمائة، رسالة الإرشاد في أحوال الصاحب بن عباد، تصحيح: جلال الدين الحسيني الطهراني. مطبعة المجلس، د.م، ١٢٥٩هـ، ص ٤٣.

(٤) الثعالبي، يتيمة الدهر، تحق: محمد قمبحة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ج٣، ص ٢٣١، المنتظم ج١، ص ٤٢٥٣، النجوم الزاهرة، ج٤، ص ١٧٢، وروضات الجنات ج٢، ص ٢٢.

" إن مولانا الصاحب نشأ من الوزارة في حجرها، ودب ودرج في وكرها، ورضع أفويق درها. وورثها من أبيه كما قال أبو سعيد الرستمي:

ورث الوزارة كابرا عن كابر  
يروى عن العباس عباد وزا  
موصولة الإسناد بالإسناد  
رتبه واسماعيل عن عباد<sup>(١)</sup>.

وقال له فخر الدولة حينما خلع عليه خلع الوزارة: "لك في هذه الدولة من إرث الوزارة كما لنا من إرث الإمارة"<sup>(٢)</sup>.

أدرك الصاحب ميزات شخصيته، وأثر تدبيره في ازدهار دولة بني بويه وتقدمها، فأعجب بنفسه، ورأى فيها نبراسا يهتدى، وجعل غيره يعظمونه ويوقرونه سواء أكانوا حكاما أم رعية، ولعظمة قدره إمارات عديدة من أهمها:

أنه لم يكن يقوم لأحد ولا يشير إلى القيام، ولا يطمع منه أحد في ذلك، ولم يقم سوى مرة واحدة<sup>(٣)</sup> لزاهد من المعتزلة كان يعرف بعبد الله بن اسحاق.

وكان من العسير على كبار القوم الاستئذان على الصاحب والدخول عليه سواء أكانوا أبناء ملوك، أم أمراء، أم قوادا، وسائر من ساواهم من الزعماء والكبار، فلم يكن من المتيسر دخول أبناء مؤيد الدولة وابن عز الدولة، ومنوهر بن قابوس بن وشمكير، وأبي الحجاج ابن ظهير الدولة، وحسن بن وشمكير، ونصر بن الحسن بن الفيروزان، وغيرهم من ساسة الدولة الكبار، وفي ذلك يقول ياقوت: ".. وكان في يد كل واحد من هؤلاء من الإقطاع ما يبلغ ارتفاعه خمسين ألف دينار وما دونها إلى عشرين ألف دينار، ومن أكابر القواد ما يطول تعدادهم يحضرون باب داره، فيقفون على دوابهم مطرقين لا يتكلم واحد منهم هيبه وإعظاما لموضعه، إلى أن يخرج أحد خلفاء حجابيه، فيأذن لبعض أكابرهم ويصرفهم جملة، فكان من يؤذن له في الدخول يظن أنه قد بلغ الآمال ونال الفوز بالدنيا والآخرة، فرحا ومسرة وشرفا وتعظيما، فإذا حصل في الدار وأذن له في الدخول إلى مجلسه قبل الأرض عند وقوع بصره عليه ثلاث مرات أو أربعا إلى أن يقرب منه فيجلس من كانت رتبته الجلوس، إلى أن يقضي كل واحد منهم وطره من خدمته، ثم ينصرف بعد أن يقبل الأرض أيضا مرارا"<sup>(٤)</sup>.

ولم تقتصر هيئته وتعظيمه على كبار القوم، وإنما تعدتها إلى الملك الشهنشاه نفسه، فقد روي أن فخر الدولة مخدوم الصاحب كان يتحشم أمامه وينتقل من مجلس الأئس إلى مجلس الحشمة<sup>(٥)</sup>.

(١) الثعالبي بتيمة الدهر ج٢ ص ٢٢٦-٢٢٧، الخوانساري، روضات الجنات ج٢، ص ٢٠، ابن خلكان، بوفيات الأعيان ج١ ص ١٢٣.

(٢) ياقوت الحموي، معجم الأبناء ج٢، ص ٦٦٤، الخوانساري، روضات الجنات ج٢، ص ٢١.

(٣) ياقوت الحموي، معجم الأبناء ج٢، ص ٦٩٣، الخوانساري، روضات الجنات ج٢، ص ٢١.

(٤) ياقوت الحموي، معجم الأبناء ج٢، ص ٦٩٢-٦٩٣، وأبو المظفر يوسف بن عبد الله البغدادي، مرآة الزمان، تحقق: جنان خليل محمد الهومندي، الدار الوطنية - بغداد، ١٩٩٠، ص ٢٥١.

(٥) ياقوت الحموي، معجم الأبناء ج٢، ص ٧٠٧، الثعالبي، بتيمة الدهر، ج٢، ص ٢٢٧، وصلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات، اعتناء: يوسف فان إس، فيسيان فرانس شتايز، ط٣، ١٩٩١م، ج٩، ص ١٢٣.

ولما تعدّت سمعته الآفاق، ورأى السلاطين ثمار خدمته لآل بويه تسارعوا ليعرضوا عليه أن يكون وزيراً لهم - فقد فتح لآل بويه ما يزيد على خمسين قلعة<sup>(١)</sup> - ومن أشهرهم نوح بن منصور الساماني<sup>(٢)</sup> ملك خراسان.

ولا غرو في أن يتنافس الحكام على تفويض وزارتهم رجلاً وصّى مخدومه فخر الدولة قبل وفاته وصية تنبئ عن بعد نظر ثاقب، ومراعاة تقف عند فرادتها الأبواب، فعندما قربت منية الصباح قال لمخدومه: "قد خدمتك الخدمة التي استفرغت فيها الوسع وسرت في دولتك السيرة التي حصلت لك حسن الذكر بها، فإن أجريت الأمور بعدي على رسومها علم أن ذلك منك ونسب الجميل فيه إليك، واستمرت الأحدثوة الطيبة بذلك، ونسيت أنا في أثناء ما ينثى به عليك، وإن غيرت ذلك وعدلت عنه كنت المذكور بما تقدم والمشكور عليه وقدح في دولتك وذكرك ما يسع إيقاعك"<sup>(٣)</sup>.

مع أنّ الصباح فارسي الأصل إلا أنه كان يفضل العرب ويبغض الشعوبية، ويزدري المتفوهين بها، ويعمل على تسخيف آرائهم بوساطة إقامة مناظرات بين العرب والشعوبيين، وخير مثال على ذلك: المناظرة التي طلب من بديع الزمان الهمذاني أن يسقه بها آراء الشاعر الفارسي الذي فضل قومه على العرب<sup>(٤)</sup>.

أفاضت كتب التراجم قديمها وحديثها في تتبع مراحل حياة الصباح الأدبية والسياسية، وأسهب في الحديث عن صفاته المتمسم بها من حلم، وكرم، وإعجاب بالنفس، وسرعة بديهة - لا سيما اليتيمة<sup>(٥)</sup>، ومعجم الأديباء<sup>(٦)</sup>، والوافي بالوفيات<sup>(٧)</sup>، وروضات الجنات<sup>(٨)</sup>، وأعيان الشيعة<sup>(٩)</sup>..، لا طائل لسردها هنا؛ لأنّ المقام يضيق عن تتبعها، فضلاً على وجود مؤلفات أخذت من حياة الصباح موضوعاً لها منها: كتاب "رسالة الإرشاد في أحوال الصباح الكافي اسماعيل بن عباد" لأبي القاسم القوبائي، وكتاب "الصاحب بن

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج ٩، ص ٤٢٥٢، وياقوت الحموي، معجم الأديباء، ج ٢، ص ٦٩٤، وأبو الفداء، البداية والنهاية، ج ١١، ص ٣٣٥، والذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٢٧، ص ٩٥، وابن تعزي بردي، النجوم الزاهرة، ج ٤، ص ١٧٢.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٢٧، ص ٩٧، القفطي، انباء الرواة، تحقق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الكتب المصرية، ١٩٥٠م، ج ١، ص ٢٠٢، والثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٣، ص ٢٣٠، والسيوطي، بغية الدعاة، ج ١، ص ٤٥١، وابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١، ص ٦٢٤، والياقيني، مرآة الجنان، تحقق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٩٩٧م، ط ١، ج ٢، ص ٣١٨.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج ٩، ص ٤٢٥٢، وابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت - لبنان، ١٩٦٦، مجلد ٩، ص ١١٠، وأبو الفداء، البداية والنهاية، ج ١١، ص ٣٣٦، وأبو شجاع محمد بن الحسين، نيل كتاب تجارب الأمم، شركة التمدين الصناعية، مصر، ١٩١٦م، ج ٣، ص ٦١، وأبو المظفر يوسف، مرآة الزمان، ص ٢٥١.

(٤) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٣، ص ٣١٦، والسيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج ١١، ص ٢٨٨-٢٨٩، وخليل مردم بك، أنمة الأديب، الصباح بن عباد، مطبعة الترقى، دمشق، ١٩٣٢م، ص ٧٠-٧٣. وبدوي طبانة، الصباح بن عباد، الوزير الأديب العالم، المؤسسة المصرية العامة، د.ت، ص ١١٦-١٢١، والصاحب بن عباد، ديوان شعره، تحقق: محمد حسن آل ياسين، مكتبة النهضة - بغداد، ١٩٦٥، ص ٢٨٦.

(٥) ج ٣، ص ٢٢٥-٢٧٤.

(٦) ج ٢، ص ٦٦٢-٧٢١.

(٧) ج ٩، ص ١٢٥-١٤١.

(٨) ج ٢، ص ١٩-٣٢.

(٩) ج ١١، ص ٢٣١-٣٧٥.



عباد، أحوال وأثار" (١) لأحمد بهمينار، وكتاب "الصاحب ابن عباد" (٢) لخليل مردم بك، وكتاب "الصاحب ابن عباد الوزير الأديب العالم" (٣) لبدوي طبانة، وكتاب "الصاحب بن عباد، حياته وأدبه" (٤) لمحمد حسن آل ياسين.

ولمن أراد الاستزادة في معرفة دقائق حياة الصاحب السياسية والعلمية والأدبية، فإنني وضعت في نهاية هذا البحث ثبناً بالمؤلفات التي كفتني مؤونة التكرار.

### الصاحب العالم:

أما علم الصاحب وأدبه فإن معظم كتب التراجم واللغة والأدب (٥) قد توقفت عندهما، وأغنت المطلع بروايات وحوادث تكشف اللثام عنهما، ولذلك فإنني سأكتفي بالإشارة إلى أهم مظاهر تفوقه العلمي والأدبي واللغوي بوساطة مؤلفاته التي تُبدي ذلك.

عهدنا في علماء القرن الرابع الهجري إتقان العديد من العلوم اللغوية، والأدبية، والشرعية، والعلمية، والفلسفية، والصاحب من هؤلاء العلماء الذين أتقنوا علوماً جمّة، وفي ذلك يقول أبو حيان: "كان الصاحب كثير المحفوظ حاضر الجواب، فصيح اللسان، قد نتف من كل أدب شيئاً وأخذ من كل فن طرفاً..". (٦).

ومائله الثعالبي - مع مبالغة في وصفه وذكر محاسنه (٧) -، وعدّه ابن الأثير (٨)، وابن خلكان (٩) والصفدي (١٠)، وابن خلدون (١١) أوحّد زمانه علماً وفضلاً ورياسة ورأياً وكرماً، وأنه نادرة العصر وأعجوبة الدهر.

ويظهر علمه بالتفسير من تأليفه كتاب "الهداية والضلالة" (١٢) وكتاب "أسماء الله

(١) الصاحب بن عباد، شرح أحوال وأثار، تصحيح: محمد إبراهيم باستاني باريزي - طهران، جامعة طهران، ١٩٦٤م.

(٢) الكتاب الرابع من سلسلة أئمة الأدب.

(٣) الكتاب السابع والعشرون من سلسلة أعلام العرب.

(٤) دار المعارف للتأليف والترجمة والنشر، مطبعة المعارف - بغداد، ١٩٥٧، ط١.

(٥) انظر الملحق.

(٦) أبو حيان التوحّدي، الامتاع والموانسة، تصحيح: أحمد أمين، وأحمد الزين، دار مكتبة الحياة، بيروت-لبنان، دت، ج١، ص ٥٤.

(٧) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج٣، ص ٢٢٥، والأنباري، نزهة الألباء، تحق: إبراهيم السامرائي، مطبعة المعارف-بغداد، ١٩٥٩م، ص ٢٢٢، وابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص ٤٢٥٢.

(٨) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص ١١١٠.

(٩) ابن خلكان، وفيات الأعيان ج١، ص ٢٣.

(١٠) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٩، ص ١٢٨.

(١١) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، تصحيح: تركي فرحان المصطفى، دت، ج٤، ص ٤٦٧.

(١٢) تحق: حسين علي محفوظ، طهران، ١٣٧٤هـ، انظر الصاحب ابن عباد، مقدمة الفصول الأدبية، تحق: محمد حسن آل ياسين منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٢، ص ١٧، ومحمد آل ياسين. الصاحب ابن عباد، ص ٥٢، وعمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، تحق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٣م، ص ٣٦٧.

تعالى وصفاته<sup>(١)</sup> والمناظرات<sup>(٢)</sup>، والمكاتبات<sup>(٣)</sup>، والتساؤلات<sup>(٤)</sup> التي رواها التوحيدي (وإن كان يقصد من ورائها إظهار غفل الصحاب وجهله وإعجابه بنفسه).

أما معرفته بعلوم الحديث، فلها دلائل غير قليلة منها:

١- سماعه الحديث من علماء الحديث الأصبهانيين والبغداديين والرازيين المتصفين بالمشايخ الجياد والعوالي الأسناد<sup>(٥)</sup>.

٢- ذكر اسمه في سلسلة سند أحد الأحاديث النبوية الشريفة<sup>(٦)</sup>.

٣- مقولته المشهورة "... من لم يكتب الحديث لم يجد حلاوة الإسلام"<sup>(٧)</sup>.

٤- جلوسه لإملاء الحديث وروايته<sup>(٨)</sup>، وسماع خلق كثير منه، وأخذ العلماء رواية الحديث عنه، ومن أشهرهم: القاضي عبد الجبار الهمذاني<sup>(٩)</sup>، وأبو بكر ابن المقرئ<sup>(١٠)</sup>، والقاضي أبو الطيب الطبري<sup>(١١)</sup>، وأبو بكر بن أبي علي الذكواني<sup>(١٢)</sup>، وأبو العلاء محمد بن علي بن حسول<sup>(١٣)</sup>، وعبد الملك بن علي الرازي القطان<sup>(١٤)</sup>، وأبو بكر بن أبي علي المعدل<sup>(١٥)</sup>.

٥- ضمن شعره أحاديث نبوية غير قليلة<sup>(١٦)</sup>.

وللصاحب قدم راسخة في علم التاريخ، ومما يعكس ذلك كثرة تأليفه فيه، إذ صنف كتاباً في تاريخ الدولة الإسلامية منذ نشوئها إلى عصره أسماء "عنوان المعارف وذكر الخلف"<sup>(١٧)</sup>.

(١) ابن النديم، الفهرست. تحقق: ناهد عباس عثمان. دار قطري بن الفجاءة، ط١، ١٩٨٥م، ص ٢٦٠، وحاجي خليفة. كشف الظنون، دار الفكر، دم، ١٩٨٢م، ج ٥، ص ٢٠٩.

(٢) أبو حيان التوحيدي، مثالب الوزيرين، تحقق: إبراهيم الكيلاني، دار الفكر المعاصر، بيروت-لبنان، ط٢، ١٩٩٨م، ص ٢٠٧ وقد حققه البعض باسم أخلاق الوزيرين، تحقق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية. بيروت-لبنان، ط١، ١٩٩٧م، ص ١٥٣-١٥٤.

(٣) أبو حيان، أخلاق الوزيرين، ص ١٣٨-١٤٠.

(٤) أبو حيان، مثالب الوزيرين، ص ١٧٩-١٨٠.

(٥) الأنساب، ج ٨، ص ١٧٨، البداية والنهاية ج ١١، ص ٣٣٥.

(٦) ذكر سلسلة السند والحديث في الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٢٧، ص ٩٤.

(٧) السمعاني، الأنساب، ج ٨، ص ١٧٨.

(٨) انظر الملحق.

(٩) أبو الفداء، البداية والنهاية، ج ١١، ص ٣٣٦، ابن الجوزي، المنتظم، ج ٩، ص ٤٢٥٣.

(١٠) السقلائي لسان الميزان تحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان ج ١، ص ٦٣٨، الذهبي، تاريخ الإسلام ج ٧، ص ٩٣.

(١١) لسان الميزان ج ١، ص ٦٣٨، وتاريخ الإسلام، ج ٢٧، ص ٩٣.

(١٢) لسان الميزان ج ١، ص ٦٣٨.

(١٣) مرآة الزمان ص ٢٥٠، وتاريخ الإسلام، ج ٢٧، ص ٩٣.

(١٤) مرآة الزمان ص ٢٥٠، وتاريخ الإسلام، ج ٢٧، ص ٩٣.

(١٥) مرآة الزمان ص ٢٥٠، وتاريخ الإسلام، ج ٢٧، ص ٩٣.

(١٦) انظر الملحق.

(١٧) الصحابي بن عباد، عنوان المعارف وذكر الخلف من نفائس المخطوطات، تحقق: محمد حسن آل ياسين، دار المعارف، دم، ١٩٥٣، ط١، المجموعة الأولى.

وصنف كتاب "رسالة في أحوال عبد العظيم"<sup>(١)</sup>، وكتاب "تاريخ الملك واختلاف الدول"<sup>(٢)</sup>، وكتاب "الوزراء"<sup>(٣)</sup>، وكتاب "أخبار أبي العيناء"<sup>(٤)</sup>.

ومع أن عدداً من كتب التراجم<sup>(٥)</sup> رددت مقولة: أن صاحب ينفر من الفلسفة ويغض من يميل إليها، إلا أن كتبه الكلامية التي حفظتها لنا الأيام تثبت أنه كان على جانب كبير من الاطلاع على الكتب الكلامية المتعددة، وعلى عقائد الأديان القديمة ومبادئها الغابرة، وكان متبحراً في آراء الفلاسفة القدماء وآراء المذاهب الفكرية التي أوجدها الفكر الإسلامي المتأثر بفلسفة اليونان ومبادئ المناطق، فقد هدف صاحب من تأليف كتبه الكلامية إبطال حجج الفرق الإسلامية المناوئة للإسلام وبراهينها، والمخالفة لرأيه الفكري ثانياً.

أما المذهب الفكري الذي ارتضاه صاحب له منهجاً يدافع عنه، فهو فكر المعتزلة ومذهبهم، فقد أثبتت كتب صاحب وشعره أنه نهل من معين أهل الاعتزال ومبادئهم، وصير من نفسه مدافعاً عن مذهبهم، فبنى كتابيه "الإبانة عن مذهب أهل العدل بحجج القرآن والعقل"<sup>(٦)</sup> وكتاب "التذكرة في الأصول الخمسة"<sup>(٧)</sup> على مناقشة مبادئ الدهرية والمعطلة، والمجوس الثنوية، والنصارى والمتفلسفة، والمشبهة والبراهمة واليهود، والمجبرة القدرية، والمرجئة والخوارج، والحشوية والعثمانية، ومن ثم إبطالها ليصل إلى أن المقولة الفضلى مقولة أهل المعتزلة، وأن المنهج القويم هو اتخاذ مبادئ أهل العدل والتوحيد، واليقين بأصولهم الخمسة ولم يكتف صاحب في إثبات سلامة آراء أهل المعتزلة وصواب أصولهم الخمسة على الكتابة وإنما تعداها إلى نظمها شعراً ورجزاً ليثبت رأيه المختار مشفوعاً بالإشارة إلى ما يدعمه من دليل صحيح وبرهان سليم من المناقشة في نظره<sup>(٨)</sup>، ومنها:

قصيدته اللامية المبنية على المحاوراة بين امرأة تسأل والصاحب المجيب الذي ضمنها مبادئ المعتزلة الذين يرفضون أن يكون الله جسماً وأن يكون له شبيه، وأن القرآن مخلوق ومنها قوله:

(١) تحقق: محمد حسن آل ياسين، بغداد، دت، ١٣٧٤هـ، وانظر ابن عباد، الفصول الأدبية ص ١٧، والسيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج ١١، ص ٩٩، وعمر كحالة، معجم المؤلفين ص ٣٦٧.

(٢) باقوت الحموي، معجم الأبناء، ج ٢، ص ٦٩٨، والسيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج ١١، ص ٢٩٩، وحاجي خليفة، كشف الظنون ج ٥، ص ٢٠٩.

(٣) باقوت الحموي، معجم الأبناء، ج ٢، ص ٦٩٨، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٦، ص ٥١٣، وحاجي خليفة، كشف الظنون ج ٥، ص ٢٠٩، وعبد الهادي حماد، معجم الألقاب والكنى، ١٩٩٠، د.م، ج ٢، ص ٨٥٣، وياسين صلواتي، الموسوعة العربية الميسرة، ط ١، ٢٠٠١، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، ج ٥، ص ٢٢٥١.

(٤) باقوت الحموي، معجم الأبناء ج ٢، ص ٦٩٨، السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج ١١، ص ٢٩٩، وحاجي خليفة، كشف الظنون ج ٥، ص ٢٠٩، وعمر كحالة، معجم المؤلفين ص ٣٦٧.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم ج ٩، ص ٤٢٥٣، الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقق: شعيب الأرنؤوط، وإكرام البوشي، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٩٨٣، ج ١٦، ص ٥١٣، ابن الأثير، البداية والنهاية ج ١١، ص ٣٣٥، المسقلاني، لسان الميزان ج ١، ص ٦٢٨.

(٦) صاحب بن عباد، من نفائس المخطوطات، تحقق: محمد حسن آل ياسين، دار المعارف - بغداد، ١٩٥٣م، ط ١، المجموعة الأولى.

(٧) صاحب بن عباد بن من نفائس المخطوطات. تحقق: محمد حسن آل ياسين، دار المعارف - بغداد، ١٩٥٤م، المجموعة الثانية.

(٨) انظر محمد حسن آل ياسين، صاحب بن عباد، حياته وأدبه، ص ١٦١.

" قالت: ابنه فإنني جدّ سامعة  
 قالت: فما اخترت من دين تفوز به  
 قالت: فهل هذه الأجسام محدثة  
 قالت: فهل هو ذو شبه وذو مثل  
 قالت: ابن لي أجسم ذاك أم عرض  
 قالت: وما ضرّ أو أثبّه جسداً  
 قالت: فقل لي أبالأبصار ندركه  
 قالت: فما القول في القرآن سقّه لنا  
 قالت: فأين دليل الخلق فيه ابن  
 قالت: ولم لا يكون الله خالقها

فقلت: كيف اجتماع الشيب والغزل  
 فقلت: إنّي شيعيّ ومعتزلي  
 فقلت: جدا وإن رُمت الدليل سلي  
 فقلت: قد جلّ عن شبه وعن مثل  
 فقلت: بل خالق الجنسين فانقلبي  
 فقلت: لا توجد الأجسام في الأزل  
 فقلت: جلّ عن الإدراك بالمقل  
 فقلت: ذاك كلام الله أين ثلّي  
 فقلت: تركيبه من أحرف الجمل  
 فقلت: لو كنّ خلقاً لم يكن عملي"<sup>(١)</sup>.

اللافت للنظر أن صاحب ختم كتبه - التي أثبت فيها أصول المعتزلة وأبطل غيرها بمدح علي وولديه، وذكر مآثره ومميزاته، عدا أنه ألف كتاباً في مناقب علي وفضائله أسماه "الإمامة"<sup>(٢)</sup>، فضلاً عن نظمه قصائد طوالاً<sup>(٣)</sup>، في مدح علي وآل البيت، وذم معاوية وبنو أمية، وتكفيرهم والحطّ من قدرهم، حتى عدّه ابن شهر آشوب من شعراء آل البيت<sup>(٤)</sup>، فكان مدحه لعلي وآل البيت، ودفاعه عن أصول المعتزلة وأفكارهم مثار جدل في تحديد مذهبه الديني<sup>(٥)</sup>.

والمرجح أنه معتزلي الفكر شيعي المذهب، ومما يقوي هذا الرأي شعر صاحب<sup>(٦)</sup> نفسه، وتحليل القوياني في رسالة الإرشاد<sup>(٧)</sup>، والشيخ محمد حسن آل ياسين<sup>(٨)</sup>. ومما يعدّ للصاحب في هذا المقام أنه من الأدباء النوادير الذين نظموا قصائد طوالاً في مواضيع جدلية فلسفية خلافية منظومة بلغة أدبية رقيقة.

(١) ابن عباد، ديوان شعره، ص ٢٨، ٢٩، والقاضي جعفر بن أحمد البهلولي، شرح قصيدة صاحب ابن عباد في أصول الدين، تحق: محمد حسن آل ياسين، مطبعة المعارف - بغداد، ط١، ١٩٦٥م، ص ٢٣-٢٦.

(٢) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٢، ص ٦٨٩، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٩، ص ٢٩٨، وعبد الرحيم بن أحمد العباسي، معاهد التصيص، تحق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، ١٩٤٨، ج٤، ص ١٢٣، والبسناني، دائرة المعارف، مؤسسة مطبوعات اسماعيليان، ج١، ص ٥٨٢، وانظر الملحق.

(٣) ابن عباد، ديوان شعره، ص ٣٤، ٤٧، ٩١، ١٥٩، ١٦٠.

(٤) ابن شهر آشوب، معالم العلماء ص ١٤٨.

(٥) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٢، ص ٦٦٤، المسفلاني، لسان الميزان ج١، ص ٦٣٨-٦٤١، والإمتاع والمؤانسة، ج١، ص ٥٤، الثعالبي، يتيمة الدهر، ج٣، ص ٢٣٤، ٣٢٠، وابن العماد، شذرات الذهب، ص ٢٤٠، وفخر الدين الطريحي، مجمع البحرين، دار الكتب العلمية، مكتبة الوارث، دت، دم، ج٦، ص ٣٩٦، وأبو حيان، مثالب الوزيرين ص ١٠٥-١٠٦، ١٣٢-١٣٣، والمسجد محسن الأمين، أعيان الشيعة ج١١، ص ٢٥٧-٢٦٢.

(٦) ابن عباد، ديوان شعره، ص ٤٧، ٩١، ٣٢، ١٥٩، ١٦٠.

(٧) ص ٣٤.

(٨) محمد آل ياسين، ابن عباد، ص ٨٤-٨٥.

وللصاحب علم بالطب تظهره رسالته بالطب التي أوردتها الثعالبي<sup>(١)</sup>.  
الصاحب الأديب:

جزالة ألفاظ الصاحب ورصانة سبكه، وبلاغة نظمه ونثره حقيقة لم تُرب عالماً، ولم يشك في صحتها أديب، فقد قالوا بحقه: إنه أحد كتّاب الدنيا الأربعة الذي يعد كل واحد منهم قطباً من أقطاب النثر والأدب العربي، ونعني بهم عبد الحميد الكاتب (الذي بُدئت به الكتابة)، وابن العميد المترسل (الذي ختمت به الكتابة)، والصابي (الذي كان يكتب كما يؤمر)، والصاحب (الذي كان يكتب كما يريد).

قال الثعالبي في تبيان براعة كتابته وبلاغة نظمه: "فبلغ من البلاغة ما يعد في السحر، ويكاد يدخل في حدّ الإعجاز، وسار كلامه مسير الشمس، ونظم ناحيتي الشرق والغرب.."<sup>(٢)</sup>، كتب الصاحب في ركني الأدب شعره ونثره، ولم يطغ أحدهما على الآخر، بل تقفن في كليهما، وجعل له نهجاً مميزاً يغيّره عما سواه من الكتاب والشعراء. كان شعره صورة حية تُبدي الموضوعات الشعرية والزخرفة اللفظية التي اتصف بها شعره وشعراء القرن الرابع.

نظم الصاحب في معظم الأغراض الشعرية المعروفة، فكتب في الغزل<sup>(٣)</sup>، والوصف<sup>(٤)</sup>، والهجاء<sup>(٥)</sup>، والرثاء<sup>(٦)</sup>، والاخوانيات<sup>(٧)</sup>، والمدح؛ إذ نظم الصاحب في مدح علي وآل البيت<sup>(٨)</sup> قصائد طوالاً، ومقطعات عديدة جعلت صاحب معالم العلماء يعده من شعراء آل البيت، ومدح سلاطين آل بويه أمثال: عضد الدولة<sup>(٩)</sup>، ومؤيد الدولة<sup>(١٠)</sup>، وفخر الدولة<sup>(١١)</sup>، ومدح وزيره وأستاذه ابن العميد<sup>(١٢)</sup>.

ويشاطر مديح آل البيت في كثرة القصائد<sup>(١٣)</sup> مذهبه.

إذا وضعنا شعر الصاحب في ميزان النقد الأدبي، فإننا نجد أنّ شعره يقرب من قصائد عيون الشعر العربي، ويهبط في مقطعات ليست بالقليلة، ولا نقصد بالهبوط أنّه

(١) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٣، ص ٢٢٧، والسيد محمد الأمين، أعيان الشيعة ج ١١، ص ٢٩٩.

(٢) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٣، ص ٢٢٥.

(٣) ابن عباد، ديوان شعره، ص ١٧٥، الثعالبي، يتيمة الدهر ج ٣، ص ٢٩٦-٣٠٢.

(٤) ابن عباد، ديوان شعره، ص ١٧٥، الثعالبي، يتيمة الدهر ج ٣، ص ٣٠٦-٣٠٨.

(٥) ابن عباد، ديوان شعره، ص ١٧٦، الثعالبي، يتيمة الدهر ج ٣، ص ٣١٤-٣٢٠.

(٦) ابن عباد، ديوان شعره، ص ١٦٩-٢٦٤، الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٣، ص ٣٢٢.

(٧) ابن عباد، ديوان شعره، ص ٢٨٥، الثعالبي، يتيمة الدهر، ص ٣٠٨-٣١١.

(٨) معظم قصائد الصاحب ومقطعاته في ديوانه.

(٩) ديوان الصاحب ص ٣٢٠، الثعالبي، يتيمة الدهر، ص ٣١٢.

(١٠) ابن عباد، ديوان شعره، ص ٣١٣، الثعالبي، يتيمة الدهر ج ٣، ص ٢١١.

(١١) ابن عباد، ديوان شعره، ص ٢١١، الثعالبي، يتيمة الدهر، ص ٣١٣.

(١٢) الثعالبي، يتيمة الدهر ج ٣، ص ٣١٣، السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة ج ١١، ص ٢٦٣، ابن عباد، ديوانه، ص ٢٠٧-٢٠٩.

٢١٨، ٢٤٩، ٢٧٧.

(١٣) معظم قصائده في ديوانه الشعري.

كان يستخدم ألفاظاً مبتذلة<sup>(١)</sup>، وأن نظمه كان يقل رتبة عن نظم الشاعر المجيد، وإنما نعني به غلبة الصنعة اللفظية التي اُتسم بها شعر القرن الرابع، فقد غلب على غير قصيدة من شعره التصنيع والزخرفة اللفظية، والمحسنات الديدعية، والتكلف والتمحل، والذي ساعد على ذلك غناه اللغوي المستقى من مصادر التراث العربي الإسلامي، وفي ذلك يقول آل ياسين: ".. نجد أن صاحب قَد خطأ في الزخرفة خطوات كبرى لم يُعرف مثلها ولم يشاهد نظيرها عند غيره من شعراء عصره وأدباء عهده، ولعل لثرائه اللغوي يدا في هذه الزخرفة المعقدة المعتمدة على مجموعة كبرى من الأدوات اللفظية التي لا تتسنى لغير أعلام اللغة ورجالها المتمرسين.."<sup>(٢)</sup>.

ولشيوخ التزييق اللفظي وزخرفة العبارات مظاهر عديدة<sup>(٣)</sup> في شعره بحث في تبيانها وإبراز نهجه فيها محمد آل ياسين<sup>(٤)</sup>.

وللصاحب قصائد سارت بها الركبان، لرصانة نظمها، وحلاوة جرسها، وبراعة سبكها، وروعة معناها، منها:

"وقائلة لم عرتك الهموم  
فقلت: دعيني وما قد عرا  
وأمرك ممثّل في الأمم  
فإن الهموم بقدر الهمم"<sup>(٥)</sup>.

أما إذا انتقلنا إلى صاحب النائر، فإننا نجد أنه ورث الأمة رسائل ذات فوائد جمّة تبدي ظروف دولة بني بويه السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وتُظهر سمات كُتاب ذلك العصر.

إن معظم رسائل صاحب من الرسائل الديوانية لا الإخوانية، وقد قسّمها إلى عشرين فصلاً خصّص كل فصل منها لموضوع بعينه، وقد يزيد عدد رسائل كل موضوع على عشر رسائل.

إن لرسائل صاحب قيمة تاريخية؛ إذ إنها سجلت طائفة من حروب بني بويه، وسجلت أسماء طائفة من حكامهم، وقوادهم، وقضاتهم، فهي تعطينا صورة تامة عن حروب عضد الدولة مع أخيه فخر الدولة، والخارجين عليه من قواده<sup>(٦)</sup>، وحروبه مع الروم، ودوره في إطفاء نيران الفتنة التي توقدت بين سعد وربيعة<sup>(٧)</sup>، وهي تبرز الشروط

(١) روي عنه مقطعات قصيرة فيها ألفاظ مبتذلة، ولكنها ليست خصيصة لشعره، انظر ابن عباد، الروزنامة، تحقق: محمد حسن آل ياسين، مطبعة المعارف - بغداد، ١٩٦٥م، ط١، وأدم متر، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبد السهادي أبو ريذة، دار الكتاب العربي - بيروت، ط٤، ١٩٦٧م، بيروت، مجلد٢، ص ٢٣٦.

(٢) محمد آل ياسين، صاحب ابن عباد، ص ٢٧١.

(٣) ابن عباد، ديوان شعره، ص ٣٥، ٣٨، ٦٨، ٥١، ١٤٧، ١٥٢، ١٦٠، ١٦٥.

(٤) م.ن، مقدمة المحقق، ص ١١-١٣، ومحمد آل ياسين، صاحب ابن عباد، ص ٢٧١-٢٧٥.

(٥) ابن عباد، ديوان شعره، ص ٢٨٠، الثعالبي، بئمة الدهر، ج٣، ص ٣٢٢ - ٣٢٣.

(٦) ابن عباد، رسائل صاحب ابن عباد، تصحيح: عبد الوهاب عزام، وشوقي ضيف، دار الفكر العربي، دت، د.م، ط١، ص ٣-٤، ٨، ١٠.

(٧) م.ن، ص ١٤.

التي يجب توفرها في القاضي، وفي صاحب الحسبة<sup>(١)</sup> اللذين يقع على عاتقهما ضبط أمور الرعية من بيع، وشراء، وحبس للمفسدين، وأمر بالمعروف، ونهي عن المنكر.

وعدا عن ذلك فإن رسائله تبين اهتمام البويهيين بالحجيج وتأمينهم ذهاباً وإياباً<sup>(٢)</sup>، وتبين مرتكزات دولتهم في عقد العهود مع الدول المجاورة والمعادية<sup>(٣)</sup>، وتعكس كذلك المظاهر الاجتماعية والعبارة اللغوية المستخدمة في التعازي<sup>(٤)</sup>، والتهاني<sup>(٥)</sup>، وإصلاح ذات البين<sup>(٦)</sup> والمدح والتعظيم<sup>(٧)</sup>، والذم والتهجين<sup>(٨)</sup>، والإخوانيات<sup>(٩)</sup>، والشفاعات<sup>(١٠)</sup>.

التعبير عن موضوعات السياسة، والتاريخ، والاجتماع بلغة أدبية رفيعة لا تتأتى إلا لمن ملك ناصية اللغة، واستظهر دقائقها، واستكنه فرادة أنماطها، وسبر أغوار أفانينها، فليس من اليسير التعبير عن الخراج، وصك العملة، وشق الطرق، وسقي الأرض بلغة أدبية مرهفة؛ لأنها أمور تحدها الحقائق ويصرفها العقل، وتخلو من العاطفة وتناى عن اتساع الخيال. والصاحب من العلماء الذين طوعوا اللغة لتعبّر عن أمور سياسية، واقتصادية، وعقلية بأسلوب أدبي رفيع، حتى إن رسائله أصبحت نموذجاً يختطه الأدباء ذوو القدم الراسخة في الكتابة، فقد ذهب بعض<sup>(١١)</sup> علماء عصرنا الحديث إلى أن القاضي الفاضل في رسائله المشهورة متأثر برسائل الصاحب وأسلوبها الأدبي الرصين. وإذا وازنا بين سمات رسائل الصاحب وسمات رسائل القاضي الفاضل لتبين لنا صواب ما ذهبوا إليه<sup>(١٢)</sup>.

ومجمل القول: أن رسائل الصاحب جزلة اللفظ، رصينة السبك، تعدت شهرتها المشرق حتى إن ابن بسام<sup>(١٣)</sup> مدح رسائل محمد بن طاهر حاكم مرسية، وقال: إن له رسائل تشابه رسائل الصاحب بالقوة والمتانة.

مع أن رسائل الصاحب تظهر أن الكتابة الأدبية كانت ذات قوام رصين. ولفظ جزل، إلا أن هنالك كتاباً للصاحب يُبدي تضعف الكتابة وضعف مقوماتها الفنية، مما حدا به إلى تأليف كتاب يساعد المترسلين على كتابة الموضوعات التي يريدونها ليصلوا

(١) ابن عباد، رسائل الصاحب ابن عباد، ص ٣٩-٤١.

(٢) م، ن، ص ٦٧-٧٦.

(٣) م، ن، ص ٣٤-٥٨.

(٤) م، ن، ص ١٣٦ - ١٥١.

(٥) م، ن، ص ١٢٣-١٣٥.

(٦) م، ن، ص ٨٧-٩٨.

(٧) م، ن، ص ٩٩-١١٠.

(٨) م، ن، ص ١١١-١١٢.

(٩) م، ن، ص ١٥٢-١٦٢.

(١٠) م، ن، ص ١٩٦-٢٠٤.

(١١) م، ن، مقدمة المحقق، ص ت.

(١٢) انظر تحليل محققي الرسائل لرسائل الصاحب وإظهار ميزات الرئاسة ص ت - ز.

(١٣) ابن بسام، النخيرة، تحق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٩م، ١، ص ٢٤-٢٥.

إذا ما اختطوا خطاه إلى نسج فني رفيع، ومستوى أدبي راق، والمعنى بذلك "الفصول الأدبية"<sup>(١)</sup>.

لم يكن صاحب أدبياً كبيراً فحسب، بل كان نقاده أدبياً تصدى لبحث ودراسة أشهر شاعر عرفته العربية، ونعني به المتنبي الذي قيل إنه نادرة الفلك وواسطة عقد الدهر في صناعة الشعر، الذي سار بشعره من لا يسير مشمراً، وغنى به من لا يغني مغرداً".

روي<sup>(٢)</sup> أن المتنبي رفض أن يزور صاحب إبان شبابه، ويمدحه في إحدى روايته، مع أن صاحب رغبه في ذلك، وأمله في أن يشاطره أمواله، فكان فعل المتنبي السبب الرئيس الذي جعله يؤلف كتاب "الكشف عن مساوئ شعر المتنبي" متتبعاً على المتنبي سقطاته وهفواته.

تعددت سقطات المتنبي في رأي صاحب، وقال: إنها لا تخفى على الرّيض والمرئاض وساحول الإشارة إلى أبيتها:

كثرة سرقات المتنبي الشعرية من معاصريه المبرزين<sup>(٣)</sup>. وتفاوت الطبع وجمع الإحسان إلى الإساءة<sup>(٤)</sup>، وضعف بصره في مواضع الكلام<sup>(٥)</sup>؛ إذ مائل المتنبي رثاء أم سيف الدولة الملك رثاء الأقارب، وازدحام شعر المتنبي بعبارات تنافرت فيها الكلمات والألفاظ تنافرت فيها الحروف<sup>(٦)</sup>، وسوء الابتداء<sup>(٧)</sup>، والتعقيد في القول والسبك<sup>(٨)</sup>، وركاكة الصنعة ونكلف النظم<sup>(٩)</sup>، وسقطاته العروضية<sup>(١٠)</sup>.

وسبيله في تبيان تلك العيوب موازنة شعر المتنبي بالشعراء الجاهليين، والمعاصرين له، وقد امتاز الكتاب باستعمال عبارات مشبعة بالسخرية من المتنبي وشعره، ومنها قوله: "وهذا التحاذق منه كغزل العجائز قبحاً، ودلال الشيوخ سماجة"<sup>(١١)</sup> "من الألفاظ التي لو رزق فضل السكوت عنها لجاؤا دُرّاً"<sup>(١٢)</sup>.

بالغ صاحب في التوقف عند هفوات المتنبي، والتنبيه عليها، وهو أعلم الناس بحسناته، ولكي لا يتهم بالمغالاة وعدم الإنصاف ألف كتاباً ردّ فيه للمتنبي قدره، وخصّصه لأبياته السائرات، وهذا الكتاب هو "الأمثال السائرة"<sup>(١٣)</sup> من شعر المتنبي، وممل

(١) اسماعيل بن عباد، تحق: محمد حسن آل ياسين، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨٢، لم تذكر التراجم القديمة كتاباً للصاحب سمي بالفصول الأدبية ولعله المؤلف نفسه المسمى رسالة في فنون الكتابة، انظر السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة ج ١١، ص ٢٩٨.

(٢) الصفي، الوالي بالوفيات، ج ٩، ص ١٣٥، أعيان الشيعة ج ١١، ص ٢٦٦.

(٣) ابن عباد، الكشف عن مساوئ المتنبي، تحق: محمد حسن آل ياسين، مكتبة النهضة - بغداد، ١٩٦٥، ص ٥٤ و ص ٦٥.

(٤) م، ص ٤٤.

(٥) م، ص ٤٥-٤٦.

(٦) م، ص ٤٦-٤٧، ٤٨، ٥٦.

(٧) م، ص ٥٠، ٥٦.

(٨) م، ص ٥١، ٥٢.

(٩) م، ص ٥٨-٦٠.

(١٠) م، ص ٦٧.

(١١) م، ص ٥٥.

(١٢) م، ص ٥٦.

(١٣) ابن عباد، تحق: محمد آل ياسين، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٥.



يدلل على معرفة صاحب لقدر المتنبّي وعبقريته الشعرية تأثره به، ومن ذلك قول  
الصاحب:

"لبسن برود الوشي لا لتجمل ولكن لصون الحسن بين برود"<sup>(١)</sup>

وقد أخذ فكرته ورسمه اللفظي العام من بيت المتنبّي:

لبسن الوشي لا متجمات ولكن كي يصنّ به الجمال"<sup>(٢)</sup>

الصاحب اللغوي:

أبداع الصاحب في اللغة كما أبداع في الأدب، والمقابلة بين إنتاجيه الأدبي واللغوي، تبدي لنا حقيقة واقعة لا يرقى إليها الشك وهي: أنّ الصاحب أدرك الفوارق الأساسية بين الكتابة في الأدب، والكتابة في اللغة، وأيقن أن البيئونة بينهما دقة يتوصل إليها الحاذق في أنماط اللغة العربية وأفانينها، وقواعد كتابتها ونظمها، فنحن لم نجد في كتب الصاحب اللغوية المزوجة اللفظية، والاستعارات والتشبيهات، والمحسنات البديعية، من: سجع، وجناس، وطباق، ولم نعثر على التحذلق اللفظي والاستعارات الغريبة، واللجوء إلى الألفاظ المفحّمة والغريبة، والحوشية، فقد كانت كتابته اللغوية كتابة علمية توصل المعلومة بلغة واضحة بعيدة عن الخيال والترسل والتحدلق. فسمات كتب الصاحب اللغوية نمسودج قويم للغة العلمية المطبقة لشروط البحث العلمي وقوانينه.

شغف الصاحب باللغة منذ نعومة أظفاره، وحتى إنه ألف كتاباً في مواقع ابتداء الكلام والوقوف فيه إبان شبابه أسماء "الوقف والإبتداء"<sup>(٣)</sup>.

ولمّا اختلطت الألسن، وانحرفت عن قوام اللغة وعن نطق أحرفها السليم دفعت الصاحب غيرته إلى تأليف كتاب "الفرق بين الضاد والظاء" ليكون وثيقة علمية في إصلاح هذه الأخطاء، ورفع الإيهام والالتباس عن موارد استعمال هذين الحرفين.

واستند في إثبات معنى الألفاظ المنطوقة بالضاد، والألفاظ المنطوقة بالظاء التي تُغاير رسيلتها في المعنى على مصادر الإرث اللغوي من قرآن وأحاديث وأشعار، ابتداء الصاحب كتابه بالتنبيه على مخاطر الخلط بين هذين الحرفين بقوله:

"كتاب الفرق ما بين الضاد والظاء المعجمتين، وتمييز بعضها من بعض، ومعرفة تأليف أبنيتها، إذ كانا حرفين قد اعتاص معرفتهما على عامة الكتاب لتقارب أجناسهما في المسامع، وإشكال أصل تأسيس كل واحد منهما، والتباس حقيقة كتابتهما لأن في ترك النظر في ذلك إفساداً للغة، وتغييراً لأحكام العربية، وهجنة على من لم يحط به معرفة،

٥٤٥٥٧٤

(١) الثعالبي، بئمة الدهر، ج٣، ص ٣٢٣.

(٢) م-ن، ج٣، ص ٣٢٣.

(٣) الأبهاري، نزهة الألباء، تحقق: إبراهيم السامرائي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٩، ص ٢٢٤، وإنباه السرواة ج١، ص ٢٠٣، وروضات الجنات، ج٢، ص ٢٨، رسالة الإرشاد، ص ٣٠، وأعيان الشيعة ج١١، ص ٢٩٧.

ومخالفة لحقائق الهجاء، وبيانا في تفسير المعاني، ألا ترى أنك إذا قلت قرظت الرجل وقرضته.. فالتقريظ مدحك إياه، والتقريض ذم واعتياب..<sup>(١)</sup>.

ولا شك أن لكتاب صاحب هذا أثرا في المؤلفات التي أتت بعده معالجة القضية عينها أمثال: كتاب "ظاءات القرآن الكريم"<sup>(٢)</sup>، وكتاب "الفرق بين الظاء والضاد"<sup>(٣)</sup> وكتاب "الفرق بين الحروف الخمسة"<sup>(٤)</sup>.

مع أن صاحب ألف في معظم موضوعات اللغة إلا أن هنالك علمين برع فيهما وغلبا عليه ألا وهما: علم العروض، وعلم المعاجم.

أقر للصاحب النبوغ في العروض عدوه قبل صديقه، ولم يجد بدا من ذلك لأن تفوق صاحب في العروض مسلم به لدى العلماء الكبار أمثال: أبي سعيد السيرافي، وفي ذلك يقول التوحيدي: "وهو حسن القيام بالعروض والقوافي.."<sup>(٥)</sup>.

وكتابه "الإقناع في العروض وتخريج القوافي"<sup>(٦)</sup> خير شاهد على ذلك إذ بدأه بتعريف علم العروض فقال: "العروض ميزان الشعر بها يعرف مكسوره من موزونه، كما أن النحو معيار الكلام، به يعرف معربه من ملحونه"<sup>(٧)</sup>.

وبين أن عروض الشعر يبني على ثلاثة عناصر؛ السبب والوتد والفاصلة<sup>(٨)</sup>، وأن للغة العربية ضوابط صوتية لا يمكن تجاوزها، فلا يتوالى في الشعر أكثر من أربعة متحركات، ولا يجتمع فيه ساكنان إلا في قواف مخصوصة<sup>(٩)</sup>.

ثم انتقل إلى بحور الشعر مفصلا القول في تفعيلاتها وعدد عروضها وضربها وزحافاتهما وعللها بحرا بحرا، وختم كتابه بقسم أسماه "تخريج القوافي" خصصه لذكر حروف القافية وحركاتها وعيوبها وحدود الشعر وأنواع البيت الشعري إن كان مشطورا أو منهوكا.

أما علم المعاجم فألف فيه صاحب كتابين، أولهما: "جوهرة الجوهرة"<sup>(١٠)</sup> الذي لخص فيه كتاب الجوهرة لابن دريد، وثانيهما: كتاب "المحيط في اللغة" الذي نحن بصدد تحليل ألفاظه وتراكيبه ودراسة نهج مؤلفه فيه.

شهدت كتب التراجم جميعها أن صاحب واسع المحفوظ وبارع في اللغة وعلومها، ويكفي دليلا على براعته فيها كتابه "المحيط في اللغة" الذي يقول فيه القفطي:

(١) ابن عباد، الفرق بين الضاد والظاء، تحقق: محمد حسن آل ياسين، بغداد، ١٣٧٧، دن، وانظر آل ياسين، ابن عباد، ص ٢٣٠.

(٢) أبو العباس المقرئ، شرح: أبي الطاهر الترقمي، مركز. جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، د.ت.

(٣) أبو القاسم سعد بن علي بن محمد، تحقق: محمد سعيد المولوي، دن، دم، د.ت.

(٤) أبو محمد البطلبوس، تحقق: عيد الله الناصير، دار المأمون للتراث، دمشق، ط١، د.ت.

(٥) أبو حيان، الإمتاع والمؤانسة، ج١، ص ٥٤، وانظر مثالب الوزيرين، ص ١٣١.

(٦) ابن عباد، تحقق: محمد أحمد الإدكاوي، ط١، ١٩٨٧، دم.

(٧) م.ن، ص ٥٧.

(٨) م.ن، ص ٥٧-٥٨.

(٩) م.ن، ص ٥٨.

(١٠) انظر الملحق.

" الوزير المشهور المذكور، وإنما ذكرته في جملة هذه الجماعة، لأنه صنف كتاباً في اللغة العربية، كثر فيه الألفاظ، وقلل الشواهد، فاشتمل من اللغة على جزء متوفر، وهو مرتب على الحروف.."(١).

اختلف العلماء في عدد مجلدات المحيط، فقد ذكر ياقوت أنه عشر مجلدات(٢). وذكر القفطي(٣)، وابن خلكان(٤)، وغيرهما أنه سبعة مجلدات، وقد تمكن من تحقيقه الشيخ محمد حسن آل ياسين سنة أربع وتسعين وتسعمائة وألف وأصدره في أحد عشر مجلداً(٥) كان آخرها مخصصاً لفهارس الكتاب.

ونقول: إن المحيط صورة حية لمقدرة الصاحب اللغوية وعبقريته الفذة؛ لاحتوائه على ألفاظ وتراكيب لم نجدها عند غيره من العجميين، فضلاً عن نهجه المميز له والمغاير له عن سواه من اللغويين والمعجميين.

إن لإتقان الصاحب معظم علوم عصره، ولشهرته وذيوع صيته أسباباً ومظاهر عديدة من أبنائها:  
أ - أساتذته:-

تتلمذ الصاحب ابن عباد لأساتذة كبار جمعوا بين علوم التفسير، والقراءات، والحديث، واللغة، والنحو، والترسل، ومن أشهرهم:

عباد بن عباس والد الصاحب، وزير ركن الدولة، أخذ عنه الصاحب مبادئ الكتابة والقراءة، وعلوم الدين، وعلم الكلام ولا سيما الاعتزال؛ لأن لأبي الصاحب كتاباً أسماه "أحكام القرآن" نصر فيه الاعتزال(٦).

وأبو الفضل محمد بن الحسين بن العميد وزير ركن الدولة، نهل منه الصاحب علوماً عديدة، من أوضحها أثراً: فن الترسل والكتابة، والنظم، والنقد الأدبي والبلاغة فيها، فضلاً على المراساة في السياسة والفراسة في مقوماتها، فقد قيل بحقه: إنه الجاحظ الأخير، وإن الكتابة بدئت بعبد الحميد وختمت بابن العميد(٧). ولم يناظر ابن العميد منزلة في نفس الصاحب أمير أو وزير، فعندما سئل ابن عباد عن مكان بغداد بين المدن قال: بغداد في البلاد كالأستاذ في العباد.

وقد ترددت ألقاب عديدة لابن العميد في كتب الصاحب من أمثال: السيد، الأستاذ، الرئيس.

ويظهر إعجاب الصاحب في أساتذته حينما رأى أن ابن العميد هو النقادة المثال الذي عرف دقائق اللغة وسر نسجها، وأنه لم ير مثيلاً له في علم النقد مع أنه جالس

(١) القفطي، انباه الرواة، تحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٠م، ج١، ص ٢٠١.

(٢) ياقوت الحموي، معجم الأبناء، ج٢، ص ٦٩٨.

(٣) القفطي، انباه الرواة، ج١، ص ٢٠١، وانظر الملحق.

(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان ج١، ص ١٢٤.

(٥) ابن عباد، المحيط في اللغة، تحقق: محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.

(٦) مثالب الوزيرين، ص ٧٩-٨٠، أخلاق الوزيرين، ص ٤٣-٤٤، معجم الأبناء، ج٢، ص ٦٦٣.

(٧) سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص ١٣٧، وانظر الملحق.

العلماء والأدباء عشرين عاماً، وفي ذلك يقول: "ما رأيت من يعرف الشعر حقّ معرفته، وينقده نقد جهادته غير الأستاذ الرئيس أبي الفضل بن العميد - أدام الله أيامه وحصن لديه إنعامه -، فإنه يتجاوز نقد الأبيات إلى نقد الحروف والكلمات ولا يرضى بتهديب المعنى حتى يطالب بتخيّر القافية والوزن. وعن مجلسه - أعزه الله تعالى - أخذت ما أتعاطى من هذا الفن، وبأطراف كلامه تعلقت فيما أتحلى من هذا الجنس"<sup>(١)</sup>.

مدح الصاحب ابن العميد في قصائد<sup>(٢)</sup> عديدة يضيق المقام عن ذكرها. وكانت وفاته سنة ست وستين وثلاث مائة.

وأبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي اللغوي المعروف. برع ابن فارس في جلّ العلوم التي عرفها القرن الرابع، إلا أنّ علمه في اللغة لا يدانيه عالم في زمانه ولا يجاربه فيها مجار<sup>(٣)</sup>.

تتلذذ له الصاحب وأخذ علوم اللغة عنه حينما استدعاه فخر الدولة ليؤدّب ابنه مجد الدولة في الري، وكان الصاحب يعظمه ويوقره ويقول في حقه:

" شيخنا أبو الحسين رزق حسن التصنيف، وأمن فيه من التصحيف"<sup>(٤)</sup>.

وشهرة ابن فارس تغني عن التفصيل في ذكره، فهو صاحب المصنفات اللغوية الأمامية من أشهرها: المجمل، والمقاييس، والصاحبي، ومتخيّر الألفاظ، والاتباع والمزاوجة.

كانت وفاته على أرجح الأقوال سنة خمس وتسعين وثلاثمائة.

وأبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي النحوي، كان عالماً في علوم القرآن والنحو واللغة والفقّه والفرائض، وقد تعدّت شهرته الآفاق، فكان مرجعاً في العلوم جلّها، ولا غرابة في ذلك، فقد قرأ القرآن على أبي بكر بن مجاهد، واللغة على ابن دريد، والنحو على ابن السراج.

تتلذذ له الصاحب حينما زار بغداد مع مؤيد الدولة، وشهد له بغزارة العلم وسعة الحفظ، ولندع الصاحب يحدثنا عن أول مقابلة له مع أبي سعيد "وانتهيت إلى أبي سعيد السيرافي، وهو شيخ البلد، وفرد الألب، وحسن التصرف ووافر الحظ من علوم الأوائل، فسلمت عليه، وقعدت إليه وبعضهم يقرأ الجمهرة، فقرأ: "المقت"، فقلت: "لمقت" فدافعني الشيخ ساعة ثم رجع إلى الأصل، فوجد حكايتي صحيحة.."<sup>(٥)</sup>.

ودارت بينهما محاورات ومجادلات حول علم العروض والنحو مبرزاً الصاحب علمه وتفوقه على أبي سعيد<sup>(٦)</sup>، إلا أنه أقرّ لأبي سعيد بتفوقه بالعلم وأخذ عنه

(١) ابن عباد، الكشف عن مساوي شعر المتنبّي، ص ٣١.

(٢) الثعالبي، بتيمة الدهر، ج ٣، ص ٣١٣.

(٣) القنطي، انباه الرواه، ج ١، ص ٩٤.

(٤) البغدادي، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، تحق: محمد مولود خلف، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ١٩٨٦، ص ٩، والأنباري، نزهة الألباء، ص ٣٢١، وياقوت، معجم الألباء، ج ١، ص ٤١١، الداودي: طبقات المفسرين، تحق: لجنة من العلماء، بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ج ١، ص ٦١، وغيرهم.

(٥) ابن عباد، الروزنامة، ص ٩٧-٩٨.

(٦) م، ص ٩٨.

كتاب سيبويه .. ورأيت الشيخ بعد ذلك غزيراً فاضلاً، متوسعاً عالماً، فعلقت عليه وأخذت منه، وحصلت تفسيره لكتاب سيبويه، وقرأت صدرها منه<sup>(١)</sup>.

ولأبي سعيد تصانيف<sup>(٢)</sup> عديدة منها: "شرح كتاب سيبويه"، و"ألفات القطع والوصل" و"الوقف والابتداء"، و"صنعة الشعر والبلاغة"، و"أخبار النحاة البصريين" وغيرها، وكانت وفاته سنة ثمان وستين وثلاثمائة.

وأبو بكر محمد بن الحسين بن يعقوب بن مقسم المقرئ النحوي، شهد له العلماء بتقدمه بعلم القراءات، وعلم النحو الكوفي، وعلوم العربية الأخرى، وليس ذلك بمستغرب على من تتلمذ على ثعلب، وأبي مسلم الكجّي، ويحيى بن محمد بن صاعد، وألف في علوم القرآن، واللغة، والشعر تصانيف<sup>(٣)</sup> كثيرة.

تتلمذ له الصاحب إبان زيارته بغداد، وأقر له برسوخ القدم في نحو الكوفة والنوادر والمشكل وفيه يقول: "وهناك أبو بكر بن مقسم، وما في أصحاب ثعلب أكثر دراية وما أصح رواية منه، وقد سمعت مجالسه، وفيها غرائب ونكت، ومحاسن وطرف، من بين كلمة نادرة، أو مسألة غامضة، وتفسير بيت مشكل، وحل عقد معضل، وله قيام بنحو الكوفيين وقرائهم ورواياتهم ولغاتهم"<sup>(٤)</sup>.

ولم يكن فيه عيب إلا أنه قرأ بحروف تخالف الإجماع، وكانت وفاته على الأرجح سنة أربع وخمسين وثلاثمائة.

وأبو بكر أحمد بن كامل بن خلف القاضي، تتلمذ له الصاحب أثناء زيارته لبغداد أيضاً، وقال في حقه: "والقاضي أبو بكر بن كامل بقية الدين في علوم شتى، يعرف الفقه والشروط والحديث، وما ليس من حديثنا، ويتوسع في النحو توسعاً مستحسناً، وله في حفظ الشعر بضاعة واسعة، وفي جودة التصنيف قوة تامة، ومن كبار رواة المبرد وثلعب والبحري، وأبي العيّن، وغيرهم، وقد سمعت قدراً صالحاً مما عنده، وكنت أحب أن أسمع كلام أهل النظر بالعراق، لما تتابع في حذقهم من الأوصاف"<sup>(٥)</sup>.

وكانت وفاته سنة خمسين وثلاثمائة<sup>(٦)</sup>.

وله شيوخ آخرون إلا أنهم أقل شهرة من سابقهم أمثال: عبد الله بن جعفر بن فارس<sup>(٧)</sup> وأحمد بن محمد أبو الحسن الكنباني<sup>(٨)</sup>، وسليمان الطبري<sup>(٩)</sup>، وأبي الفضل العباس ابن محمد النحوي الملقب بعرام<sup>(١٠)</sup>.

(١) ابن عباد، الروزنامة، ص ٩٩.

(٢) انظر السيوطي، بغية الوعاة ج ١، ص ٥٠٨.

(٣) م-ن ج ١، ص ٨٩-٩٠.

(٤) ابن عباد، الروزنامة، ص ٩٩-١٠٠.

(٥) م-ن، ص ١٠٠-١٠١.

(٦) السيوطي، بغية الوعاة، ص ٣٥٤، وانظر الملحق.

(٧) السيوطي، تاريخ الإسلام، ج ٢٧، ص ٩٣، المسقلاني، لسان الميزان، ص ٦٣٧.

(٨) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٢٧، ص ٩٣.

(٩) م-ن، ج ٢٧، ص ٩٣.

(١٠) اللخواتساري، روضات الجنات، ص ٢٠.

## ب- مؤلفاته.

لابن عباد مؤلفات كثيرة تدل على سعة علمه، وقد ناقشت بعض تلك الكتب أمثال: عنوان المعارف وذكر الخلائف، والإبانة، والتذكرة في الأصول الخمسة، وديوان شعره، ورسائله، والفصول الأدبية، والكشف عن مساوئ شعر المتنبي، والأمثال السائرة، والفرق بين الضاد والظاء، والإقناع في العروض، والمحيط في اللغة (وهو موضوع الرسالة).

كما أنني نوهت ببعضها الآخر أمثال: الهداية والضلالة، وأسماء الله تعالى وصفاته، وتاريخ الملك واختلاف الدول، والوزراء، وأخبار أبي العيناء، ورسالة في أحوال عبد العظيم، والإمامة، ورسائله في الطب، والوقف والابتداء، وجوهرة الجمهرة، والمنظومة الفريدة.

وأما مؤلفاته التي لم تناقش ولم يُشر إليها أنفاً فهي: الأنوار<sup>(١)</sup>، والسفينة<sup>(٢)</sup> وهو مجموعة شعرية اختارها صاحب، ونهج السبيل<sup>(٣)</sup>، والأعياد وفضائل النيروز<sup>(٤)</sup>، والتعليل<sup>(٥)</sup>، والزبدية<sup>(٦)</sup>، والشواهد<sup>(٧)</sup>، والفصول المهدية للعقول<sup>(٨)</sup>، والقضاء والقدر<sup>(٩)</sup>، والمقصود والممدود<sup>(١٠)</sup>، والحجر<sup>(١١)</sup>.

## ج- مكتبته

أجمعت كتب التراجم على سعة مكتبة صاحب، وغازاة كتبها، وكانت من أهم الأسباب التي اعتذر من أجلها لنوح بن سامان حينما استدعاه سرا ليفوضه أمر وزارته وثمار بلاده "كان صاحب خراسان نوح بن سامان قد أرسل إلى صاحب في السر يستدعيه إلى حضرته ويرغبه في خدمته وبذل البذول السنوية فكان من جملة اعتذاره أن قال: كيف يحسن بي مفارقة قوم بهم ارتفع قدري وشاع بين الأنام نكري، ثم كيف لي بحمل أموالي مع كثرة أثقالي وعندي من كتب العلم خاصة ما يحمل على أربعمئة جمل أو أكثر"<sup>(١٢)</sup>.

ولا يخفى أثر اقتناء مثل هذا العدد الكبير من الكتب في إغناء معرفة صاحب وإتقانه لغير علم وتزويده بمعلومات ثرة تجعله يصنف مؤلفات عديدة، ويكتب رسائل في ثلاثين مجلداً<sup>(١٣)</sup>، ولا شك أنه اعتمد عليها في تأليف معجم المحيط كما سيأتي.

## د- المصنفات التي ألقت له.

تائق أئمة اللغة والأدب في تأليف تصانيف أمات في اللغة والأدب والتاريخ متوسلين بها لنيل رضا صاحب، ومعتبرين قبوله لها ورضاه عنها شهادة بجودتها. ومن أشهر من ألف كتباً وأهداها للصاحب ليودعها مكتبته العلامة اللغوي ابن فارس الرازي الذي ألف له كتاب "الصاحب في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها" فقد قال: إن أحسن

(١-١١) ذكرتها معظم المصادر والمراجع في الملحق.

(١٢) كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار، دار المعارف-مصر، ١٩٦١، ج ٢، ص ٢٧٠.

(١٣) ابن فارس، الصاحب في فقه اللغة وسنن العربية في كلامها، تحقق: مصطفى الشويبي، مؤسسة أ. بدران للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ١٩٦٣، ص ٤٤.

(١٤) معجم الأنباء، ج ٢، ص ٦٩٧-٦٩٨، وانظر الملحق.

(١٥) أبو حيان، مثالب الوزيرين، ص ٣١٦.

ما في كتابه من علم وأدب مأخوذ عن صاحب، وأن براعة صاحب العلمية تخولسه أن يكون ناقدًا لغويا ونحويا وعروضيا وأدبيا، فما يقبله من علم وأدب قد وصل إلى الدرجة العليا من الدقة والبراعة، وما يردله فمأبى ومغضوض الطرف عنه، إذ قال: "هذا الكتاب (الصاحبى في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها) وإنما عنونته بهذا الاسم لأنى لما الفتة أودعته خزانة صاحب الجليل كافي الكفاة عمر الله عراض العلم والأدب والخير والعدل بطول عمره تجملا بذلك وتحسنا، إذ كان ما يقبله كافي الكفاة من علم وأدب مرضيا مقبولا وما يردله أو ينفية منفيًا مردولا، ولأن أحسن ما في كتابنا هذا مأخوذ عنه ومفاد منه"<sup>(١)</sup> وأكدت الفكرة عينها خطبة كتاب "تهذيب التاريخ" للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني<sup>(٢)</sup>

وذكر الثعالبي في بتيمة الدهر<sup>(٣)</sup> أنه شرع في تأليف كتاب في المحاسن يهديه للصاحب، إلا أن وفاة صاحب حالت دون ذلك.

وألّف له الحسن بن محمد القمي كتاب "تاريخ قم"، ومحمد بن علي بن بابويه القمي كتاب "عيون أخبار الرضا عليه السلام"، وأبو طالب ابن الخيمي كتاب "الديوان المعمور في مدح صاحب المذكور".

هـ - إكرامه للعلماء والأدباء.

سارت ركبان العلماء والأدباء إلى عرينه، وازدحمت على أبوابه خطواتهم، فغصت مجالسه بهم، فربوا عددهم على قاصدي باب الرشيد<sup>(٤)</sup>، وكان يقول للعلماء نحن في النهار سلطان وفي الليل إخوان<sup>(٥)</sup>.

ومن أشهر العلماء والأدباء الذين احتفوا مجلسه: ابن فارس اللغوي، والقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني، وأحمد العسكري، وأبو حيان التوحيدي، وبديع الزمان الهمداني، والقاضي عبد الجبار، وأبو بكر الخوارزمي، وأبناء المنجم، وأبو العباس الضبي، والبديهي، وأبو سعيد الرستمي، وأبو القاسم الزعفراني، وأبو الحسن الغويري، وأبو دلف الخزرجي، وأبو القاسم بن أبي العلاء الأصبهاني، وغيرهم<sup>(٦)</sup>.

وقد أفاضت كتب التراجم<sup>(٧)</sup> في ذكر حوادث كثيرة تظهر إكرام صاحب للعلماء والأدباء، ولا أستطيع أن أذكرها كلها لوفرتها، ولكني سأقصر تبيانها على ما ذكره القاضي الجرجاني في حقه حينما كان يبالغ في إكرامه في بلده جرجان وفي ذلك يقول:-

".. إن صاحب يقسم لي من إقباله وإكرامه بجرجان أكثر مما يتلقاني به في سائر البلاد، وقد استعفيت يوما من فرط تحفييه بي أو توضع لي، فأنشدني:-

(١) ابن فارس، الصاحبى، ص ٢٩.

(٢) انظر أعيان الشيعة، ج ١١، ص ٢٩٥.

(٣) ج ٣، ص ٣١٠-٣١١.

(٤) الثعالبي بتيمة الدهر ج ٣، ص ٢٢٥ - ٢٢٦.

(٥) انظر الملحق.

(٦) انظر الملحق.

(٧) انظر الملحق.

أكرم أخاك بأرض مولده  
فالعز مطلوب وملتمس  
وأمدته من فعلك الحسن  
وأعزه ما نيل في الوطن<sup>(١)</sup>

وكان الصاحب ينفذ كل سنة إلى بغداد خمسة آلاف دينار تفرق في الفقهاء وأهل الأدب<sup>(٢)</sup>، كما أنه كان يراعي فقهاء الحرمين وعلماءهما وأدباءهما وأولادهم كل حسب منزلته وقدره، فبيعت حوائجهم ومتطلباتهم مع الحجيج<sup>(٣)</sup> كل عام.

وكفى بعدد القصائد الكبير التي مدح بها من أفواه مشاهير الشعراء دليلاً على سخائه وبسط كفه، فقد روي عن الصاحب أنه قال: مدحت بأكثر من مائة ألف قصيدة عربية وفارسية<sup>(٤)</sup>.

ولم تقل عدد القصائد التي رثي بها عن مدائحه من أشهر شعراء العربية أمثال الشريف الرضي والوزير أبي العباس الضبي وأبي سعيد الرستمي<sup>(٥)</sup>.  
الصاحب وأبو حيان:-

صنفت في ذكر مزايا الصاحب كتب طوال، ودبجت من أجل براعته قصائد حسان، وأكدت فرادته وتفوقه كتب تراجم الرجال، فما من أحد انتقص الصاحب وقلل من قدره سوى أبي حيان التوحيدي، ولا نعني أنه لم يهج قط...<sup>(٦)</sup> لكن أبا حيان بالغ في ذمه وسلبه محاسنه، وألف في ذلك كتاباً سماه "مثالب الوزيرين" الذي هدف من ورائه ذم الصاحب وابن العميد، وإن كان قدحه للصاحب أخذ الحيز الأكبر منه.

بدأت علاقة التوحيدي بابن عباد حينما قصد أبو حيان الري لينتجع من ربيع الصاحب، وينخرط مع أدبائه وعلمائه رغبة منه في التخلص من مهنة الوراق، مهنته في بغداد<sup>(٧)</sup>. إلا أن مسعى التوحيدي لم يأت أكله، فعاد إلى بغداد بغير زاد ولا راحلة لمواقف أبدت أن التوافق بينهما محال؛ فقرر التوحيدي أن يسلب الصاحب محاسنه، ويسيء التثناء عليه في مؤلفه المشار إليه<sup>(٨)</sup>، وفي كتابه الإمتاع<sup>(٩)</sup>.

عمد التوحيدي من تأليف المثالب إلى إظهار عدم قيام الصاحب بالفرائض وقلة تدينه<sup>(١٠)</sup> وجهله في علوم القرآن وتفسيره<sup>(١١)</sup>، وفي علم الفلسفة<sup>(١٢)</sup>، والهندسة<sup>(١٣)</sup>.

(١) الثعالبي، بئمة الدهر ج ٣، ص ٢٢٦.

(٢) انظر الملحق.

(٣) وآلوت الحموي، معجم الأبناء ج ٢، ص ٧١٣.

(٤) انظر الملحق.

(٥) انظر الملحق.

(٦) انظر الملحق.

(٧) أبو حيان، مثالب الوزيرين، ص ٣١٦.

(٨) م-ن، ص ٢١٤.

(٩) أبو حيان، الإمتاع والدوانسة، ج ١، ص ٥٤-٦١.

(١٠) أبو حيان، مثالب الوزيرين، ص ١٠٢-١٠٣، الأخلاق، ٩٦٥.

(١١) أبو حيان، أخلاق الوزيرين، ص ١٣٨.

(١٢) م-ن، ص ١١٨، والمثالب، ص ١٦٧-١٦٨.

(١٣) أبو حيان، أخلاق الوزيرين، ص ١٢٠، المثالب، ص ١٠٠-١٠٢.



والحساب<sup>(١)</sup>، وأن له مخازي مشينة ورذائل مهينة<sup>(٢)</sup>، وكذلك طرده للعلماء حسدا وتقريبه للجهلة رفعة<sup>(٣)</sup> وله شغف بالغريب والحوشي من الألفاظ<sup>(٤)</sup>، وإعجاب بالنفس لا مثيل له<sup>(٥)</sup>. ونلاحظ تركيز التوحيدي المغالى فيه على رقاعة الصاحب<sup>(٦)</sup>، وولعه بالسجع<sup>(٧)</sup>، وبخله وضيق يده<sup>(٨)</sup>، فكانما صنف الكتاب من أجلها.

موقف التوحيدي من الصاحب كان مثار جدل عند القدماء<sup>(٩)</sup> والمحدثين<sup>(١٠)</sup>، وكلهم رأوا أن التوحيدي حسود حقود مبالغ فيما أورد، ومتزيد فيما ذكر.

وإنني أرى ما رآه إحسان عباس<sup>(١١)</sup> أن التنافر بين الشخصيتين واقع لا محالة؛ لأن كليهما معتد بنفسه، وكل واحد منهما يرى أنه الأفضل، فقد ازدرى أبو حيان رسائل الصاحب<sup>(١٢)</sup>، وكان الصاحب يقول لأبي حيان: من تكون حتى نغضب منك<sup>(١٣)</sup>.

(١) أبو حيان، مثالب الوزيرين، ص ١٠٤-١٠٥.

(٢) أبو حيان، أخلاق الوزيرين، ص ٨٠، ٩٦، ١١٩.

(٣) أبو حيان، مثالب الوزيرين، ص ٣٢، ١٣٥، ٣١٦.

(٤) أبو حيان، أخلاق الوزيرين، ص ٥٨.

(٥) م.ن، ص ٩٤، ٩٥، ٥٣، المثالب ص ١٥٧، ١٤٨، ٢٠٦-٢٠٧.

(٦) أبو حيان، أخلاق الوزيرين، ص ١٦٤، المثالب ص ٨٨-٩٣.

(٧) أبو حيان، أخلاق الوزيرين، ص ٦٨، ٦٧، ٧٥، ٧٦، المثالب ص ١٠٧، ١٠٨، ١١٧، ١١٨.

(٨) أبو حيان، أخلاق الوزيرين، ص ٦٤، المثالب ص ٢٨.

(٩) بلقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٢، ص ٦٦٩، الصفدي، الوافي بالوفيات، ص ١٣٧، لسان الميزان، ص ٦٣٨، وأعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، ج ١١، ص ٢٥١، وزكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع الهجري، دار الجيل.. بيروت، ١٩٧٥، ج ٢، ص ٣٠٠، خليل مردم بك، ص ٧٣، بدوي طباطبة، ص ١٤٦-١٤٩.

(١٠) انظر الملحق.

(١١) إحسان عباس، أبو حيان التوحيدي، دار بيروت، بيروت - لبنان، ١٩٥٦م، ص ٦٦-٧١.

(١٢) أبو حيان، مثالب الوزيرين، ص ٣١٦.

(١٣) م.ن، ص ٢٩٩.

## الباب الأول

منهج الصاحب بن عباد في ترتيب مواد معجمه

الفصل الأول: تحليل مقدمة معجم المحيط في اللغة.

الفصل الثاني: تحليل أبواب المحيط

## الفصل الأول: تحليل مقدمة معجم المحيط في اللغة.

المحيط في اللغة هو الحلقة الرابعة في مدرسة العين التي أخذت طريقة الخليل منهجاً ووجدت فيه العالم الذي يحتذى.

بدأ صاحب كتابه بمقدمة قصيرة عرض فيها إلى عدة قضايا لغوية بين فيها أسس منهجه الذي سيختطه في كتابه وعلّة اختياره لتلك الأسس، وقد تضمنت المقدمة عدداً من البراهين محتواها رد المآخذ أو المطاعن التي رُمي بها الخليل في كتابه، والصاحب في دفاعه عن الخليل والانتصار له كان يقصد من وراء ذلك إثبات علمية منهجه والانتصار له وأنه خال من الثغرات أو الهنات التي يُرمى بها المنهج الصوتي في ترتيب المواد.

امتازت الأسس التي نوّه بها صاحب في مقدمته أنها قضايا لغوية تعالج الأساس الذي قامت عليه لغة العرب وبنيت منها مبانيها المختلفة، ويمكن إجمال هذه الأسس في ما يلي:-

**أولاهما:** تقسيم كلام العرب من حيث احتواؤه على الأحرف الأصلية، وقد ذكر صاحب أنها أربعة أصناف عرّف كل صنف منها على حدة، وذكر أمثلة توضيحية لكل نوع قال: "كلام العرب مبني على أربعة أنحاء: الثنائي، والثلاثي، والرباعي، والخماسي. لا يجاوز ببناء الكلمة - والحروف أصلية - ذلك... فأما الثنائي: فإنه يجيء على ضربين: ربما جاء وأصله ثلاثة، نحو: دَمٌ، وَفَمٌ، وَسَفَهُ، ويتبين الذاهب منه ما هو بالتصريف، وربما جاء ولا أصل له في الثلاثي، نحو: الأدوات وأسماء الزجر والحكايات، مثل: مِينٌ، وَعَنٌ، وَصَنَهُ، وَمَهُ، وَطَقٌ، وَفَهُ. والثلاثي: - نحو قولك من الفعل: ذَهَبَ وَضَرَبَ، ومن الاسم: حَجَرَ وَشَجَرَ. والرباعي: من الفعل نحو: كَحَّرَجَ، وَفَرَطَسَ، ومن الأسماء نحو: عَقَرَبَ وَعَيْقَرَ. والخماسي: من الأفعال لا يكون إلا بالزيادة، فأما من الأسماء فنحو: سَفَرَجَلٌ وَسَمَرَدَلٌ" (١)

واللافت في عبارة صاحب السابقة تقسيمه الثنائي إلى قسمين، فقد قال إن القسم الأول ما أصله ثلاثي ويمكن معرفة ثالثه بوساطة علم التصريف إلا أن صاحب لم يبين وسائل التصريف التي تمكننا من معرفة الحرف الثالث المحذوف عدا أنه لم يبين علّة ذهاب ثالثها كما فعل الخليل، ونحن نعلم أنّ التصغير والتثنية والجمع واشتقاق فعل من تلك الأسماء من أبين وسائل علم التصريف في معرفة الحرف المحذوف، وقد ناقش الخليل هذا النوع من الثنائي ووسائل معرفة ثالثه بوساطة علم التصريف وعلّة حذفه فقال: "وقد نجى أسماء لفظها وتامها ومعناها على ثلاثة أحرف مثل: يد وفم، وإنما ذهب الثالث لعلّة أنها جاءت سواكن وخلفتها السكون مثل ياء يدي وياء دمي في آخر الكلمة، فلما جاء التثنية ساكناً اجتمع ساكنان فثبت التثنية لأنه إعراب وذهب الحرف الساكن، فإذا أردت معرفتها فاطلبها في الجمع والتصغير كقولهم: أيديهم في الجمع، ويديّة في التصغير. ويوجد أيضاً في الفعل كقولهم: ودَمِيّت يده، فإن تثنية الفم قلت: فَمَوَان، كانت

(١) صاحب ابن عباد، المحيط في اللغة، ج ١، ص ٥٧-٥٨.

تلك الذاهبة من الفم الواو. قال الخليل: بل الفم أصله (فوه) كما ترى والجمع أفواه، والفعل فاه يفوه فوها إذا فتح فمه للكلام<sup>(١)</sup>.

أما القسم الثاني من الثنائي الذي أشار إليه صاحب ولا أصل له في الثلاثي فاقتصره على الأدوات وأسماء الزجر والحكايات، مثل: من، وعن، وصه، ومه، وطق، وقه. فما القول في ألفاظ عديدة من الثنائي المضاعف: العض: (الرجل السيئ الخلق، والمتكبر، والشديد اللسان) والعس: (نفض الليل عن أهل الريبة وبه سمي العسس) فهل نعدّها من الثنائي الذي حذف ثالثه علماً بأن صاحب أتى بأمثلة تدل على أن الثنائي الذي حذف ثالثه ويمكن معرفته بوساطة علم التصريف هو الثلاثي المعتل أو الناقص من الأسماء؟ أم نعدّها من الثنائي الذي لا أصل له في الثلاثي ولكن تلك الأمثلة لا يدل مضمونها على الأدوات أو الزجر أو الحكايات؟

الثنائي قضية لغوية دار حولها نقاش كثير إذ كان من أهم المقادح التي استند إليها الطاعنون في منهج مدرسة العين فاحتجوا بمقولة سيبويه: "أقل ما تكون عليه الكلمة حرف واحد"<sup>(٢)</sup> فلماذا لم يبدأ بالأحادي وبُدى بالثنائي؟

قلنا إن صاحب في مقدمته حاول دحض أقوال الطاعنين على مدرسة العين ولا سيما رائدها الخليل لأن دفاعه عنه هو دفاع عن منهجه الذي اختطه في كتابه، فاحتج صاحب لارتضائه البدء بالمضاعف وانتهاجه منهج الخليل أنهما بدأ بالثنائي ولم يبدأ بالألفاظ الأحادية الحرف فقال: "فإن قال قائل: لم ابتداء الخليل عند ذكر الأبنية بالثنائي؛ وقد قال سيبويه: (أقل ما تكون عليه الكلمة حرف واحد). قيل له: إنما أشار بالكلمة - تسامحاً منه - إلى حروف مفردة موصولة بأطراف الكلم لا يعتمد على قطعها منها ولا تستقل بذواتها، نحو: لام (لقد) وكاف (هناك). فأما الكلمة فلا يستحقها حقيقة إلا ما يمكن الابتداء به والوقف عليه، وهذا لا يكون في أقل من حرفين"<sup>(٣)</sup>.

والجدال لم يتوقف عند هذا الحد، بل افترض صاحب أن العلماء المناهضين لابتدائهما بالمضاعف سيحاججونهما في عدم بدئهما بالثنائي ذي الحرفين الصحيحين فقط، فيعمل صاحب إضرابهما عن أفراد الثنائي بباب خاص به منفصل عن الثنائي المضاعف؛ أن الثنائي الصحيح غير المضاعف مقتصر على الأدوات والحكايات والندبه والزجر وهذه الأنواع ليس لها دور كبير في توسع اللغة العربية فعددها محدود والوسيلة الوحيدة التي يمكن أن تتوسع بها لغة العرب بوساطة هذه الأنواع هو القلب، ولكن مقلوب هذه الأنواع نادر الاستعمال. "فإن قال: فلم لم يبتدئ بما كان على حرفين نحو: من وصه، إن كان أول الأبنية؟ قيل له: الثنائي قليل المورد في الكلام؛ مضبوط العدد في الإحصاء، حتى لم يجيء إلا أداة أو ما شاكل الأداة أو ندها أو حكاية، ولم يكن له تصريح مع هذا،

(١) الخليل بن أحمد، العين، تحق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ودار الشؤون الثقافية العامة، ط٢، ١٩٨٦، دم، ج١، ص ٥٠، وانظر الأزهر في مقمة تهذيب اللغة، تحق: عبد السلام محمد هارون ومحمد علي النجار، المؤسسة العامة المصرية للتأليف والأبناء والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٤م، ج١، ص ٤٢.

(٢) المحيط في اللغة ج١، ص ٥٨.

(٣) م. ن ج١، ص ٥٨-٥٩.

لأن أكثر ماله القلب؛ ولما يتفق استعماله على وجهين. فلما كان كذلك عدل عنه إلى الأكثر مباني ومعاني، والأوفر حظاً من التصاريف وقسماً، وهو الثلاثي<sup>(١)</sup>.

وعبارته السابقة تدلنا على أن الصاحب يرى أن الثلاثي المضاعف ثنائي في الرسم وثلاثي في المبنى، فالعض والعس ثلاثيان وليسا ثنائيين. وقد حاول حل هذه المعضلة اللغوية القالي عندما أسمى أحد أبواب كتابه الثلاثي في الخط والثلاثي في الحقيقة لتشدد أحد حرفيه، ويقصد به المضاعف الثلاثي<sup>(٢)</sup>.

مدار الجدل حول الثلاثي لم يقتصر على تقسيم أبنية العربية فقط بل تعداه إلى إحداث خلاف حول قضية فلسفية منطقية لم تصل العلوم المختلفة إلى إثبات حقيقتها وكيفية حدوثها إلى يومنا هذا، بل إن الآراء والنظريات التي توصلوا إليها ما زالت افتراضات ظنية لم ترق إلى أن تصبح حقيقة علمية مسلماً بها إلا وهي قضية نشأة اللغة، فقد ذهب أصحاب النظرية الثنائية إلى أن اللغة نشأت تقليداً للمسموعات من أصوات المظاهر الطبيعية والحيوانات، وحببتهم في ذلك أن كثيراً من الألفاظ في اللغة مشتقة من أصوات الحيوانات وأصوات مظاهر الطبيعة، ومن أشهر من أنس في نظرية التقليد من الأقدمين ابن جني في كتابه الخصائص إذ قال: "وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات كدوي الرياح وحنين الرعد، وخرير الماء، وشحج الحمار، ونعيق الغراب، وصهيل الفرس، ونزيب الطيبي. ونحو ذلك، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد، وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل"<sup>(٣)</sup>.

والمطلع على مقدمة العين يدرك أن الخليل من الذين نوهوا بنظرية التقليد فقد يكون الخليل من هؤلاء الذين ذهبوا إلى هذه النظرية في قول ابن جني السابق، والذي دعانا إلى قول مثل هذا الرأي وجود عبارات معينة في مقدمة العين إذ قال: "وأما الحكاية المضاعفة بمنزلة الصلصلة والزلزلة [ وما أشبهها ] يتوهمون في حسن الحركة ما يتوهمون في جرس الصوت [يضاعفون لتستمر] الحكاية في وجه التصريف"<sup>(٤)</sup>.

إذ ربط الخليل بين الصوت وتكرار الحروف في الحكاية " ولا تكون الحكاية مؤلفة حتى يكون حرف صدرها موافقاً لحرف صدر ما ضم إليها، وعجزها موافقاً لحرف عجز ما ضم إليها، كأنهم ضموا (دَق) إلى (دَق) فألفوا بينهما أي في دَقَّة"<sup>(٥)</sup>.

وثمة عبارة للخليل تبين أن العرب كانوا يضعون مباني كلامهم وفق سماعهم لأصوات ما حولهم فإذا سمعوا فيها تكراراً وخفة جعلوها في المضاعف الرباعي وإذا سمعوا فيها ثقلاً ومداً جعلوها في الثلاثي المضاعف "... ويجيء كثير منه مختلفاً نحو

(١) المحيط، ج ١، ص ٥٩.

(٢) أبو علي القالي، البارح، تحقيق هاشم الطعان، مكتبة النهضة، بغداد، دار الحضرة العربية، بيروت، ط ١، ١٩٧٥، ص ٥٧١، وقابل عبد العلي الوديعي، المعجم العربي - بالأندلس، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، دت، د.م.

(٣) ابن جني، الخصائص، تحقق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب ودار الشؤون الثقافية العامة، ط ٤، بغداد، ١٩٩٠، ج ١، ص ٤٨.

(٤) العين ج ١، ص ٥٥.

(٥) م. ن، ج ١، ص ٥٤.

قولك صر الجندب صريرا وصرصر الأخطب صرصرة. كأنهم توهموا في صوت الجندب مدا، وتوهموا في صوت الأخطب ترجيعا<sup>(١)</sup>.

ولإعجاب ابن جني بهذه النظرية نجده يفرد لما اشتقه العرب من هذه الأصوات بابين في كتابه، وهما " تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني "<sup>(٢)</sup> و" باب " إمساس الألفاظ أشباه المعاني "<sup>(٣)</sup> ولم تقتصر هذه النظرية على العلماء الأسبقين إنما قال بها عدد من علمائنا المحدثين، أمثال الأب أنستاس ماري الكرملّي الذي ذهب إلى أن اللغة نشأت على هجاء واحد تقليدا للأصوات المسموعات، وسبب إعجابه بها أنها توجد تشابها كبيرا بين أصول اللغات عامة فيقول: "... إن الكلم وضعت في أول أمرها على هجاء واحد. متحرك فساكن، محاكاة لأصوات الطبيعة، ثم فنمت (أي زيد فيها حرف أو أكثر في الصدر أو القلب أو الطرف) فتصرف المتكلمون بها تصرفا، يختلف باختلاف البلاد والقبايل، والبيئات والأهوية، فكان لكل زيادة أو حذف أو قلب أو إبدال أو صيغة معنى أو غاية أو فكرة دون أخذها، ثم جاء الاستعمال، فأقرها مع الزمن على ما أوحته إليهم الطبيعة أو ساقهم إليه الاستقراء والتتبع الدقيق..."<sup>(٤)</sup> وضرب أمثلة عديدة لإثبات نظريته في صفحات كثيرة من كتابه، إذ عالج معظم مواد اللغة وردها إلى أصل ثنائي، يدل هذان الأصلان الثنائيان على معنى عام بعينه، وقد تكون الزيادة على هذين الأصلين، تصديرا أو حشوا أو كسعا، فعنده أن: نُرْمَ وَجَرَمَ وَحَرَمَ وَخَرَمَ، وَسَرَمَ وَصَرَمَ وَعَرَمَ وذات أصل ثنائي هو الراء والميم (رم) مصدر بحرف آخر وتدل كلها على القطع<sup>(٥)</sup> " كما أن رَتَمَ وَرَثَمَ وَرَجَمَ وَرَدَمَ وَرَسَمَ وَرَسَمَ وَرَضَمَ وَرَطَمَ وَرَعَمَ وَرَقَمَ وَرَكَمَ مشتقة عنده أيضا من هذه المادة الثنائية (رم) بعد أن حشيت بحرف آخر، وكلها تدل على القطع كذلك"<sup>(٦)</sup>.

وتبعه في ذلك جورج زيدان في كتابه "الفلسفة اللغوية" إذ ضرب أمثلة عديدة من الثلاثي وردها إلى الأصل الثنائي بعد أن أورد لها معنى جامعا مشتركا وعلق على تلك الأمثلة بقوله: "... وتووعات هذا المعنى تفوق المنات عدا. وقد تصرفوا في استعمالها على طرق مختلفة حقيفة ومجازا، وكلها ترد بالاستقراء إلى أصل واحد، هو حكاية صوت كما رأيت..."<sup>(٧)</sup>.

ورأى رأيهما الأب مرمجي الدومني صاحب "المعجمية العربية على ضوء الثنائية والألسنية السامية"<sup>(٨)</sup>، وعلي عبد الواحد وافي في كتابه "علم اللغة"<sup>(٩)</sup> وأنيس فريجة في كتابه "نظريات في اللغة"<sup>(١٠)</sup>.

(١) للمين ج ١، ص ٥٦.

(٢) الخصائص ج ١، ص ٤٨.

(٣) م-ن، ج ٢، ص ١٤٧-١٥٤.

(٤) أنستاس ماري الكرملّي، نشوء اللغة العربية ونموها واكتهاها. المطبعة المصرية بالقاهرة، مصر- القاهرة، ١٩٣٨، ص ١-٢.

(٥) م-ن، ص ٤.

(٦) م-ن، ص ٥.

(٧) ط ١، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت-لبنان ١٩٨٢، ص ١٠٠.

(٨) القدس، مطبعة الفرنسيين، ١٩٣٧م، دن.

(٩) مكتبة نهضة مصر بالقاهرة، مصر، ١٩٦٢م.

(١٠) ط ١، دار الكتاب اللبناني، بيروت - لبنان ١٩٧٣، ص ٤٨.

وكان لهذه النظرية أنصار عند الغرب، وقال بها وتي ويسبرسن الذي أسماها نظرية Bow-wow أو نظرية محاكاة أصوات الطبيعة، ولكن هذه النظرية لم تلق قبولا عند معظم اللغويين في مختلف العلوم بل رفضوها من عدة وجوه، إذ أوقفت الفكر الإنساني عند حدود حظائر الحيوانات، ولا تفسر إلا بضع كلمات من اللغات الإنسانية ولا سيما الألفاظ التي عبر بها عن أصوات الحيوانات وأسمائها عدا أنها لم تفسر لنا عوامل تطور اللغات من قياس واشتقاق وقلب وإبدال، ونحت وترادف.. الخ. فضلا عن إهمالها العلاقة بين اللغة وبين المجتمع.

لم تكن نظرية تقليد أصوات المسموعات هي النظرية الوحيدة التي حاولت تفسير نشأة اللغة بل تعاورت تلك القضية نظريات أخرى كان أشهرها نظريتي التوقيف والاصطلاح، ولمن أراد الاستزادة في معرفة مبادئ النظريتين وحججهما النقلية والعقلية، فعليه الاطلاع على كتب<sup>(١)</sup> كفتنا مؤونة البحث فيهما.

ولنعد إلى عبارة صاحب السابقة التي اقتبسناها في بداية الحديث، فقد قسم الكلام في العربية إلى أربعة أضرب: الضرب الأول وهو الثنائي وقد ناقشنا صاحب في هذا القسم، أما الضرب الثاني من كلام العرب فهو الثلاثي وذكر أنه يأتي منه فعل واسم إلا أنه لم يؤكد كما أكد الخليل أن الاسم لا يكون أقل من ثلاثة أحرف "وقال الخليل: الاسم لا يكون أقل من ثلاثة أحرف. حرف يبتداً به. وحرف تحشى به الكلمة، وحرف يوقف عليه، فهذه ثلاثة أحرف مثل سعد وعمر. ونحوها من الأسماء فبدئ بالعين وحشيت الكلمة بالميم ووقف على الراء.

فإن صيرت الثنائي مثل قد وهل ولو اسما أدخلت عليه التشديد فقلت: هذه لو مكتوبة وهذه قد حسنة الكتابة، زدت واوا على واو، ودالا على دال، ثم أدغمت وشددت، فالتشديد علامة الإدغام والحرف الثالث كقول أبي زبيد الطائي:

ليت شعري وأين مني ليت      إن ليئا وإن لوا عناء<sup>(٢)</sup>

(١) أبو حاتم الرازي، الزينة، تحقق: حسن بن فيض الله الهذلي البعيري الحرازي، دار الكتاب العربي، مصر-القاهرة، ط١ و ط٢، ١٩٥٦، ١٩٥٧، ج١، ص ٦٦. وأبو نصر الفارابي، الحروف، تحقق: محسن مهدي، دار المشرق، بيروت - لبنان، ١٩٦٩م، وابن جني، الخصائص، ج١، ص ٤١، ابن فارس، الصحاحي، ص ٣١، والأمدي، الأحكام - تحقق: عبد الرزاق عفيفي، عبد الله غديان، وغيرهم، مؤسسة النور للطباعة والتجليد، الرياض، ط١، ١٣٨٧هـ، ج١، ص ٧٨، الفخر الرازي، المحصول، تحقق: طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط٢، ١٩٩٢م، ج١، ص ١٨٥، ابن منان الخفاجي، سر الفصاحة، تحقق: سليم سلمان الأنصاري، جامعة بغداد، ١٩٧٥، ص ٥٨، والسيوطي، المزهرة، تحقق: محمد أحمد جاد المولى، علي البجاوي وغيرهم، دار إحياء الكتب العربية، دت، ج١، ص ٨ وما بعدها. وله الاقتراح، تحقق: عبد الرحمن بن يحيى اليماني، وسعيد بن عبد الله العموري، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، ط٢، ١٣٥٩هـ، ص ٤٦، وعبد الفتي النابلسي، رسالة تشريف التغريب في تنزيه القرآن عن التغريب، تحقق: عبد الله الجبوري، مجلة آداب المستنصرية، م١٣، ع١٣، ١٩٨٦، ص ١٦٢، وكمال يوسف الحاج، فلسفة اللغة، دار النهار للنشر، بيروت-لبنان، ١٩٦٧، ص ١٨، وانظر علي وافي. نشأة اللغة عند الإنسان والطفل، مطبعة العالم العربي، مصر - القاهرة، ١٩٧١، ص ٣٠، وأرنست كاسيرر، فلسفة الحضارة الإنسانية، ترجمة: إسمان عباس، دار الأندلس، بيروت - نيويورك، ١٩٦١، ص ٢٠٦، جوزيف فندريس، اللغة، تعريب: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة لجنة البيان - القاهرة، ١٩٥٠، ص ٣٨-٣٩، بسمة عودة الرواشدة، القضايا اللغوية في كتاب الصحاحي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها لابن فارس، دراسة نقدية، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، الأردن - عمان، ١٩٩٥، ص ٤٤-٧٤.

(٢) العين، ج١، ص ٥٠، وانظر مقدمة التهذيب، ج١، ص ٤٢.

أما قوله في القسم الثالث من كلام العرب وهو الرباعي فيكاد الصاحب يماثل الخليل مماثلة تامة، فقال الصاحب: "والرباعي من الفعل نحو: دَحْرَجَ وَقَرَطَسَ ومن الاسم نحو: عَقْرَبَ وَعَبَقَرَ" (١).

أما إذا انتقلنا إلى القسم الرابع من أضرب كلام العرب فإننا نجد بينهما اتفاقاً وافتراقاً.

اتفق الخليل والصاحب على جواز إتيان اسم خماسي تكون أحرفه أصلية جميعها أما الفعل فذكر الصاحب أنه لم يسمع عن العرب فعل محتو على خمسة أحرف أصلية بل لا بد من وجود حرف زائد في بنائه "والخماسي من الأفعال لا يكون إلا بالزيادة. فأما من الأسماء فنحو: سَفَرَجَلٌ وَسَمَرْدَلٌ" (٢). أما الخليل فلم يشر إلى وجوب حرف زيادة في مبنى الفعل الخماسي بل ذكر أن العرب يمكنها أن تأتي بفعل خماسي إذا أسبقته بهمزة الوصل حتى تبتعد عن البدء بساكن لأن العرب لا يمكن أن يبتدئوا بساكن، ويعد الخليل أن الحرف المدغم هو حرفان لا حرف واحد سواء أكان ذلك في الثنائي أو الخماسي إذ يقول: "والخماسي من الأفعال نحو: اسْحَنَكَكْ وَأَقْشَعَرَّ واسْحَنَفَرَّ واسْبَكَّرَ مبني على خمسة أحرف، ومن الأسماء نحو: سَفَرَجَلٌ وَهَمَرَجَلٌ، وَسَمَرْدَلٌ، وَكَنَهَيْلٌ، وَقَرَعَبَلٌ وَعَقْفَقَلٌ وَقَبَعَتَرٌ وشبهه، والألف التي في اسْحَنَكَكْ وَأَقْشَعَرَّ واسْحَنَفَرَّ واسْبَكَّرَ ليست من أصل البناء، وإنما أدخلت هذه الألفات في الأفعال وأمثالها من الكلام لتكون الألف عمادا أو سلما للسان إلى حرف البناء، لأن اللسان لا ينطق بالساكن من الحروف فيحتاج إلى ألف الوصل. إلا أن دَحْرَجَ وَهَمَلَجَ وَقَرَطَسَ لم يحتج فيهن إلى الألف لتكون السلم فافهم إن شاء الله. اعلم أن الراء في أَقْشَعَرَّ واسْبَكَّرَ هما راءان أدغمت واحدة في الأخرى والتشديد علامة الإدغام" (٣).

وإذا أنعمنا النظر في مقولة الخليل وقابلناها بمقولة الصاحب وجدنا أن مقولة الصاحب أكثر موافقة وأقرب صحة إلى نواميس لغة العرب في أبنيتها وأحرفها الأصلية وأحرفها المزيدة، ولناخذ شاهداً على ما ذهبنا إليه أمثلة الخليل عينها التي ضربها على الأفعال الخماسية، وأول تلك الأفعال (أَقْشَعَرَّ) :-

فقد ذكر في مقدمته أنها فعل خماسي (٤) لكننا نجد أن الخليل نفسه وضع فعل (أَقْشَعَرَّ) في الباب الرباعي من حرف العين إذ قال: "القَشَعْرِيَّة، العين ساكنة: أَقْشَعَرَّار الجلد من فزع ونحوه. وكل شيء تغير فهو مُقْشَعَرٌّ وَأَقْشَعَرَّتِ السَّنَةُ من شدة المَحَلِّ. وَأَقْشَعَرَّتِ الأَرْضُ من المَحَلِّ، والجلد من الجَرَبِّ، وَأَقْشَعَرَّتِ النَّبَاتُ إذا لم يجد رِيّاً والقَشَعْرِيَّة مثل الأَقْشَعَرَّار، قال:

أَصْبَحَ البَيْتُ بَيْتُ آلِ بِيانٍ

مُقْشَعَرّاً والحَيُّ حَيٌّ خُلُوفٌ" (٥)

(١) المحيط، ج ١، ص ٥٨.

(٢) م. ن، ج ١، ص ٥٨.

(٣) العين، ج ١، ص ٤٨-٤٩، وانظر مقدمة التهذيب، ج ١، ص ٤٢.

(٤) العين، ج ١، ص ٤٩.

(٥) م. ن، ج ٢، ص ٢٨٧-٢٨٨.



وقد وضعها الأزهري في باب الرباعي من حرف العين ونقل كلام الخليل نفسه<sup>(١)</sup> وقد فعل فعلهما صاحب إذ جعله في باب الرباعي من حرف العين إذ قال: "الْفَشَعْرُ: الْقَتَاءُ الصَّغَارُ، الْوَاجِدُ: فَشَعْرَةٌ، وَالْقَشَعْرِيَّةُ: أَقْشَعْرَارُ الْجِلْدِ، وَكُلُّ مَا تَغَيَّرَ فَهُوَ مُقَشَّعَرٌ، يُقَالُ: أَقْشَعَرْتُ السَّنَةَ مِنَ الْمَحَلِّ، وَأَقْشَعَرْتُ الْجِلْدَ مِنَ الْجَرَبِ، وَأَقْشَعَرْتُ النَّبْتَ: لَمْ يَجِدْ رِيًّا"<sup>(٢)</sup>.

أما الفعل الثاني الذي أتى به الخليل في مقدمته فهو (اسْبِكْرَ)<sup>(٣)</sup> لكنه وضعه في باب الرباعي من حرف الكاف "المُسْبِكْرُ: الْمُعْتَدِلُ وَيَكُونُ الْمُسْتَرْسِلُ"<sup>(٤)</sup> كما وضعها الأزهري في باب الرباعي من حرف الكاف أيضا قال: "المُسْبِكْرُ: الشَّابُّ الْمُعْتَدِلُ التَّمَامُ، وَأَشَدُّ قَوْلِهِ: إِذَا مَا اسْبِكْرَتْ بَيْنَ دَرْعٍ وَمُجْوَلٍ...".

وكل شيء امتد وطال فهو مسبكر مثل الشعر وغيره"<sup>(٥)</sup>.

وجعله صاحب في باب الرباعي من حرف الكاف "والمُسْبِكْرُ: المُسْتَرْسِلُ. وهو أيضاً: الْمُعْتَدِلُ الْمُسْتَقِيمُ"<sup>(٦)</sup>.

وأما ثالث الأفعال الخماسية ورابعها في مقدمة الخليل فهما (اسْحَنَكَكُ) و(اسْحَنَفَرُ)، فوضعهما في باب الخماسي من حرف الحاء "اسْحَنَكَكُ اللَّيْلُ، إِذَا اشْتَدَّتْ ظِلْمَتُهُ" و"اسْحَنَفَرُ الرَّجُلُ: اسْتَمَرَ"<sup>(٧)</sup>. وأميل إلى أن وضعهما في باب الخماسي كان من وهم النساخ، وأكد هذا محققا العين إذ قالوا: "هذه أفعال والخماسي المجرى لا يكون إلا في الأسماء، ولعل أصل هذه الأفعال من الثلاثي المزيد أو الرباعي المزيد وليس هذا موضعها ولعله من وهم النساخ"<sup>(٨)</sup>.

ومما يؤيد ما ذهب إليه ما فعله الأزهري، فذكر فعل "اسْحَنَكَكُ" مرتين: الأولى في باب الرباعي من حرف الحاء قال: "ويقال: أسود سُحُوكٌ وَسَحْنُوكٌ وَحَلُوكٌ وَمُحَلَّنُوكٌ إذا كان شديد السواد. قلت: وهذا كله ثلاثي الأصل الحق بالرباعي"<sup>(٩)</sup>.

والثانية كانت في باب الخماسي من حرف الحاء فقد كرر معناه إلا أنه أضلف أن النون وتضغيف الحرف الأخير حرفان زائدان ليسا من أصل الكلمة "... قلت وأصل هذين الحرفين ثلاثي صار خماسيا بزيادة نون وكاف، وكذلك ما أشبههما من الأفعال"<sup>(١٠)</sup>.

ومذهب الأزهري في "اسْحَنَفَرُ" يؤكد كلام صاحب، فهو الملائم لسنن العرب في كلامها، فمع أن الأزهري وضع اسحنفر في الخماسي إلا أنه ذكر أن حروفه الخمسة ليست أصلية وأكد رأيه بمذهب النحاة في الفعل الخماسي وهو يماثل مذهب صاحب ابن

(١) التهذيب، ج ٣، ص ٢٧٧.

(٢) المحيط، ج ٢، ص ٢٠١.

(٣) العين، ج ١، ص ٤٩.

(٤) م، ج ٥، ص ٤٢٧.

(٥) التهذيب، ج ١، ص ٤٢٥.

(٦) المحيط، ج ٦، ص ٣٦٥.

(٧) العين، ج ٣، ص ٣٣٩.

(٨) م، ج ٣، ص ٣٣٩.

(٩) التهذيب، ج ٥، ص ٣٠٧.

(١٠) م، ج ٥، ص ٣٣٧.

عباد إذ قال: "وأما اسْحَنْفَرُ وأَحْرَنْفَرُ فهما رباعيان والنون زائدة وبها ألحقت بالخماسي، وجملة قول النحويين أن الخماسي الصحيح الحروف لا يكون إلا في الأسماء مثل الجَحْمَرَش والكِرْدَدَحَل، وأما الأفعال فليس فيها خماسي إلا بزيادة حرف أو حرفين فافهمه"<sup>(١)</sup>.

وإذا انتقلنا إلى صاحب فإننا نجد أنه وضع الفعلين في باب الخماسي ولم يضعهما في باب الرباعي إلا أنه ذكر عندما شرح معنى اسْحَنْفَرُ أنه فعل رباعي وليس خماسياً "المُسْحَنْفَرُ، الليل الشديد الظلمة، وهو رباعي"<sup>(٢)</sup> ولم يُلحَق عبارة وهو رباعي عندما ذكر فعل "اسْحَنْفَرُ"؛ لأن "الاختصار من أهم سمات صاحب في معجمه، قال: "المُسْحَنْفَرُ: الحاذق، وطريق مُسْحَنْفَرٌ: مستقيم. واسْحَنْفَرُ في كلامه وأمره: جَدَّ فيه"<sup>(٣)</sup>؟

مع أن الخليل والصاحب اختلفا في زيادة الفعل الخماسي ومجرده إلا أنهما اتفقا في أن ما زيد على الخماسي من الأسماء والأفعال فلا بد أن يكون أحد أحرفها أو أكثر مزيداً، ولا يزيد أحرف الأسماء المزيدة والأفعال على سبعة أحرف، إذ قال الخليل: "وليس للعرب بناء في الأسماء ولا في الأفعال أكثر من خمسة أحرف، فمهما وجدت زيادة على خمسة أحرف في فعل أو اسم، فاعلم أنها زائدة على البناء، وليست من أصل الكلمة، مثل قُرْعَبْلَانَةٍ، إنما أصل بنائها: قُرْعَبْلٌ، ومثل عنكبوت، إنما أصل بنائها عَنكَبٌ"<sup>(٤)</sup>.

وقد صدر صاحب كتابه في هذه الحقيقة اللغوية إلا أنه أجمل القول فيها فقال: "... والخماسي لا يجاوز ببناء الكلمة - والحروف الأصلية - ذلك؛ إلا أن تلحقها الزوايد، فقد تبلغ بها حينئذ سبعة؛ نحو: القُرْعَبْلَانَةُ؛ وهي دويبة"<sup>(٥)</sup>.

ثانيها: تقسيم كلام العرب من حيث الصحة والعلة.

فبعد أن فرغ صاحب من مناقشة أبنية كلام العرب من حيث احتواؤها على الحروف الأصلية، انتقل إلى مناقشة أساس لغوي ثان في تقسيم كلام العرب من حيث احتواؤه على الأحرف الصحيحة والأحرف المعتلة فقد رأى صاحب أن كلام العرب وفقاً لهذا الأساس ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الصحيح؛ وهو ما خلت أحرفه الأصلية من أحرف العلة.

والمعتل؛ وهو ما كان أحد أحرفه الأصول أو كلاهما حرفي علة.

واللغيف؛ ما كان أحد أحرفه حرفاً صحيحاً، إذ قال: "واعلم: أن من الأبنية (الصحيح والمعتل). فالصحيح: ما سلم في أصل بنائه من حروف العلة؛ وهي: الواو والياء والألف. والمعتل: ما شاب حروفه حرف أو حرفان منها. فأما اللغيف: فما لا يكون فيه من الحروف الصحاح إلا حرف واحد"<sup>(٦)</sup>.

(١) التهذيب، ج ٥، ص ٣٢٧-٣٢٨.

(٢) المحيط، ج ٣، ص ٢٩٨.

(٣) م.ن، ج ٣، ص ٣٠٠.

(٤) العين، ج ١، ص ٤٩.

(٥) المحيط، ج ١، ص ٥٧.

(٦) م.ن، ج ١، ص ٥٨.

وقسم الخليل كلام العرب من حيث احتواؤها على الأحرف الصحيحة والمعتلة إلى قسمين وهما: الصحيح والمعتل " وتفسير الثلاثي الصحيح أن يكون ثلاثة أحرف ولا يكون فيها واوا ولا ياء ولا ألفا [ لينة ولا همزة ] في أصل البناء، لأن هذه الحروف يقال لها حروف العلل. فكلما سلمت كلمة على ثلاثة أحرف من هذه الحروف فهي ثلاثي صحيح مثل: ضرب، خرج، دخل، والثلاثي المعتل مثل: ضَرَأ، ضَرِي، ضَرَو، خَلَا، خَلِي، خَلُو، لأنه جاء مع الحرفين ألف أو واو أو ياء فافهم"<sup>(١)</sup>.

المقابلة بين رأيي الخليل والصاحب في مقدمة كتابيهما في تقسيم كلام العرب إلى صحيح ومعتل يوقع الباحث في حيرة، فقد أضاف الصاحب قسما ثالثا على الصحيح والمعتل وهو قسم اللفيف.

كما أن الخليل اعتبر الهمزة حرف علة ولم يعدها الصاحب كذلك، وقد حاولت إزالة الحيرة عندما تتبععت تقسيم المؤلفين أبواب كتابيهما فوجدت أن الخليل أوجد بابا سماه باب اللفيف في كتابه. فهل يعقل أن يوجد بابا مستقلا في كتابه دون أن يشير إلى أنه قسم من أقسام كلام العرب في مقدمته؟!.

كما أنني وجدت عبارات في مقدمة التهذيب منسوبة إلى الخليل تفيد أنه أشار إلى اللفيف وجعله قسما مستقلا من أقسام كلام العرب من حيث احتواؤه على الصحيح والمعتل فقال: " وتفسير الثلاثي الصحيح أن تكون الكلمة مبنية من ثلاثة أحرف لا يكون فيها واو، ولا ياء، ولا ألف لينة، ولا همزة في أصل البناء، لأن هذه الحروف يقال لها حروف العلل، وكلما سلمت كلمة على ثلاثة أحرف من الحروف السالمة فهي ثلاثية صحيحة، والثلاثي المعتل ما شابه حرف من حروف العلل. قال: واللفيف الذي التف بحرفين من حروف العلل مثل: وقى، وغوى، ونأى. فافهمه"<sup>(٢)</sup>.

ونسبة العبارة السابقة إلى الخليل أقرب إلى منهجه من عبارته في مقدمته، مع أن الخليل والصاحب اتفقا على وجود قسم اللفيف في العربية إلا أنهما اختلفا في الأساس الذي وضعاه في تحديد اللفيف، فعد الصاحب احتواء الكلمة على حرف صحيح واحد فقط يؤهلها أن تكون من اللفيف، لأن الكلمة لا يمكن أن توجد مفردة إذا لم تحتو على أكثر من حرف واحد، والتزم الصاحب بأساسه هذا عندما وضع كلمات بعينها في اللفيف إذ اعتبر كلمة (بَع) من اللفيف مع أنها لم تحتو إلا على حرف معتل واحد "بَع" يقال للصبى إذا نُهي عن تناول شيء قدر، وهو بمنزلة قول العجم: كَبَح"<sup>(٣)</sup>.

ولا أريد أن أطنب القول في اللفيف هنا لأنني سأفصل القول فيه إن شاء الله عندما أتناوله في حديث مستقل.

قلنا إن الخليل عد الهمزة حرف علة أما الصاحب فلم يشر إلى أنها حرف علة في مقدمته لكنني فوجئت عندما وجدت أن الصاحب وضع الأفعال والأسماء المهموزة في

(١) العين، ج ١، ص ٥٩-٦٠.

(٢) التهذيب، ج ١، ص ٤٩-٥٠.

(٣) المحيط، ج ٢، ص ١٨٨.

بابي المعتل واللفيف من الثلاثي إذ جعل في حرف الجيم من المعتل الثلاثي ألفاظ "جَاشَ،  
وَجَسَأَ، وَأَزَجَّ، وَجَزَأَ، وَأَجَزَّ، وَجَزَأَ، وَجَزَأَ، وَأَجَلَّ، وَفَجَأَ، وَفَاجَّ" (١).  
ومن ألفاظ اللفيف في حرف الجيم أيضا "الجَيْئَةُ، والجَوْجُو، وَجَاى، وَأَجِيحُ،  
والأَجَا، وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، والوَأَجُ،..." (٢).

لم يعلل صاحب تسمية أحرف العلة بهذا الاسم كما أنه لم يبين سبب ضم الهمزة إليها مع أن الصرفيين عدوا المهموز من أبواب الصحيح ولم يعدوه من المعتل (٣) كما فعل الخليل، ففي العبارات المنسوبة إلى الخليل في مقدمة التهذيب نجد أن الخليل ناقش هذه القضية وحل معضلاتها جميعها في مقولته التي تعد طويلة بعض الشيء " قال: والحروف الثمانية والعشرون على نحوين: معتل وصحيح. فالمعتل منها ثلاثة أحرف: الهمزة والياء والواو. قال: وصورهن على ما ترى: أوى. قال: واعتلالها تغيرها من حال إلى حال ودخول بعضها على بعض، واستخلاف بعضها من بعض... قال: والعويص في الحروف المعتلة، وهي أربعة أحرف: الهمزة والألف اللينة والياء والواو. فأما الهمزة فلا هجاء لها، إنما تكتب مرة ألفا ومرة واوا ومرة ياء. فأما الألف اللينة فلا صرف لها، إنما هي جوس مدة بعد فتحة، فإذا وقعت عليها صروف الحركات ضعفت عن احتمالها واستقامت إلى الهمزة أو الياء أو الواو، كقولك عصابة وعصائب، كاهل وكواهل، سعلاة وثلاث سعليات فيمن يجمع بالتاء. فالهمزة التي في العصائب هي الألف التي في العصابة، والواو التي في الكواهل هي الألف التي في الكاهل جاءت خلفا منها، والياء التي في السعليات خلف من الألف التي في السعلاة، ونحو ذلك كثير. فالألف اللينة هي أضعف الحروف المعتلة، والهمزة أقواها متنا، ومخرجها من أقصى الحلق من عند العين. قال: والياء والواو والألف اللينة منوطات بها. ومدارج أصواتها مختلفة، فمدرجة الألف شاخصة نحو الغار الأعلى، ومدرجة الياء منخفضة نحو الأضراس، ومدرجة الواو مستمرة بين الشفتين، وأصلهن من عند الهمزة. ألا ترى أن بعض العرب إذا وقف عندهن همزهن، كقولك للمرأة أفعلى وتسكت، وللاثنتين أفعلا وتسكت، وللقوم أفعلو وتسكت، وإنما يهمن في تلك اللغة لأنهن إذا وقف عندهن انقطع أنفاسهن فرجعت إلى أصل مبتدئهن من عند الهمزة. فهذه حال الألف اللينة، والواو الساكنة بعد الضمة، والياء الساكنة بعد الكسرة، والألف اللينة بعد الفتحة، وهؤلاء في مجرى واحد... (٤).

المطالع لكتاب صاحب يرى أنه أضرب عن مناقشة نشوء قضايا لغوية وتطورها واختلاف العلماء فيها وأسباب نشوئها، وظهور الخلاف حولها معتمدا إرث العلماء السابقين عليه ومعرفة العلماء بتلك القضايا وشيوعها عند معظم طلبة العلم، منها تعليـل ذهاب الحرف الثالث في بعض الأسماء، وتسمية الألف والواو والياء بأحرف العلة ومعرفة العرب والمولد لكن هذا الإضراب قد يعد مأخذا عليه لا ميزة له.

(١) المحيط، ج٧، ص ١٤٠، ١٤١، ١٤٩، ١٥١، ١٧١، ١٧٥، ١٨٠، ١٨٣، ١٩٦، ٢٠٦.

(٢) من، ج٧، ص ٢١٢، ٢١٦.

(٣) ابن عصفور الأشبيلي، المتع في التصريف. تحقق: د. فخر الدين قباوة. ط١، مكتبة لبنان، بيروت-لبنان، ص ٢٧٧-٢٨٧.

(٤) التهذيب، ج١، ص ٥٠ - ٥١.

## ثالثها: تبيان منهجه.

أدرك الصاحب أن ألفاظ اللغة لا يمكن حصرها ولا ضمها في معجم. إلا إذا قام على أسس وقواعد يمكن إذا ما طبقت ضبطت كلام العرب واحتواؤه. والحق أن الصاحب لم يكن مبتكرا للأسس التي حصر وفقها أبنية العرب وألفاظها في المحيط بل كان مقلدا لمبتدع تلك الأسس ألا وهو الخليل رائد مدرسة العين، ويمكن ضبط أسس الصاحب في حصر المادة في ما يلي:-

١- أن عدد أحرف كلام العرب تسعة وعشرون حرفا منقسمة إلى أحرف صامتة أو صريحة وأحرف معتلة أو صائتة " ... وهي تسعة وعشرون حرفا"<sup>(١)</sup>.

٢- ترتيب أحرف العربية وفق نظام خاص، وكان هنالك نظامان: النظام الأبتئي الذي ابتكره نصر بن عاصم، والنظام الصوتي الذي ابتكره الخليل، وشاع المذهبان في زمن الصاحب، فابن دريد صاحب الجمهرة، وابن فارس صاحب المقاييس والمجمل أخذا بالنظام الهجائي أو الألفبائي، والخليل والقالبي والأزهري رتبوا مواد معاجمهم وفقا للنظام الصوتي، فالصاحب مخير بين هذين المذهبين بأيهما يأخذ، فأخذ بالنظام الصوتي الذي يرتب الحروف وفق مخارجها، فبدأ بأقصاها مخرجا وهو الحلق إلى أن وصل إلى أقربها مخرجا وهي الشفة، وجعل لكل مجموعة من تلك الأصوات لقبلا مميزا لها عن غيرها من المجموعات، وإطلاق تلك الألقاب متصلا بمخرجها أو مدارجها وأحيازها، فكان عددها وفقا لذلك تسع مجموعات وفي ذلك يقول الصاحب " واعلم: أن الخليل لما هم بجمع كلام العرب أجال فكره فيما يبني عليه كتابه ويدير عليه أبوابه، فنظر في الحروف كلها، وذاقها، ووجد مخرج الكلام كله من الحلق، فصير أولاهما بالابتداء أدخل حرف منها في الحلق، وكان ذلك العين، فجعلها أول الكتاب، ثم ما قرب منها؛ الأرفع فالأرفع. وهذه صورة الحروف على الولاء؛ وذكر نسبتها إلى مخارجها، وهي تسعة وعشرون حرفا:-

ع، ح، هـ، خ، غ	حلقية
ق، ك	لهويتان
ج، ش، ض	شجرية
ص، س، ز	أسلية
ط، د، ت	نطعية
ظ، ذ، ث	لثوية
ر، ل، ن	ذلقية
ف، ب، م	شفوية
ي، و، ا [الهمزة]	هوائية * (٢)

(١) المحيط، ج١، ص٦، وانظر تقسيم الخليل لها في التهذيب، ج١، ص ٥٠.

(٢) المحيط، ج١، ص ٥٩-٦٠.

٣- تقسيم الكلام وفق أحرفها الأصلية أو المجردة أو ما يسمى بالجزرية وذكر الصاحب أن كلام العرب يقسم من حيث الجذر إلى أربعة أقسام: الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي.

٤- تقسيم الكلام وفقا لاحتوائه على الأحرف الصحيحة والمعتلة، وكلام العرب وفقا لهذا الأساس ينقسم إلى ثلاثة أقسام: الصحيح والمعتل واللفيف<sup>(١)</sup>.

٥- ترتيب الألفاظ في أبواب.

جمع الصاحب بين الأساسين الثالث والرابع وهما الجزرية والصحة وعدمها، وقسم كل حرف هجائي وفقا لمعطياتها واستنادا على علم التصريف إلى ستة أبواب "باب المضاعف الثنائي، باب الثلاثي الصحيح، باب المعتل من الثلاثي، باب اللفيف، باب الرباعي، باب الخماسي"<sup>(٢)</sup>.

٦- حصر الألفاظ وفق تقليباتها.

اعتمد الصاحب ركيزة أخرى في ترتيب مواد كتابه تقوم على ضبط عدد الألفاظ وفق تغير موقع الحرف نفسه في الكلمة نفسها ونعني بذلك نظام التقلبات الذي يقوم على حصر الألفاظ وفق تغير مواضع أحرف اللفظة في اللفظة نفسها، وتوضيحا لكيفية حصر الألفاظ العرب وفقا لفكرة التقلبات نورد مقولة الخليل هذه: "اعلم أن الكلمة الثنائية تتصرف على وجهين...، والكلمة الثلاثية تتصرف على ستة أوجه وتسمى مسدوسة...، والكلمة الرباعية تتصرف على أربعة وعشرين وجها وذلك أن حروفها وهي أربعة أحرف تضرب في وجوه الثلاثي الصحيح وهي ستة أوجه فتصير أربعة وعشرين وجها، يكتب مستعملها، ويلغى مهملها...، والكلمة الخماسية تتصرف على مئة وعشرين وجها، وذلك أن حروفها، وهي خمسة أحرف تضرب في وجوه الرباعي، وهي أربعة وعشرون حرفا فتصير مئة وعشرين وجها يستعمل أقله ويلغى أكثره"<sup>(٣)</sup>، وقد عرض لهذه الأسس عند مدرسة العين عدد لا بأس به من علمائنا المحدثين<sup>(٤)</sup>.

إذا أنعمنا النظر في أسس الصاحب التي جمع وفقها مواد اللغة ومدى استثمارها والاستفادة منها في المعاجم، فإننا نجد أن عددا من تلك الأسس أصبحت أسسا مسلما بها في التأليف المعجمي، وبعضها اقتصر على مدرسة العين دون غيرها، ولم يشاركها سوى عالم أو عالمين، وأقصد بالأسس التي أصبح مسلما بها في التأليف المعجمي؛ أن عدد الأحرف تسعة وعشرون حرفا. وأن الكلام في العربية يقسم إلى أربعة أقسام وفقا للجزرية وأنها تقسم إلى ثلاثة أقسام من حيث الصحة والعلّة، وأن أبنية العربية ستة أبنية توضع في ستة أبواب، ولذلك لم أجعلها مدارا للنقد والرد.

(١) المحيط، ج ١، ص ٥٨.

(٢) م، ج ١، ص ٥٧-٥٨.

(٣) العين، ج ١، ص ٥٩.

(٤) حسين نصار، المعجم العربي نشأته وتطوره. دار مصر للطباعة، ط ٤، ١٩٨٨، ج ١، ص ١٧٤-١٧٦. عبد القادر عبد الجليل: المدارس المعجمية دراسة في البنية التركيبية. دار صفاء للنشر والتوزيع، دن، عمان، ص ١١٦-١٢٥. ولحمد عبد الغفور عطار. الصحاح والمعجمات العربية. بيروت، ط ٢، ١٩٦٧، ص ٧٣-٧٦، وعبد السميع محمد أحمد، المعاجم العربية، دراسة تحليلية، دار الفكر العربي، ص ٢١-٢٢.

أما الأساسان اللذان اقتصرنا على مدرسة العين فهما: فكرة التقلبيات، وترتيب الأحرف وفق النظام الصوتي.

لا شك أن موجد فكرة التقلبيات الخليل بن أحمد، وقد رد كثير من الكتاب<sup>(١)</sup> فكرة الاشتقاق الأكبر عند ابن جنّي إليه، والاشتقاق الأكبر عند ابن جنّي هو " أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثية، فتعقد عليه، وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً، تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه، وإن تباعد شيء من ذلك عنه، رد بلطف الصنعة والتأويل إليه، كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد"<sup>(٢)</sup>.

وتعريف ابن جنّي السابق للاشتقاق الأكبر لا يماثل فكرة التقلبيات ممانلة تامة، فإن الخليل لم يشر إلى أن هذه التقلبيات على اختلافها تحمل معنى مشتركاً عاماً، وإنما كان هدفه حصر المادة اللغوية العربية سواء أكانت تلك المادة مستعملة أم مهملة، وهدف الخليل كان هدف من تبعه في فكرة التقلبيات أمثال ابن دريد، وأبي علي القالي، والأزهري، والصاحب، وابن سيده.

المقابلة بين الاشتقاق الأكبر وفكرة التقلبيات تقتضي القول، إن فكرة التقلبيات ممانلة تامة لفكرة الأصل عند ابن فارس، وليست ممانلة لفكرة الاشتقاق الأكبر عند ابن جنّي، فقد أكد ابن فارس فكرة إمكانية وجود اشتراك معنوي بين المفردات المتماثلة الأصول، ولكنه لم يشترط أن تحتوي جميع هذه المفردات المتماثلة على معنى واحد، بل قد تحتوي على معنيين أو ثلاثة معانٍ أو أزيد.

أما ابن جنّي فقد جمع الكلمات التي يمكن ردها إلى جذر واحد تحمل جميعها معنى عاماً مشتركاً واحداً، كما أن ابن فارس لم يقل كما قال معاصره ابن جنّي: إن جميع الكلمات التي يمكن ردها إلى جذر واحد تحمل معنى عاماً على اختلاف تقلبياتها، فقد ابن فارس كل تقليب مستقلاً عن التقلبيات الأخرى، ولذلك فهو أصل عام مغاير لأصول التقلبيات الأخرى.

وقد دعاني إلى قول إننا إذا اقتضينا الدقة فيجب أن نقول إن فكرة التقلبيات عند مدرسة العين ممانلة لفكرة الأصل العام عند ابن فارس؛ لأن أصحاب مدرسة العين ولا سيما الخليل لم يقولوا بلزوم احتواء جميع الألفاظ التي ترد إلى جذر واحد على معنى عام مشترك بالإضافة إلى أنهم لم يقولوا بوجود احتواء الألفاظ التي تعود إلى جذر واحد أنها تحمل معنى واحداً على اختلاف تقلبياتها، فقد يكون لكل تقليب معنى خاص به مغاير لمعنى تقلبيها الأخرى، ولناخذ مثلاً على ذلك تقليب "ق، ل، ب"<sup>(٣)</sup> فمعنى "قَبْلُ" "عَقِبْتُ بَعْدُ"، ومعنى "بَقْلُ" "البَقْلُ: ما ليس بشجر" ومعنى "قَلْبُ" "مَضْغَةٌ من الفؤاد مُعَلَّقة بالنباط"، ومعنى

(١) عبد القادر عبد الجليل في المدارس المعجمية ١١٦-١٢٥، ومحمد المبارك في فقه اللغة وخصائص العربية، ط٣، دار الفكر، بيروت، ١٩٦٨، ص ١١٠ - وإبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ط٧، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص ٥٠، وعبد الله الملايبي، مقدمة لدرس لغة العرب، عنيت بنشره إدارة المطبعة المصرية، مصر، ص ٢٠٥، وإميل بديع يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، ط١، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ١٩٨٢م، ص ٢٠٠، ورمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، ط٢، مكتبة الخانجي، ودار الرفاعي، الرياض، ١٩٨٣، ص ٢٩٦، وأحمد عبد الغفور عطار الصحاح والمعجمات العربية، ص ٧٥.

(٢) الخصائص، ج ٢، ص ١٢٤.

(٣) المحیط، ج ٥، ص ٤٢٩، ٤٢٣، ٤٣٤، ٤٣٦، ٤٣٧.

لقب " اللَقْبُ: نَبِزُ اسْمٍ غَيْرِ الَّذِي سَمِيَ بِهِ "، ومعنى بلق "البَلْقُ والبَلَقَةُ: مصدر الأَبْلَقِ، الأَبْيَضِ" ومعنى لبق "رَجُلٌ لَبِيقٌ وَكَبِيقٌ: الرَّفِيعُ بِكُلِّ عَمَلٍ".

ذكرت المعنى المشهور لكل تقليب ولم أتوقف عند معانيه الفرعية؛ لأن الغرض من ذكر المعنى العام لكل تقليب، إثبات أن أصحاب مدرسة العين ومنهم صاحب لم يقولوا بفكرة الاشتقاق الأكبر التي تشترط احتواء جميع الألفاظ التي ترد إلى جذر واحد على معنى واحد مشترك على اختلاف تقليباتها، ولا يفوتني التنويه إلى أن فكرة التقليلات لم تقتصر على مدرسة العين، فقد أخذ بها رائد مدرسة الألفباء ابن دريد في الجمهرة.

أما الأساس الثاني الذي اقتصر على مدرسة العين دون غيرها، فهو ترتيب الحروف وفق النظام الصوتي.

قبل أن أناقش هذا الأساس عند صاحب أحب أن أشير إلى أعضاء النطق، فأبدأ بأقسامها مخرجا إلى أن أصل إلى أقربها مخرجا، أثبت العلم الحديث أن عدد أعضاء النطق اثنا عشر مخرجا أقسامها الحنجرة " الحنجرة: وهي تقع في أسفل الفراغ الحلقوي، وتكون الجزء الأعلى من القصبة الهوائية" (١) وتحتوي على الوترين الصوتيين اللذين يلعبان دورا في جهر الصوت وهمسه، فإذا كانا متقاربين كان الصوت مجهورا، أما إذا كانا متباعدين عن بعضهما كان الصوت مهموسا، ويعود جهر الصوت لتذبذبهما، ثم يليها الحلق، فالحنك ويقسم إلى اللهاة والطبق، فالغار، ثم اللثة فالأسنان فالشفقتين، وليس للحنك واللثة والأسنان دور كبير في إنتاج الأصوات، بل إن الدور الأكبر في إنتاجها عائد للسان نتيجة ارتفاعه نحو أي جزء منها، إلا أن العلماء تعارفوا على نسبة الصوت إلى مخرجه الأعلى مع أن الجزء الأسفل هو الذي يلعب دورا في إنتاجه ويمثل دور اللسان في إنتاج الأصوات الشفة السفلى.

أشار الصاب في تقسيمه الأصوات وفق النظام الصوتي إلى مخارج الحروف، وتسميته لمخارج الأصوات تغاير تسميات سيويه، وتغاير تسميات المحدثين لها، فقد عبر صاحب عن الحنجرة بأقصى الحلق (٢)، وقد مائل المحدثين بالحلق إلا أن الحلق كان يشمل الطبقة، واللهاة عنده تشمل اللهاة والطبق، وعبر عن الغار بشجرة الفم، وقسم الأصوات اللثوية إلى قسمين: أصوات أسلية وذلقية، وعبر عن الأصوات اللثوية الأسنان بالأسوات النطعية، وأطلق صفة الأصوات اللثوية على الأصوات السنية.

وتماثل مع المحدثين في الأصوات الشفوية إلا أنه غايرهم في تقسيم تلك الأصوات، فقد (ف، ب، م) شفوية مع أن الفاء صوت شفوي أسناني وليس صوتا شفويا، والأصوات الهوائية تماثل الأصوات الصائتة عند المحدثين، مع أنه مختلف معهم في الهمزة التي عدها مع الأصوات الهوائية، وعدها المحدثون مع الأصوات الصحيحة أو الصائتة.

(١) علم اللغة التام: الأصوات العربية، د. كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، ص ٦٥.

(٢) المحيط، ج ١، ص ٦٥.



اقتفى الصاحب في تقسيمه مخارج الأصوات الخليل في معجم العين، أما سيبويه فغايرهما في التقسيم والتسمية، وتسميته للمخارج تغاير تسميات المحدثين أيضا. فقد عبر عن الحنجرة بأقصى الحلق، وعن الطبق بأدنى الحلق، وعن اللهاة بالحنك الأعلى، والغار بالحنك الأوسط، واللثة ما بين الحنك الأعلى إلى فوق الثنايا، واللثوي الأسنان بأصول الثنايا، والأصوات السنية بأطراف الثنايا، والشفوي الأسنان بباطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى، والشفوية بما بين الشفتين، والأنفي بالخياشيم<sup>(١)</sup>.

ووفقا لهذه المخارج وأعضاء النطق كان عدد مخارج أصوات العربية عند سيبويه وجماعة من النحويين<sup>(٢)</sup> ستة عشر مخرجا.

كما أن هناك اختلافا بين الأقدمين والمحدثين في تقسيم الأصوات، فقد قسم العلماء الأقدمون الحروف في العربية إلى أحرف صحيحة وأحرف معتلة، أما المحدثون فقسموها إلى قسمين هما: الأصوات الصامتة والأصوات الصائتة، ويعنون بالصائتة أحرف العلة بالإضافة إلى الحركات "الفتحة، الضمة، الكسرة" وقد يطلق بعضهم<sup>(٣)</sup> على الصوائت الحركات، فيسمون "الواو والياء والألف" حركات طويلة، و "الفتحة، والضمة والكسرة" حركات قصيرة، أما الصوائت فمجهورة جميعها<sup>(٤)</sup>، أما الصوائت فمنها المجهور ومنها المهموس.

وأطلق المحدثون على أحرف اللين اسم أنصاف حركات؛ لأن الواو والياء تأتيان صوتيتين صامتتين مثل: "وَعَدَ، وَكَدَ، يَرْمُوكَ" ويأتيان صوتيتين صائتتين مثل: "مُؤْمِنُونَ، مسلمين".

وتقلبهما من حال إلى حال جعل ابن سينا<sup>(٥)</sup>. يسمى الضرب الأول: واوا وياء صامتتين ويسمى الضرب الثاني: واوا وياء مديتين.

لاحظنا أن هنالك اختلافا بين الصاحب وسيبويه والمحدثين في تسمية المخارج فإذا قابلنا منهج الصاحب والخليل والأزهري قبله في ترتيب مواد كتبهم وفق تلك المخارج مع ما ذكره سيبويه في تقسيم الأصوات وبين ما أظهره العلم الحديث في دقة وصف مكان خروج الصوت فإننا نجد اتفاقا وافتراقا، وقبل أن أقابل منهج الصاحب بسيبويه والمحدثين سأورد ترتيب الصاحب للحروف وفق النظام الصوتي الذي ارتضاه "وهذه صورة الحروف على الولاة؛ وذكر نسبتها إلى مخارجها، وهي تسعة وعشرون حرفا:

(١) سيبويه، للكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، د. م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥م، ج ٤/ ٤٢٣.

(٢) المحيط، ج ١، ص ٦٠.

(٣) كمال بشر، علم اللغة العام، ص ٧١، تمام حسان في كتابه مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، درب سيونار الدار البيضاء، ط ٢، ١٩٧٤، ص ٩٠.

(٤) علم اللغة العام، ص ٧٤.

(٥) ابن سينا، أسباب حدوث الحروف، ولا دعبير خوليد ياني تخلص متمينا ربا، ١٩٦٦، دن، دم، ص ١٩.

حلقية	ع، ح، هـ، خ، غ
لهويثان	ق، ك
شجرية	ج، ش، ض
أسلية	ص، س، ز
نطعية	ط، د، ت
لثوية	ظ، ذ، ث
ذلقية	ر، ل، ن
شفوية	ف، ب، م
هوائية <sup>(١)</sup>	ي، و، ا [الهمزة]

جعل الصاحب صوت العين أقصى مخارج أصوات العربية، وفعله هذا مماثل لما قام به الخليل والأزهري، ولذلك ابتداءً به في معجمه، ثم تلا العين بالحاء، فالهاء فالخاء، فالغين، وجعل هذه الأصوات جميعها في مجموعة واحدة أسماها الأصوات الحلقية.

نحن نعلم أن العين ليس أقصى حروف العربية مخرجا، بل إن الهمزة والهاء صوتان متقدمان عليها في المخرج، فقد اتفق حديثا<sup>(٢)</sup> أن الهمزة صوت حنجري انفجاري، والهاء صوت حنجري احتكاكي، وأشار إلى هذه الحقيقة الصوتية سيبويه الذي قال: إن الهمزة والألف والهاء أقصى الحروف مخرجا<sup>(٣)</sup> إلا أنه غاير المحدثين في وصف الهمزة، فقد عدها صوتا مجهورا " فأما المجهورة فالهمزة"<sup>(٤)</sup>، أما المحدثون فاختلّفوا في ذلك، إذ عدها إبراهيم أنيس، وكمال بشر وعبد القادر عبد الجليل صوتا بين المجهور والمهموس<sup>(٥)</sup> وعدها تمام حسان<sup>(٦)</sup> وعبد الرحمن أيوب<sup>(٧)</sup> صوتا مهموسا.

ونسب إلى الخليل قول أنه كان يقول بتقديم الهمزة في النطق<sup>(٨)</sup>، أما الصاحب فكان على علم بتقديم الهمزة والهاء في النطق إلا أنه علل عدم بدئه بأحدهما بعلة صوتية

(١) المحيط، ج١، ص ٦٠.

(٢) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ٨٩، وكمال بشر في علم اللغة العام، ص ١١٢، ١٢٢.

(٣) سيبويه، للكتاب، ج٤، ص ٤٣٠.

(٤) م، ج٤، ص ٤٣٤، وقابل: ابن جنّي، سر صناعة الأعراب، تحق د. حسن هندلوي، م، ن، دمشق، ١٩٩٣، ج١، ص ٤١.

(٥) الأصوات اللغوية ٩٠، علم اللغة العام ١١٢، عبد القادر عبد الجليل، أصوات اللغة، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٨، ص ١٩٣.

(٦) تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص ٩٧.

(٧) عبد الرحمن أيوب، أصوات اللغة، مكتبة للشباب، ص ١٨٣.

(٨) السبوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى، علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ج١، ص ٩٠.

وصرفية وذوقية سابقتها في مواضعها " إن الهمزة والهاء وإن كان لهما التقدم في المخرج على أخواتهما من الحروف الحلقية، فإن الخليل إنما عدل عن الابتداء بهما..."<sup>(١)</sup>.

واللافت للنظر أن صاحب جعل الهمزة مع أحرف العلة، وجعل الـهاء ضمن أحرف الحلق وقدّم عليها العين والحاء، فالصاحب لم يضع الـهاء في مكانها الأصلي الحقيقي بها، كما أنه لم يجعلها من أحرف العلة، بل أخر مخرجها دون مسوغ، وقد خلف القالي ترتيب الخليل للهاء ومائله في ترتيبه للهمزة، فجعل الـهاء الصوت الأول الذي وضع له أبوابا في كتاب البارع<sup>(٢)</sup>.

ووفق صاحب سيبويه والمحدثين في وصفه للعين والحاء أنهما صوتان حلقيان، ولذلك جعلهما أول حرفين يبتدئ بهما معجمه، كما وافق سيبويه في ترتيبه للغين والحاء، فهما صوتان حلقيان عند كليهما، ولذلك أتبعهما بالعين والحاء والهاء في المحيط، وجعل بعدهما القاف والكاف وهما عنده صوتان لهويان، إلا أن تقسيمه هذا مغاير لما أثبتته العلم الحديث<sup>(٣)</sup>، فالقاف عند المحدثين متقدمة في المخرج على الخاء والغين؛ لأنها صوت لهوي، والحاء والغين صوتان طبقان واللهة متقدمة على الطبق مخرجا.

وهذا الاختلاف يجعلنا نحار بأي القولين نأخذ، نأخذ بقول الأقدمين أم المحدثين؟ وسأحاول أن أحل هذه المعضلة بوساطة نطق العرب للغين والحاء، فإن هنالك قبائل عربية تنطق الخاء والغين بطريقة مغايرة لنطق بعض القبائل، فطريقتهم تشبه طريقة نطقنا للغين في كلمة "غلط" والحاء في كلمة "خطا"، فإذا افترضنا أن نطق الأقدمين للحاء والغين مماثل لنطقنا لصوت الخاء في "خطا" والغين في "غلط" فسندرك أن صاحب الأقدمين كانوا مصيبين في وصفهم أن الخاء والغين صوتان حلقيان<sup>(٤)</sup> ولهما التقدمة على القاف.

ووافق صاحب الأقدمون المحدثين في وصفهم للقاف أنها صوت لهوي انفجاري أو شديد، فالمحدثون يقولون كما قال صاحب إن القاف لهوية، ولكن سيبويه ذكر أن القاف مجهورة<sup>(٥)</sup>، ووصفها المحدثون بأنها صوت مهموس<sup>(٦)</sup>، وقد تكون قاف سيبويه القاف اليمينية

أما الكاف فاتفقوا على أنها صوت انفجاري مهموس، إلا أن صاحب الأقدمين قالوا إنها لهوية المخرج، أما المحدثون<sup>(٧)</sup> فقالوا إنها طبقية المخرج، وأرجح ما ذهب إليه المحدثون.

أما المجموعة الشجرية أو الغارية فاتفق صاحب الأقدمين مع المحدثين في وصف الجيم والشين، إلا أنهم اختلفوا في الضاد، فالضاد عند الأقدمين توصف أنها صوت

(١) للمحيط، ج ١، ص ٦١.

(٢) المعجم العربي بالأندلس، ص ٢٥، البارع أبو علي القالي، ص ٧١، ٨١.

(٣) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ٨٧-٨٨، كمال بشر، علم اللغة العام ١٢١، تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ١٠١-١٠٢.

(٤) العين، ج ١، ص ٥٨، وانظر سيبويه، ج ٤، ص ٤٣٣، والمصاحب، ج ١، ص ٦٠.

(٥) الكتاب، ج ٤، ص ٤٣٤.

(٦) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص ٨٤، كمال بشر، علم اللغة العام، ص ١٠٩، تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص ٩٦.

(٧) إبراهيم أنيس الأصوات اللغوية، ص ٤٨، كمال بشر، علم اللغة العام، ص ١٠٤، تمام حسان مناهج البحث في اللغة، ص ١٠١-١٠٢.

شجري رخو مجهور مطبق<sup>(١)</sup>، أما المحدثون فوصفوها أنها صوت لثوي أسناني انفجاري مجهور مطبق، وهي وفقا لهذا الوصف يجب أن تؤخر أبوابها في المعجم إلى ما بعد الأحرف الأسلية والذلقية والنطعية.

مغايرة وصف الأقدمين للضاد أنها صوت رخو أو احتكاكي، وأن مخرجها من الغار جعلنا نقول إن نطق الأقدمين للضاد مخالف لنطقنا لها في هذه الأيام، ولا أريد أن أطنب القول في ذلك، فقد كتب ابراهيم أنيس بحثا في هذا الموضوع كفاني مؤونة الخوض فيه<sup>(٢)</sup>.

لم يضع الصاحب الياء ضمن الأصوات الشجرية، فقد أحر ترتيبها وجعلها ضمن الأصوات الهوائية، وبعد أن فرغ من ذكر الأصوات الشجرية انتقل إلى الأصوات الأسلية "ص.س.ن" مع أن ترتيب الأصوات وفق مخرجها يقتضي أن يورد الأصوات الذلقية ل.ر.ن"، ثم يأتي بالأصوات الأسلية أو ما تسمى حاليا باللثوية "س.ص.ز"، ويقتضي النظام الصوتي أن يورد الدال والضاد والتاء والطاء فور انتهائه من الأحرف الأسلية، وبعد أن ينتهي من الأحرف اللثوية السنية أو ما سماه بالنطعية "ط.د.ت" أن يذكر الأصوات السنية أو ما سماها باللثوية "ظ.ذ.ث" وأن لا يورد الأصوات الذلقية "ز.ل.ن" بعد الأصوات السنية، وإنما يفترض أن يورد الصوت الشفوي الأسناني "ف" فالأصوات الشفوية "و.ب.م" وأن يقدم الأصوات الذلقية إلى ما قبل الأصوات الأسلية لا أن يوردها بعد الأصوات السنية، وقد أهمل الصاحب الواو من الأصوات الشفوية، كما أهمل الياء من الأصوات الغارية وجعلها من الأصوات الهوائية.

ولأبين اختلاف ترتيب الصاحب عن ترتيب ما توصل إليه العلم الحديث، أورد أصوات العربية مرتبة وفق مخرجها، وسأستخدم مصطلح الأقدمين "الأصوات الذلقية" للدلالة على "ز.ل.ن" كي لا أخلط بينها وبين الأصوات اللثوية "الأسلية عند الأقدمين".

الهمزة. هـ. أ	حجرية
ع. ح	حلقية
ق	لهوية
ك. خ. غ	طبقية
ج. ش. ي	غارية
ر. ل. ن	ذلقية
ص. س. ز	لثوية
د. ض. ت. ط	لثوية أسنانية
ظ. ذ. ث	سنية
ف	شفوي أسناني
ب. م. و	شفوية

(١) سيويه، الكتاب، ج٤، ص ٤٣٤، ٤٣٦.

(٢) ابراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص ٤٨-٦١.

وهناك معايير أخرى في علم الصوتيات يمكن أن نقسم أصوات العربية وفقها، فمنها معيار الجهر والهمس، ومعيار الشدة والرخاوة عند الأقدمين، والانفجار والاحتكاك عند المحدثين، ولن أعرض لهذين المعيارين في تقسيم الأصوات؛ لأن الصاحب لم يعرض لهما، ولم يرتب أصوات معجمه وفقهما وإنما رتب أصوات كتابه وفقاً لمخارجها، ولذلك ناقشت قضية مخارج أصوات العربية عنده وعند أصحاب مدرسة العين، وسيبويه من الأقدمين من جهة، وعند المحدثين من جهة أخرى.

ولا يفوتني التتويه بأنني لم أقابل أسس الصاحب بما أورده الأزهرى في المتن؛ وذلك لنقله عبارات الخليل نفسها، عدا أنني كنت أشير إليه في الحاشية.

قلنا إن مقدمة الصاحب تفرعت إلى قسمين رئيسيين؛ القسم الأول خصصه لأسس عامة ناقش فيها حقائق لغوية مسلما بها، وبين فيها منهجه، أما القسم الثاني فخصصه للرد على من قدح في منهج الخليل في معجمه، والصاحب في رده على من ناوا الخليل أو من سيناوى، فإنما يدافع عن منهجه الذي ارتضاه، وبيدع حججا وبراهين لغوية وعقلية تدحض آراء مناوئيه، وكان أسلوبه في ذلك إيجاد محاوره وتساؤلات واعتراضات من قبل الرافضين لمنهجه، وقد يقال: لماذا افترض الصاحب وجود مناوئين لمنهجه مع أن كتابه لم يقرأ بعد؟

نقول: إن الصاحب انتهج منهج الخليل في معظم أسسه الرئيسية، وأن المآخذ التي رمي بها الخليل سيرمى هو نفسه بها بالضرورة، ولذلك اتكأ على الخليل في الدفاع عن منهجه لأن معجم الخليل اطلع عليه معظم علماء المسلمين ولغويهم، وسأحاول إجمال تلك المطاعن التي افترضها الصاحب، وقد قيلت في حق معجم العين في ما يلي:-

أولها:- ابتدأوهما بالثنائي المضاعف وعدولهما عن البدء بالألفاظ التي تتصف بأنها أحادية الحرف، وكان رد الصاحب أن الكلمات المفردة لا يمكن أن تكون ذات حرف واحد، فلا بد من وجود حرف يبتدأ به، وحرف يتوقف عليه " فإن قال قائل: لم ابتدأ الخليل عند ذكر الأبنية بالثنائي؛ وقد قال سيبويه: " أقل ما تكون عليه الكلمة حرف واحد" قيل له: إنما أشار بالكلمة - تسامحا منه - إلى حروف مفردة موصولة بأطراف الكلم لا يقدر على قطعها منها ولا تستقل بذواتها، نحو: لام "لقد" وكاف "هناك" فأما الكلمة فلا يستحقها حقيقة إلا ما يمكن الابتداء به والتوقف عليه، وهذا لا يكون في أقل من حرفين<sup>(١)</sup>.

ونجد أن ابن عصفور يردد رأي الصاحب بوصفه رأيا مسلما به عند اللغويين والصرفيين .. ونحو الهاء المزيدة، فيما كان من الأفعال على حرف واحد في الوقف، نحو: فة، وعة، فإنه لا يمكن النطق بحرف واحد، إذ لا أقل من حرف يبتدأ به وحرف يوقف عليه<sup>(٢)</sup>.

(١) المحيط، ج ١، ص ٥٨-٥٩.

(٢) الممتع الكبير في التصريف، ص ١٢٩.

ولكن نحض حجة صاحب من قبل المناوئين لمنهجه الذين افترض صاحب أنهم سيرمونه بها. وإذا كان الأمر كذلك فلماذا لم يبدأ الكتاب بذوات الحرفين الاثنيين الأصليين؟؟

مع أن صاحب يوقن أن علمية حجتهم ظاهرة إلا أنه اتكا في إثبات منهجه على حقيقة لغوية وفرها له علم التصريف<sup>(١)</sup> وهي أن الألفاظ الثنائية لا تصرف وورودها في الكلام محدود وعددها قليل، ودورها في توسع اللغة مقصور على القلب، وقلما يستخدم العرب مقلوبيه، ولذلك لجأ إلى ما هو أوفر في التصريف وأكثر في الورد إلا وهو الثلاثي "الثنائي المضاعف"

قد يكون صاحب محقا في أن المضاعف الثنائي أو الثلاثي كما قال أوفر في التصريف وأكثر ورودا على ألسنة الناس، وأكثر عددا من الثنائي إلا أن هذا القول مع صحته لا يعد مسوغا في أن يعدل عنه صاحب، ويبدأ بالمضاعف لأن المضاعف في هذا التبويب احتوى على ألفاظ عديدة ليست مردودة إليه وحجة صاحب في البدء بالمضاعف دون غيره "لأنه الأخف على اللسان وأقرب مأخذا للمتفهم"<sup>(٢)</sup> والمضاعف كذلك يتضمن كلمات حوشية ووعرة وغريبة غير قريبة المأخذ للمتفهم، فكل بناء من أبنية العربية يوجد فيه ألفاظ قريبة المأخذ للمتفهم والألفاظ بعيدة المأخذ للمتفهم، كما أن في الثلاثي ألفاظا عديدة أخف على اللسان من ألفاظ الثنائي المضاعف، فقد امتازت حجة صاحب الأخيرة بأنها حجة ترجع إلى الذوق الفردي وتنفرد من الحقائق العلمية.

ثانيها: - بدوهما بالعين وعدولهما عن البدء بالهمزة والهاء.

لم تقتصر هذه الطعنة في منهج مدرسة العين على الأسبقين بل تعدتها إلى علماء عصرنا الحاضر، فقد وجه العلماء أجمعون نقدا إلى هذه المدرسة لابتنائها بحرف العين دون الهمزة والهاء ولا سيما أن مخرج هذين الحرفين أبعد من مخرج العين في جوف الحلق، إذ وصف علماء الصوتيات الهمزة أنها صوت حنجري انفجاري مجهور، ووصفوا الهاء أنها صوت حنجري احتكاكي مهموس، ووصفوا العين أنها صوت حلقي احتكاكي مجهور، وهذا الوصف يدلنا على أن الهمزة والهاء أبعد مخرجا من العين "فإن قال قائل: فلم ابتداء الخليل بالعين؛ وقد قال سيبويه وجماعة من النحويين: لحروف العربية ستة عشر مخرجا، فأقصاها مخرجا: الهمزة والهاء، ومن وسط الحلق: العين والحاء، وأدناها: الغين والحاء؟ فقد قرأت لشيخنا أبي العباس المبرد - رحمه الله - ما أحكيه؛ قال: الذي ثبت عندنا عن الخليل أنه قال: مخارج حروف الحلق ثلاثة: فالأول مخرج الهمزة والهاء، والثاني مخرج العين والحاء، والثالث مخرج الغين والحاء. فإن كان تقديمه العين من أجل

(١) المحيط، ج ١، ص ٥٩، وهذه الرسالة، ص ٢٥-٢٦.

(٢) م، ج ١، ص ٦١.

أنها توسطت المخرجين ولحقت بالطرفين فهو حسن، وإلا فلا معنى لإيثار تقديم العين. هذا آخر ما قاله<sup>(١)</sup>.

وقد علم الصاحب أن العلماء سيوجهون لمنهجه هذا الانتقاد، فحاول أن يدعم وجهته ببراهين صوتية ولغوية وذوقية مختلفة لمعرفة أن الهمزة والهاء أقصى مخرجا من العين.

أما دليله الصوتي الذي أتى به لإحقاق ابتدائه بالعين دون الهمزة والهاء، أن الهمزة والهاء صوتان ضعيفان مضغوطان إذا خفف عنهما الضغط حولا إلى أحد أحرف العلة، وهذا مخالف لسمت الأحرف الصحيحة "نحن نقول - وبالله التوفيق: إن الهمزة والهاء وإن كان لهما التقدم في المخرج على أخواتهما من الحروف الحلقية؛ فإن الخليل إنما عدل عن الابتداء بهما؛ لأن الهمزة مهتوتة مضغوطة؛ فإذا رُفِه عنها لانت فصارت ياء أو واو أو ألفا، وهذه طريقة تخالف طرق الحروف الصحيحة"<sup>(٢)</sup>.

أما الدليل اللغوي الصرفي فهو أن الهمزة يطرأ عليها التغيرات التي تطرأ على أحرف العلة من إعلال بالتسكين وإعلال بالقلب وإعلال بالحذف، والهاء يطرأ عليها إعلال بالحذف وزيادة في الطرف حالها حال أحرف المد "ثم إنه يتسلط عليها من نقل الحركات عنها والانقلاب والحذف مثل ما يتسلط على حروف العلة أو أكثر، حتى عد من جملة، والهاء أيضا فيها هنة وخفاء، وقد حذفت من الطرف حذف حروف المد واللين وزيدت زيادتها، وتبدل من الهمزة وتشركها في كونها من الدرجة الأولى، فلما كان كذلك عدل عنهما إلى العين"<sup>(٣)</sup>.

أما دليله الذوقي الذي اعتمد عليه فهو لذة حرف العين فسي السماع ونصاعة جرسها، ووفرة أعداد الألفاظ المتكونة منها فهي أكبر باب بالعربية "ويقوي الابتداء بها أيضا أنها - مع كونها على ما وصفنا - أنصع الحروف جرسا وألذها سماعا، حتى لا تدخل في بناء إلا حسنته ولذلك كثر تردها في كلامهم، حتى لا باب أكبر من العين"<sup>(٤)</sup>.

إنعام النظر في مقدمة العين يرينا أن الخليل - الذي وسم كتابه بالعين وجعله الحرف المبتدأ به - كان مترددا بأي الحروف الحلقية يبدأ، فهو على بينة أن الهمزة أقصى من العين مخرجا لكنه حاول أن يوجد أسبابا لغوية وصوتية تعطل عدم بدئه بالألف أو الهمزة .. فأعمل فكره فيه، فلم يمكنه أن يبتدئ التاليف من أول أ، ب، ت، ث وهو الألف، لأن الألف حرف معتل، فلما فاتته الحرف الأول كره أن يبتدئ بالثاني"<sup>(٥)</sup>.

وتعليه اللغوي والصوتي في عدم البدء بالهمزة، أن الهمزة لا حيز لها ولا مدرج .. في العربية تسعة وعشرون حرفا: منها خمسة وعشرون حرفا صحاحا لها أحياز

(١) المحيط، ج ١، ص ٦٠-٦١.

(٢) م، ج ١، ص ٦١.

(٣) م، ج ١، ص ٦١.

(٤) م، ج ١، ص ٦١.

(٥) العين ج ١، ص ٤٧.

ومدارج، وأربعة أحرف جوف وهي: الواو والياء والألف اللينة، والهمزة، وسميت جوفاً لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان، ولا من مدارج الحلق، ولا من مدرج اللهاة، إنما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف. وكن يقول كثيراً: الألف اللينة والواو والياء هوائية أي أنها في الهواء<sup>(١)</sup>.

عبارة الخليل السابقة تفيد أن الهمزة لا حيز ولا مدرج لها، لكن هنالك عبارة مخالفة لتلك العبارة إذ يذكر الخليل أن الهمزة أقصى الحروف مخرجا وعدم ابتدائه بها يرجع إلى أنها صوت مضغوط إذا رفه عنها مائل حالها حال أحرف العلة " وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة، فإذا رفه عنها لانت، فصارت الياء والواو والألف عن غير طريقة الحروف الصحاح"<sup>(٢)</sup>.

لم يعلل الخليل عدم البدء بالهاء، ولم يعدها أبعد مخرجا من العين بل رأى أن مخرجها الحلق، وهو نفسه مخرج العين والحاء. وقد قدم العين عليهما لأنه أنصع الحروف في التآليف " فأقصى الحروف كلها العين ثم الحاء، ولولا بحة في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها من العين، ثم الهاء ولولا هتة في الهاء، وقال مرة "همة" لأشبهت الحاء لقرب مخرج الهاء من الحاء، فهذه ثلاثة أحرف في حيز واحد بعضها أرفع من بعض"<sup>(٣)</sup>.

هذا ما أورده الخليل في مقدمته. وقول الخليل إن العين أبعد مخرجا من الهاء، وأن الهمزة لا مخرج لها قول بطلانه ظاهر لا يخفى على ذي نهي. لكنني وجدت نصاً في المزهري أورده ابن كيسان مسموعاً عن الخليل مفاده أن الخليل على علم في تقدم الهمزة والهاء والألف على العين في المخرج إلا أن نصوع حرف العين وكثرة وروده على الألسنة، ووفرة تصرفه جعله يعدل عن البدء بتلك الأحرف وينتقل إليه "سمعت من يذكر عن الخليل أنه قال: لم أبدأ بالهمزة؛ لأنها يلحقها النقص والتغيير والحذف، ولا بالألف؛ لأنها لا تكون في ابتداء كلمة ولا في اسم ولا فعل إلا زائدة أو مبدلة، ولا بالهاء؛ لأنها مهموسة خفية لا صوت لها، فنزلت إلى الحيز الثاني، وفيه العين والحاء، فوجدت العين أنصع الحرفين؛ فابتدأت به ليكون أحسن في التآليف، وليس العلم بتقدم شيء على شيء، لأنه كله مما يحتاج إلى معرفته؛ فبأي بدأت كان حسناً، وأولها بالتقديم أكثرها تصرفاً"<sup>(٤)</sup>.

يقول صاحب بتقدم الهمزة والهاء على العين في المخرج إلا أن عدوله عن البدء في أحدهما له أسبابه اللغوية والصوتية التي ذكرناها، وسأحاول ههنا مناقشة أدلة صاحب التي علل بها عدم بدئه بالهمزة أو الهاء:-

أولها:- أن الهمزة صوت مضغوط إذا رفه عنها قلبت إلى أحد أحرف العلة إذا طبقنا هذا القول على المهموز في العربية وجدنا أن الهمزة إذا كانت أحد حروف الكلمة الأصلية ولا سيما فاؤها لا تحول حرف علة، فقد قال الصرفيون: " الهمزة لا يخلو أن تقع

(١) العين، ج ١، ص ٥٧.

(٢) م، ج ١، ص ٥٢.

(٣) م، ج ١، ص ٥٧.

(٤) المزهري في علوم اللغة وأنواعها، ج ١، ص ٩٠.



أولا أو غير أول. فإن وقعت غير أول قضى عليها بالأصالة، ولا يحكم عليها بالزيادة إلا أن يقوم على ذلك دليل، وذلك أن الهمزة إذا وقعت غير أول، فيما عرف له اشتقاق أو تصريف وجدت أصلية، ولم توجد زائدة إلا في ألفاظ يسيرة.. فإن وقعت أولا فلا يخلو أن يكون بعدها حرفان أو أزيد. فإن كان بعدها حرفان خاصة كانت أصلا، إذ لا بد من الفاء والعين واللام. وذلك نحو: أَخَذَ وَأَكَلَ وَأَمَرَ.. وإن كان بعدها حرفان مقطوع بأصالتيهما، وما عداهما مقطوع بزيادته، كانت الهمزة أصلا، إذ لا بد من الفاء والعين واللام، كما تقدم. وذلك نحو: أَخَذَ وَأَمَرَ؛ ألا ترى أن الألف مقطوع بزيادتها، وأن الخاء والذال من أخذ، والميم والراء من أمر، مقطوع بأصالتها؟ فلذلك كانت الهمزة أصلا فيهما وفي أمثالهما".<sup>(١)</sup>

فهل قرأنا في كتبنا الأمهات أو سمعنا من أفواه العرب "وَمَرَّ" بدل "أَمَرَ" و "يَكَلُّ" بدل "أَكَلَ" و "سَوَّلَ" بدل "سَأَلَ" و "تَيَّأَ" بدل "تَأَى" و "أَنْشَأَ" بدل "أَنْشَأَ" و "بَدَّى" بدل "بَدَأَ"؟ والحقيقة الصوتية الموائمة لكلام العرب أن أحرف العلة إذا زيد الضغط عليها فإنها تحول إلى همزة، إذ وجدنا في العربية كلمات لا بأس بها قلبت فاؤها إلى الهمزة وأصل فاؤها واوا "أَخَذَ رَبِكُ: بمعنى وَحْدَةٍ"<sup>(٢)</sup> و "الإِرْبُ: أصله وِرْبٌ"<sup>(٣)</sup> و "أَكْدُ من وَكْدٍ"<sup>(٤)</sup> "أُولُ أصله وُؤُل"<sup>(٥)</sup>.

وإذا قصد صاحب مقولة الخليل المشار إليها<sup>(٦)</sup>.

فإن هذا القول مردود لأنه متعلق بالألف اللينة لا الهمزة، كما أن الأمثلة التي ضربت كانت الألف في جميعها حرفا زائدا وليس أصليا<sup>(٧)</sup>.

والمعلوم أن المعجميين بنوا أبواب معاجمهم على الجذر أو الأصل لا الزيادة. وعلم الصوتيات الحديث لم ير ما رآه صاحب؛ أن الهمزة حرف هوائي حالها حال أحرف العلة بل رأى أنها صوت صامت وليس من الحركات في شيء<sup>(٨)</sup>.

ثانيها:- أما دليل صاحب الصرفي الذي أتى به لتعليل عدوله عن البدء بالهمزة يطرا عليها تغييرات صرفية من إعلال بالحذف والتسكين والقلب، فنحن نعلم أن مواضع الإعلال بالحذف تكون في الأفعال والأسماء، فإن فاء المعتل تحذف في المضارع والأمر بغرض الخفة في النطق مثل: "وَعَدَّ، يَعِدُّ، عَدَّ" و "وَقَفَّ، يَقِفُّ، قَفَّ" و "وَرَدَّ، يَرُدُّ، رَدَّ" لكن الأفعال التي فاؤها همزة لا تحذف فاؤها في المضارع والأمر "أَمَرَ، يَأْمُرُ، أَوْمَرُ" و

(١) الممتع الكبير في التصريف، ص ١٥٤-١٥٧.

(٢) المحيط، ج ٣، ص ١٨٣.

(٣) م، ج ١٠، ص ١٦٢.

(٤) م، ج ٦، ص ٣٠٣.

(٥) الممتع الكبير في التصريف، ص ٢٢١، وانظر هذه الرسالة، ص ٣٣.

(٦) التهذيب ج ١، ص ٥٠.

(٧) الممتع الكبير في التصريف، ص ٢٧٩.

(٨) علم اللغة العام، كمال بشر، ط ٥، دار المعارف، مصر، القاهرة، ١٩٧٩م، ص ٧٥.

"أَمَلٌ، يَأْمَلُ، أَمَلٌ" و "أَسَفٌ، يَأْسَفُ، أَسَفٌ" وأن حرف العلة يحذف من الأجوف في المضارع المجزوم والأمر حتى لا يلتقي ساكنان "قَامٌ، سَارَ، بَاعَ، نَامَ" تصبح "لَمْ يَقُمْ، فَلَيْسَ، لَيْبِعُ، لَمَّا يَنْعَمُ" وفي الأمر "قُمْ، سِرْ، بَعْ، تَمْ". أما الهمزة إذا كانت عين الفعل فإنها لا تحذف في المضارع المجزوم ولا الأمر "سَامٌ، بَأَسَ، رَأَسَ، ضَانَ، رَأَفَ" "لَمْ يَسَامَ، اسَامَ، لِيَرَأَسَ ارَأَسَ، كَمَا يَضَانُ اضْأَنُ، لا تُرَأَفُ ارَأَفَ".

وتحذف أحرف العلة من الفعل الناقص في المضارع المجزوم والأمر "سَعَى، دَعَا، قَضَى، سَمَا، بَنَى" تصبح "لَمْ يَسْعَ، لَمْ يَدْعُ، لَمَّا يَقْضِ، لَيْسَنَمْ، لا تَدْنُ" "اسْعَ، اذْعُ، اقْضِ، اسْمُ، ابْنُ" أما إذا كانت الهمزة لام الفعل فلا تحذف في الحالتين كليهما "جَاءَ، قَرَأَ، دَرَأَ، نَسَا" "لَمْ يَلْجَأَ، لِيَقْرَأَ، لا يَدْرَأُ، لَمْ يَنْشَأُ" "الْجَاءُ، اقْرَأَ، اذْرَأَ، انْشَأَ".

أما إذا انتقلنا إلى اللفيف بنوعيه المفروق والمقرون فإننا لا نجد أفعالا من اللفيف متضمنة همزتين أصليتين من أحرف الفعل الأصلية، علما أن حرفي العلة في اللفيف المفروق يحذفان في المضارع المجزوم والأمر، وتحذف لام اللفيف المقرون في المضارع المجزوم والأمر.

ولا يقتصر صحة ما ذهبنا إليه على الأفعال بل تظهر صحته في الأسماء كذلك، فلام الأسماء المنقوصة تحذف في حالتي الرفع والجر إذا لم تضاف أو تعرف بال، أما الأسماء التي لامها همزة فلا تحذف الهمزة فيها سواء أكانت مرفوعة أم منصوبة أم مجرورة.

قال صاحب: إن الهمزة يطرأ عليها قلب بالتسكين حالها حال أحرف العلة، وهذا القول لا ينسجم مع علم التصريف في العربية، فنحن نعلم أن الكسرة في كلمة "يَبِيعُ" هي حركة للياء لا للباء "يَبِيعُ" والضممة في "يَقُومُ" حركة للواو لا للقاف "يَقُومُ" نقلت الحركة من حرف العلة إلى الحرف السابق عليها في المضارع لكي لا يلتقي ساكنان ثانيهما حرف علة، أما الأفعال التي عينها همزة فلا تنتقل حركتها إلى ما قبلها في المضارع "سَأَلَ يَسْأَلُ، بَارَكَ يَبَارِكُ".

الإعلال بالقلب من البراهين التي أوردتها صاحب في عدم البدء بالهمزة. فالهمزة تقلب إلى الواو والياء كما أن الياء والواو تقلبان إلى همزة وهو الأشيع فالهمزة تقلب إلى واو في مواقع عديدة بعضها قياسية وبعضها سماعية لا يقاس عليها فنقلب الهمزة بلطراد واوا إذا كانت مفتوحة وضم ما قبلها أو كانت ساكنة وضم ما قبلها، وتقلب في الجمع الذي لا نخلير له في الأحاد ويشترط أن يكون محتويا على همزتين بعد ألف مثل "ذوائب فسي جمع ذؤابة، أصله ذائب" ولا يلزم ذلك وإنما تبدل الهمزة واوا قصدا للتخفيف، ويلزم قلب الهمزة واوا في التثنية والجمع بالألف والتاء والنسب "صحراوان وصحراوات وصحراوي".

وهناك مواضع أقل شهرة من هذه أشار إليها ابن عصفور<sup>(١)</sup>.

(١) اللمتع في التصريف، ص ٢٤١-٢٤٢.

وتقلب الهمزة ياء إذا كانت مفتوحة وكسر ما قبلها، أو ساكنة وكسر ما قبلها وإذا كانت مضمومة وكسر ما قبلها، ولا يلزم قلبها وإنما القصد من القلب التخفيف ويلزم قلبها ياء إذا وجد في الكلمة همزتان متتاليتان وحركت الثانية بالكسر. وقد فصل القول في مواضع قلبها ابن عصفور<sup>(١)</sup>.

والإبدال بين الحروف صفة ملازمة لمعظم الأحرف الصحيحة، وليس مقصوراً على الهمزة، فالنون تبدل بالميم "أَنْضَحَتْ وَأَمْضَحَتْ" والذال تبدل بالثاء "تَلْعَنُكُمْ وَتُلْعَنُكُمْ" وتبدل القاف بالكاف "كَحَطَّ وَقَحَطَّ" وغيرها من الأمثلة الكثيرة التي سناقشها في الموضوع المخصص للإبدال إن شاء الله.

والهمزة تبدل من أحرف صحيحة، فهي تبدل من الهاء "مَوْءٌ مِنْ مَاءٍ" "أَرَأَقٌ مِنْ كَرَأَقٍ" وتبدل من العين "أَبَابٌ وَعُغَابٌ".

والإعلال بالقلب يكون من الواو والياء إلى الهمزة أكثر، ولا سيما في صيغ مخصصة منها: اسم الفاعل من الثلاثي مثل: قائم من قاوم، وسائر من ساير، ومنتهى الجموع مثل: عزائم من عزائم، وعجائز من عجاوز، وفي الأسماء المختومة بألف زائدة وهمزة مثل: بناء من بناي، ورجاء من رجاو.

ونستخلص القول إن الهمزة حرف صحيح صامت وليس حرف علة ولذلك فإننا لا نؤيد الصاحب في وضعه الألفاظ المهموزة في بابي المعتل واللفيف. وسمت العربية ونسج ألفاظها يرينا أن السبب الذي دعا الصاحب والخليل من قبله وغيرهما البدء بالعين والعدول عن البدء بالهمزة هو سبب صرفي لا صوتي لأننا مسلمون بشيوع ظاهرة الإعلال بالقلب بين الهمزة وأحرف العلة وهذه الحقيقة المسلم بها ستكون عائقاً لدى الصاحب في تطبيق فكرة التقليل لأن الهمزة غلبت أن تقلب إلى أحد أحرف العلة إذا جاءت عينا أو لاما.

وشابه رأي غالب المطلبي ما ذهبنا إليه حينما حلل موقف الخليل في جعله الهمزة من حروف العلة " وفي الحق أن التجارب المخبرية قد أثبتت صحة هذا الرأي، إذ لوحظ أن الهمزة صوت غير مستقر أصلاً، وأنه شبيه بأصوات المد الطويلة وأنصاف المد في بعض الأحيان، وعلى أي حال كانت فكرة التغير والانقلاب والسقوط في هذه الطائفة من الأصوات في أثناء التصريف، هي المعيار الذي جعل الخليل يجمعها في طائفة واحدة أطلق عليها كما مر بنا سابقاً مصطلح المعتلة"<sup>(٢)</sup>.

هذا مجمل ما قاله الصاحب في الهمزة أما الأدلة التي أتى بها لعدوله عن البدء بالهاء مع اعترافه في تقدمها في المخرج أن الهاء صوت مهتوت وفيه ضعف وخفاء، فهذه حجة واهية؛ لأن هنالك أصواتاً في العربية فيها ضعف وخفاء كالحاء والثاء، فهل يعقل أن نؤخر مخرج الحاء على الخاء لأن فيها خفاء، ونجعل الميم قبل الفاء للسبب نفسه؟

(١) الممتع الكبير في التصريف، ص ٢٥١-٢٩٢.

(٢) غالب فاضل المطلبي، في الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المد العربية، الجمهورية العراقية، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨٤، ص ٧٤.

وأما قوله إن الهاء تحذف أحرف المد واللين وتزداد زيادتها، فإن مواقع زيادة الهاء في الطرف محدودة جداً، فوَقوع الهاء زائدة في بداية الكلمة محصور في ست كلمات<sup>(١)</sup> وأثير حولها خلاف بين اللغويين.

وأما زيادتها في الطرف الأخير من الكلمة فلا يأتي إلا لأغراض لغوية وصوتية، فالهاء تلحق فعل الأمر من الليف المفروق كي لا تكون الكلمة حرفاً منفرداً، فأقل ما تكون عليه الكلمة حرفان؛ حرف يبدأ به، وحرف يوقف عليه، وتأتي لتبيان الحركة ولا سيما ياء المتكلم "هلك عني سلطانيه"<sup>(٢)</sup>.

وتأتي زائدة في أسلوب الندبة ونظيره، وقد يستغني عنها في مواضع الزيادة ولا سيما الموضوعين الأخيرين.

وأما قوله: إن الهاء تبدل من الهمزة فليس مسوغاً قويا لعدم بدئه بها، لأن العين - التي ارتضى أن يبدئ بها - تبدل من الهمزة. فقد قال ابن فارس: "أن العننة التي تذكر عن تميم، فقلبهم الهمزة في بعض كلامهم عينا، يقولون: سمعت عن فلاناً قال كذا، يريدون أن"<sup>(٣)</sup> ومن أمثلة إبدالها من الهمزة ما أورده صاحب نفسه في معجمه "انقشأ وانقشع"<sup>(٤)</sup>، ناط ونعط<sup>(٥)</sup>، وتزأزأ وتزعزع<sup>(٦)</sup>."

وأورد صاحب أمثلة تفيد أن العين تبدل من الغين "لعو ولغو"<sup>(٧)</sup>، العيم والغيم<sup>(٨)</sup> وتبدل من الهاء "مسرعد ومسريد"<sup>(٩)</sup>، عمثيل وكمثيل<sup>(١٠)</sup> "وتتبادل مع الحاء" بعثر<sup>(١١)</sup> وبحثر<sup>(١٢)</sup>."

أما قوله إن العين لها لذة في السماع ونصاعة في الجرس ووفرة في الاستعمال، فهذا رأي فردي أتى به ليقوي حجته للبدء فيها، وقد مائل صاحب في هذا الرأي الخليل<sup>(١٣)</sup>. مقولة صاحب - التي تبع فيها الخليل - "فلما كان كذلك عدل عنهما إلى العين. ويقوي الابتداء بها أيضا أنها - مع كونها على ما وضعنا - أنصع الحروف جرسا وألذها سماعا، حتى لا تدخل في بناء إلا حسنته، ولذلك كثر تردها في كلامهم، حتى لا باب أكبر من العين"<sup>(١٤)</sup>

(١) "لمهة ومجرع، وهركولة، وهبلع، وأهراق، وأهراج، الممتع في التصريف ص ١٤٨.

(٢) سورة الحاقة آية ٢٩، انظر الكتاب سيبويه، ١٦١/٤، وابن عصفور، الممتع في التصريف، ص ١٣٩.

(٣) الصحابي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها.

(٤) المحيط، ج ٥، ص ٤٥٩.

(٥) م.ن، ج ٩، ص ٢٢٢.

(٦) م.ن، ج ٩، ص ١١٣.

(٧) م.ن، ج ٢، ص ١٥٥.

(٨) م.ن، ج ٢، ص ١٨٢.

(٩) م.ن، ج ٢، ص ٢٤٩.

(١٠) م.ن، ج ٢، ص ٢٧١.

(١١) م.ن، ج ٢، ص ٢٧٠.

(١٢) م.ن، ج ٣، ص ١١٦.

(١٣) العين ج ١، ص ٥٣.

(١٤) المحيط، ج ١، ص ٦١.

فإننا نقول وبالله التوفيق:-

إذا رأى صاحب أن العين أذ الحروف سماعاً وأنصعها جرساً، فإن غيره قد يرى أن الراء أذ سماعاً وأنصع جرساً، فما هو الخليل يرى أن نضاعة الجرس ولذة السماع ليست مقتصرة على العين بل إن القاف شاركتها في ذلك " وهذه الأحرف قد عرين من الحروف الذلق، ولذلك نزرن فقللن. ولولا ما لزمهن من العين والقاف ما حسن على حال. ولكن العين والقاف لا تدخلان في بناء إلا حسنتاه. لأنهما أطلق الحروف وأضخمهما جرساً، فإذا اجتمعا أو أحدهما في بناء حسن البناء لنصاعتهما"<sup>(١)</sup>.

وقوله إنها أكثر دوراناً على الألسن ووفرة في الاستعمال، فلا باب أكبر من بابها فقوله مسلم به وفقاً لترتيب معجمه؛ لأنه أورد حرف العين في الأبنية جميعها مع الأحرف كلها مورداً لتقليباتها، فيكون قوله مردوداً إذا بدأ بحرف آخر، فليكن الراء مثلاً فإن صاحب لو بدأ بحرف الراء وذكر تقليباته مع الأحرف جميعها ضمن أبنية كلام العرب وأبوابه لكانت الراء أكثر وروداً في كلام العرب، وقد استنتجت هذه الحقيقة من قراءتي لمعجم المحيط وكثرة ورود ألفاظ يكون حرف الراء أحد أحرفها الصحيحة.

ترتيب صاحب الصوتي لمعجمه يؤيد ما ذهبنا إليه أن الهاء أحق في البدء من العين فلم يعد صاحب الهاء حرفاً من حروف العلة ولم يضع ألفاظها في الأبواب المعتلة ولا اللفيف حالها حال الهمزة، كما أنه لم يؤخر بابها كما أخر باب الأحرف الهوائية بل جعلها كتاباً بعينه لها باب ثنائي مضاعف. وثلاثي صحيح، وثلاثي معتل ولفيف ورباعي وخماسي، فهل كان صاحب محققاً في تأخير الهاء عن مخرجها لأنها تزداد في طرفي الكلام وفق مواضع محدودة؟!

فالزيادة ليست سمة اختصت بها الهاء دون غيرها من الحروف الصحيحة، فالسين والتاء والميم والنون أحرف صحيحة إلا أنها أتت زائدة في مواضع مخصوصة من الكلم.

منهج صاحب في مقدمته مغاير لمنهجه في مناقشة المواد اللغوية في أبواب كتابه، إذ ماثل أسلوبه فيها أسلوب علماء الكلام والجدل. إذ افترض مناظرة ومحاورة بينه وبين المناوئين لمنهجه الصوتي وطريقته في تقسيم أبواب كتابه، وهذا جلي في طرح أسئلة المناوئين وإتيانهم بدلائل لغوية وصوتية وغيرها لإثبات حجته ودحض براهين خصومه، وهذا بين في عباراته التي كرر فيها كلمات بعينها ومنها: " فإن قال قائل: ؟...، قيل له. فإن قال: ؟...، قيل له. فإن قال قائل: ؟...، ونحن نقول وبالله التوفيق"<sup>(٢)</sup>.

(١) العين، ج ١، ص ٥٣.

(٢) المحيط، ج ١، ص ٥٨-٦١.

## الفصل الثاني: تحليل أبواب المحيط

رتب الصاحب معجمه حسب مخارج الأصوات فجعل لكل صوت أو حرف ستة أبواب رئيسية، وأشرنا إلى أن الصاحب اتكأ في جعل أبواب الحرف ستة أبواب على مقياس الجذرية في العربية واحتواء الألفاظ على أحرف صحيحة أو معتلة، وكانت أبواب حروف العربية وفق تقسيمه هي: - باب المضاعف الثنائي، وباب الثلاثي الصحيح، وباب الثلاثي المعتل، وباب اللفيف وباب الرباعي وباب الخماسي.

وأول صوت يطالعنا في المحيط صوت العين الذي ارتضى الصاحب أن يكون أول حرف أو صوت يبتدئ به معجمه، وقد احتوى حرف العين على الأبواب الستة جميعها ومائلته في ذلك أصوات الحاء والهاء والخاء والغين والقاف والكاف والجيم والشين والسين والزاي.

معرفة منهج الصاحب في تقسيم حروف العربية وأبوابها حرية بمن أراد البحث عن معنى لفظة من ألفاظ العربية، فلا يستطيع أي باحث أن يستوضح معنى لفظه من معجم المحيط دون أن يعرف أسسه التي قسم الصاحب وفقها أحرف كتابه وأبوابه.

١- النظام الصوتي الذي رتب الصاحب أبوابه وفقه يقتضي أن يكون ترتيب حروف العربية في المحيط كالتالي:

ع، ح، ه، خ، غ، ق، ك، ج، ش، ض، ص، س، ز، ط، د، ت، ظ، ذ، ث، ر، ل، ن، ف، ب، م، ي، و. [الهمزة]

٢- معرفة الجذر أو مجرد اللفظة من مزيدها؛ لأنها تبين الباب الذي تنتمي إليه اللفظة المراد البحث عنها، وينطوي تحت هذا الأساس معرفة الألفاظ الصحيحة من المعتلة لأن الجذر الثلاثي ينقسم إلى ثلاثة أبواب؛ باب الثلاثي الصحيح، وباب الثلاثي المعتل، وباب اللفيف.

٣- نظام التقلبيات: - لا يستطيع الباحث معرفة موضع اللفظة - إلى أي الأحرف تنتمي - إذا لم يكن مدركاً لفكرة التقلبيات عنده "قَه، كَه، هَض، جَه، هَس، شَه، صَه، هَس، هَز، زَه، طَه، دَه، هَت، هَد، رَه، هَل، نَه، قَه، هَب، بَه، هُم، مَه" فهذه الألفاظ جميعها وفق مبدأ التقلبيات تعود إلى الباب الثنائي المضاعف من باب الهاء.

وألفاظ (عَهَب، عِرَه، قَلَه، كَهَل، كِرَه، جَهَل، جِبَه، شَهَد، شَفَه) تعود جميعها إلى باب الثلاثي الصحيح من حرف الهاء؛ لأن الهاء في ترتيب الصاحب متقدمة في المخرج على الباء والتاء والثاء والجيم والخاء والذال والذال والراء والزاي والسين والشين إلى آخر الحروف، فهي وفقاً لترتيب الصاحب لا يتقدم عليها سوى العين والحاء.

ووفقاً لمبدأ التقلبيات عادت (كِرَه، وِسْفَه، وِرْفَه، وِبْلَه، وِطْلَه...) إلى باب الثلاثي الصحيح من الهاء مع أنها لام الكلمة وليست فاءها وهذا القول ينطبق على الألفاظ التي كانت عينها هاء (قَهَر، وِرَهَن، وِلَهَج، وِنَهَر، وِدَهَب، وِظَهَر...).

" فإذا سئلت عن كلمة وأردت أن تعرف موضعها، فانظر إلى حروف الكلمة، فمهما وجدت منها واحدا في الكتاب المقدم فهو في ذلك الكتاب" (١) ويعني بالكتاب الحرف أو الصوت.

ويرتبط بمعرفة موضع اللفظة وفق أسس صاحب تجريد الألفاظ من الأحرف المزبدة وردّها إلى أصلها ومعرفة مواقع الإعلال والإبدال الواقعين على الألفاظ، فالألفاظ (أَنْصَلُّ، وَأَنْفَقُ، وَأَنْسُرُ) تعود إلى الثلاثي المعتل (وَصَلَّ، وَفَقَّ، يَسْرُ) إلا أن (وَفَقَّ) تعود إلى باب الثلاثي المعتل من حرف القاف، لأن القاف متقدمة على الفاء في المخرج، و(وَصَلَّ) تعود إلى باب الثلاثي المعتل من حرف الصاد؛ لأنها متقدمة على اللام في المخرج، و(يَسْرُ) تعود إلى باب المعتل الثلاثي من السين؛ لأنها متقدمة على الراء في المخرج.

ومعرفة الإبدال تفيد في رد التاء إلى الحرف الذي أبدلت منه وهما الواو والياء.

أما الإعلال فمواضعه عديدة في العربية ومن تلك: (ميعاد، ميقات، مؤسر) فالمعرفة بالإعلال تعين الباحث على رد هذه الألفاظ إلى باب المعتل من الثلاثي و(ميعاد) ترد إلى (وَعَدَّ) في باب الثلاثي المعتل من العين؛ لأن العين متقدمة على الـدال في المخرج، و(ميقات) ترد إلى (وَقَّتْ) في باب الثلاثي المعتل من حرف القاف؛ لأنها أسبق من التاء مخرجا، و(موسر) ترد إلى باب المعتل من السين (يُسْرُ).

ومعرفة أن المضاعف الرباعي والمضاعف الثلاثي وضعهما صاحب في باب المضاعف الثنائي، "فالعَقُّقُ والعَقُّقُ" وضعهما في باب الثنائي المضاعف "عَقَّ" (٢).

ولتوضيح منهج صاحب في تقسيم أبوابه وتبيان مفهومه لكل باب، فإنني سأقوم بوصف أبوابه الستة بابا بابا.

### " باب الثنائي المضاعف "

عرض صاحب في مقدمته أصناف الكلام في العربية وجعل أولها الثنائي وذلك في قوله: " فأما الثنائي، فإنه يجيء على ضربين: ربما جاء وأصله ثلاثة، نحو، كَمْ، وَقَمْ وَسَقَفَه. ويتبين منه ما هو بالتصريف. وربما جاء ولا أصل له في الثلاثي، نحو: الأدوات وأسماء الزجر والحكايات، مثل: مِنْ، وَعَنْ، وَصَه، وَمَه، وَطَقَّ، وَفَه" (٣).

ولكنه حينما ناظر مناوئيه في عدم ابتدائه بالثنائي وعدوله عنه وابتدائه بالثلاثي فإننا نستنتج أن الثنائي المضاعف عند صاحب هو ثلاثي في الأصل، ومما يؤيد ما ذهبنا إليه ابتداء صاحب بالثنائي المضاعف وذلك بين في قوله: " فلم لم يبتدئ بما كان على حرفين نحو: من وصه؛ إذ كان أول الأبنية؟ قيل له: الثنائي قليل المورد في الكلام؛ مضبوط العدد في الإحصاء، حتى لم يجيء إلا أداة أو ما شاكل الأداة أو ندها أو حكاية، ولم يكن له تصريف مع هذا، لأن أكثر ما له القلب؛ وقلما يتفق استعماله على وجهين. فلما كان كذلك عدل عنه إلى الأكثر مباني ومعاني؛ والأوفر حظا من التصاريف وقسما،

(١) العين، ج ١، ص ٤٧.

(٢) المحيط، ج ١، ص ٦٨.

(٣) من، ج ١، ص ٥٧.

وهو الثلاثي<sup>(١)</sup>، فهل كان الثنائي المضاعف عند صاحب مقتصرًا على الأدوات والحكايات والزجر والندبه أم تعداها إلى الثلاثي والرباعي؟  
قبل أن أناقش هذا التساؤل أريد أن أتوقف عند أسلوب صاحب في البدء بالثنائي المضاعف.

غلب على صاحب بدوئه الثنائي المضاعف بحكايات الأصوات<sup>(٢)</sup> ومن ذلك:  
العين والجيم بالعجعة " العَجَّ والعَجَّيْجُ: رفع الصوت وهدير الإبل"<sup>(٣)</sup>، وبدؤه باب المضاعف من القاف والهاء بالفهقهة "ضرب من الضحك فهقه، وَقَّة الضاحك"<sup>(٤)</sup>، وبدؤه باب المضاعف من الحاء والفاء بالفحيح " الفَحْحِيحُ من أصوات الأفاعي في نضضة"<sup>(٥)</sup>.

وإذا لم يبتدئ بحكاية صوت كان يبدأ بالاسم المشتق من المادة<sup>(٦)</sup>.  
ومن ذلك قوله: "عش: العُشُّ للطير في رؤوس الشجر"<sup>(٧)</sup>.  
وقوله: "الشَطُّ: النهر معروف"<sup>(٨)</sup>.

وقل ابتداءً صاحب بالجمال سواء أكانت فعلية<sup>(٩)</sup> أم اسمية<sup>(١٠)</sup>، ومثال بدئه بالجملة الفعلية قوله " زَفَّت العروس إلى زوجها زَفًّا"<sup>(١١)</sup>.

ومثال بدئه بالجملة الاسمية قوله "امرأة ضُكْضَاكة: مُكْتَبِرَةُ اللحم"<sup>(١٢)</sup>.  
اقتضت الإجابة عن التساؤل الذي طرحناه سابقاً أن نستقصي أوجه المضاعف الثنائي وأن نسبر أغوار أبنيته لنتبين أضرابها المختلفة:  
تضمن المضاعف الثنائي عدداً لا بأس به من أضراب الكلام وأبنيته، وسأحاول إجمالها في ما يلي:

- 
- (١) المحيط ج ١، ص ٥٩.
  - (٢) انظر مادة (هـ، ٥)، م، ج ٣، ص ٣١٦-٣١٧، ومادة حق، م، ج ٤، ص ١٤٩، ومادة كش، م، ج ٦، ص ١٢١، ومادة نش، م، ج ٩، ص ٢٦٤.
  - (٣) م، ج ١، ص ٧٣.
  - (٤) م، ج ٣، ص ٣٠٧.
  - (٥) م، ج ٢، ص ٣٢٠.
  - (٦) انظر مادة قع، المحيط، ج ١، ص ٦٩، ومادة حق، ج ٢، ص ٢٨٦، ومادة هش، ج ٣، ص ٣١١، ومادة زر، ج ٥، ص ٢٠٤.
  - (٧) مادة لظ، ج ١٠، ص ١١.
  - (٨) م، ج ١، ص ٧٥.
  - (٩) م، ج ٧، ص ٢٥٠.
  - (١٠) انظر مادة عق، م، ج ١، ص ٦٨، ومادة عش، م، ج ٤، ص ٤٩٤، ومادة لثام، م، ج ١٠، ص ١٢٥.
  - (١١) انظر مادة عزة، م، ج ١، ص ١١٠، ومادة هس، م، ج ٣، ص ٣١٤، ومادة شم، م، ج ٤، ص ٥٢٢.
  - (١٢) م، ج ٨، ص ١٦.
  - (١٣) م، ج ٦، ص ١٢٣.



١- الألفاظ المكونة من حرفين أصليين غير مضعفين ولا مكررين ونعني بذلك: أسماء الحكايات وذلك في قوله: "الدَّقْدَقَةُ: أصوات حوافر الدواب" (١) "كَةَ حكاية الكَهْكَهَةِ، جَهَ: حكاية الجَهْجَهَةِ؛ وهو صياح الأبطال في الحرب" (٢).

وأسماء النذرة "قَصَّصَ بالجرو: إذا دعاه" (٣) "ره، رَهْرَهَ بالمعزى: وهو دعاؤها إلى الماء" (٤).

وأسماء الزجر "عه، عَهَّهَتْ بالضأن زجرتها" (٥) "صَهَ: كلمة سكوت وزجر" (٦).

والأدوات "هَلْ: حرف استفهام" (٧) "كَمْ: حرف مسألة عن عدد وخبر" (٨).

٢- فعل مجرد عينه ولامه متماثلتان مشددتان أي أن حرفه الثاني مشدد (٩) "سَنَّ يبله: إذا أحسن رعيته" (١٠).

وإذا اتصلت بالأفعال ضمائر الرفع التي يجب أن يفك إدغام الأفعال (١١) إذا ما اتصلت بها فإن صاحب لم يخرجها من الثنائي المضاعف.

"رُسَسْتُ فَلَانًا بالحديث أُرْسَهُ: إذا كررته عليه" (١٢)

٣- الفعل المجرد الثلاثي الذي تتماثل فيه فاؤه ولامه.

"سَلِسَتِ النَّخْلَةَ تَسْلُسُ سَلْسًا: إذا ذهب كربها" (١٣)

٤- الاسم المجرد الذي ضعف فيه حرفه الثاني:

"الشَّكُّ: نقيض اليقين، شَكَّكَنِي أَمْرُكُ، وَأَمْرُكَ يَشْكُ عَلَيَّ" (١٤).

٥- الاسم المجرد الذي كرر حرفه الثاني

"البَلَلُ: الرطوبة، وكذلك البِلَالُ" (١٥) "وَأَمْرُ جَلَلٍ: عظيم وصغير" (١٦).

(١) المحيط، ج ٥، ص ١٩٨.

(٢) م.ن، ج ٣، ص ٣١١، ٣٠٨.

(٣) م.ن، ج ٥، ص ١٨٧.

(٤) م.ن، ج ٣، ص ٣٢١.

(٥) م.ن، ج ١، ص ٦٦.

(٦) م.ن، ج ٣، ص ٣١٤.

(٧) م.ن، ج ٣، ص ٣٢١.

(٨) م.ن، ج ٦، ص ١٥٢.

(٩) انظر مادة هر، م.ن، ج ٣، ص ٣١٩، ومادة رك، م.ن، ج ٦، ص ١٤٠.

(١٠) م.ن، ج ٨، ص ٢٤٩.

(١١) انظر مادة كل م.ن، ج ٦، ص ١٤٢، ومادة شك، م.ن، ج ٦، ص ١٢٢.

(١٢) م.ن، ج ٨، ص ٢٤٢.

(١٣) م.ن، ج ٨، ص ٢٤٥.

(١٤) م.ن، ج ٦، ص ١٢١.

(١٥) م.ن، ج ١٠، ص ٣٠٢.

(١٦) م.ن، ج ٦، ص ٤٠٧.

٦- الاسم الثلاثي المجرد فاؤه ولامه متماثلتان.

" الكَعَكُ: الخبز اليابس" (١) "السَّلْسُ: القُرْطُ من الحَلْي" (٢).

من اليقين أن معظم تلك الأقسام من الأفعال والأسماء تعود إلى المبنى الصرفي الثلاثي وليس الثنائي، وقد أشرنا إلى أن الصاحب يرى أن المضاعف الثنائي هو ثلاثي بالأصل.

٧- الأفعال والأسماء الرباعية التي تكرر فيها الحرفان الأصليان، إذ إن المضاعف الثنائي عنده لم يقتصر على الثلاثي المجرد. وإنما تعداه إلى الرباعي من الأفعال والأسماء ومن أمثلة الأفعال التي تكرر فيها الحرفان الأصليان قوله: "هَبَّهَبَ السراب: تَرَقَّرَق" (٣) "رَقَّرَقَ الرجل: ضَحِكَ ضَحْكَاً ضَعِيفاً" (٤).

ومن أمثلة الأسماء المجردة الرباعية التي تكرر فيها الحرفان الأصليان قوله:

"الضَّمْضَمُ: الشَّدِيدُ الغَلِيظُ من الإبل" (٥) "الهَدَّهَدُ: طائر" (٦).

نلاحظ أن مقياس الصاحب في المضاعف الثنائي هو احتواء الألفاظ على الحرفين الأصليين سواء كان أحدهما مكرراً أم مضعفاً أم كان حرفاه كلاهما مكررين، ولذلك عد الأفعال والأسماء المزيدة مضاعفة إذا ما احتوت على الحرفين الأصليين، وهذا جلي في اعتباره الأسماء والأفعال المزيدة مضاعفة ثنائية:

- فعل مزيد بحرف سواء أكان من أحرف الزيادة أم من التضعيف

"أَلَبَّ لي كذا: أي عَنَّ وعرض" (٧) "كَلَّلَ الرجل: إذا ذهب وترك عياله" (٨).

- فعل مزيد بحرفين.

اسْتَلَّ فلان بكذا: ذهب به خفية" (٩) "اهْتَزَّ النبات: طال" (١٠).

- فعل مزيد بثلاثة أحرف

"اسْتَهَشَّنِي الشيء: اسْتَخَفَّنِي" (١١) "اسْتَكَفَّ القوم: أَحْدَقُوا بالشيء" (١٢).

- الفعل الرباعي المزيد

(١) المحيط، ج ١، ص ٧٢.

(٢) م، ج ٨، ص ٢٤٥.

(٣) م، ج ٢، ص ٣٢٦.

(٤) م، ج ٥، ص ١٩٣.

(٥) م، ج ٧، ص ٤٤٤.

(٦) م، ج ٢، ص ٣١٦.

(٧) م، ج ١٠، ص ٣١١.

(٨) م، ج ٦، ص ١٤٢.

(٩) م، ج ٨، ص ٢٤٤.

(١٠) م، ج ٢، ص ٣١٤.

(١١) م، ج ٣، ص ٣١٢.

(١٢) م، ج ٦، ص ١٤٦.

"تَقَطَّقَ فِي الْبِلَادِ: ذَهَبَ فِيهَا"<sup>(١)</sup> "تَزْدَرَدُ الرَّجُلَ لِلْقِيَامِ: تَحْرِكُ"<sup>(٢)</sup>.

- اسم مزيد بحرف سواء أكان من أحرف الزيادة أو التضعيف.

"طَرِيقٌ مَمْلٌ: أَي مَسْلُوكٌ، اللَّبَابُ: سَمَكَةٌ ضَخْمَةٌ رِقْطَاءٌ طَوِيلَةٌ"<sup>(٣)</sup>.

- اسم مزيد بحرفين.

"التَّهْدَهُدُ وَالزَّهْدَادُ: مِنَ الْوَعِيدِ"<sup>(٤)</sup> "التَّجْفَافُ: مَعْرُوفٌ"<sup>(٥)</sup>.

- اسم مزيد بثلاثة أحرف

"فَلَانٌ ذُو أَمَالِيلٍ: أَي يَمَلُ إِخْوَانَهُ بَشْرَهُ"<sup>(٦)</sup>.

- اسم رباعي مزيد

"وَمَا فِي جَوْفِ التَّنِينِ: مُجَلَّجَانٌ"<sup>(٧)</sup> "النَّسْنَسُ: الْجَوْعُ"<sup>(٨)</sup>.

لم يضع صاحب الضرب الأول من الثنائي في باب الثنائي المضاعف، وإنما وضعه في باب المعتل، ونعني بالضرب الأول الذي حذف ثالثه ولا يعرف محذوفه إلا بوساطة علم التصريف، مثل: دَمٌ، وَكَمٌ، وَشَفَهُ<sup>(٩)</sup>.

التزم صاحب نظام التقلبات في باب الثنائي المضاعف للأحرف جميعها، فقد كان يبدأ بالألفاظ التي يكون حرفها الأول أو كتابها الأول هو الحرف المتناول في العرض والبحث ثم يذكر ألفاظاً تقلبيه، فباب الثنائي من العين كان يبدأ بالألفاظ التي تكون فاؤها حرف العين وبعد أن ينتهي من ذكر ألفاظه جميعها ينتقل إلى ذكر ألفاظ مقلوبها "عَقَّ وَقَعَّ، عَكَ وَكَعَّ، وَعَفَّ وَقَعَّ، وَعَنَّ وَنَعَّ، عَمَّ وَمَعَّ".

"باب الثلاثي الصحيح"

بعد باب الثلاثي الصحيح من أكثر الأبواب وروداً في الكلام وأيسرها في النطق وأطوعها لعوامل التوسع في العربية، فنحن نجد أن الاشتقاق والإبدال والقلب أكثر ما يكون في الثلاثي بالإضافة إلى أن النحت يغلب عليه أن ينحت من أصلين ثلاثيين.

تناول صاحب الثلاثي الصحيح مرتين في مقدمته، إذ عرف الثلاثي عندما عرض لأقسام كلام العرب "والثلاثي: نحو قولك من الفعل: ذَهَبَ وَضَرَبَ، ومن الاسم: حَجَزَ وَكَسَجَرَ"<sup>(١٠)</sup>. أما المرة الأخرى التي خصص القول فيها عن الثلاثي الصحيح فكانت عندما

(١) المحيط، ج ٥، ص ١٩٥.

(٢) م، ج ٩، ص ٩.

(٣) م، ج ١٠، ص ٣١٠، ٣١٨.

(٤) م، ج ٢، ص ٣١٦.

(٥) م، ج ٦، ص ٤١٢.

(٦) م، ج ١٠، ص ٣١٩.

(٧) م، ج ٦، ص ٤٠٧.

(٨) م، ج ٨، ص ٢٥١.

(٩) م، ج ١، ص ٥٧.

(١٠) م، ج ١، ص ٥٧.

قسم أصناف الكلام من حيث احتواؤها على أحرف العلة أو خلوها منها "واعلم أن من الأبنية الصحيح والمعتل. فالصحيح: ما سلم في أصل بنائه من حروف العلل، وهي: الواو والياء والألف"<sup>(١)</sup>.

غلب على صاحب أن يبتدئ باب الثلاثي الصحيح بالاسم المجرد وذلك في قوله:  
"العِطْرُ: اسم جامع لأنواع الطيب"<sup>(٢)</sup> "القَهْرُ: العَلْبَةُ"<sup>(٣)</sup>.

وإذا لم يبتدئه باسم مجرد بدأه باسم مزيد "العَيْهَبُ: الظلمة، الغياهب السود، وليل عَيْهَبُ: مظلم"<sup>(٤)</sup> "الغاسِقُ: الليل"<sup>(٥)</sup>.

وكان يبتدئ بالفعل في مواضع محدودة "قَنِطُ يَقْنُطُ، وَقَنْطُ قَنُوطًا: هو اليباس من الخير"<sup>(٦)</sup>.

وقل ابتداء صاحب الجملة الاسمية أو الفعلية، ومن أمثلتهما قوله: "مَكَانٌ جَدَبٌ، جَدَبٌ جَدُوبَةٌ وَأَجَدَبَ الْمَكَانَ وَالْقَوْمَ وَالسَّنَةَ"<sup>(٧)</sup>.

"لَقَطَ الْإِنْسَانَ الشَّيْءَ يَلْقُطُ لَقْطًا: أخذه من الأرض"<sup>(٨)</sup>.

احتوى الباب الثلاثي الصحيح القسمين اللذين أشار إليهما صاحب وهما الاسم المجرد والفعل المجرد، وهذا بين في الأمثلة التي ذكرناها لتبيان منهجه في البدء بالثلاثي غير أن بحثنا في أبنية الثلاثي في المحيط وجدنا أنها قد تضمنت أبنية أخرى غير الفعل المجرد، والاسم المجرد وسأحاول التنبية عليها فيما يلي:-

- الاسم المزيد بحرف وحرفين وثلاثة أحرف وذلك في قوله:

"الْجَامِلُ: قطع من الإبل مَعَهَا رُعَاتُهَا"<sup>(٩)</sup> "النَّقْهَلُ: لين الصوت وخفضه"<sup>(١٠)</sup>  
"الْإِنْفِطَارُ: الاتصِدَاعُ فِي ظَاهِرِ الْأَدِيمِ"<sup>(١١)</sup>.

- الفعل الثلاثي المزيد بحرف وحرفين وثلاثة أحرف وذلك في قوله:

"جَاهَرْتَهُمْ بِالْأَمْرِ: عالمتهم به"<sup>(١٢)</sup> "اعْتَقَرَ مَا لَأَ وَأَخَا"<sup>(١٣)</sup> "اسْتَكْهَلَ الْكَاهِلُ: عظم"<sup>(١٤)</sup>.

(١) المحيط، ج ١، ص ٥٨.

(٢) م، ن، ج ١، ص ٤٠١.

(٣) م، ن، ج ٢، ص ٣٤١.

(٤) م، ن، ج ٢، ص ٣٣٩.

(٥) م، ن، ج ٤، ص ٥٢٨.

(٦) م، ن، ج ٥، ص ٣٢٩.

(٧) م، ن، ج ٧، ص ٥٢.

(٨) م، ن، ج ٥، ص ٣٢٤.

(٩) م، ن، ج ٧، ص ١٢١.

(١٠) م، ن، ج ٢، ص ٣٤٤.

(١١) م، ن، ج ٩، ص ١٦٣.

(١٢) م، ن، ج ٢، ص ٣٧٤.

(١٣) م، ن، ج ١، ص ١٥١.

(١٤) م، ن، ج ٢، ص ٣٥٧.

" اغْلَوَلَبَ العشب في الأرض: إذا بلغ كل مبلغ " (١).

- الأفعال والأسماء التي كرر فيها أحد الحرفين الأصليين

" قَهَقَرَ الرجل: ضحك، بمنزلة قهقهه " (٢) " المَكْرَكَس، المقيد " (٣).

- الأسماء التي ضعف فيها أحد أحرفها الأصلية وكرر حرف آخر.

" القَهْقَم: الفحل الضخم المفتل " (٤) " القَهْقَر: شديدة الصمغ " (٥).

- الأسماء التي تكرر حرفاها الأصليين

" الهَنْشَنْشَن: الخفيف " (٦) " الغَشْمَشْم: الجري الماضي " (٧).

التزم صاحب نظام التقلبات في هذا الباب وكان يبتدئ بذكر الألفاظ التي تكون فاؤها الحرف المعقود له الباب ثم ينتقل إلى ذكر ألفاظ تقلباتها الأخرى "باب الثلاثي الصحيح من باب الغين - الغين والسين واللام - غَسَلٌ، سَعَلٌ، سَلَعٌ، غَلَسٌ، لَغَسٌ" (٨) "باب الثلاثي الصحيح من باب الشين - الشين والراء والفاء - شَرَفٌ، رَشَفٌ، فَرَشٌ، رَفَشٌ، شَقَرٌ" (٩) "باب الثلاثي الصحيح من باب العين - العين والقاف والراء - عَقَرٌ، قَعَرٌ، عَرَقٌ، رَعَقٌ، قَرَعٌ، رَقَعٌ" (١٠).

لكن صاحب قد يبتدئ بذكر تقلبات المادة ويؤخر ذكر الألفاظ التي تكون فاؤها الحرف المعقود له الباب ففي باب الثلاثي الصحيح من حرف الغين (١١) - الغين والسين واللام - لم يبتدئ بذكر الألفاظ التي فاؤها غين وإنما ابتداء بالألفاظ التي فاؤها دال (دَغَمٌ) ثم انتقل إلى الألفاظ التي فاؤها ميم (مَعَدٌ) وبعد ذكر الألفاظ المشتقة من هذين التقلبيين ذكر الألفاظ التي فاؤها غين (غَمَدٌ).

وفي باب الثلاثي الصحيح من حرف الشين (١٢) - الشين والراء والنون - لم يبتدئ بالألفاظ التي فاؤها شين بل بدأ في الألفاظ التي فاؤها نون (نَشَرٌ) فالألفاظ التي فاؤها شين (شَنَرٌ) فالألفاظ التي فاؤها راء (رَشَنٌ) فالألفاظ التي فاؤها شين وعينها راء ولامها نون (شَرَنٌ)، فالألفاظ التي فاؤها نون وعينها راء (نَرَشٌ)، فقد رتب التقليب في هذا القسم من الباب (شَرَن) على التوالي "نَشَرٌ، سَنَرٌ، رَشَنٌ، شَرَنٌ" مع أن ترتيبه الصوتي يقتضي أن يكون ترتيب التقلبات على النحو التالي: "شَرَنٌ، سَنَرٌ، رَشَنٌ، نَشَرٌ" وفي

(١) المحيط، ج ٢، ص ٨٦.

(٢) م، ن، ج ٣، ص ٣٤١.

(٣) م، ن، ج ٦، ص ١٨٣.

(٤) م، ن، ج ٣، ص ٣٤٩.

(٥) م، ن، ج ٣، ص ٣٤١.

(٦) م، ن، ج ٣، ص ٣٩٤.

(٧) م، ن، ج ٤، ص ٥٤٥.

(٨) م، ن، ج ٥، ص ١٤-١٦.

(٩) م، ن، ج ٧، ص ٣٢٠-٣٢٥.

(١٠) م، ن، ج ١، ص ١٥٨-١٧١.

(١١) م، ن، ج ٥، ص ٤٥-٤٦.

(١٢) م، ن، ج ٧، ص ٣١٨-٣٢٠، وقابل باب الحاء والتاء والنون، م، ن، ج ٣، ص ٥٢-٥٣.

باب الثلاثي الصحيح من حرف الحاء والتاء والنون - بدأ يذكر الألفاظ التي فاؤها نون وعينها حاء<sup>(١)</sup> (نَحَتْ) فالألفاظ التي فاؤها حاء وعينها تاء (حَتْن) فالألفاظ التي فاؤها نون وعينها تاء (نَتَح) فالألفاظ التي فاؤها حاء وعينها نون (حَنْت).

فترتيب الصاحب لهذه التقلبات هو "تحت، حتن، نتح، حنت" مع أن ترتيب الأصوات حسب مخارجها يفترض أن يكون ترتيب التقلبات هكذا "حتن، حنت، نحت، نتح".

### " باب المعتل من الثلاثي "

عرض الصاحب للثلاثي المعتل في مقدمة معجمه فقال: " والمعتل: ما شاب حروفه حرف أو حرفان منها"<sup>(٢)</sup>.

والسمة المميزة للصاحب ابتداءه أبواب كتابه بالاسم وهذا القول ينطبق على باب المعتل من الثلاثي "العَوْص: الدخول تحت الماء"<sup>(٣)</sup> " السَهُو: الغفلة عن الشيء"<sup>(٤)</sup>.

وقد يبدأ الصاحب باب المعتل بالفعل المجرد "خَطَوْتُ خَطْوَةً وَاحِدَةً. والاسم الخُطْوَةُ"<sup>(٥)</sup> " ذُرَّ اللهُ الخَلْقَ يَنْزِرُهُمْ: أي خَلَقَهُمْ"<sup>(٦)</sup> ضم الصاحب الألفاظ الزائدة بمحاذاة الألفاظ المجردة كما فعل في بابي المضاعف والثلاثي الصحيح " الذَّافِكُنُ والذَّنْفَانُ: الموت"<sup>(٧)</sup> " تَخَاوَصَتِ النجوم: إذا صَغَتِ للغُور"<sup>(٨)</sup>.

أشار في تعريفه للمعتل إلى أن المعتل قد يحتوي على حرفين معتلين إلا أننا لم نجد أنه أورد من النوع الثاني تقلباً واحداً، فكل الجذور التي تحتسوي على الأحرف الأصلية محتوية على حرف معتل واحد، ولم نجد احتواء الألفاظ على حرفين معتلين إلا في المزيد.

" ناقةٌ نِيَافٌ وَجَمَلٌ نِيَافٌ: وهو الطويل في ارتفاع"<sup>(٩)</sup> " القَنَوَانُ، الضَّخْمُ التام القنائة والقامة"<sup>(١٠)</sup>.

عد الصاحب المهموز من باب الثلاثي المعتل فهو يرى أن الهمزة حرف معتل وليست حرفاً صحيحاً وقد أتى بالألفاظ فاؤها أو عينها أو لامها همزة، "أَفْنٌ"<sup>(١١)</sup>، "سَأَلٌ"<sup>(١٢)</sup>،

(١) المحيط، ج٢، ص ٥٢ - ٥٣.

(٢) م.ن ج ١، ص ٥٨.

(٣) م.ن ج ٥، ص ١٠٥.

(٤) م.ن ج ٤، ص ٣٣.

(٥) م.ن ج ٤، ص ٣٨٩.

(٦) م.ن ج ١٠، ص ٩٣.

(٧) م.ن ج ١٠، ص ١٠٦.

(٨) م.ن ج ٤، ص ٣٧٩.

(٩) م.ن ج ١٠، ص ٣٩٦.

(١٠) م.ن ج ٦، ص ٣١.

(١١) م.ن ج ١٠، ص ٣٩٥.

(١٢) م.ن ج ٨، ص ٣٨٠.

(١٣) م.ن ج ١٠، ص ٤٠٤.

ومائل في نهجه هذا الخليل والأزهري اللذين عدا المهموز من المعتل، وابن دريد بعض مواده.

التزم صاحب مبدأ التقلبيات في المعتل، فبعد أن ينتهي من ذكر ألفاظ المادة التي ابتدا بها ينتقل فوراً إلى ذكر الألفاظ مقلوبها "طَرَأَ، أَطَرَ" (١) "شَجَوُ، شَجَجَ" (٢) "تَوَجَّ، جَوَّتْ" (٣) "جَنَوُ، نَجَوُ" (٤).

مع أن صاحب التزم إلى حد ما بنظام التقلبيات إلا أنه لم يلتزم بالترتيب الصوتي. ذكر صاحب أنه سيرتب الحروف حسب مخرجها إلا أننا وجدنا أنه وضع في وسط الصفحة في خط بارز الواو فالألف فالياء بعد أن ذكر الحرفين الرئيسيين اللذين سيورد تقلبياتهما إذا ما اتصلت بأحرف العلة.

الشين والراء و.ا.ي	الجيم والشين و.ا.ي
-----------------------	-----------------------

نحن نعلم أن الترتيب الصوتي لأحرف العلة وفق مخرجها يقتضي أن يكون ترتيبه (ا.ي.و) لأن الألف والهمزة صوتان حنجران، والياء صوت غاري، والواو صوت شفوي، فالصاحب لم يبدأ بأقصاها مخرجا وإنما بدأ بأقربها مخرجا (الواو) فأقصاها مخرجا (الألف) فأوسطها مخرجا (الياء).

إذا سلمنا بترتيب صاحب للصوائت وجعلنا الواو أولا فالألف والهمزة ثانيا. فالياء ثالثا. وطبقنا ترتيبه على التقلبيات داخل المادة فإننا سنجد أنه لم يلتزم بهذا الترتيب، فهو يبدأ بتقلبيات الواو غالبا لكنه لا يذكر معظم تقلبياتها، فقد ينتقل إلى تقلبيات الياء أو الألف ثم يعود إلى الواو وهذا بين في باب الخاء والشين "وَحَسَّ، وَسَخَّ، حَسَّ، حَسَّ، حَسَّ، حَسَّ، حَسَّ، حَسَّ" (١) وفي باب الخاء والذال "حَوَّدَ، وَحَدَّ، حَدَّى، دَخَوُ، دَوَّخُ" (٢).

وقد يقال: إن صاحب لم يقصد أن يبدأ بالواو على اختلاف تقلبياتها وإنما أراد من ترتيبه الألف الذكر أنه سيبدأ بالواو فالألف فالياء إذا كانت أحرف العلة جميعها لاما أو واوا أو فاء، فإننا نقول: إن صاحب قد يلزم نفسه هذا الترتيب في بعض التقلبيات ويتفقت منه في تقلبيات أخرى، ففي الكلمات التي كانت فيها الغين فاء والباء عينا وحرف العلة لاما بدأ بالواو (عَبَوُ) فالألف (عَبَيُّ) وعندما كانت الغين فاء والباء لاما وحرف العلة عينا بدأ بالواو ثم الياء (عَوَّبَ، عَيَّبَ) إلا أنه لم يلزم نفسه إلزاما كاملا، ففي الألفاظ التي فيها الباء فاء والغين لاما وحرف العلة عينا بدأ بالياء (بَبَّغَ) فالواو (بَوَّغَ) بعد أن ذكر ألفاظ تقليب (وَبَّغَ). وفي تقلبيات الغين واللام، ففي الألفاظ التي تكون الغين فاء واللام لاما

(١) المحيط، ج٦، ص ٤٠٤.

(٢) م.ن، ج٩، ص ٢٠٤-٢٠٥.

(٣) م.ن، ج٧، ص ١٢٩.

(٤) م.ن، ج٧، ص ١٦٢.

(٥) م.ن، ج٣، ص ٢١٤-٢١٥.

(٦) م.ن، ج٤، ص ٣٧٤ - ٣٧٦.

(٧) م.ن، ج٤، ص ٣٩٣ - ٣٩٤.

وحرف العلة عينا بدأ بالواو فالياء (عَوَّلَ، عَغَّلَ) إلا أنه في الألفاظ التي تكون فيها السلام فاء والغين لاما وحرف العلة عينا بدأ بالياء ثم الواو (كَلَيْغَ، لَوُعَ) بعد أن ذكر تقلبيات (وَكَيْغَ).

وإذا انتقلنا إلى تقليب القاف والراء قَرَوَ، قَرَى، قَرَأَ، قَوَزَ، وَقَرَ، رَوَقَ، رَبَّقَ فإننا نلاحظ أنه التزم بالترتيب الذي نص عليه، ولكنه لم يلتزم بالتقلبيات الثلاثة التي تليها (وَرَقَ، أقرَ، أَرَقَ) ولعل هذا عائد إلى عدم وجود تقليب تلزمه الترتيب، فلم يأت بترتيب تقليب (بِرَقَ) بعد (وَرَقَ) ولكنه التزم به في المواد الثلاث الأخيرة فبدأ (رَقَوَ، رَقَى، رَقَأَ) أما تقليب القاف واللام فبدأه بـ (قَلَوَ) ثم (قَلَى) ولم يذكر (قَلَى) لأن (قَلَى) في معظم موادها منقلبة عن (قَلَى)، ثم ينتقل إلى مادة (كَلَوَ) لكنه لم يتبعها بـ (لَقَى) المنقلبة عن (لَقَى) وإنما ذكرها بعد أن أورد سبعة تقلبيات، ثم ذكر تقليب (قَوْلُ) إلا أنه لم يتبعه بتقليب (قِيلَ) بل ذكرها بعد خمسة تقلبيات، ثم التزم بترتيبه في مادتين فذكر (وَلَقَ)، فـ (أَلَقَ) إلا أنه أخو (يَلَقُ) والتزم به في مادتي (لَوَقَ) و (لَبَّقَ).

التزم صاحب في بداية تقلب النون والقاف فبدأ (قَنَوَ، قَنَى، قَنَأَ) وكذلك في (نَقَوَ، وَكَيْغَ) ثم ذكر (قَوَّنَ) إلا أنه آخر (قَيْنَ) وذكرها بعد تقلبيين، ثم عاد إلى الالتزام فذكر (نوق، ونيق) إلا أنه لم يلتزم بالترتيب في المواد التي تكون فيها حرف العلة فاء والقاف عينا والنون لاما، إذ بدأ بـ (يَقَنَّ، فَأَقَنَّ، وَوَقَنَّ).

ونخلص أن صاحب يراوح بين الالتزام وعدمه في البدء بالواو فالألف فالياء. وقد يكون هذا عائدا إلى كثرة الألفاظ المشتقة من المادة التي بدأ بها، فالألفاظ المشتقة من مادة (شَرَى) <sup>(١)</sup> أكثر في الاستعمال والاشتقاق من مادة (شَرَوَ) وكذلك الألفاظ المشتقة من مادة (سَيَمَ) <sup>(٢)</sup> أكثر استعمالا من مشتقات (سَوَمَ). عدا أن اللغويين القدامى ربما خلطوا بين الأصول الواوية واليائية.

### " باب اللفيغ "

أشار صاحب إلى اللفيغ في مقدمته وعرفه بقوله: "فاما اللفيغ: فما لا يكون فيه من الحروف الصحاح إلا حرف واحد" <sup>(٣)</sup>، وقول صاحب السابق يقتضي أن اللفيغ لا يحتوي إلا على حرف صحيح وما عداه يكون معتلا، وهو بهذا يرى أن اللفيغ يحتوي على حرفين معتلين لأن أغلب ألفاظ العربية تعود إلى جذر ثلاثي.

منهج صاحب في باب اللفيغ يماثل منهجه في أبواب المعجم الأخرى ويخالفها في أمور، فقد دأب على أن يبدأ باب اللفيغ باسم صريح غالبا "الجَوُّ: الهواء" <sup>(٤)</sup> "اليَدُّ: الجارحة" <sup>(٥)</sup>.

(١) المحيط ج٧، ص ٣٧١-٣٧٢.

(٢) م٧ ج٧، ص ٣٩٧-٣٩٩.

(٣) م٧ ج١، ص ٥٨.

(٤) م٧ ج٧، ص ٢١١.

(٥) م٧ ج٩، ص ٣٩٧.



وإذا لم يبدأه باسم صريح بدأه بحكاية صوت " الوَخُوخَة: حكاية بعض أصوات الطير" (١) " القُوْقَاة: صوت الدجاجة، تقول قوقات تقوقى قوقاة" (٢) وقلما يبدأه بفعل أو جملة فعلية " أدا يَأدو أدوآ: ختل" (٣).

وعد الهمزة حرف علة ولذلك أورد أمثلة كثيرة أحد حروفها الأصلية همزة "الإقواء في الشعر، نقصان حرف من الفاصلة وقيل اختلاف إعراب القوافي" (٤).

معظم الألفاظ التي أوردها صاحب تحتوي على حرف صحيح وحرفين معتلين "والخَوَى - بالياء - خلاء الجوف والجوع. خَوَى يَخْوَى خَوَى" (٥) "طَوَى الله لك البعد: أي قَرَّبَ" (٦) لكننا وجدنا أن صاحب وضع في اللفيف ألفاظا ليست من اللفيف وذلك لتكرار حرف العلة أو الحرف الصحيح ولتوضيح هذا سأحاول إجمال تلك الأقسام في ما يلي:

- عد الألفاظ التي احتوت على حرف صحيح وحرف علة مضعف من اللفيف (٧) "القُووة: طاق من أطواق الحبل، والجميع القوى" (٨) " والسَي: المكان المستوي" (٩).

- كما اعتبر الألفاظ التي احتوت على حرف علة واحد وحرف صحيح مكرر من اللفيف والموضع الحقيقي بها باب المعتل لا اللفيف "والهَيْة من الناس" (١٠): الذي كما أتى موضعا قيل: هيه وراعك" (١١) "القَأق: الأحمق" (١٢).

- عد الألفاظ المحتوية على حرف صحيح وحرف علة (١٣) من اللفيف والأرجح أن توضع هذه الألفاظ في باب الثنائي "يقال للصبى إذا نهى عن تناول شيء قذر: يَعْ، وهو بمنزلة قول العجم كَح" (١٤) "يقولون في موضع لَبَى في الإجابة: ها وهَي" (١٥).

- وضع الألفاظ التي تكرر فيها الحرف الصحيح والحرف المعتل (١٦) كلاهما في باب اللفيف والأحق بتلك الألفاظ باب الرباعي "الوَعَوَع: الجريء مع السير كل وقت" (١٧) "الصَأصَأة: تحريك الجرو عينه قبل التفتيح والتبصيص" (١٨).

(١) المحيط، ج٤، ص ٤٢٧.

(٢) م، ج٦، ص ٦٥.

(٣) م، ج٩، ص ٣٩٢.

(٤) م، ج٦، ص ٦٨.

(٥) م، ج٤، ص ٤٣٥.

(٦) م، ج٩، ص ٢٣٧.

(٧) م، ج٢، ص ١٨٧، م، ج٤، ص ٤٣٥.

(٨) م، ج٦، ص ٦٦.

(٩) م، ج٨، ص ٤١٣.

(١٠) م، ج٢، ص ١٨٨، م، ج٤، ص ٤٣٥.

(١١) م، ج٤، ص ٩١.

(١٢) م، ج٦، ص ٦٧.

(١٣) م، ج٦، ص ٣٥٦.

(١٤) م، ج٢، ص ١٨٨.

(١٥) م، ج٤، ص ٩١.

(١٦) م، ج٤، ص ٤٣٦، م، ج٦، ص ٦٨.

(١٧) م، ج٢، ص ١٨٦.

(١٨) م، ج٨، ص ٢١٦.

عهدنا التزام صاحب بنظام التقلبات في أبواب الثنائي المضاعف والثلاثي من الصحيح والمعتل، إلا أن صاحب في باب اللفيف نهج منها مغايراً لتلك الأبواب، إذ اعتمد على فاء الألفاظ في حصر مادة اللفيف، فبدأ بالألفاظ التي تكون فاؤها الحرف المتناول ويذكر تلك الألفاظ جميعها، ثم ينتقل إلى معالجة معاني الألفاظ التي تكون فاؤها واوا، وإذا ما انتهى منها انتقل إلى إيراد معاني الألفاظ التي تكون فاؤها ألفا (همزة) ويختم باب اللفيف بالألفاظ التي فاؤها ياء، ولتوضيح نهجه نورد الأمثلة التالية:

#### " باب اللفيف من حرف الحاء "

بدأ بالألفاظ التي فاؤها حاء "الحَرْفُ: حرف هجاء، هذه حَاءٌ مكتوبة، وتصغيرها: كَحْيِيَّةٌ وَحَاءٌ وَحَكْمٌ: قبيلتان"<sup>(١)</sup> ثم انتقل إلى الألفاظ التي فاؤها واو "وحى يحيى وحياً: كتب يكتب"<sup>(٢)</sup> وأتبعها صاحب بالألفاظ التي فاؤها ألف "الأحَاخُ: الغيظ"<sup>(٣)</sup>.

#### " باب اللفيف من حرف القاف "

بدأ الباب بالألفاظ التي فاؤها قاف "القَوَّاقَةُ: صوت الدجاجة"<sup>(٤)</sup>، ثم الألفاظ التي فاؤها واو "الوَّقَوَّةُ: نباح الكلب عند الغرق"<sup>(٥)</sup> فالألفاظ التي فاؤها ألف "أَوْقَةٌ: هُبْطَةٌ يجتمع فيها الماء، والجميع الأوق"<sup>(٦)</sup> فالألفاظ التي فاؤها ياء "اليَّقَوَّةُ: مصدر الشيء اليَّقُّ، أبيض يِقِّقُ: شديد البياض"<sup>(٧)</sup>.

لا يلزم صاحب نفسه بهذا الترتيب إلزاماً كاملاً، فقد جعل الألفاظ التي فاؤها ألف قبل الألفاظ التي فاؤها واو، ومن أمثلة ذلك حرف الصاد، فبدأه بالألفاظ التي فاؤها صاد فالألفاظ التي فاؤها ألف فالألفاظ التي فاؤها واو فالألفاظ التي فاؤها ياء، وهذا ينطبق على أبواب اللفيف من (الكاف، والضاد، والياء، والنون).

وفي مواضع محدودة يلحق الألفاظ التي فاؤها الحرف الصحيح بالألفاظ التي فاؤها ياء، فالألفاظ التي فاؤها ألف، فالألفاظ التي فاؤها واو، ومثال ذلك باب اللفيف من حرف الهاء.

وفي مواضع يبدأ باب اللفيف بالألفاظ التي فاؤها الحرف الصحيح فالألفاظ التي فاؤها الألف، فالألفاظ التي فاؤها الياء، فالألفاظ التي فاؤها الواو، ومن أمثلة ذلك: (السلام، والجيم، والميم).

يخالف صاحب نهجه في البدء بالألفاظ التي فاؤها الحرف الصحيح في أبواب أحرف معينة، إذ بدأ أبواب اللفيف من (العين، والغين، والثاء، والراء) بالألفاظ التي فاؤها حرف علة - إلا أن هذا نادر.

(١) المحيط، ج٣، ص ٢٣٧.

(٢) م٠ن، ج٣، ص ٢٤١.

(٣) م٠ن، ج٣، ص ٢٤٢.

(٤) م٠ن، ج٦، ص ٦٥.

(٥) م٠ن، ج٦، ص ٦٨.

(٦) م٠ن، ج٦، ص ٦٩.

(٧) م٠ن، ج٦، ص ٧٠.

وخلت بعض أبواب اللفيف من ألفاظ تكون فاؤها ياء لعدم وجودها في العربية وذلك في أصوات بعينها "الحاء، الطاء، الشين، النون، الغين، الزاي، الذال، الخاء".

فضلا عن عدم إيراده لألفاظ تبدأ بحرف العلة في باب اللفيف من الظاء.

مع أن صاحب رتب ألفاظ اللفيف وحصرها وفقا لفاء ألفاظها إلا أنه لم يلزم نفسه هذا الترتيب في عين الألفاظ ولامها، ولتوضيح أسلوبه نأخذ من حرف القاف باب اللفيف مثلا توضيحيا إذ بدأ هذا الباب بلفظة عينها واو ولامها قاف، ثم تلاها بلفظة عينها ياء ولامها قاف "القَوَاة: صوت الدجاجة، تقول: قَوَاتٌ تقوي قَوَاةً، والقِيَاةُ والقِيَاةُ لغتان - قسر الطلع يجعل مشربة كالتلثة"<sup>(١)</sup> ثم أورد لفظة عينها ولامها ياء، فلفظة أخرى عينها واو ولامها ألف "والقيء: الأرض المستوية الملساء. وهو من القواء وهي الأرض التي لا أهل فيها، يقال أقوت الأرض والدار وقوت: أي حلت، وأقوى القوم: وقعوا في قبي من الأرض"<sup>(٢)</sup> ثم أورد تلك الألفاظ بلفظتين عينها واو ولامها ياء "والقَوَاية: مثل الخَطِيطة، وهي الأرض التي لم تمطر بين أرضين محظورتين، وقوي المطر يقوى: إذا احتبس. وقوي المطر على المكان إذا لم يمطر"<sup>(٣)</sup> ثم أتى بلفظة تكون عينها ألفا "والقَاة: سرعة الإجابة في الأكل والطاعة"<sup>(٤)</sup> فلفظة عينها ولامها واو "والقوة: في البدن.."<sup>(٥)</sup>. ثم عاد صاحب إلى إيراد ألفاظ تكون عينها واو ولامها ياء "والقَوَاية: في الحزم؛ مصدر القوي. ورجل مقنن: أي جادت قوته. وقويت على الأمر قَوَاية"<sup>(٦)</sup>، وبعد تلك الألفاظ يعود لذكر لفظة تكون عينها ولامها واو "والقوة: طاق من أطواق الحبل، والجميع القوي"<sup>(٧)</sup> فلفظة عينها واو ولامها ألف "وأقوى الرجل وتره: إذا لم يجد اغارته فتراكبت قواه"<sup>(٨)</sup> ثم يورد ألفاظا تكون عينها واو ولامها همزة "والاقْتِواء: الاشتهاء. ومنه اشتقت المقاومة والتقلوي بين الشركاء؛ وذلك إذا تزايدوا حتى يبلغوا به غاية ثمنه عندهم. وإذا استخلصه لنفسه دونهم قيل: قد اقتواه"<sup>(٩)</sup> فلفظة عينها واو ولامها ياء "انقطع قوي من قوائيه: إذا انقطع ما بين الرجلين، أو وجبت بيعة لا تستقال.."<sup>(١٠)</sup> وبعد تلك الألفاظ يورد لفظة عينها ياء ولامها همزة "والقيء مهموز، قاء بقيء قينا. ومنه الاستقاء: وهو التكلف لذلك"<sup>(١١)</sup> ثم يعود مرة أخرى لذكر لفظة عينها ولامها ياء "وماء أجاج قبي: أي يتغيا منه"<sup>(١٢)</sup>، فلفظة تكون عينها ياء ولامها همزة "والقيوء - على فعول -: الدواء الذي يسرب للقيء"<sup>(١٣)</sup>

(١) المحيط، ج ٦، ص ٦٥.

(٢) م، ن، ج ٦، ص ٦٥.

(٣) م، ن، ج ٦، ص ٦٥ - ٦٦.

(٤) م، ن، ج ٦، ص ٦٦.

(٥) م، ن، ج ٦، ص ٦٦.

(٦) م، ن، ج ٦، ص ٦٦.

(٧) م، ن، ج ٦، ص ٦٦.

(٨) م، ن، ج ٦، ص ٦٦.

(٩) م، ن، ج ٦، ص ٦٦.

(١٠) م، ن، ج ٦، ص ٦٧.

(١١) م، ن، ج ٦، ص ٦٧.

(١٢) م، ن، ج ٦، ص ٦٧.

(١٣) م، ن، ج ٦، ص ٦٧.



كُوِّ، دَادَةٌ.. أَدَاءٌ.. أَدَى.. وَدَى.. دَأَى، دَأَى، وَدَاءٌ.. وَدَى.. أَدَى.. دَادَاءٌ.. كُوِّدَى..  
يَدَى.. وَأَدَى، دَوَى."

أما صاحب<sup>(١)</sup> فقسم الباب وفقا لفاء ألفاظه إلى أربعة تقليات رئيسية هي: ما أوله الدال "الدَّوُّ: موضع بالبادية صحراء كالرَّاحَة"، ثم ما أوله الألف "أَدَا يَأْدُو أدَوًا: خَتَلٌ" ثم ما أوله الواو "وَدَّأَتْهُ فَتَوَدَّأَ: أي سَوَّيْتَهُ فتسوى"، ثم ما أوله الياء "الْيَدُّ: الجارحة؛ معروفة"، وهذا القول لا يعني أننا لا نجد عنده تقليات فرعية أوردها داخل التقليب الرئيسي نتيجة تبادل مواضع أحرف الألفاظ أي عين اللفظة ولامها "الدَّوَاءُ: الشِّفَاءُ، دَاوَيْتُهُ مداواة ودواء" "الدَّاءُ: اسم كل مرض ظاهر؛ حتى الحمق داء" "الدَّوُّ: موضع بالبادية صحراء كالرَّاحَة" "وأَرْضٌ كُوِّيَّةٌ: خالية" "كُوِّى الرجل في البلاد: دار فيها وجاء وذهب" "وَأَدَوَاتُهُ بكذا وأدأته: أي اتهمته" "الدَّأَى: جمع الدَّأِيَّة وهي وقار الكاهل، والجميع الدَّأِيَّات" ويقال للغراب: ابن دأية؛ لأنه يحضن فراخه دون الأم" "الدَّادَةُ: صوت وقع الحجارة في المسيل واللزوق بالأرض" "والداود: الرجل السريع" "الدَّدُّ: اللهو واللعب" "السَّدَاوَةُ: معروفة، وجمعها دوي ودوي" "ويقولون: دَأَيْتُ بين القوم: أي أصلحت" "وَأَدَوَيْتُ ما في الإناء أدَوَاءً: إذا أخذته بأجمعه".

هذه الألفاظ المختارة من تقليب واحد عند صاحب تعطينا صورة واضحة عن منهجه، إذ أورد تقليات فرعية ضمن تقاليبه الرئيسية وهذه التقليات الفرعية تماثل تقليات رئيسية عند الخليل والأزهري، وقد أشرنا إلى أن صاحب اهتم بفاء الألفاظ في تقسيم تقاليب باب اللفيف لكنه لم يأبه بعين الألفاظ ولامها، فقد يبدأ بالألفاظ التي تكون عينها واوا فألفا فياء فهمزة، وقد يبادل بينها المواقع وهذا القول ينطبق على لام الألفاظ، وهذا واضح في الأمثلة التي ذكرناها سالفًا فهو لا يأبه بأي الألفاظ يبدأ وبأيها ينهي وفقا لعين اللفظة ولامها، إذ بدأ تقليب ما أوله دال في لفظة عينها واو (الدَّوُّ) وأنهى التقليب بلفظة كسانت عينها واوا كذلك (كُوِّى) فالتبادل بين أحرف العلة والحرف الصحيح المكرر في موضعي العين واللام ظاهر في أبواب صاحب من اللفيف وفي الأمثلة التي ذكرتها سالفًا.

يعد صاحب في نهجه في باب اللفيف منفردا على من تقدمه ومجددا في مسيرة المعاجم العربية، وغرض صاحب من هذا التجديد تسهيل وعورة المسالك وتيسير استخراج معنى اللفظة المرادة على الباحثين لأن الإعلال بالقلب والحذف والتسكين يكثر في باب اللفيف.

"باب الرباعي"

نحن نعلم أن الرباعي قسم من أقسام كلام العرب، وقد أشار إليه صاحب بقوله:  
"والرباعي من الفعل نحو: كَحَرَجَ وَقَرَطَسَ، ومن الاسم نحو: عَقْرَبٌ وَعَبْقَرٌ"<sup>(٢)</sup>.  
دأب صاحب كعادته في الأبواب السابقة أن يبدأها باسم غالبا وهذا ما وجدناه في باب الرباعي وذلك في قوله "الهُدْلُوغُ - بالذال معجمة - : الغليظ الشفه"<sup>(٣)</sup> "الدَّنْهُقُ: العيش الواسع"<sup>(٤)</sup>.

(١) المحيط، ج ٩، ص ٢٨٩ - ٢٩٢.

(٢) م، ن، ج ١، ص ٥٨.

(٣) م، ن، ج ٤، ص ١٠٣.

(٤) م، ن، ج ٥، ص ١٥٣.

وقلما يبدأ باب الرباعي بفعل أو جملة فعلية أو جملة اسمية "وخرقل بسهمه خرقله: أي أنفه وأحرقه" (١) "خترقت الشيء: إذا ضربته فقطعت: خترفته بالسيف" (٢) "توق سلاخدا: أي قوية واحدها سلاخداة وكذلك سلاخدا" (٣).

امتاز صاحب في هذا الفصل بذكره المصدر إذا ذكر فعله، فقد كان في الثنائي وأبواب الثلاثي يذكر الفعل دون أن يذكر مصدره غالباً، أما في الرباعي فكان يردف الفعل بمصدره "برقل الرجل في الكلام برقله: أسرف" (٤) "طرسم فلان طرسمة: سكت" (٥).

اللافت للنظر في قراءة مواد الرباعي أن المعنى المكرر في معظم مواد أبوابه هو المعنى الذي يدل على المشي وأنواعه: فالدمحوق؛ النقل في المشي (٦)، والسرنجة؛ المشي المتأنى (٧)، والكراسة؛ مشي فيه تقارب للخطو (٨)، والسبطري، التبختر (٩)، والرخاوة في المشي، الكربة (١٠)، وأما المشي السريع؛ فالخزنج (١١)، ووضع الألفاظ المزيدة بأحرف الزيادة والتضعيف ضمن ألفاظ الرباعي الصحيح "تزهلق اللون: ابيض وصفاً" (١٢) "الهيتكور من الرجال: الذي لا يستيقظ ليلاً ولا نهاراً" (١٣).

عاد صاحب في باب الرباعي إلى الالتزام بنظام التقلبيات - بعد أن نأى عنه في باب اللغيف. ومن أمثلة ذلك "الشرجب: الطويل، جرشب الجرح: إذا اندمل" (١٤) "وجرشم الرجل: إذا كان مهزولاً أو مريضاً فاندمل، الشمرجة: حسن قيام الحاضنة على الصبي" (١٥) "الصفر: طائر أعظم من العصفور، الفرصاد: شجر التوت" (١٦).

مقابلة أسلوب صاحب في معالجة ألفاظ أبواب الرباعي مع معالجته لألفاظ الأبواب المتقدمة عليه تكشف لنا عن اختلاف في أسلوبه يتجسد في أمرين:

أولهما: عهدنا في أسلوب صاحب الالتزام بفاء الألفاظ وعينها التي ينص عليها في رأس الصفحة، إلا أنه في الرباعي غاير هذا النهج إذ أنه لم يلتزم إلا بفاء الألفاظ المعقود لها الباب، أما الحرف الذي نص عليه في رأس الصفحة - وهو عين الألفاظ في

(١) المحيط، ج ٤، ص ٤٤٣.

(٢) م، ن، ج ٤، ص ٤٧٣.

(٣) م، ن، ج ٤، ص ٤٦١.

(٤) م، ن، ج ٦، ص ١٠٧.

(٥) م، ن، ج ٩، ص ١١٩.

(٦) م، ن، ج ٨، ص ٤٢٥.

(٧) م، ن، ج ٤، ص ٤٤٢.

(٨) م، ن، ج ٤، ص ٤٦٢.

(٩) م، ن، ج ٦، ص ٣٦٤.

(١٠) م، ن، ج ٨، ص ٤٢٤.

(١١) م، ن، ج ٦، ص ٣٧٧.

(١٢) م، ن، ج ٤، ص ٤٤٧.

(١٣) م، ن، ج ٤، ص ١٠٤.

(١٤) م، ن، ج ٤، ص ١١١.

(١٥) م، ن، ج ٧، ص ٢١٩.

(١٦) م، ن، ج ٨، ص ٢٢٣.

المعتاد - فإنها قد تكون اللام الثانية للألفاظ. إذ عنون رأس الصفحة من الباب الرباعي للحاء:

"الحاء والقاف" وبدأ بلفظة:

"الخارزنجي: الحَبْشُوقَة: دويبة، وهي الحَبْشُوقَة"<sup>(١)</sup>

وعنون رأس صفحة الباب الرباعي من الهاء:

"الهاء والغين" وبدأ بلفظة:

"الهُذْلُوعُ - بالذال معجمة - الغليظ الشفه"<sup>(٢)</sup>.

ثانیهما: قلة التقلبيات

اعتاد الصاحب في الثلاثي أن يشير في رأس الصفحة إلى الحروف التي سيذكر تقلبياتها المختلفة.

"باب الثلاثي الصحيح

العين والهاء

العين والهاء والقاف"

لكنه في أبواب الرباعي لم يورد سوى الحرفين الأصليين اللذين تتكون منهما التقليب المختلفة، فهو لا ينوه بالحرف الثالث والرابع كما هو متوقع "العين والقاف، الغين والجيم، الغين والشين، الغين والضاد، الغين والصاد".

إذا دققنا النظر في التغير الأول فإن مرده إلى انعدام ألفاظ في العربية محتوية على تلك الأحرف متتالية، وأما التغير الثاني فعلة عائد إلى قلة تقليب الألفاظ الرباعية المحتوية على الأحرف الأصلية، ولنمثل على ذلك في باب الخاء من الرباعي؛ ومن ذلك باب الخاء والجيم مع سائر الحروف، بدأه بكلمة متضمنة الخاء والضاد والجيم "الخَضْرِيْجُ: المُبْطَخَة"<sup>(٣)</sup> ولم يذكر تقليبا لها، ثم انتقل إلى الكلمات المتضمنة الخاء والجيم والزاي وذكر فيها ثلاث كلمات "خَزْرَجَتِ الشاة: أي خَمَعَتْ وَعَرَجَتْ، والخَزْرَجُ من أسماء الجنوب، والخَزْرَجُ والأوس: حَيان من الأنصار. واسم من أسماء الأسد"<sup>(٤)</sup> وذكر في الخاء والجيم والزاي كلمتين "الخَزْلَجُ: المشي السريع، كذلك الخَزْلَجِي، وهو الشسيء المتخلع عظامه"<sup>(٥)</sup> وأورد في باب الخاء والجيم والذال اثنتي عشرة كلمة، وفي تقلبيات الخاء والجيم والراء ذكر فيها أربع كلمات، وفي تقلبيات الخاء والجيم واللام وجدنا فيه تسع كلمات، وذكر في باب الخاء والشين والذال ست كلمات، وفي الخاء والشين والتاء كلمة واحدة، وفي باب الخاء والطاء لم يذكر فيه سوى خمس كلمات، وكلها من باب الخاء

(١) المحيط، ج ١٢، ص ٢٤٥.

(٢) م، ن، ج، ٤، ص ١٠٣.

(٣) م، ن، ج، ٤، ص ٤٤٧.

(٤) م، ن، ج، ٤، ص ٤٤٧.

(٥) م، ن، ج، ٤، ص ٤٤٧.

والظاء والراء، وفي باب الخاء واللام لم يذكر فيه سوى ثلاث كلمات وكلها في باب الخاء واللام.

يحق للصاحب الأيوب الرباعي مثلما بوب الثلاثي الصحيح والمعتل من الثلاثي والثنائي المضاعف، لأن معظم تقليباته كلمات وليست أصولاً يقاس عليها، وليس لها وفرة في الاشتقاق كما للثلاثي.

"باب الخماسي"

تتبع صاحب في مقدمته أصناف كلام العرب وجعل آخرها الخماسي وذلك في قوله: "والخماسي: من الأفعال لا يكون إلا بالزيادة، فأما من الأسماء فنحو: سفرجل وشمردل"<sup>(١)</sup>.

وقد ناقشنا مقولة صاحب في شأن الأفعال من الخماسي أنها لا تأتي إلا زائدة وأيدناه في ما ذهب إليه.

اشتراط صاحب احتواء الاسم الخماسي على أحد أحرف الذلاقة أو أكثر، وهذا مانوه به في مقدمته وكرره في بداية باب الخماسي من حرف العين "ولا يجيء الخماسي إلا وفيه حرف أو حرفان من حروف الذلاقة، وهي ستة أحرف، ولها مخرجان، فمنها الفاء والباء والميم، وهي من الشفه، ومنها: الراء والنون واللام، وهي من أسلة اللسان"<sup>(٢)</sup>، وقال في مقدمة باب الخماسي من العين "الخماسي: الكلمة على خمسة أحرف، لا بد أن يكون من تلك الخمسة واحد أو اثنان من حروف الذلق، وهي: ر.ل.ن.ف.ب.م. فإذا وردت كلمة خلت من واحد من هذه الستة، فاعلم أنها ليست بعربية، وذلك نحو العُضَائِجِ. والخَضَعْنَجِ، وحكى صاحب التكملة أنه سمع جَحَلَنْجَعِ وأنشد فيه بيتاً:

مِنْ طَحْمَةٍ هَبَّيْرُهَا جَحَلَنْجَعٌ .. ولم يفسره"<sup>(٣)</sup>.

ويعد هذا المعيار في معرفة العربي من المعرب والمولد من أوضح المعايير التي أشار إليها صاحب وأشار إليها اللغويون من قبله ولا سيما الخليل والأزهري<sup>(٤)</sup>. عهدنا في أسلوب صاحب أن يبتدئ مواد أبوابه بالاسم سواء أكان مزيداً أو مجرداً، وهذا الأسلوب كرره في باب الخماسي، فقد ارتأى أن تبدأ بالاسم غالباً نحو "المَغْلَنْطُسُ: المظلم"<sup>(٥)</sup> "سَقَطَبُ: كبش ذو قرنين"<sup>(٦)</sup>.

وهذا القول لا يمنع من بدء صاحب بجملة اسمية أو فعلية، إلا أن ذلك قليل، ومن أمثلة الضرب الأول "إنه كَجَرَنْفَسُ اللحية: أي ضخمها"<sup>(٧)</sup> ومن أمثلة الضرب الثاني "أَنْزُبَجُ الحمل - بالناء - إذا شوي فاحدودب"<sup>(٨)</sup>.

غابر صاحب منهجه في عرض المادة في باب الخماسي عما سبقه من الأبواب ويظهر هذا التغير في مظهرين رئيسيين:

(١) المحيط، ج ١، ص ٥٨.

(٢) م، ج ١، ص ٥٨.

(٣) م، ج ٢، ص ٢٧٧.

(٤) العين، ج ١، ص ٥٢-٥٤، وانظر التهذيب، ج ١، ص ٤٤.

(٥) المحيط، ج ٥، ص ١٧٦.

(٦) م، ج ٣، ص ٢٩٧.

(٧) م، ج ٧، ص ١٤١.

(٨) م، ج ٧، ص ٢٤٢.



أولهما: بدأ الصاحب معالجة الألفاظ الخماسية دون الالتزام في أن تكون فاء تلك الألفاظ الحرف الصحيح المتناول والذي عقد إليه باب الخماسي، فقد بدأ باب الخماسي من العين "أثَعَجَحَ الماء - بمعنى أُنْعَجَرَ -: إذا سال" (١)، وافتتح باب الخماسي من الكاف في لفظة "الرُّكْنَكُصُّ: اسم نهر بالهند" (٢) وأول كلمة تطالعنا في باب الخماسي من القاف "الجَنْبِقَةُ: المرأة السوداء الرديئة" (٣) واستهل باب الخماسي من الزاي بلفظة "سُكَّرَ طَبْرَزْرَمٌ وَطَبْرَزَلٌ وَطَبْرَزَنٌ" (٤).

حلل الصاحب نفسه الالتزام بعين الكلمة في أبواب الرباعي، وما هو يحل نفسه من الالتزام بفاء اللفظة في أبواب الخماسي، والصاحب ليس مخيرا في هذا التحلل بل مجبر عليه، والذي يؤيد ما ذهبنا إليه بدوّه بعض أبواب الخماسي بالألفاظ التي تكون فاؤها الحرف الرئيس المتناول. والذي ينسب إليه ذلك الباب، وذلك واضح في أبواب منها باب الخماسي من الهاء "الهَنْفَصُ: القصير" (٥). وفي باب الخماسي من الخاء "الخُزْرَانِقُ: ثوب، وهو معرب" (٦)، وفي باب الخماسي من السين "السَّمْنَدُلُ: طائر يدخل النار فلا يحترق" (٧).

ثانيهما: عدم إشارته إلى فاء الباب وعينه في أعلى الصفحة في الأبواب الخماسية.

لاحظنا أن الصاحب قلل من التبويب في أبواب الرباعي، فقد كان يذكر الحرف الأول والثاني مع سائر الحروف، ومن أمثلة ذلك من الرباعي باب الرباعي من الخاء "الخاء والقاف مع سائر الحروف، الخاء والسين مع حروفهما، باب الخاء والسين مع حروفهما، باب الخاء والداد مع حروفهما".

أما أبواب الخماسي فالغى الصاحب التبويب فيها إلغاء تاما، فلا نجد سوى كلمة باب الخماسي من الحرف المتناول المعقود له الباب. فالأبواب الخماسية عبارة عن سرد لتلك الألفاظ متتالية دون فاصل بينها، وهذا لا يعني عدم التزام الصاحب بالنظام الصوتي بل كان يتحرى الدقة في ذلك، وذلك جلي في ألفاظ أبواب الخماسي جميعها، ولنأخذ مثلا على ذلك: باب الخماسي من الجيم (٨)، فقد بدأه بلفظة محتوية على الجيم والشين "إنه لَجَرَنَفْسُ اللحية: أي ضخما" فالجيم والسين "السَّفَرَجَلُ: معروف" فالجيم والزاي "الزَنْجَفَرُ: صبغة تصنع كالفرسطنونات" فالجيم والداد "الجَرْدَبِيلُ: الذي يأخذ الكسرة باليسري ويأكل باليمين، فإذا فني ما بين أيدي القوم أكل ما في يده اليسرى" فالجيم والذال "الجَرْنَبْدُ: الذي ينكح أمه بعد أبيه" فالجيم والناء "أثْرُنَبَجُ الحمل بالنساء -: إذا شوي فأحدودب" فالجيم والراء "أثْرُنَجَمُ اللحم: إذا تشيط من أعلاه ولم ينشو..".

(١) المحيط، ج ٢، ص ٢٧٧.

(٢) م، ج ٦، ص ٣٨٠.

(٣) م، ج ٦، ص ١١٣.

(٤) م، ج ٩، ص ١٢٣.

(٥) م، ج ٤، ص ١٤٣.

(٦) م، ج ٤، ص ٤٨٥.

(٧) م، ج ٨، ص ٤٣٥.

(٨) م، ج ٧، ص ٢٤١-٢٤٢.

قلنا إن صاحب ليس مخيرا في ذلك لأن باب الخماسي قليل المورد شحيح المنهل في الكلام ودوره في توسع اللغة محدود.

مع أن نظام الثقليات قد يشعرنا أن الخماسي سيكون أكثر كلمات العربية ثم يليه الرباعي في العدد إلا أن واقع الاستعمال لهما يظهر خلاف توقعنا، وقد أشار إلى ذلك الخليل في مقدمة معجمه<sup>(١)</sup>.

احتوى باب الخماسي المجرى على باب الخماسي المزيد وهذه السمة لازمت صاحب وأصحاب مدرسة العين قبله "أَفْرَسَخَ عني الوجه: أي ذهب، وَأَفْرَسَخَتْ عنه الحمى" (٢) "الْمَرْدُقُوشُ: الزَّعْفَرَانُ" (٣).

مناقشة صاحب لأبواب الرباعي والخماسي تماثل مناقشة الخليل لهما، ولم يحدث صاحب في عرضه لهما تجديدا يلمح، فقد كان مقلدا في ذلك لا مجددا، وإنما يقتصر تجديده في أسلوبه المتسم باختصار تصاريف المواد وتقليل شواهداها، وتقليد صاحب لل خليل يجعلنا في حيرة، إذ تتلمذ للعلامة اللغوي ابن فارس الذي جدد في النظرية المعجمية، فقد أشار إلى مفهوم الأصل والفرع التي امتاز بها عن غيره من المعجميين المتقدمين عليه، وهي محاولة إرجاع الكلمات التي تتماثل في أحرفها الأصلية إلى معان عامة، وقد بينا الفرق بين فكرة الأصل عنده، وفكرة الاشتقاق الأكبر عند ابن جنبي في مناقشتنا لفكرة الثقليات. ورأينا أن صاحب لم يأخذ بفكرة الأصل والفرع في عرضه ل مواد أبواب الثنائي المضاعف والثلاثي الصحيح والثلاثي المعتل واللفيف ومناقشتها، وكما أنه لم يأخذ فيما أحدث ابن فارس في تحليل وجوه الرباعي والخماسي أو ما أسماه "ما جاء من كلام العرب على أكثر من ثلاثة أحرف"، فقد رأى ابن فارس أن الرباعي والخماسي من كلام العرب لا يخرج من كونه:-

١- أفاظا منحوتة من أصلين ثلاثيين، كما نص على ذلك في الصحابي وطبقها خير تطبيق في المقاييس. إذ قال: "هذا منهجنا في أن الأشياء الزائدة على ثلاثة أحرف فأكثرها منحوت مثل: قول العرب للرجل الشديد ضَبَطْرٌ من ضَبَطٌ وضَبْرٌ، وفي قولهم صَهْصَلَقٌ، أنه من صَهْلٌ وصلَقٌ، وفي الصلْدَمُ أنه من الصلْدُ والصدْمُ، وقد ذكرنا ذلك بوجوهه في كتاب مقاييس اللغة<sup>(٤)</sup>. فـ "بَحْتَرٌ" في المحيط هي لفظة رباعية معناها "البَحْتَرُ: القصير"<sup>(٥)</sup> أما معجم المقاييس فرأى أنها "وهو القصير المجتمع الخلق، منحوت من كلمتين من الباء والتاء والراء وهو من بترته فبتر كأنه حرم الطول فبتر خلقه والكلمة الثانية الحاء والتاء والراء وهو من حترت، واحترت، وذلك ألا تفضل

(١) العين، ج ١، ص ٥٩.

(٢) المحيط، ج ٤، ص ٤٨٦.

(٣) م.ن، ج ٦، ص ١١٣.

(٤) الصحابي، ص ٢٧١.

(٥) المحيط، ج ٢، ص ١٤٦.

على أحد يقال: أَحْتَرَّ عَلَى نَفْسِهِ وَعِيَالِهِ، أَي ضَيَّقَ عَلَيْهِمْ فَقَدْ صَارَ هَذَا الْمَعْنَى فِي الْقَصِيرِ لِأَنَّهُ لَمْ يُعْطَ مَا أُعْطِيَهُ الطَّوِيلُ<sup>(١)</sup>.

٢- ضرب الوضع، وهو الكلمات التي وضعت وضعا وخفي قياسها علينا .. أما الذي هو عندنا موضوع وضعا فقد يجوز أن يكون له قياس خفي علينا موضعه، والله أعلم بذلك<sup>(٢)</sup>. ومواد المحيط من الرباعي والخماسي من هذا الضرب لأنه لم يشر إلى أنها منحوتة فلم يبق إلا أن تكون موضوعة لأن أسلوبه في مناقشة الرباعي والخماسي مشابه لأسلوب ابن فارس في مناقشة الموضوع. ذكر صاحب أن "البهصلة: القصيرة من النساء وكذلك البهصلة"<sup>(٣)</sup> وقد قال ابن فارس "البهصلة المرأة القصيرة"<sup>(٤)</sup> وذكر صاحب أن معنى "التبليغ: التفتح بالكلام وكأنه يقذف فيه، وقيل: هو الذي التوى لسانه والمُتَبَلِّغُ: الذي يتدهى في كلامه وليس عنده شيء..."<sup>(٥)</sup>، وقال ابن فارس: "البَلَعْتُ: السبيء الخلق"<sup>(٦)</sup>.

٣- ما كان أصله كلمة واحدة، وأدخلت عليها زيادة، وتكون هذه الزيادة تصديرا أو حشوا أو كسعا .. ومنه ما أصله كلمة واحدة، وقد ألحق بالرباعي والخماسي بزيادة تدخله..<sup>(٧)</sup> و .. هذه الزيادة تقع أولا وغير أول<sup>(٨)</sup>.

وهذا النوع لم نجد أن صاحب قد عالجه كما عالجه ابن فارس، فكلمة "البرغثة" في المحيط معناها "البرغثة: لون شبيه بالطحلة"<sup>(٩)</sup>، أما ابن فارس فنص على أن أصلها ثلاثي وأنها حشيت بحرف زائد إذ قال: .. فالراء فيه زائدة، وإنما الأصل الباء والغين والثاء.. فالبرغثة لون شبيه بالطحلة، ومنه البرغوث<sup>(١٠)</sup> ونص ابن فارس على أن (بلسم) كلمة ثلاثية كسعت بحرف زائد فقال: "بَلَسَمَ الرَّجُلُ كَرِهَ وَجْهَهُ فَالْمِيمُ فِيهِ زَائِدَةٌ.."<sup>(١١)</sup> أما صاحب فوضعها في باب الرباعي من السين ولم يشر إلى أن أحد أحرفها حرف زائد ولا سيما لامها الثانية فقال: "بلسم بلسمة: فرق فاطرق"<sup>(١٢)</sup>

لا أستطيع القول أن صاحب لم يأخذ بمنهج ابن فارس ونظريته في النحت وتحليله لأبواب ما فوق الثلاثي لأنه لم يدركها وإنما قد يعود ذلك إلى عدم اقتناعه بمنهج ابن فارس وتحليله، فمن المؤكد أن صاحب يرى في منهج الخليل قدوة تحتذى ولذلك أخذ

(١) المقاييس، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ط١، دار الجيل ببيروت، ١٩٩١م، ج١، ص ٣٢٩.

(٢) م، ج٢، ص ١٤٦.

(٣) المحيط، ج٤، ص ١٢٤.

(٤) المقاييس، ج١، ص ٣٥٥.

(٥) المحيط، ج٢، ص ٢٦٥.

(٦) المقاييس، ج١، ص ٣٥٦.

(٧) م، ج١، ص ٥٠٥.

(٨) م، ج١، ص ٣٢٢.

(٩) المحيط، ج٥، ص ١٧٢.

(١٠) المقاييس، ج١، ص ٣٢٢.

(١١) م، ج١، ص ٣٢٤.

(١٢) المحيط، ج٥، ص ٤٣٤.

به عن بصيرة وتفكر "هكذا كان ولاؤه قناعة وإدراكا ولم يكن تقليدا وحذوا غير مبصر"<sup>(١)</sup>.

ولا يفوتنا الإشارة إلى أن صاحب التزم بنظام التقليات كما التزم به فيما تقدمه من أبواب "الْقَرْنَفُش: الضخم، القنفرش: العجوز الكبيرة"<sup>(٢)</sup>.

"المستعمل والمهمل من كلام العرب في المحيط"

المستعمل والمهمل موضوعان ملازمان لوصف أبواب المحيط ومناقشتها ولهذا أردفت وصف أبواب المحيط وتحليلها بهذا الموضوع.

وضع صاحب كسابقيه معيارا عاما بوصفه أساسا يمكن إذا ما طبق على كلام العرب معرفة مستعمله من مهمله، وهذا القانون اللغوي اقتصره صاحب في مقدمته على الخماسي والرباعي، وإن كان هنالك أسس أخرى يمكن بواسطتها معرفة المستعمل من المهمل، إذ اشترط صاحب في صحة الخماسي أن يكون محتويا على أحد أحرف الذلاقة أو أكثر وهي "ل، ر، ن، وب، ف، م" وكذلك الرباعي، أما إذا خلا الرباعي من أحد أحرف الذلاقة أو أكثر فيجب أن يكون حرفا الإطلاق أحد حروفه أو كليهما، وإذا لم يحتو على أحد أحرف الإطلاق "ع، ق" فيجب أن يكون محتويا على "س أو د" وإذا وجد رباعي غير متضمن هذين النوعين من الأحرف وأقصد الذلقة والإطلاق والسين والذال. فيعد مولدا أو معربا، وإذا وجدت كلمات رباعية أو خماسية مغايرة لما سبق، فإنها نادرة فضلا عن إيجاد العلماء تفسيراً مقنعا لمعظمها، وهذا المضمون بين في قول صاحب: "ولا يجيء الخماسي إلا وفيه حرف أو حرفان من حروف الذلاقة، وهي ستة أحرف، ولها مخرجان، فمنها: الفاء والباء والميم، وهي من الشفه، ومنها: الراء والنون واللام؛ وهي من أسلة اللسان. وكذلك الرباعي، إلا أن يكون فيه أحد حرفي الطلاقة؛ وهما العين والقاف أو كلاهما، أو السين والذال؛ أو إحداهما. وهو مع ذلك - قليل"<sup>(٣)</sup>.

وهذا الأساس مشار إليه في مقدمة الخليل إلا أن صاحب أجمل في القول والخليل فصل فيه<sup>(٤)</sup>.

قراءة أبواب المحيط ترينا أن صاحب وضع أسسا أخرى في معرفة المستعمل من المهمل في كلام العرب. وقد كان يراوح في التصريح بها والتلميح إليها فضلا عن إيجاد أسس يستنتجها الباحث والمطالع.

يرجع معظم المهمل في العربية إلى مخالفته لنظمها المختلفة ولا سيما النظام الصوتي، فاحتواء الألفاظ أنفسها على حرفين مخالفين لسمت النظام الصوتي في اللغة العربية يخرجها من عروبتها. رأى صاحب ما رآه الخليل أن الكلمة التي توالى فيها حرفان متمثلان في المخرج، أو متمثلان في الهيئة، أو متمثلان في كليهما، أو متقاربان في المخرج أن أصولها ليست عربية، فقد تكون معربة أو مولدة، فنحن نجد أن صاحب كان يسند إهمالها إلى الخليل وإذا ما سمعت لفظة مناقضة للنظام الصوتي في العربية

(١) المدارس المعجمية، ص ١٧٢.

(٢) المحيط، ج ٦، ص ١١٣.

(٣) م، ج ١، ص ٥٨.

(٤) العين ج ١، ص ٥٢-٥٤، وانظر التهذيب، ج ١، ص ٤٤.

أسندها إلى قائلها ولا سيما الخارزنجي. ولتوضيح هذه الرؤية نقسم القول فيه إلى خمسة أقسام:

أ- احتواء الكلمة على حرفين متماثلين في المخرج وهيئة خروجهما.

أشار صاحب إلى إهمال الألفاظ المحتوية على حرفين متماثلين في المخرج والهيئة متكنا في ذلك على الخليل، وهذا ينطبق على الأبنية العربية جميعها، فنحن لا نجد ألفاظا ثنائية محتوية على العين والحاء والعين والخاء "خَعَّعَ" أهمله الخليل: وحكى الخارزنجي: "الْحُغُّعُ: شجرة" فبسبب تماثل مخرج العين والحاء، والعين (كما يرى صاحب) وتماثل هينتهما لم نجد ألفاظا ثنائية تحتوي عليهما لأنهما (العين والحاء، والعين والحاء) صوتان حقيقيان وهينتهما احتكاكية، ولذلك لم نعثر في المعجم على كلمات ثنائية محتوية على العين والغين، والحاء والخاء، والحاء والغين.

وهذا السبب نفسه المانع من وجود ألفاظ محتوية على حرفين متماثلين أو موجودين في الكلمة نفسها وبينهما فاصل، فأنت لا تجد كلمة عربية (عَظَّتْ) أو (عَدَّتْ) أو (نَعَطَّتْ)، لأن هذين الحرفين متماثلان في المخرج متماثلان في الهيئة، فالطاء والطاء والذال حروف سنية احتكاكية، كما أننا لا نجد ألفاظا ثلاثية محتوية على السين والصاد، أو السين والزاي متتاليين لأنها حروف لثوية المخرج احتكاكية الهيئة، ولا يمكن أن نجد لفظة عربية محتوية على الطاء والذال، أو الطاء والطاء متتاليين في كلمة ثنائية أو ثلاثية لأنهما صوتان لثويان أسنانيان وهينتهما الهيئة الانفجارية.

ب- احتواء اللفظة على حرفين متقاربين في المخرج ومتماثلين في الهيئة.

يعد مقياس احتواء الكلمة على حرفين متقاربين في المخرج ومتماثلين في الهيئة من أوضح مقاييس معرفة العربي من غيره. وهذا المقياس ينطبق على أبنية العربية المختلفة، فنحن لا نجد كلمة ثنائية محتوية على العين والهاء، والحاء والهاء لأن الهاء صوت حنجري احتكاكي، والعين والحاء صوتان حقيقيان احتكاكيان فالهاء متماثلة معهما في الهيئة وقريبة منهما في المخرج "عَهَّ: أهمله الخليل، وحكى الخارزنجي: عَهَّهَتْ بالضان: زجرتها"<sup>(١)</sup> "وبعد الحاء الهاء. ولم يأتلغا في كلمة واحدة أصلية الحروف؛ لقبحة على السنة العرب ولكنهما يجتمعان من كلمتين لكل واحدة معنى على حدة، كقولهم: حي هل، وكقوله: حَيْهَاؤُهُ وَحَيْهَلُهُ، وفيه لغتان: حي هل، وحي هلا - مسكن، وحي هلا - منون - وحكى أن الحَيْهَلَةُ: شجرة، ولم يوجد لها أصل في الشعر ولا رواية صحيحة، والكلمة مولدة"<sup>(٢)</sup>.

ووفقا لمقتضيات هذا المقياس لا نجد كلمة ثنائية وثلاثية ورباعية محتوية على حرفي القاف والكاف لأن القاف لهوية والكاف طبقية فهما متقاربان في المخرج عدا أن

(١) المحيط، ج ١، ص ٦٦.

(٢) م.ن، ج ٢، ص ٢٨٥.

هيئتهما انفجارية، فلم يذكر صاحب سوى كلمة رباعية "الكَرْبُوقُ": الحانوت. وفي زجر الضان: كَرْبُوقٌ؛ ليرجع<sup>(١)</sup> وأميل إلى أنها مولدة لأن الخليل لم يشر إليها في كتابه.

ج- احتواء اللفظة على حرفين متماثلين في المخرج.

أشرنا إلى أن العرب لا تأتي بكلمة محتوية على حرفين متماثلين في المخرج ومتماثلين في الهيئة، فتمائل المخرج لحرفين متتاليين في كلمة واحدة ينفي عروبية اللفظة وإن لم يكونا متماثلين في الهيئة، فلا يوجد في العربية لفظة فيها الراء واللام، والباء والميم في الثنائي والثلاثي، وإذا وجد فلا بد من وجود حرف فاصل بينهما لأن الراء واللام صوتان لثويا المخرج، أما هيئة خروج الراء فتكرارية وهيئة خروج اللام جانبية، والباء والميم صوتان شفويا المخرج لكن هيئة خروج الميم أنفية والباء انفجارية. فلم يورد صاحب في الثنائي كلمة مكونة من الراء واللام. ولكنه أورد ألفاظا من الباء والميم في الثنائي فقال: "ذكر الخارزنجي: البَمُّ: لغة في البوم، والبَمُّ: حكاية بعض أصوات العود،.." <sup>(٢)</sup>. أما الألفاظ المحتوية على اللام والراء من الثلاثي فقد كان بينهما فاصل "البَؤُورُ: المها، الواحدة بِلَوْرَة، برل: البرَوْلَة - والجمع البَرَائِلُ -: ريش عنق الديك ونحوه" <sup>(٣)</sup>.

ولا يمكن أن نجد ألفاظا ثلاثية محتوية على الباء والميم إلا إذا وجد بينهما فاصل "البَرَمُّ: الذي لا يدخل مع القوم في الميسر، وهي البرَمَّة أيضا.." <sup>(٤)</sup> "البَيْلَمُ: قَطْنُ القصب" <sup>(٥)</sup> ولم يورد صاحب كلمات رباعية وخماسية محتوية على اللام والراء أو الباء والميم.

د- احتواء اللفظة على حرفين متماثلين في الهيئة.

تمائل هيئة خروج الأصوات اللثوية الصفيرية (ص،س،ز) مع هيئة خروج الأصوات السنوية (ث،ظ،ذ) حال دون وجود ألفاظ ثنائية أو ثلاثية أو رباعية أو خماسية محتوية على هذين النوعين من الأصوات لأن هيئة كليهما احتكاكية، ولم يورد صاحب من اتصال بين صوتين من هذين النوعين من الأصوات سوى ثلاث كلمات مهملات عند الخليل "سذب: السَّدَابُ، من الرُّطْبِ: نحو المَجْرَعِ والمُنْصَفِ" <sup>(٦)</sup> "الخارزنجي: كانت بينهم رِبَادِيَّةٌ: أي شر، زنب: الزْدَابِيَّةُ: أهل بيتٍ باليمامة؛ يقال لهم: بنو رُدْبِيَّةٍ" <sup>(٧)</sup>.

سلك صاحب في الإشارة إلى المهمل سبلا مختلفة قد يصرح في بعضها ويترك بعضها الآخر لاستنتاجات القارئ والباحث، وسأحاول إجمالها في ما يلي:

(١) المحيط، ج ٦، ص ٧٣.

(٢) م، ن، ج ١٠، ص ٤٤١.

(٣) م، ن، ج ١٠، ص ٢٢٧.

(٤) م، ن، ج ١، ص ٢٤٢.

(٥) م، ن، ج ١٠، ص ٣٣٢.

(٦) م، ن، ج ٨، ص ٣٠٢.

(٧) م، ن، ج ٩، ص ٣٧.

١- إشارته الصريحة إلى عدم احتواء العربية على ألفاظ رباعية خالية من حرفي الإطلاق أو السين والذال، أو حروف الذلاقة وخلو الألفاظ الخماسية من أحد الحروف الذلقية أو كليهما كما أشير.

٢- إشارته إلى إهمال الخليل لبعض التقليلات واعتماده على الخارزنجي في ذكر بعض الألفاظ ومن تلك التقليلات المهملة عند الخليل "عك أهمله الخليل، وحكى الخارزنجي: العَيْهَكَةُ: الاقتتال والصراع وسمعوا بعيهكتنا: أي بصياحنا"<sup>(١)</sup> "ظَفَّ، مهمل عنده. الخارزنجي: ظَفَفَت قوائم البعير أَظْفَهَا ظَفًّا: إذا شددت قوائمه كلها وجمعتها، واستَظَفَّ آثار القوم: تتبعها"<sup>(٢)</sup>.

٣- يشير إلى إهمال معظم تقليلات الباب ويذكر كلمة أو كلمتين مسندا تلك الألفاظ القليلة أو التقليلات النادرة للخارزنجي، ومثال ذلك العين والناء والفاء فقال "مهمل كله عند الخليل، عَفَّتْ: حكى الخارزنجي: الأَعْفْتُ: كثير التكشف.."<sup>(٣)</sup>، وتقليل الخاء والجيم والضاد "مهملات عنده: حَضَّجَ: الخارزنجي: تَحَضَّجَتِ الشاة: أي عرجت وجمعت، وأَحَضَّجْتُ الأمر: نقصتم، وَأَنْحَضَّجَ كَفَّهُ، أي زاع"<sup>(٤)</sup>، وتقليل القاف والسين والذال "مهملات عنده، سَدَّقَ: الخارزنجي السُوْدُقُ: القلب والسواد"<sup>(٥)</sup>.

٤- إشارة صاحب إلى إهمال تقليل من تقليلات الباب أو تقليبين مع وجود تقليلات الباب الأخرى ويسند التقليل أو التقليلين المهملين إلى الخارزنجي، فتقليلات الميم والسين والكاف مستعملات جميعها "مَكَسَ، مُسَكَّ، سَمَكُ، كَسَمَ، سَكَمَ" ولم يهمل منها سوى تقليل "كمس"، وتقليل "جسن" مهمل مع أن تقليباته المختلفة مستعملة "سَنَجَ، جَنَسَ، كَجَسَ، سَجَنَ"، وأهمل من تقليلات الصاد والنون والباء تقليل "بصن" وأورد تقليباتها الأخرى "تَصَبَّ، صَبَنَ، نَبَصَ، صَنَبَ" وأهمل تقليل "رَطَّ" مع أن "طَرَّ" غير مهمل، وأهمل تقليل "ظَفَّ" وأورد تقليل "قَطَّ".

٥- لم يورد تقليلات عديدة في معجمه ولم يشر إلى إهمالها، فقد اكتفى في أن عدم ذكرها دليل على إهمالها وأن العرب لم تستعملها ومنها على سبيل الذكر لا الحصر:

تقليلات العين والسين والضاد، والعين والسين والصاد، وتقليلات الصاد والزاي مع سائر الحروف، وتقليلات السين والطاء، والسين والناء مع سائر الحروف في الثلاثي والرباعي والخماسي، وتقليلات الزاي والذال والناء في الثنائي المضاعف، وكذلك الزاي مع الأحرف السنية في الثنائي المضاعف والثلاثي الصحيح.

٦- هنالك أبواب مهملة جميعها لكن صاحب لم يشر إلى إهمالها في الاستعمال بل اعتمد على عدم ذكرها كدليل على إهمالها ومن هاتيك الأبواب:

(١) المحيط، ج ١، ص ١٠٧.

(٢) م، ج ١٠، ص ١٤.

(٣) م، ج ٥، ص ١٣.

(٤) م، ج ٤، ص ٢٠٣، قابل بـ أنحاء والجيم والسين، والحاء والجيم والزاي، ص ٢٠٤.

(٥) م، ج ٥، ص ٢٨٥-٢٨٦.

- أبواب الخماسي من الأحرف التالية: الضاد، الصاد، الطاء، التاء، الدال، الظاء، الذال، التاء، الراء.

- وأملت أبواب الرباعي والخماسي من الحروف التالية: اللام، النون، الفاء، الباء، الميم، ولم نجد أبواباً ثلاثية صحيحة للنون والفاء والباء، ولم يورد لحرف الميم سوى باب اللغيف. وهذا متوقع لأن الألفاظ المحتوية على صوت الميم قد سبق ذكرها في تقاليد أبواب الحروف التي تقدمت عليها مخرجا.

### "سمات الصحاح العامة في معالجة مواد المحيط"

بيننا منهج الصحاح في جعل حروف المعجم ستة أبواب، وحاولنا توضيح أسلوبه في ذلك التقسيم ونوهنا بما يحسب له ويؤخذ عليه، وقد ارتأيت إلحاق تحليل أبواب المحيط بمعالجة الصحاح لمواد المحيط داخل الأبواب لارتباط الجزء بالكل وارتباط الكلمة بالباب ولا يخفى على ذي نهية الصلة الوثيقة بين تحليل الأبواب ومعالجة موادها، واخترت أربع مواد ليكن سبيلي في توضيح منهج الصحاح وإظهار ملامحه العامة، وانتقيت مادة عم من الثنائي المضاعف، ومادتي (هَجَرَ وَسَجَدَ) من الثلاثي الصحيح -لاتساعه وغزارة مادته- ومادة وقف من المعتل من الثلاثي. ولا أريد أن أطنب القول في منهج الصحاح في معالجة المادة وعرضها لأن حسين نصار<sup>(١)</sup> قد عرض لها، وكفاني مؤونة تكرارها.

يجدر بنا ونحن نستوضح أسلوب الصحاح في عرض المواد وتبيين معانيها أن نتلمس الملاحظات التي أوجتها إلينا طريقتة:

- راوح الصحاح في الابتداء بين الاسم والفعل في ابتداء موادها، فبدأ (هجر وسجد) باسمين صريحين مزيجين "الهجرة: سميت لأن المهاجرين هجروا دورهم وعشائرهم في الله عز وجل"<sup>(٢)</sup> "السجود: لله عز وجل. وقوم ونساء سجدة"<sup>(٣)</sup>.

وابتداء عم ووقف بجملتين فعليتين "عم رأسه: مثل عم"<sup>(٤)</sup> "وقفت الدابة والكلمة أوقفها وقفاً: إذا حبستها في سبيل الله"<sup>(٥)</sup>.

وعرضنا لأسلوب الصحاح في مواد معجمه يرينا أن إيرادها للأسماء أزيد، إذ احتوت مادة عم على خمسة عشر اسماً وثلاثة أفعال، واحتوت مادة هجر على ستة عشر اسماً وثلاثة أفعال. ومادة سجد احتوت على عشرة أسماء وفعلين، أما مادة وقف فاحتوت على عشرة أسماء وسبعة أفعال مع تكرار بعضها.

(١) حسين نصار، المعجم العربي، ج ١، ص ٢٨٠-٢٨٢.

(٢) المحيط، ج ٣، ص ٣٧٢.

(٣) م، ج ٧، ص ٦.

(٤) م، ج ١، ص ١٠٤.

(٥) م، ج ٦، ص ٤٦.



إذا تماثل معنى الاسم المجرد مع الاسم المزيد ذكرهما متتاليين "العميم والعمم": الطويل التام من كل شيء، وجميع العميم: العمم والعم" (١) "الهجران والهجر: ترك ما يلزمك تعاوده" (٢) "العج والعجيج: رفع الصوت. وهو هدير الإبل" (٣).

- كان يتتبع الألفاظ المشتقة من المادة التي تجوز أن تكون صفة للاسم المتقدم عليها مبينا بناها الصرفية: "العماعم: الجماعات.. والقوم عماعم: متفرقون" (٤) "ويقال للمحجم عن القتال: وقفت جبان. ورجل موقفت: أي مجرب قد أصابته البلايا" (٥) "والسجد: الفترات الأعين والإسجاد: إدامة النظر في فتور وسكون وعين ساجدة" (٦).

- غلب على الصاحب أن يبتدئ المواد بذكر معانيها الحقيقية التي وضعت لها بالأصل ثم يتتبع معانيها المجازية التي اكتسبتها بوساطة الاستعمال، واقتراعات تلك الألفاظ بألفاظ جديدة حولتها من حقل دلالي إلى حقل دلالي آخر، فبعد أن ذكر معاني وقوف الحقيقية من الوقوف والإحجام والحبس، انتقل إلى ذكر معانيها المجازية التي اكتسبتها الأفعال والأسماء المشتقة من المادة لاقتراعاتها بألفاظ جديدة مختلفة "ووقفت عن الأمر: أقلعت عنه، ورجل موقفت: أي مجرب قد أصابته البلايا، ووقفت الحديد، بينته" (٧).

- لم يلزم الصاحب نفسه إرداف الفعل بمصدره، فقد يورد أفعالاً ماضية دون أن يذكر مضارعها ومصدرها "استعم وتعمم: اتخذ عمماً" (٨) "أهجرت النخلة: أكثرت الحمل" (٩) "ووقفت الحديد: بينته" (١٠) "أسجد الرجل: إذا طأ رأسه" (١١).

وقد يورد الأفعال معرجاً على مصدرها ومضرباً عن مضارعها ".. وقيل: يقولون الهجر وهو الخنا وهو القبيح من القول، نقول منه: أهجر أهجاراً" (١٢) "ووقفت وقوفاً: ووقفت الرجل توقيفاً" (١٣) وهناك مواضع يورد فيه الفعل الماضي فمضارعه فمصدره "وقفت الدابة والكلمة أقيها وقفاً: إذا حبستها في سبيل الله" (١٤)

(١) المحيط، ج ١، ص ١٠٤.

(٢) م، ن، ج ٣، ص ٣٧٢.

(٣) م، ن، ج ١، ص ٧٣.

(٤) م، ن، ج ١، ص ١٠٤.

(٥) م، ن، ج ٦، ص ٤٧.

(٦) م، ن، ج ٧، ص ٦.

(٧) م، ن، ج ٦، ص ٤٦-٤٨.

(٨) م، ن، ج ١، ص ١٠٤.

(٩) م، ن، ج ٣، ص ٣٧٤.

(١٠) م، ن، ج ٦، ص ٤٧.

(١١) م، ن، ج ٧، ص ٦.

(١٢) م، ن، ج ٣، ص ٣٧٣.

(١٣) م، ن، ج ٦، ص ٤٦.

(١٤) م، ن، ج ٦، ص ٤٦.

- يرى صاحب أن الفعل المزيد لا ينفك معناه عن معنى الفعل المجرد لذلك ذكرهما متتابعين "عَمَّ رأسه: مثل عَمَّ" (١) "تَهَجَّ الأمر وأنهج: صَحَّ" (٢) "وَنَكَفْتُ أثره وَأَنْكَفْتُهُ: إذا اعترضته إلى مكان سهل" (٣) "تَقَدَّلِي من ماله وَأَنْتَقَدَّ: أي أعطانيه من شرط ماله ورديته" (٤).

وتحري التماثل في المعنى استقصاه صاحب في الأفعال المزيدة، فإذا تماثل فعلان مزيدان في معنى مع اختلاف بنيتهما أوردتهما صاحب متتاليين "اسْتَعَمَّ وَتَعَمَّمَ: اتخذ عَمًّا" (٥) "أَهْجَرَ القوم وهَجَرُوا: ساروا في ذلك الوقت" (٦) "وَأَعْتَدْتُ الأثار وَتَعَدَّدْتُ: درست" (٧) "وَأَعْرَبْتُهُ وَعَرَّبْتُهُ: أعطيته العربان.." (٨).

- إذا تضمنت اللفظة معنيين حقيقيين أو أكثر لم يذكر تلك المعاني متتابعة وإنما يوجد فواصل لفظية مغايرة لها في البنية والمعنى، فقد بدأ مادة عم بمعنى العمامة؛ وهي غطاء الرأس ضمن جملة فعلية معتمدا على شهرة معناها "عَمَّ رأسه: مثل عَمَّ" (٩)، وبعد أن ذكر عددا لا بأس به من الألفاظ التي تغاير لفظة العمامة في البنية والمعنى عاد وذكر لفظة العمامة موردا لها معنى جديدا "العَمَامَةُ: عيدان تشد بعضها إلى بعض في البحر ثم تركب" (١٠).

وذكر لفظة العمامة معنيين حقيقيين لكنه أوجد فواصل لفظية بينهما "والعَمَاعِمُ: الجماعات، الواحد: عَمٌّ، وقد يجمع على العَمُوم،.. والعَمَاعِمُ: تباعد الأعمام عن اللح.." (١١).

احتوت لفظة الهجر على معنيين حقيقيين ذكر أولهما في صفحة المادة الأولى "والهَجْرُ: نصف النهار وهو الهَجِير والهَاجِرَة" (١٢) وذكر معناها الثاني في نهاية صفحة المادة الثانية "والهَجْرُ: الخِصَام" (١٣).

- راح صاحب في الابتداء بين المفرد والجمع، فقد يبدأ بالمفرد فيذكر معناه ثم يبين جمعه "والعَمِيمُ والعَمُّ: الطويل التام من كل شيء، وجميع العميم: العَمَمُ والعَمُّ" (١٤) "الْوَقْفُ، المسك الذي يجعل في الأيدي عاجاً كان أو قرناً، .. وجمعه وقوف" (١٥).

(١) المحيط ج ١، ص ١٠٤.

(٢) م، ن، ج ٢، ص ٣٨١.

(٣) م، ن، ج ٦، ص ٢٧٨.

(٤) م، ن، ج ٥، ص ٣٠٧.

(٥) م، ن، ج ١، ص ١٠٤.

(٦) م، ن، ج ٣، ص ٣٧٢.

(٧) م، ن، ج ١، ص ٤٦١.

(٨) م، ن، ج ٢، ص ٣٣.

(٩) م، ن، ج ١، ص ١٠٤.

(١٠) م، ن، ج ١، ص ١٠٥.

(١١) م، ن، ج ١، ص ١٠٤-١٠٥.

(١٢) م، ن، ج ٢، ص ٣٧٢.

(١٣) م، ن، ج ٢، ص ٣٧٣.

(١٤) م، ن، ج ١، ص ١٠٤.

(١٥) م، ن، ج ٦، ص ٤٧.

وقد يفتح اللفظة بذكر جمعها فمفردها، وقد يذكر جمع الجمع لها. "وَالْعَمَاعِمُ: الجماعات، الواحد: عَمٌّ وقد يجمع على الْعَمُومِ"<sup>(١)</sup> "السَّجْدُ: الفاترات الأعين، الْمَسَاجِدُ: السجود ومواضعه من الجسد والأرض، الواحد مَسْجِدٌ"<sup>(٢)</sup>.

لا يشترط في المحيط أن تجد المفرد وجمعه، فقد يذكر الصاحب الجمع ولا يشير إلى مفرده ولا يذكر أنه جمع باللفظ الصريح معتمدا على معرفة البنى الصرفية في الصيغ "الأسجاد: الجزية"<sup>(٣)</sup> "سَجَدَاتُ الْقُرْآنِ: احدى عشرة سَجْدَةٌ"<sup>(٤)</sup> "ويقال: أنصار وأناصير"<sup>(٥)</sup>.

يتكئ الصاحب في إيراد الجمع على وسائل لغوية مختلفة منها لفظة قوم للدلالة على جمع المذكر، والنساء للدلالة على جمع المؤنث، ويعتمد أيضا على ضمائر الشأن كذلك. "السَّجُودُ: لله عز وجل، وقوم ونساء سَجْدٌ"<sup>(٦)</sup> "و.. ورجل صائِمٌ، وقوم صَوَامٌ، وصَوْمٌ، ونساء صَوْمٌ وصَيَامِي، وامرأة صَوْمِي"<sup>(٧)</sup> "وَالسَّلُوبُ مِنَ النَّوْقِ: التي يؤخذ ولدها، وهن السَّلَاتِبُ"<sup>(٨)</sup> "النَّسَبُ: نَسَبُ الْقَرَابَةِ، فلان نَسِيبِي، وهم أَنْسِبَائِي، والنَّسَابَةُ"<sup>(٩)</sup>.

- أخذت الأماكن الجغرافية في المحيط حيزا لا بأس به، تراوح أسلوب الصاحب في وصفها، إذ جاء وصفه لعدد من الأماكن وصفا عاما غير محدد، فلم يلمح إلى مكانها الذي تقع فيه بالنسبة للأماكن التي حولها، ويظهر ذلك في مواد كثيرة "وَهَجْرٌ:

بلد، والنسبة إليه هَجْرِيٌّ، ومثل: كمستبضع التمر إلى هَجْرٍ"<sup>(١٠)</sup> "وَدَهَبِيٌّ: موضع"<sup>(١١)</sup> "وَحَصْمٌ: اسم موضع"<sup>(١٢)</sup> "وَدَخُولٌ: موضع"<sup>(١٣)</sup>.

وقد يصف الصاحب المكان وصفا جزئيا "جُرْهُمٌ: حي من اليمن"<sup>(١٤)</sup> "خَفَاجَةٌ: حي من قيس"<sup>(١٥)</sup> "وَجَلِّقٌ: موضع بالشام"<sup>(١٦)</sup> "أم صَبَّارٌ: حرة لبني سليم"<sup>(١٧)</sup>.

وليس هذا منهجه العام فإننا وجدنا أماكن امتازت بالوصف الدقيق.

(١) المحيط، ج ١، ص ١٠٤.

(٢) م.ن، ج ٧، ص ٦.

(٣) م.ن، ج ٧، ص ٦.

(٤) م.ن، ج ٧، ص ٦.

(٥) م.ن، ج ٨، ص ١٢٧.

(٦) م.ن، ج ٧، ص ٦.

(٧) م.ن، ج ٨، ص ٢٠٧.

(٨) م.ن، ج ٨، ص ٣٢٦.

(٩) م.ن، ج ٨، ص ٤٤٣.

(١٠) م.ن، ج ٢، ص ٣٧٢.

(١١) م.ن، ج ٣، ص ٤٨٠.

(١٢) م.ن، ج ٤، ص ٢٤١.

(١٣) م.ن، ج ٤، ص ٣٠٢.

(١٤) م.ن، ج ٤، ص ١١٨.

(١٥) م.ن، ج ٤، ص ٢١٣.

(١٦) م.ن، ج ٥، ص ٢٢٧.

(١٧) م.ن، ج ٨، ص ١٣٥.

"فَرَكَ: موضع بأرض الحجاز" (١) "الْحَنِيف: موضع بمكة" (٢) "والجَزيرة: ما بين حضر أبي موسى إلى أقصى اليمن في الطول، وأما العرض فما بين رمل بيرين إلى منقطع السماوة" (٣).

- يتتبع معنى اللفظة في اللغات إذا أدى اختلاف معناها إلى إيجاد ظاهرة لغوية مثل الأضداد "والسَّاجِدُ في لغة طيبي: المنتصب، وفي لغة سائر العرب: المنحني" (٤).  
- إذا أدى تغير حركة عين اللفظة إلى اختلاف في المعنى أشار إلى ذلك وذكرهما منفصلين "المَسْجِد: اسم جامع يجمع المسجد وحين لا يسجد،... والمَسْجِد: موضع السجود نفسه" (٥)

"بُعْد بضم العين:- ابتعد،.. أما بَعْدَ بكسر العين:- هلك" (٦) "يقال: النَّعْمُ في النَّعْمِ؛ وهو الإبل والبقر والشاء،.. نَعَمٌ: أداة تستعمل في جواب الواجب" (٧).  
ولم يقتصر تتبعه على عين الكلمة بل تعداه إلى تغير فائها "العَبْرَة: الاعتبار بالكسر، وبالضم العَبْرِي: ما نبت على شطوط الأنهار من السرو، وقيل هو الطويل،.. وَعَبْرَة الدمع بالفتح جَرِيه" (٨) "الجَمِّمُ: الأسود من كل شيء،.. الحَمُّمُ: شجرة خضراء" (٩).  
- لم ينبه صاحب على سلسلة سند العلماء واللغويين الذين أخذ عنهم مواد كتابه. فقلما نجد سلسلة سند في المحيط وإذا وجدت فيه فإنها لا تزيد على ذكر اسم رجلين ولا سيما الخارزنجي. ففي مادة رطع ذكر "وحكى الخارزنجي عن النضر: الرَطْعُ: الزكام ونحوه" (١٠) وفي مادة عنو ذكر "وَعَنَّأ فيه الأكل يُعْنِي: نَجَع، ورواه أبو عبيد عن الفراء، وهو نادر، روى غيره: عُنَى يُعْنِي عَنَّأ" (١١)، وفي مادة طحم أورد "طَحْمَة الفنتة: جولة الناس عندها. قال أبو تراب عن الأصمعي: الطَحُوم: الدَّفُوع، والطَحْم: الدَّفْع" (١٢). وفي مادة حقط أورد "حكى الخارزنجي عن أبي عبد الله قلت لأبي زياد: كيف نزر الفرس؟ فقال هَجِدٌ وَحِقِطٌ" (١٣) إغفال سلسلة السند في المعاجم انفرد بها صاحب مع أن تتبع السند أساس لم تغفل عنه معجمات العربية ولا سيما الخليل والأزهري، وقد شابهه صاحب الفارابي (١٤) صاحب ديوان الأدب في ذلك.

(١) المحيط، ج ٦، ص ٢١٥.

(٢) م.ن، ج ٤، ص ٤٢٢.

(٣) م.ن، ج ٧، ص ٢٠.

(٤) م.ن، ج ٧، ص ٦.

(٥) م.ن، ج ٧، ص ٦.

(٦) م.ن، ج ١، ص ٤٣٢.

(٧) م.ن، ج ٢، ص ٦٨.

(٨) م.ن، ج ٢، ص ٣٤.

(٩) م.ن، ج ٢، ص ٣٢٥.

(١٠) م.ن، ج ١، ص ٤٠١.

(١١) م.ن، ج ٢، ص ١٦٤.

(١٢) م.ن، ج ٣، ص ٣١.

(١٣) م.ن، ج ٢، ص ٣٣٨.

(١٤) تحقيق: د. أحمد مختار عمر، مجمع اللغة العربية، القاهرة. الهيئة العامة لشؤون المطابع ١٩٧٤م.

- امتاز صاحب بتقليل الشواهد في المواد التي حللناها، إذ خلت بعض تلك المواد من الشواهد أمثال سَجَدٌ، وَقَفٌ<sup>(١)</sup>.

مع أن الخليل<sup>(٢)</sup> ذكر في سجد شاهدين وأربعة شواهد في وقف، وأورد الأزهري<sup>(٣)</sup> في سجد اثني عشر شاهدا مختلفا، وفي وقف ثمانية شواهد.

وقد تحتوي بعض المواد على شاهد واحد يكون مجزوا غالبا ففي مادة عم ذكر "والقوم كَمَاعِمٌ: متفرون أيضا، قال لبيد: واجعل أقواماً عَمُوماً عَمَاعِمًا"<sup>(٤)</sup>.

تعد هجر<sup>(٥)</sup> من المواد الغنية بالشواهد قياسا إلى منهجه في إيراد الشواهد، إذ وجدنا فيها خمسة شواهد من القرآن الكريم وأمثال العرب وأقوالهم، ولكنه لا يشرح تلك الشواهد غالبا "والهَجْرَانُ والهَجْرُ: ترك ما يلزمك تعاهده. ومنه قوله عز اسمه: "اتَّخَذُوا هذا القرآن مهجورا" وهَجْرٌ: بلد، والنسبة إليه هجري، ومثل: "كَمَسْتَبْضِعَ التَّمْرَ إِلَى هَجْرٍ".

وإذا شرحها جاء شرحه مقتضيا لأنه يقصره على شرح اللفظة المشتقة من المادة قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: "هاجروا ولا تهجروا" أي أخلصوا الهجرة ولا تشبهوا بالمهاجرين" ومنه قوله: "سامروا تهجرون" أي تهذون في النوم".  
المقابلة بين شواهد هجر في المحيط وشواهد هجر في العين والتهديب ترينا أن صاحب مقل في شواهد هجر في العين<sup>(٦)</sup> على ثمانية شواهد، وفي التهذيب<sup>(٧)</sup> على تسعة عشر شاهدا - غاضين الطرف عن الشواهد التي كررها.

#### مأخذ على منهج صاحب في المحيط:

قلما يوصف عمل علمي أو أدبي بالكمال، فإن لكل مؤلف هفواته وهناته، والمحيط بوصفه عملا لغويا معجميا لم يخل كسابقه من مأخذ وملحوظات يجدر بنا أن نسلط الضوء عليها:

١- عد الثلاثي المضاعف من الثنائي المضاعف، وهذا القول ينطبق على الأسماء والأفعال الثلاثية. ومن ذلك الجَرُجُ "الغلظ من الأرض"<sup>(٨)</sup>، وهشش "هشش الرجل غيره: استضعفه"<sup>(٩)</sup>.

٢- عد الرباعي المضاعف من الثنائي المضاعف.

فقد وضع في الثنائي "الهَجَّجُ من الأرض التي لا نبت فيها"<sup>(١٠)</sup> "ظَبَّطَبَ: صاح"<sup>(١١)</sup>

(١) المحيط، ج٧، ص ٦، وم، ن، ج٦، ص ٤٦.

(٢) العين، ج٦، ص ٤٩، م، ن، ج٥، ص ٢٢٣.

(٣) التهذيب، ج١٠، ص ٥٦٩، ج٩، ص ٢٢٣.

(٤) المحيط، ج١، ص ١٠٤.

(٥) م، ن، ج١، ص ٣٧٢.

(٦) العين، ج٢، ص ٢٨٦.

(٧) التهذيب، ج٦، ص ٤١.

(٨) المحيط، ج٦، ص ٤٠٢.

(٩) م، ن، ج٣، ص ٣١٢.

(١٠) م، ن، ج٣، ص ٣١٠.

(١١) م، ن، ج١٠، ص ١٥.

### ٣- الخلط بين أبواب الثنائي والثلاثي الصحيح والثلاثي المعتل.

ذكر صاحب في مادة عَن<sup>(١)</sup> وَعَنَّتُ الكتابَ عَنَّا وَعَنَانًا، والأصل في العُنْوَان: ما ظهر من الشيء، وهو بهذا بعدها من الثنائي المضاعف، لكنه كرر اللفظة نفسها في مادة عَن<sup>(٢)</sup> فقال: "وَعَلْوَانُ كل شيء ما ظهر منه، وقد عَلَوْنَتُ الكتابَ عَلَوْنَةً وَعَلْوَانًا" وهذا القول يقتضي أن عَن ثنائية صحيحة لا ثنائية مضاعفة، وإذا رأى صاحب أن أصل الكلمة عَنن فيؤخذ عليه إغفاله القول: إن اللام في عَنن مبدلة من النون في عَنن، وكرر صاحب اللفظة نفسها مرة ثالثة في باب الثلاثي من المعتل فقال: "عَلْوَانُ الكتاب: عُنْوَانُهُ، وكذلك كل ما علا فهو مَعْلَوَانٌ"<sup>(٣)</sup>، وهو بهذا يعد العين واللام والواو حروفا أصلية، والنون حرفا زائدا، ولكنه لم يشر إلى ذلك، ثم كرر اللفظة نفسها في مادة عَنو، إذ قال: "وَعَنَوْتُ الكتابَ وَعَنَوْنَتُهُ، ويقال: عَنَيْتُهُ في معنى عَنَنْتُهُ، وَعُنْيَانُ الكتابِ وَعُنْيَانُهُ وَعُنْوَانُهُ"<sup>(٤)</sup>، وفي هذه المادة اعتبر صاحب أن العين والنون الأولى والواو حروف أصلية مع أنه لم يشر إلى وقوع الإبدال بين اللام والنون الأولى، وبين الواو والياء، والنون الثانية زائدة، وتُردد صاحب هذا أوقعا في حيرة، فهل يعد هذا الفعل ثنائيا مضاعفا أم ثلاثيا صحيحا أم ثلاثيا معتلا؟

### ٤- وضع صاحب الفعل المزيد من الثنائي في باب الثنائي المضاعف.

"اَسْتَكَفَّ القوم: أهدقوا بالشيء"<sup>(٥)</sup>.

والمزيد من الثلاثي الصحيح في باب الثلاثي الصحيح.

"الاصْطِلام: إيادة القوم من أصلهم"<sup>(٦)</sup>.

والمزيد من المعتل الثلاثي في باب المعتل الثلاثي.

"تَخَاوَصَّتْ النجوم: إذا صغت للغور"<sup>(٧)</sup>.

والمزيد من اللفيف في باب اللفيف.

"أَنهَوَى الشيء: سَقَطَ"<sup>(٨)</sup>.

والمزيد الرباعي من الرباعي

"الهُيْتَكُورُ من الرجال: الذي لا يَسْتَيْقِظُ لَيْلًا ولا نهارًا"<sup>(٩)</sup>.

(١) المحيط، ج ١، ص ٩٨.

(٢) م.ن، ج ٢، ص ٥٠.

(٣) م.ن، ج ٢، ص ١٥٤.

(٤) م.ن، ج ٢، ص ١٦٥-١٦٦.

(٥) م.ن، ج ٦، ص ١٤٦.

(٦) م.ن، ج ٨، ص ١٥٢.

(٧) م.ن، ج ٤، ص ٣٧٩.

(٨) م.ن، ج ٤، ص ٩٣.

(٩) م.ن، ج ٤، ص ١٠٤.

والمزيد الخماسي في باب الخماسي.

" أَقْرَنْشَعَ الرَّجُلُ: إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ وَتَحْرَكَ وَتَنْشَطُ"<sup>(١)</sup>.

دون أن يوجد بينهما فاصلاً، والصاحب في هذا النهج متبع غير مبتدع.

٥- غلب على الصاحب ذكر فعل الاسم ومصدره بعد أن يذكر الاسم ويبين معناه "الْخَلْقُ: الْبَالِي، خُلِقَ خُلُوقَةً وَخُلُوقاً وَخُلُقَةً"<sup>(٢)</sup> " الْغَصْبُ: أَخَذَ الشَّيْءَ ظُلْماً وَقَهْراً، غَصَبَ يَغْصِبُ غَصْباً، وَاغْتَصَبَ اغْتِصَاباً"<sup>(٣)</sup>.

وفي مواضع عديدة أخرى يورد الاسم المجرد ويوضح معناه دون أن يبين فعله ومصدره .

" النَّشْرُ: الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ، كَرِيحُ الرَّوْضَةِ"<sup>(٤)</sup> " الْبَدَلُ: الْخَلْفُ"<sup>(٥)</sup>.

ويظهر اهتمام الصاحب بالأسماء من كثرة إيرادها، فالموازنة بين عدد الأفعال وبين عدد الأسماء في التقليب نفسه تؤكد ذلك، إذ أورد في مادة خلق<sup>(٦)</sup> عشرين لفظة مستعملة غاضين النظر عن اشتقاقاتها الفرعية. فكان عدد الأسماء فيها تسعة عشر اسماً وفعلًا واحداً. وذكر في مادة خفق<sup>(٧)</sup> ثماني عشرة لفظة احتوت ستة عشر اسماً وفعلين اثنين.

٦- أورد الصاحب ألفاظاً معتلة في باب الصحيح، إلا أنه بعد أن يذكرها يردفها بعبارة (إن بابها من المعتل، وليست هنا في باب الصحيح).

" الْخَارِزْنَجِيُّ: الْقَهْوَانُ: الضَّخْمُ، تَيْسُ قَهْوَانٍ: أَي مَسْنٍ، وَهُوَ مِنَ الْمَعْتَلِ"<sup>(٨)</sup> " التَّابِكَةُ: الْكَبِيرُ تَابِهَتْ، وَلَيْسَ هَذَا مَوْضِعَهُ، وَهُوَ مِنْ أَبِي"<sup>(٩)</sup> " الْمَقْبِيْتُ: الْحَافِظُ، لِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: "وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مَقْبِيئاً". وَبَابُ الْمَعْتَلِ أَوْلَى بِهِ"<sup>(١٠)</sup>.

٧- وضع ألفاظاً من الرباعي في باب الثلاثي الصحيح لتكرار أحد حروفه الأصلية " الْكُهْكُمُ: الْكَبِيرُ وَقِيلَ الْبَادَنْجَانُ"<sup>(١١)</sup> " الصُّفْصُلُ: مِنْ أَمْرَارِ الْبِقُولِ، وَقِيلَ: هَذَا الْغَالِبُ بِالْمَرَارَةِ"<sup>(١٢)</sup>.

(١) المحيط، ج ٢، ص ٢٧٨.

(٢) م. ن. ج ٤، ص ١٩٥.

(٣) م. ن. ج ٤، ص ٩.

(٤) م. ن. ج ٧، ص ٣١٨.

(٥) م. ن. ج ٩، ص ٣١٨.

(٦) م. ن. ج ٤، ص ١٩٤.

(٧) م. ن. ج ٤، ص ١٩٨.

(٨) م. ن. ج ٣، ص ٣٤٦.

(٩) م. ن. ج ٣، ص ٤٦٠.

(١٠) م. ن. ج ٥، ص ٣٧٠.

(١١) م. ن. ج ٣، ص ٣٦٤.

(١٢) م. ن. ج ٨، ص ١٤٨.

كما أنه اعتبر ألفاظا منحوتة من الثلاثي والموضع الحقيقي بها باب الرباعي وهناك أمثلة وضعها في باب الثلاثي الصحيح وحقها أن تأتي في باب الرباعي، وإذا رأى أن القاف حرف ملحق بالألف كان باب المعتل أولى بها "وأكثر من الحَوْلَقَة: أي من قول لا حول ولا قوة إلا بالله، والحَوْلَقُ: من أسماء الداهية وكذلك حَيْلَقُ، وسيف حالوقه ورجل حالوق" (١) "الحَوْلَقَة: سرعة المشي وهو أيضا-: الغرمول اللين، والقارورة الطويلة العنق تكون مع السقائين" (٢).

٨- وضع ألفاظا خماسية في باب الثلاثي الصحيح لتكرار حرفيها الأصليين أو لتضعيف أحد حروفها الأصلية وتضعيف حرف آخر من حروفها الأصلية "الْبَرْهَرَهَّةُ: البيضاء" (٣) "العُثْمُثُ: الطويل من الإبل في غلظ" (٤).

٩- اعتبر الصاحب الألف حرفا أصليا غير منقلب عن واو أو ياء أو همزة، فخصص له تقلبيات بعينها، ونحن نعلم أن الألف لا تكون حرفا أصليا وإنما هي حرف منقلب عن الواو أو الياء أو الهمزة غالبا. ومن التقلبيات التي خصصها للألف بوصفها حرفا أصليا غير منقلب تقليب (حكى) مع أن الألف في ألفاظه التي أوردتها منقلبة عن ياء "الحِكَايَةُ من قولك حَاكِيَتُهُ وَحَكِيَتُهُ: فعلت مثل فعله،... والحِكَايَةُ من النساء: النَمْلَةُ النَّمَامَةُ، وهي أيضا: التي تحكي الناس" (٥).

وفي تقليب (رقى) التي ألفها ياء كذلك "رَقِي يَرْقِي رُقِيًا: صَعِدَ في سَلَمٍ أو في دَرَجَةٍ، .. وَرَقِي الرَّاقِي يَرْقِي رُقِيَةً وَرُقِيًا: إذا عَوَّذَهُ، وصاحبه رُقَاءً" (٦).

ومن أمثلة انقلاب الألف عن الهمزة "أَفَقَتِ الشَّاةُ أَفْقَاءً: إذا حُسِبَتْها ماخضة.. (٧) ومن أمثلة انقلاب الألف عن الواو "حَادٌ يَحُوذُ حُوذًا: في معنى حَاطٌ يَحُوطُ.. ورجل أَحُوذِيٌّ: نَسِيحٌ وَحْدِهِ" (٨) وتقليب طال "الأَطُولُ: نَقِيضُ الأَقْصَرِ.. وَالطُّوْلُ: الحَبْلُ الطَّوِيلُ جِدًا" (٩).

١٠- الخلط بين الألفاظ الواوية واليائية والمهموزة في المعتل.

وضع الصاحب ألفاظا عينها ياء في مادة "حوك" مع أنه أورد تقليب (حيك) "والحائِكُ يَحُوكُ النَّسِجَ حَيْكًا، والحَيْكَةُ حرفته،.. والاحْتِيَاكُ بالثوب: الاحْتِيَاءُ به" (١٠).

(١) المحيط، ج ٢، ص ٣٥٧.

(٢) م. ن، ج ٢، ص ٣٥٠.

(٣) م. ن، ج ٣، ص ٤٨٣.

(٤) م. ن، ج ٢، ص ١٦.

(٥) م. ن، ج ٣، ص ١٣٧.

(٦) م. ن، ج ٦، ص ١٨.

(٧) م. ن، ج ٦، ص ٤٦.

(٨) م. ن، ج ٣، ص ١٨٩.

(٩) م. ن، ج ٩، ص ٢١٠.

(١٠) م. ن، ج ٣، ص ١٣٦.



ونجد هذا الخلط في تغليب (غشو) فقد أورد ألفاظا يائية فيها "غشِي عليه: ذهب عقله.."<sup>(١)</sup>.

ويظهر الخلط بينهما جليا في تغليب (رضى) فضمنه ألفاظا يائية وواوية "والمَرْضَاة والرَّضْوَانُ: واحد، ورضِي فلان كذا يَرْضَاهُ رَضْوَةً.. وقد رَضَاكَ الناس: رَضِيكَ، وما كان مَرْضُوًّا، وراضاني فَرْضُوته أَرْضُوهُ"<sup>(٢)</sup> "وعَسَا النبست عُسُوًّا، وَعَسِي عَسِيًّا أيضا، وَعَسَا الشيخ عَسُوَةً وَعَسِيًّا: كَبِيرٌ"<sup>(٣)</sup>.

بالإضافة إلى أن صاحب يضع ألفاظا مهموزة في تغليب غير مهموز، أي ليست الهزمة من حروفه الأصلية ومن ذلك تغليب (حجو) فقد أورد فيه ألفاظا مهموزة "والْحِجَاءُ: زمزمة المجوس، .. والأَحْجَاءُ: النواحي والجوانب،.. والمَحْجَأُ: شبه الملجأ،.. والحَجِيءُ: البخيل،.. وَتَحَجَّاتٌ وَتَلَوَّمَتْ: واحد،.. وَحَجَّاتٌ عنه كذا: حبسته عنه،.. والحِجَاءُ: المعاركة وأَحْجَاتِي الرجل إِحْجَاءٌ وَأَمَلَنِي إِمْلَالًا: بمعنى واحد"<sup>(٤)</sup>.

وقد يضمن تغاليب المهموز ألفاظا غير مهموزة، من ذلك تغليب (خسا) فقد ذكر فيه "والخِيسِي: نحو الكساء أو الخَبَاءِ ينسجان من الصوف"<sup>(٥)</sup>. وتغليب (حدا) فقد ذكر فيه "الجِدَّةُ: جِدَّةُ اللسان وهي جُدُّ مُقَدَّمِهِ كله"<sup>(٦)</sup> وتغليب (تاق) فأورد فيه "التَيْفَكَانُ مِنَ الرَّجَالِ: الشديد الوثب"<sup>(٧)</sup>.

١١- وضع صاحب الألفاظ تعود إلى الرباعي المعتل - إذا جاز التعبير - أو أنها ألفاظ منحوتة من أصلين أحدهما صحيح والآخر معتل في أبواب الثلاثي المعتل، إذ ذكر في مادة (ميج) "والمَيْحُوحَةُ والمَيْحُ: ضرب من المشي في رهوجة حسنة"<sup>(٨)</sup> فقد تكون منحوتة من مح وميح، وذكر في مادة (عوق) "والمَعْوُوقُ: المَخْفِيفُ المَعْوُوزُ، والجائع أيضا، وبه عَوْقٌ وَعَوْقٌ بمعنى"<sup>(٩)</sup> فقد تكون منحوتة من عَوْقٌ وَعَلَقٌ؛

١٢- عد صاحب المهموز من أبواب المعتل

"الأرَاكُ: شجر السواك"<sup>(١٠)</sup> "حَزَأْتُ الإبل: اتبعت بعضها بعضاً"<sup>(١١)</sup>.

١٣- كثرة التغليات في أبواب الثلاثي المعتل في معجم المحيط في اللغة.

باين صاحب الخليل والأزهري في كثرة أبواب المعتل، فقد كان الأزهري يجعل عين الألفاظ المعتلة ألفا للألفاظ المنقلبة عن واو أو ياء، أما صاحب فيجعلها تغليبين

(١) المحيط، ج ٥، ص ١٠١.

(٢) م، ن، ج ٨، ص ٤٢-٤٣.

(٣) م، ن، ج ٢، ص ١١١.

(٤) م، ن، ج ٣، ص ١٤١-١٤٢.

(٥) م، ن، ج ٤، ص ٣٨٥.

(٦) م، ن، ج ٣، ص ١٨٠.

(٧) م، ن، ج ٥، ص ٤٩١.

(٨) م، ن، ج ٣، ص ٣٣.

(٩) م، ن، ج ١٢، ص ٨٢.

(١٠) م، ن، ج ٦، ص ٣٢١.

(١١) م، ن، ج ٢، ص ١٧٠.

منفصلين؛ أحدهما للألفاظ التي عينها واو، والآخر للألفاظ التي عينها ياء، لكن الأزهري وضع الألفاظ التي عينها واو أو ياء تحت تقلب واحد تكون لامه ألفا منقلبة عن واو أو ياء، أما صاحب فكان يجعلهما تقلبيين، تقلبياً للألفاظ التي لامها واو، وتقلبياً للألفاظ التي لامها ياء، وقد غلب عليها الاستعمال مقلوبة عن الياء، أما الخليل مؤسس المدرسة فكان يضع الألفاظ التي عينها واو أو ياء في تقلب واحد قد تكون عينه واوا أو ياء، فيذكر جميع الألفاظ ضمن هذا التقلب، وكان الخليل يجعل الألفاظ التي لامها واو أو ياء في تقلب واحد تكون لامه ألفا، ولنوضح منهج كل منهما نذكر أمثلة من حرف الطاء من باب المعتل الثلاثي.

وضع الأزهري الألفاظ التي فاؤها لام وعينها واو أو ياء ولامها طاء ضمن تقلب واحد هو "لاط"<sup>(١)</sup>، ووضعها صاحب ضمن تقلبيين "لَيْطٌ، لَوَطٌ"<sup>(٢)</sup> والصاحب بهذا يماثل الخليل الذي جعل لهما تقلبيين "لَيْطٌ، لَوَطٌ"<sup>(٣)</sup>. أما تقلب "الطاء واللام (و.ا.ي)" فجعلهما الخليل تقلبياً واحداً (طَلَى) وكذلك الأزهري، وجعلهما صاحب تقلبيين (طَلَى) للألفاظ التي لامها ياء وغلب عليها الاستعمال مقلوبة إلى الألف، وتقلب (طَلَوُ) للألفاظ التي لامها واو.

ونرجح منهج الخليل والأزهري في هذا التقلب لأن التبادل بين معاني ألفاظهما ولامهما ظاهران، فقد ذكر صاحب في مادة (طَلَى) "الطَّلَا: الولد الصغير من كل شيء،.. وطلبت الشيء: حبسته، فهو مطلي وطلبي. وكذلك الجدّي إذا ربطته بخيط،.. والطلوان والطليان والطلاياء: الريق الذي يجف على الأسنان من جوع، وهو الطلاوة أيضاً، وقد طلي ريقه وفوه"<sup>(٤)</sup> وكرر مجمل هذه المعاني في مادة (طَلَوُ) فقال: "وطلست الجدّي وطليته: أي ربطت رجله. والخيط الطلوة والطلوة، والطلاء والطلوان: الريق الذي يجف على الأسنان، وكذلك الطلاوة والطلاء،.. والطلا من أولاد الطبي يثنى طلوان أيضاً"<sup>(٥)</sup>.

نلاحظ أن صاحب يماثل الخليل في جعل (لَيْطٌ، لَوَطٌ) تقلبيين، ويخالفه في (طَلَى) التي جعلها الخليل تقلبياً والصاحب تقلبيين.

أما تقلبيات (الطاء والباء (و.ا.ي)) فوضع الخليل الألفاظ التي فاؤها طاء، وعينها حرف علة ولامها باء ضمن تقلب واحد هو (طَيْبٌ)، وشابهه الأزهري في ذلك فقد جعلها تقلبياً واحداً إلا أنه لم يكن (طَيْبٌ) بل كان (طَابٌ)<sup>(٦)</sup> فقد ضمن هذا التقلب الألفاظ التي عينها واو والألفاظ التي عينها ياء، أما صاحب فخالفهما إذ وضع الألفاظ التي عينها واو ضمن تقلب خاص بها هو (طَوَّبٌ) ووضع الألفاظ التي عينها ياء ضمن تقلب آخر هو (طَيْبٌ).

(١) التهذيب، ج ١٤، ص ٣٣.

(٢) المحيط، ج ٩، ص ٢١٣.

(٣) العين، ج ٧، ص ٤٥١-٤٥٣.

(٤) م، ج ٩، ص ٢١١-٢١٣.

(٥) م، ج ٩، ص ٢١٣-٢١٤.

(٦) التهذيب، ج ١٤، ص ٣٩.

ضم الخليل الألفاظ التي فاؤها طاء وعينها باء ولامها واو وياء في تقليب واحد هو (طَبِي) <sup>(١)</sup> وفعل فعله الأزهرى <sup>(٢)</sup> إلا أن صاحب لم يماثلهما في ذلك، فقد جعلهما في تقليبين (طَبِي، طَبُو) <sup>(٣)</sup>.

لم يأت الخليل بتقليب تكون فاؤه طاء وحرف العلة عينا ولامه ميماء، وذكر الأزهرى ألفاظا تكون فاؤها طاء وعينها واوا أو ياء ولامها ميماء ووضعها ضمن تقليب واحد هو (طَام) <sup>(٤)</sup> أما صاحب فوضعها في تقليبين (طَوْم، طِيم) <sup>(٥)</sup>.

ولم يقتصر منهج صاحب هذا على تقليبات حرف الطاء من المعتل فقط، وإنما ذكرته شاهدا ممثلا لمنهجه، وحتى أتجاشى الاقتصار في الإيضاح سأذكر أمثلة أخرى، ففي الألفاظ من حرف الشين التي فاؤها شين وعينها حرف علة ولامها راء جعلهما الخليل في تقليب واحد (سُور) <sup>(٦)</sup> ووضعها الأزهرى في تقليب واحد كذلك هو (سَار) <sup>(٧)</sup>، أما صاحب فجعل لهما تقليبين (سَيْر، سُور) <sup>(٨)</sup>.

ووضع الأزهرى الألفاظ التي فاؤها زاي وعينها حرف علة ولامها دال ضمن تقليب واحد (زَاد) <sup>(٩)</sup> أما صاحب فجعلهما ضمن تقليبين منفصلين (زُود، زِيد) <sup>(١٠)</sup> وهو بهذا يماثل الخليل <sup>(١١)</sup> وفي حرف الذال في تقليب ما أوله ذال وعينه راء ولامه حرف علة، جعل له الخليل تقليبا واحدا (ذُرَى)، وماتله في ذلك الأزهرى، أما صاحب فجعلهما في تقليبين (ذَرَاء، ذُرُو) مع أن معانيهما متشابهة.

إذا أنعمنا النظر في التقليب التي انفرد بها صاحب على سابقه فإننا نجد أن تلك التقليب لم تحتو إلا ألفاظا قليلة، فقد تكون لفظة أو لفظتين ومن أمثلة ذلك تقليب (طوب) "الطَوْبَةُ: الأجرَّة" <sup>(١٢)</sup> وتقليب (طَبُو) "طَبَانِي يَطْبُونِي: دَعَانِي" <sup>(١٣)</sup> وتقليب (شِير) "يَوْم السبت: يوم شِيَار، وجمعه سُيْر - على صَيْدٍ -، والشَيْرُ: الشجر، الواحدة شَيْرَةٌ وتصغيرها شَيْرَةٌ" <sup>(١٤)</sup> شاطر الخليل والأزهرى صاحب في المآخذ التي ذكرناها في شأن باب المعتل من الثلاثي غير أن صاحب زاد عليهما بكثرة التقليبات وانفراده في بعضها مع أنها فقيرة في المواد التي احتوتها تلك التقليبات.

(١) العين، ج٧، ص ٤٦٠.

(٢) التهذيب ج١٤، ص ٤٢.

(٣) المحيط، ج٩، ص ٢٢٣.

(٤) التهذيب، ج١٤، ص ٤٢.

(٥) المحيط ج٩، ص ٢٢٣.

(٦) العين، ج٦، ص ٢٨٠.

(٧) التهذيب، ج١١، ص ٤٠٣.

(٨) المحيط، ج٧، ص ٣٧٨-٣٧٩.

(٩) التهذيب، ج١٣، ص ٢٣٤.

(١٠) المحيط، ج٩، ص ٧٦-٧٧.

(١١) العين، ج٧، ص ٣٧٧.

(١٢) المحيط، ج٩، ص ٢٢٩.

(١٣) م، ج٩، ص ٢٢٩.

(١٤) م، ج٧، ص ٣٧٩.

١٤- عامل الصاحب الهاء في باب اللفيف من الهاء معاملة أحرف العلة، فقد وضع اللفظة التي تكرر فيها حرف الهاء مرتين في باب اللفيف "وهة: تذكرة في حال. وتحذير في أخرى" (١).

١٥- وضع ألفاظا من الثنائي في باب اللفيف لاحتوائها على حرف علة "يقولون في موضع لبي في الإجابة: ها وهي" (٢) "وأخ: كلمة يتكلم بها عند التوجع كالأستغاثة" (٣) "يك: يقال للواحدة في كلام العرب: يك" (٤).

١٦- أورد ألفاظا من الثلاثي المعتل في اللفيف لتكرار حرفه الأصلي. "اليق: القطن" (٥) "الصيصاء: ما حشف من التمر فلم يعقد له نوى" (٦) "القوق: الأهوج الطويل القوائم" (٧).

١٧- ضم ألفاظا رباعية إلى ألفاظ اللفيف لاحتوائها على حرفي علة وحرف صحيح مكرر.

"الغوغاء ممدود-: الجراد" (٨) "الوشوشة: كلام في اختلاط" (٩).

١٨- وضع الصاحب بعض الألفاظ الثلاثية في أبواب الرباعي مع إشارته إلى أصل بعضها في اللفظ الصريح، ومن ذلك قوله: "الهبعرة: الفاجرة، وهو ثلاثي" (١٠) "البلغوم: الميم زائدة وأعداها رباعية واعتبر الميم أصلية وهي ثلاثية من بلع" (١١).

١٩- عد الصاحب بعض الألفاظ الخماسية رباعية لتكرار أحد حروفها الأصلية. "صوت صهصلق: شديد" (١٢) "الخرنزر: السيئ الخلق" (١٣).

اعتبار الصاحب هذه الألفاظ رباعية ولا سيما صهصلق التي ماثلته فيها الأزهرى (١٤) يستوقف النهى، إذ إنه لم يعدا خماسية كما عدّها الخليل (١٥)، ولم يقل إن تلك الألفاظ منحوتة من أصلين ثلاثيين كما نص على ذلك أستاذه ابن فارس في الصاحب، وطبقها خير تطبيق في معجم المقاييس. (١٦).

(١) المحيط، ج٤، ص ٩١.

(٢) م.ن، ج٤، ص ٩١.

(٣) م.ن، ج٧، ص ٤٣٨.

(٤) م.ن، ج٦، ص ٣٥٦.

(٥) م.ن، ج٦، ص ٧٠.

(٦) م.ن، ج٨، ص ٢١٤.

(٧) م.ن، ج٦، ص ٧٠.

(٨) م.ن، ج٥، ص ١٥٠.

(٩) م.ن، ج٧، ص ٤٠٧.

(١٠) م.ن، ج٢، ص ١٩٥.

(١١) م.ن، ج٢، ص ١٩٧.

(١٢) م.ن، ج٤، ص ١٠٤.

(١٣) م.ن، ج٤، ص ٤٦٤.

(١٤) التهذيب، ج٦، ص ٤٩٨.

(١٥) العين، ج٤، ص ١٢٩.

(١٦) الصاحب، ص ٢٧١.

لم تقتصر هذه المآخذ على الصاحب بل قاسمه في عدد لا بأس به منها أصحاب مدرسة العين جميعهم، وقد تطال معظم المعجميين إن لم يكن جميعهم، فهذه المآخذ يمكن تخطي معظمها بمعرفة علم الصرف وأبنية العربية، ونقول كما قال السيوطي في المزهر: "لأن الأول الإنكار فيه راجع إلى الترتيب والوضع في التأليف، وهذا أمر هين، لأن حاصله أن يقال: الأولى نقل هذه اللفظة من هذا الباب وإيرادها في هذا الباب، وهذا أمر سهل"<sup>(١)</sup>.

---

(١) السيوطي، المزهر ج ١، ص ٨٦.

## الباب الثاني

مصادر المحيط وشواهد لغات القبائل فيه

الفصل الأول: مصادر المحيط

الفصل الثاني: شواهد المحيط

الفصل الثالث: لغات القبائل

## الفصل الأول: مصادر المحيط

استصفاً مصادر المحيط عملية وعرة المسالك، إذ أهمل صاحب ذكر سلسلة سند اللغويين الذين أخذ عنهم، فنحن لا نجد في المتن ذكر العلماء واللغويين الذين استمد صاحب منهم مادة معجمه، وإذا أورد سلسلة سند كانت مقتصرة على رجلين غالباً، وتلك السلسلة لا تعطينا صورة واضحة عن طرق تحمل معجم صاحب لتلك المواد اللغوية والحصول عليها.

فلنأخذ على ذلك مثلاً مادة (عَيزَ) "أبو زيد عن الكلابيين: ما يُعوز له شيء إلا أخذه. أي ما يُطف" (١) وفي مادة (دَعَبَ) ذكر "وحكى الخارزنجي عن أبي عبيدة: الذعبان، الفتى من الذناب، والذوبان: المسن منها" (٢) فسلسلة المثال الأول تعلمنا أن صاحب أخذ هذه اللفظة عن أبي زيد عن الكلابيين، وقد ولد صاحب عام ٣٢٦هـ وتوفي أبو زيد عام ٢١٥هـ وهذان الرقمان يرياننا المدة الفاصلة بين وفاة أبي زيد وولادة صاحب، فالمرجح أن صاحب أخذ معنى هذه اللفظة من كتب أبي زيد، وسلسلة السند الثانية تشعرنا أن صاحب أخذ معنى اللفظة عن الخارزنجي، وقد يكون هذا واقعا، لكن أصحاب كتب التراجم لم يذكروا اسم الخارزنجي ضمن شيوخ صاحب، ولم يشيروا إلى أن صاحب التقاه.

ومما يزيد رصد مصادر صاحب صعوبة عدم إيراد صاحب ذكر اسم العالم الذي أخذ عنه مواد كتابه، وليس هذا القول مطلقاً فقد وجدنا مواد قليلة أشار صاحب فيها إلى اسم العالم الذي انفرد بذكر معاني تلك الألفاظ، فقد أسند إلى أبي الدقيش (٣) لفظة واحدة، وإلى أبي زياد (٤) لفظتين، وإلى أبي عمرو بن العلاء (٥) لفظة واحدة، وأبي المجيب (٦) لفظتين، وأحمد بن حاتم (٧) - صاحب الأصمعي - ثلاث لفظات، والجاحظ (٨) أربع لفظات، واللحياني (٩) لفظتين، ومحمد بن حبيب (١٠) لفظتين، واليزيدي (١١) لفظة واحدة، وأبي تراب (١٢) لفظتين.

مع أن إيراد صاحب لأسماء اللغويين الذين استقى منهم مادة معجمه نادر غير أن تلك الأسماء تبين لنا أن صاحب نهل من معين صاف، إذ أسند ألفاظاً عديدة إلى علماء

(١) المحيط، ج ٢، ص ١١٦.

(٢) م.ن، ج ١، ص ٤٦٧.

(٣) م.ن، ج ١، ص ١٥٥.

(٤) م.ن، ج ٢، ص ٣٢٨، ج ٣، ص ٣٧١.

(٥) م.ن، ج ٧، ص ٢٩٩.

(٦) م.ن، ج ٨، ص ١٨٧، ج ١٠، ص ٣٢٤.

(٧) م.ن، ج ١، ص ٢٦٥، ج ٣، ص ٢٠٨.

(٨) م.ن، ج ١، ص ٦٧، ج ٦، ص ٩٦.

(٩) م.ن، ج ٣، ص ٢٠، ١٨٣.

(١٠) م.ن، ج ١، ص ١٠٣، ج ٣، ص ١٠.

(١١) م.ن، ج ٢، ص ١٩٦.

(١٢) م.ن، ج ٣، ص ٣١، ٦٤.

العربية الأفاذ، من أمثال أبي عمرو بن العلاء<sup>(١)</sup>، والخليل<sup>(٢)</sup>، وسيبويه<sup>(٣)</sup>، والأصمعي<sup>(٤)</sup>، وأبي عمرو الشيباني<sup>(٥)</sup>، وأبي زيد الأنصاري<sup>(٦)</sup>، والنضر بن شميل<sup>(٧)</sup>، وأبي عبيدة<sup>(٨)</sup>، وأبي عبيد<sup>(٩)</sup>، وابن قتيبة<sup>(١٠)</sup>، كما تطلعنا تلك الأسماء على أن صاحب نقح مواد معجمه وثقتها معتمداً على أكابر علماء مدرستي العربية في زمانه، فمن أشهر العلماء البصريين الذين أسند إليهم ألفاظاً بعينها أبو زيد الأنصاري، وأبو عبيدة معمر بن المثنى، والمبرد<sup>(١١)</sup>، وابن دريد<sup>(١٢)</sup>.

وأهم علماء الكوفة الكسائي<sup>(١٣)</sup>، والفراء<sup>(١٤)</sup>، وابن السكيت<sup>(١٥)</sup>، وابن الأعرابي<sup>(١٦)</sup>، والحياتي<sup>(١٧)</sup>، وأحمد بن يحيى ثعلب<sup>(١٨)</sup>.

قلنا إن ذكر صاحب العلماء الذين أخذ عنهم كان نادراً إلا أن هنالك عالمين معجميين زخر المحيط في ترداد اسميهما ألا وهما: الخليل بن أحمد الفراهيدي، وأحمد بن محمد البشتي المعروف بالخارزنجي، ولاعتماد صاحب على هذين العالمين دون غيرهما من المعجميين ارتأيت أن أتوقف عندهما مبيّنة أثرهما في المحيط.

" الخليل بن أحمد الفراهيدي "

هو الخليل بن أحمد بن عبد الرحمن أبو عبد الرحمن الفراهيدي الأزدي من الفراهيد، وقيل: هو منسوب إلى فزهود بن شابة بن مالك بن فهم<sup>(١٩)</sup> وأبوه أحمد أول من سمي بهذا الاسم بعد الرسول صلى الله عليه وسلم، وقيل إنه ولد في عُمان عام مائة هجرية وانتقل إلى البصرة وصار أشهر علمائها، وتلقّى العلم على يدي أبي عمرو بن

(١) المحيط، ج٧، ص ٢٩٩.

(٢) م، ج١، ص ٦٠.

(٣) م، ج٢، ص ١١، ٦٣.

(٤) م، ج٢، ص ٦، ٣١.

(٥) م، ج٥، ص ٦٧.

(٦) م، ج٢، ص ١١٦، ١١٩.

(٧) م، ج٧، ص ٢٦، ٤٤٢.

(٨) م، ج٣، ص ٤٢.

(٩) م، ج٢، ص ٤٨، ٨٤.

(١٠) م، ج٢، ص ٣٨٢.

(١١) م، ج١، ص ٦١.

(١٢) م، ج٥، ص ١٨، ٢٠.

(١٣) م، ج٦، ص ٤٦.

(١٤) م، ج٣، ص ٤٧.

(١٥) م، ج٢، ص ١٦٣.

(١٦) م، ج٦، ص ٣١.

(١٧) م، ج٣، ص ١٨٣.

(١٨) م، ج٢، ص ١٢٠.

(١٩) القفطي، انباه الرواه، ٣٤١، ياقوت الحموي، معجم الأبناء ج٣، ص ١٢٦٠، السيوطي، بنية الوعاة، ج١، ص ٥٥٧.



العلاء وأيوب وعاصم الأحوال<sup>(١)</sup> وتتلّمذ على يديه واغترف من علمه علماء العرب ولغويوها أمثال: الأصمعي، وسيبويه، والنضر بن شميل. وأبو فيد مؤرخ السدوسي، وعلي بن نصر الجهضمي<sup>(٢)</sup> وغيرهم.

أبدع الخليل علوماً لم توجد في العربية قبله إذ يعدّ مبدع علم المعاجم وعلم العروض "فاستخرج من العروض واستنبط منه ومن علله ما لم يستخرجه أحد، ولم يسبقه إلى علمه سابق من العلماء كلهم"<sup>(٣)</sup>، ونبغ في علم النحو فمادة الكتاب مستقاة من علم الخليل وعبقريته "وهو أستاذ سيبويه، وعامة الحكاية في كتابه عنه، وكلما قال سيبويه: "وسألته، أو قال" من غير أن يذكر قائله فهو الخليل"<sup>(٤)</sup>.

زهّد الخليل في معالم الدنيا وزادها وفتن في مغارم علومها، فساد من أخذ عنه وتسوّد، وطال بنيانه وذاع صيته، والخليل غير أبيه بلذات ثمار علومه ومضرب عن مزاحمة الشعراء والعلماء على أبواب السلاطين.

وقد أجمعت معظم الروايات التي أرّخت لحياة الخليل أنه كان يغزو عاماً ويحج عاماً، وللخليل أقوال ماثورة شاعت بين الناس وما زلنا نتداولها إلى يومنا هذا، فهي تحمل بين طياتها عبراً ومقابلات مبنية على المفارقة والصدية "وقال: الرجال أربعة: رجل يدري ويدري أنه يدري فذاك عالم فاتبعوه، ورجل يدري ولا يدري أنه يدري فذاك غافل فنبهوه، ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فذاك جاهل فعلموه، ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري، فذاك مائق فاحذروه..."<sup>(٥)</sup> "وقال الخليل بن أحمد: أربع تعرف بهن الأخيرة؛ الصّحّ قبل الاستقالة، وتقديم حسن الظن قبل التهمة، والبذل قبل المسألة، ومخرج العذر قبل العتب"<sup>(٦)</sup>.

نسبت للخليل كتب لغوية ما زلنا ننهل منها الكثير أمثال: العين، والعروض، وهناك كتب لم تصل إلينا منها الشواهد، والنغم، والنقط والشكل، والعوامل، والإيقاع، والجمل، وفانت العين.

ودارت حول نسبة كتاب العين إليه مناظرات وجدل ونقاش، وانقسم العلماء في ذلك ثلاث فرق؛ فريق يخلص نسبته للخليل، وفريق ينكر أن يصدر عن أصغر تلاميذ الخليل، وفريق يرى أنه من علم الخليل أملاه على تلميذه الليث بن المظفر، ولا أريد الخوض في أسباب هذه الشكوك ونتائجها، فقد كفتني مؤنة البحث في ذلك كتب عديدة<sup>(٧)</sup>. روت كتب التراجم للخليل أشعاراً عديدة متضمنة حكماً وعبراً وعظة<sup>(٨)</sup>. وأرجح الروايات نقول: إن الخليل توفي عام خمسة وسبعين ومائة للهجرة.

(١) السيوطي، بغية الوعاة ج١، ص ٥٥٨، ياقوت الحموي، معجم الأديباء ج٣، ص ١٢٦٢.

(٢) ياقوت الحموي، معجم الأديباء ج٣، ص ١٢٦٢، السيوطي، بغية الوعاة ج١، ص ٥٥٨.

(٣) الأزهري، التهذيب ج١، ص ١٠.

(٤) السيوطي، بغية الوعاة ج١، ص ٥٥٨.

(٥) ياقوت الحموي، معجم الأديباء ج٣، ص ١٢٦٤-١٢٦٨، السيوطي، بغية الوعاة ج١، ص ٥٥٩.

(٦) القفطي، أنباه الرواة، ج١، ص ٣٤٧.

(٧) القفطي، أنباه الرواة، ج١، ص ٣٤٣، السيوطي، بغية الوعاة، ج١، ص ٥٥٩، حصين نصار، المعجم العربي، ج١، ص ٢١٩-٢٢٢، عبد القادر عبد الجليل، المدارس المعجمية، ص ١١٠.

(٨) ياقوت الحموي، معجم الأديباء ج٣، ص ١٢٦٢-١٢٧١، السيوطي، بغية الوعاة، ج١، ص ٥٥٨، القفطي، أنباه الرواة، ج١، ص ٣٤٥-٣٤٢.

لم ير صاحب الخليل ولم يسمع منه، ولم يجز الخليل صاحب رواية كتبه، ولم يتلمذ على يديه إلا أن عدم الرؤية لم تمنع أن يكون الخليل من أشهر أساتذة صاحب وأعمقهم أثرا في نفسه ومعجمه، فقد أنتهل من معين الخليل واستقى من إبداعه. وحاول أن يكون طالب علم نجيبا في المعاجم والعروض. فقد نص صاحب في مقدمة معجمه أنه سيأخذ من العين نبراسا يستضيء به ودليلا يرشده على انتقاء ألفاظ العربية ومبانيها، فانتهج نهجه وألف كتابه على منوال العين وأخذ من النظام الصوتي وسيلة حصر بوساطته ألفاظ العربية، وهو يرى أن الخليل أعلم من كتب بالعربية وأفضل من ذاق أحرفها وأجود من سبك مبانيها وأول من صنف في معاجمها وأميز من كتب فيها فقال: "واعلم أن الخليل لما هم بجمع كلام العرب أجال فكره فيما يبني عليه كتابه ويدير عليه أبوابه، فنظر في الحروف كلها، وذاقها، ووجد مخرج الكلام كله من الحلق، فصير أولها بالابتداء أدخل حرف منها في الحلق، وكان ذلك العين، فجعلها أول الكتاب، ثم ما قرب منها؛ الأرفع فالأرفع"<sup>(١)</sup> "قال الخليل: وإنما بدأنا الأبنية بالمضاعف لأنه أخف على اللسان وأقرب مأخذا للمتفهم إن شاء الله"<sup>(٢)</sup>.

بيننا أثر الخليل في معجم المحيط عندما حللنا مقدمته ورأينا صاحب حينما صير نفسه مدافعا عن منهج الخليل ومبدعا حججا وبراهين تثبت مزية الخليل على غيره وانفراده بين أقرانه، وأن منهج الخليل منهج يحتذى وطريق يسلك، إذ احتوى ألفاظ العربية ومبانيها ونص على مستعملها ومهملها وأن مسوغات منهج الخليل وريادته لا تخفى على ذي نهيبة.

لم يقتصر أثر الخليل على المحيط في مقدمته وفي اتباعه النظام الصوتي ومبدأ التقليل بل تعداه إلى أن يكون معجم العين هو المصدر الأول لمادة المحيط، فإذا وجدت ألفاظا لم ترو عن الخليل أشار إليها وبين أنها مهملة عنده "جعث: أهمله الخليل"<sup>(٣)</sup> "دمح: مهمل عند الخليل"<sup>(٤)</sup> "جزن: مهمل عنده"<sup>(٥)</sup> "سكم، مهمل عنده"<sup>(٦)</sup> "الغين والسين والبدال: مهملات عنده"<sup>(٧)</sup>، وقد أشرنا إلى تتبع صاحب للمهمل والمستعمل أثناء مناقشتنا المهمل في المحيط.

المقابلة بين مواد صاحب ومواد الخليل تكشف لنا أثر العين الواضح في المحيط، فقد اقتفى صاحب منهج الخليل في تقسيم الحروف حسب النظام الصوتي وتصنيف أبنية العرب إلى أربعة مبان، ورصد ألفاظها وفق فكرة التقليل، وروى مواد معجم العين جميعها مع إضافة ألفاظ جديدة للصاحب واختصار شواهد واجتزاء ألفاظ، وبيننا أثر ما قلناه في تحليلنا لمقدمة المحيط، ولنعطي صورة واضحة عن أثر الخليل في مواد المحيط نقارن بين أسلوبيهما في عرض موادهما، نقل صاحب ألفاظا من العين دون أن يحدث على سبكها شيئا جديدا، فقال الخليل: "زُندٌ شحاح: أي لا يوري" وقال صاحب: "والزُندُ

(١) المحيط، ج ١، ص ٥٩-٦٠.

(٢) م.ن، ج ١، ص ٦١.

(٣) م.ن، ج ١، ص ٢٣٦.

(٤) م.ن، ج ٣، ص ٤٨.

(٥) م.ن، ج ٧، ص ٢٨.

(٦) م.ن، ج ٦، ص ١٩٦.

(٧) م.ن، ج ٥، ص ١٢.

الشحاح: الذي لا يوري"، وقال الخليل: "الشح: البخل وهو الحرص" وهي عند صاحب "الشح: البخل والحرص".

وهناك ألفاظ في العين نقلها صاحب مجتزأة مختصرة، واجتزاء صاحب يصب في طريقين:

أولهما: - اجتزاء مجمل.

امتاز الخليل في عرض مادته وتبيان معانيها على تتبع بناها الصرفية والشواهد التي ذكرت حولها، وكان صاحب يورد معاني اللفظة نفسها لكنها جملة غير مفصلة ومن أمثلة ذلك قول الخليل: "وهو عدلٌ بين العدل والعدولة، والعدل: الحكم بالحق. أو تقول: هو كعدل، أي يحكم بالحق والعدل. وهو حكمٌ عدلٌ ذو معدلة في حكمه"<sup>(١)</sup> واجملها صاحب بقوله: "بين العدالة والعدولة وهم أهل المعدول والمعدلة والمعدلة"<sup>(٢)</sup> وقول الخليل في مادة شح "والشحشح: المواظب على الشيء الماضي فيه، والشحشح الغيور وهو الشحشاح.. ويقال للخطيب الماهر في خطبته الماضي فيها: شحشح"<sup>(٣)</sup> وحوورها الصلح "والشحشح: المواظب على الشيء الماضي فيه؛ حتى الخطيب، وكذلك الشحشحان والشحشاح"<sup>(٤)</sup>.

استند صاحب على البنى الصرفية في تبيان معاني الكلم، وهذا الاستناد يدعم اجتزاء الألفاظ، فتركيزه على البنى الصرفية يغنيه عن تبيان دلالة اللفظ بالقول، فقد فصل الخليل القول في معنى متع "والمناع: ما يستمتع به الإنسان في حوائجه من أمتعة البيت ونحوه من كل شيء. والدنيا متاع الغرور، وكل شيء تمتعت به فهو متاع، يقول: إنما العيش متاع أيام ثم تزول [أي بقاء أيام] وممتعك الله به وأمتعك واحد: أي أبقاك لتستمتع به فيما تحب من السرور والمنافع وكل من متعه شيئاً فهو له متاع ينتفع به"<sup>(٥)</sup> أما معناها عند صاحب فكان "المناع: كل ما استمتعت به وأمتعت به أي تمتعت، وأمتعت منه بكذا: استمتعت. وهذه أمتعته وأمتعته، ومتع الله فلاناً وأمتعته بكذا"<sup>(٦)</sup>.

ثانيهما: - الاجتزاء المخل.

تحويل اللفظة واختصار أبنيتها والاتكاء على البنى الصرفية في اجتزاء معاني المواد لا يضير في المعنى المعجمي ولا يعد مأخذاً يسدد إلى فاعله، أما الاجتزاء الذي يذهب المعنى ويعممه ويبيده عن المقام الذي قيل فيه طعنة يرمى بها فاعله، والصاحب من الذين اختصروا فأخلوا، وحوروا فأضلوا في مواد قليلة، ولا أريد أن أصير من بحثي مرافعة عما اقترفه صاحب وأقول:

لعل هذا عائد إلى أخطاء النساخ واختصارهم، أو أن غبار الأيام محام معالم ما أورده صاحب فضيع عليه ما امتاز به ولكني أقول: إن الاجتزاء سمة اتسم بها المحيط، واختصار القول صفة غلبت عليه، ولكنه اختصار مجمل.

(١) العين، ج ٢، ص ٣٨.

(٢) المحيط، ج ١، ص ٤٢٢-٤٢٣.

(٣) العين، ج ١، ص ١٢-١٣.

(٤) المحيط، ج ٢، ص ٢٩٥-٢٩٦.

(٥) العين، ج ٢، ص ٨٣.

(٦) المحيط، ج ١، ص ٤٥٠.

حاول الصاحب أن لا يقع في مصيدة التكرار والإعادة، ولعل هذا السبب هو الذي جعله يضرب عن ذكر أسانيد العلماء الذين أوردوا معاني تلك الألفاظ، واختصار الصاحب المخل لم يقع إلا في بضع مواد محدودة ومن ذلك اختصاره أحد معاني مادة (عدل)، قال الخليل: "الْعَدْلُ: المرضي من الناس قوله وحكمه" (١) وذكر الصاحب " هو عَدْلٌ: أي مرضي" (٢)، وشرح الخليل معنى (الشِّبْه) "قال الليث: الشِّبْهُ، ضرب من النحاس يلقى عليه دواء فيصفر، وسمي بالشِّبْه لأنه مُشْبَهٌ بالذهب" (٣) وأما الصاحب فشرحها بقوله: " الشِّبْهُ: ضرب من النحاس، ويشبه أيضا" (٤).

عهدنا في أسلوب الصاحب أن ينبه على إهمال الخليل بعض التقاليد لكننا وجدنا أن هنالك تقاليد مهمة عند الخليل لم يشر الصاحب إلى إن الخليل قد أهملها، ومن أمثلة ذلك: " الخارزنجي: الهَلْقَى: عَدْوٌ كَالْوَلْقَى، هَلَقٌ يَهْلِقُ وَنَهْلَقُ: أَسْرَعٌ" (٥) " الخارزنجي: تَهَكَّنَ الرَّجُلُ: تَنَدَّمَ" (٦) " الخارزنجي: أَمْعَخَ الرَّجُلُ أَنْفَهُ إِفْمَاخًا: إِذَا كَانَ مُتَكَبِّرًا" (٧) " الصَّيْمُ - بتشديد الميم - : الْمُجْتَمِعُ الْخَلْقِ الشَّدِيدُ" (٨) " الدَّقْلُ وَالدَّقْلَى: وَهُوَ مَنْ أَمْرَارِ النَّبَاتِ" (٩).

وعلى النقيض من ذلك نبه الصاحب على إهمال الخليل بعض التقاليد على الرغم من ورودها في العين، ومن أمثلة ذلك قول الصاحب: "جره: مهمل عنده. الخارزنجي: سمعت جَرَاهِيَةَ الْقَوْمِ: أَي كَلَامَهُمْ وَصَوْتَهُمْ، وَرَجُلٌ ذُو جَرَاهِيَةٍ: وَقِيلَ: هِيَ الْجَمَاعَةُ" (١٠) وقد وجدناها في كتاب العين "جره: سمعت جراهية القوم، وهو كلامهم وعلانيتهم دون سرهم" (١١) وذكر الصاحب أن تقليات الهاء والغين والميم (١٢) مهملات مع أننا وجدنا في العين تقليب همغ "الهَمِغُ: الموت الوَجِي، ويقال: إنما هو بالعين [المهملة]" (١٣) ومماثل لذلك إيراد الصاحب إهمال الخليل تقاليد "الهاء والغين والقاف: مهمل عنده: الخارزنجي: الْغَيْهَقُ: مِثْلُ الْغَيْهَقِ وَهُوَ الْجُنُونُ وَالنَّشَاطُ" (١٤) وقد أشار إليها الخليل أثناء عرضه لتقاليد الهاء والغين والنون فقال: "وأما الْغَيْهَقُ فهو النشاط ويوصف به الْعِظْمُ وَالتَّرَارَةُ" (١٥).

(١) العين، ج ٢، ص ٣٨.

(٢) المحيط، ج ١، ص ٤٢٢.

(٣) العين، ج ٣، ص ٤٠٤.

(٤) المحيط، ج ٣، ص ٣٩٦.

(٥) م. ن. ج ٣، ص ٣٤٤.

(٦) م. ن. ج ٣، ص ٣٦٠.

(٧) م. ن. ج ٤، ص ٦٠٠.

(٨) م. ن. ج ٨، ص ٢٠٩.

(٩) م. ن. ج ٩، ص ٣١٣.

(١٠) م. ن. ج ٣، ص ٣٧٦.

(١١) العين، ج ٣، ص ٣٨٩.

(١٢) المحيط، ج ٣، ص ٣٣٦.

(١٣) العين، ج ٣، ص ٣٦١.

(١٤) المحيط، ج ٣، ص ٣٣٤.

(١٥) العين، ج ٣، ص ٣٦٠.

الألفاظ التي نبه عليها صاحب أنها مهملة عند الخليل ووجدناها في ثانيا معجم العين توقنا في حيرة وتفكر. فهل يعقل أن صاحب قصد إلى ذلك قصدا وأراد أن ينسبها لنفسه، أم أن هذه الألفاظ قد أضيفت إلى معجم العين بعد وفاة صاحب؟

اليقين في هذا الموضوع محال لافتقادنا نسخ العين الأصلية، ولكنني أميل إلى أن تلك التقاليد كانت مهملة عند الخليل وزادها النساخ أو اللغويون على معجم العين لأنها ألفاظ قليلة، ولم ينسبها صاحب إلى نفسه بل أسندها إلى الخارزنجي، والذي يقوي هذا الرأي أن صاحب انفرد في ألفاظ لم يذكرها الخليل، ولا أعني في ذلك التقاليد التي أهملها الخليل، وأسندها صاحب للخارزنجي وغيره. وانفراد صاحب بالألفاظ لم تقتصر على تقاليد بعينها بل إن معظم مواد الخليل وتقاليديه قد زاد عليها صاحب تراكيب جديدة ومعاني محدثة، وإذا أردت أن أعطي صاحب حقه فيما انفرد به من ألفاظ وتراكيب، فساضطر إلى مقابلة مواده جميعها ومواد الخليل جميعها، وطبيعة البحث تحول دون ذلك، ولكنني سأجتري جهد صاحب وما انفرد به من ألفاظ وتراكيب في أمثلة قليلة: "الجَعَجَعَة: صوت الرحي... الجَعَجَاع: الأرض الخشنة لا ماء فيها ولا كلاً، والجَعَجَع: الأرض المتعامنة، وكَجَجَعَتِ الجُزور: نحرتها" (١) وانفرد بمادة عقر بمعان وتراكيب عديدة "العَاقِرُ من الرمل: ما لا يُنْبِتُ شيئاً.. والعَقْرُ: الطَّعْمَةُ، وعَقْرُ البرق: مخرجه.. العَقَار: بعض متاع اليهودج إذا كان أحمر، واسم رجل.. وما رأيت كالذيوم عَقِيرَةً: للشريف يقتل،... وأعقرت الطير: لم أزجرها،... كَعَقَرَ العُشْبُ: طال وانثني،... وعَقْرُنِي عن كذا: حسني" (٢) وانفراده في مواد دعق يظهر في "الإدعاق والدعق: الطرد الشديد، الدعقة: الصيحة، والحملة، الدعق: الجماعة من الناس، دَعَقْتُ الدَّابَّةَ: رَكَصْتُهَا، أدَعَقْتُ: أَحْضَرْتُ على رجلي" (٣).

ويبقى العين مصدر صاحب الأول والأساس مادة ومنهجاً.

### " الخارزنجي "

انفرد المحيط باعتماده على لغوي مغيب عنا لم نقرأ عنه ولم نسمع به، فقراءة المحيط تجبرك أن تبحث عن لغوي تاهت عنه معاجم الأقدمين وأغفلته بعض تراجم السابقين. ولا نعرف الأسباب التي جعلت العلماء يضربون عن كتبه ويصفحون عن النقل منها، وخارزنج التي نسب إليها هذا العالم واشتهر بها كما ذكر السمعاني هي: قرية بنواحي نيسابور من ناحية بثت (٤)، والخارزنجي لقب غلب عليه وعرف به واسمه هو أحمد بن محمد أبو حامد الخارزنجي البشتي.

يعد كتاب تكملة العين للخارزنجي من أهم مصادر المحيط بعد العين. إذ تكرر اسمه تسعا وخمسمائة مرة ولا سيما التقاليد التي أهملها الخليل، وبيننا أن الخارزنجي أحد سلسلة السند من العلماء الذين كان يسند إليها صاحب ألفاظه، وهذا الاعتماد الكبير على التكملة واغتراف صاحب من مادته الكثير يضرم حيرة لا نستطيع أن نصل إلى يقين فيها فقد ضاع هذا الكتاب وفقد، ولا نستطيع أن نرفع منزلته بالمدح أو نحط منها بالقدح،

(١) المحيط، ج ١، ص ٧٤.

(٢) م، ج ١، ص ١٥٨.

(٣) م، ج ١، ص ١٥٢.

(٤) أبو سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني، قدم له: محمد أحمد حلاق. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ج ٢، ص ١١٩.

ولذلك فنحن مقيدون بما كتب حول هذا الكتاب وقد انقسم العلماء في ذلك إلى قسمين: قسم يرى أن الخارزنجي عالم فذ من علماء العربية، يشار إليه بالبنان، وأنه كان يتقن العربية مع أنه لم يرتحل إلى البادية ولم يعايش الأعراب، وأن كتابه التكملة هو البرهان والحجة في زمانه، ولا سيما أن الخارزنجي تتلمذ على يدي أبي عمر الزاهد، وكان أستاذا للحاكم أبي عبد الله الحافظ، وقد شهد له علماء بغداد بالتقدم والتفرد، وهذا القسم كان يتزعمه الحافظ أبو عبد الله<sup>(١)</sup> في تاريخ نيسابور، والسمعاني صاحب الأنساب، وفي ذلك يقول: " والمشهور من هذه القرية أبو حامد أحمد بن محمد الخارزنجي إمام أهل الأدب بخراسان في عصره بلا مدافعة، فاق فضلاء عصره، ولما حج بعد الثلاثين وثلاثمائة شهد له أبو عمر الزاهد صاحب ثعلب، ومشايخ العراق بالتقدم، وكتابه المعروف "بالتكملة" البرهان في تقدمه وفضله، ولما دخل بغداد تعجب أهلها من تقدمه في معرفة اللغة فقبل: هذا الخراساني لم يدخل البادية قط وهو من أدب الناس! فقال: أنا بين عربين - بشت وطوس، سمع منه الحاكم أبو عبد الله الحافظ<sup>(٢)</sup>، وقسم آخر حط من قدره وزهد في كتبه وشكك في صدقه، وأنكر عليه علمه، ورأس هذا الفريق الأزهرى صاحب التهذيب، فقد تحامل عليه ووسمه بصفات بطلان معظمها ظاهر، فبعد أن طعن الأزهرى بالخارزنجي وعده من المؤلفين الذين صحفوا وحرفوا وأزلوا العربية عن وجوهها، أشار إلى اسم كتابه التكملة، وسرد الكتب التي ذكر الخارزنجي أنه اعتمد عليها بوصفها مصدرا لمعجمه، وتلك المؤلفات كانت لأشهر علماء العرب ولغوييها أمثال: الأصمعي، وأبي عبيدة، وابن شميل، وأبي عبيد، وابن السكيت، وأبي زيد، وأبي خيرة، وقطرب، وأبي عمرو الشيباني، والقراء، وابن الأعرابي، والأخفش، واللحياني، واليزيدي، ومنها لغات هذيل لعزير بن الفضل الهذلي وأبي حاتم السجستاني وأبي تراب وغيرها<sup>(٣)</sup>.

رصد المطاعن والمآخذ التي رمى بها الأزهرى الخارزنجي وعدها عيوباً عليه يمكننا أن نستكشفها من عبارات الخارزنجي التي نقلها الأزهرى في كتابه من جهة وعبارات الأزهرى التي قدح بها عليه من جهة أخرى.

اعترف الخارزنجي أنه لم يأخذ مادة كتابه سماعاً عن الأعراب الأقحاح ولا رواية عن العلماء الأفاضل، فقد استقى مادته من صحف مؤلفي الكتب التي أشرنا إليها سابقاً، وهذا لا يعد عيباً إذا كان المؤلف عالماً بغث العربية من سمينها وصحيحها من سقيمها " قال أحمد بن محمد البشتي: استخرجت ما وضعته في كتابي من هذه الكتب، ثم قال: ولعل بعض الناس يبتغي العنت بتهجينه والقدح فيه، لأنني أسندت ما فيه إلى هؤلاء العلماء ممن غير سماع. قال: وإنما إخباري عنهم إخبار من صحفهم، ولا يزري ذلك على من عرف الغث من السمين وميز الصحيح من السقيم"<sup>(٤)</sup>.

والأزهرى لا يرى اعتراف البشتي أنه صحفى أسلوباً معهوداً وأن ذنبه مغفور، فالنقل عن الصحف صفة لازمة الجهلة وباعدت العلماء لأن الغلط فيها واقع والخطأ في

(١) انباه الرواة، ج ١٠، ص ١٠٧.

(٢) الأنساب، ج ٢، ص ١١٩، وقد نقل كلام السمعاني كل من ترجم له، معجم الأديباء، ج ١، ص ٤٦١، انباه الرواة، ج ١، ص ١٠٧، صلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات، إغناء محمد يوسف نجم. دار النشر فرانز شنايز، ١٩٧١، ج ٨، ص ٧، بغية الوعاة، ج ١، ص ٣٨٨.

(٣) التهذيب، ج ١، ص ٢٢-٢٣.

(٤) م، ج ١، ص ٢٢.

نقطها شائع " قلت أنا: ... لأنه اعترف بأنه صحفي. والصحفي إذا كان رأس ماله صحفلاً قرأها فإنه يصحف فيكثر، وذلك أنه يخبر عن كتب لم يسمعها، ودفاتر لا يدري أصحح ما كتب فيها أم لا. وإن أكثر ما قرأنا من الصحف التي لم تضبط بالنقط الصحيح، ولم يتول تصحيحها أهل المعرفة لسقيمها لا يعتمدوا إلا جاهل" (١).

احتج الخارزنجي لتسويغ نقله عن أمات كتب اللغويين أنه لم ينفرد بين العلماء في الأخذ عن الصحف بل سبقه إلى ذلك أبو تراب صاحب كتاب الاعتقاب، وابن قتيبة صاحب مشكل القرآن، وأدب الكاتب فقال: " وقد فعل مثل ذلك أبو تراب صاحب كتاب الاعتقاب فإنه روى عن الخليل بن أحمد وأبي عمرو بن العلاء والكسائي وبينه وبين هؤلاء فترة، قال: وكذلك القتيبي، روى عن سيبويه والأصمعي وأبي عمرو، وهو لم ير منهم أحدا" (٢).

دحض الأزهري (٣) حجة الخارزنجي وسفه رأيه وبين له أن هذين العالمين لم يقصرا مواد كتبهما على النقل من كتب السابقين عليهما بل أخذوا مادة كتبهما سماعاً عن الأعراب ومشاهدة لأفاضل العلماء وروياً عن أكابر الفضلاء.

ولتدعيم رأي الأزهري في الخارزنجي أنه غير ثقة وأن دعواه باطلة في معرفته الغث من السمين والصحيح من السقيم تتبع مواد معجم التكملة وأشار إلى الهنات التي وقع فيها صاحبه:-

١- تصحيف الخارزنجي لألفاظ عديدة في العربية. ويظهر ذلك التصحيف في حرفي العين والغين وفي الصاد والضاد. فقد صحف أَغْلَلْتُ إلى أَعْلَلْتُ (٤)، وصحف امرأة عَيْصُوم إلى امرأة عَيْصُوم (٥)

٢- عدم معرفة الخارزنجي تفسير بعض ألفاظ العرب التي وردت في أقوالهم وأشعارهم (٦).

٣- جمع الخارزنجي بين تصحيف حروف وأخطأ في تفسير معناها.

" فمما عثرت عليه من الخطأ فيما ألف وجمع، أنه ذكر في باب (العين والثاء) أن أبا تراب أنشد:

إِنْ تَمْنَعِي صَوْبَكَ صَوْبَ الْمَدْمَعِ      يَجْرِي عَلَى الْخَدِّ كَضِيْبِ النَّعْجِ

فقيده البشتي بكسر الثاءين بنقطة، ثم فسر ضنّب النّعج أنه شيء له حب يزرع، فأخطأ في كسره الثاءين، وفي تفسيره إياه، والصواب " النّعج " بفتح الثاءين، وهو اللؤلؤ" (٧).

(١) التهذيب، ج ١، ص ٣٣.

(٢) م.ن، ج ١، ص ٣٣.

(٣) م.ن، ج ١، ص ٣٤.

(٤) م.ن، ج ١، ص ٣٥.

(٥) م.ن، ج ١، ص ٣٨.

(٦) م.ن، ج ١، ص ٣٩.

(٧) م.ن، ج ١، ص ٣٥.

تتأخر رأي هذين الفريقين يبعث الحيرة في النفس والظن في جهد الكاتب، فالفرق الأول يعتد بكتاب التكملة ويقول إنه البرهان في تقدمه وفضله، وأن صاحبه تتلمذ على أشهر عالم في زمانه أبي عمر الزاهد صاحب ثعلب، وشهد له بتفرده علماء بغداد كلهم، والأزهري يرى أن معجم التكملة مليئ بالتحريف والتصحيف وأن حفظ مؤلفه قليل "... فالواجب على طلبة هذا العلم ألا يغتروا بما أودع كتابه، فإن فيه مناكير جملة لو استقصيت تهذيبها اجتمعت منها دفاتر كثيرة"<sup>(١)</sup>، ولما سلمنا بفقدان هذا الكتاب وضياع جهد مؤلفه وقفنا مكتوفي الأيدي أمام هذه المعضلة التي يحال حلها على ذوي النهي.

إذا وضعنا أقوال الأزهري في التكملة ومطاعنه التي وجهها إلى مؤلفه في ميزان النقد فإني أقول - وبالله التوفيق :-

تحريف الألفاظ وتصحيفها تهمة لم تقتصر على الخارزنجي ولم يكن منفرداً فيها فلم ينج منها أكابر علمائنا، فقد اتهم بها أبو عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر، والخليلي، وسيبويه، والكسائي، والفراء، والأصمعي، وأبو زيد الأنصاري، وأبو عبيدة، وابن الأعرابي وغيرهم، وتفصيل هذا في كتاب " ما يقع فيه التصحيف والتحريف " لأبي أحمد العسكري<sup>(٢)</sup>. وأما قوله إن مصادر مادة التكملة مستقاة من الصحف ولم تؤخذ سماعاً ومشافهة وأن فعل الخارزنجي مماثل لفعل الجهلة مع أن أبا تراب وابن قتيبة استمدا مواد كتبهما من كتب القدماء، فلماذا يحرم على الخارزنجي فعله وأنه ارتكب جريمة لا تغتفر ويصفح عن غيره ويحل لهما ما فعلاه على الرغم من أنهما ماثلا الخارزنجي في الأخذ عن الصحف؟؟؟! "... وهما من الشهرة وذهاب الصيت والتأليف الحسن، بحيث يعفى لهما عن خطيئة غلط، ونبذ زلة تقع في كتبهما، ولا يلحق بهما رجل من أصحاب الزوايا لا يعرف إلا بقريئة، ولا يوثق بصدقه ومعرفته ونقله الغريب الوحشي من نسخة إلى نسخة، ولعل النسخ التي نقل عنهما ما نسخ كانت سقيمة"<sup>(٣)</sup>.

ولا أعرف لماذا هذه الحملة الشنعاء والتجني الواضح على الخارزنجي، فهل يعقل أن الغرض منه خدمة العربية ومسح الغبار عن وجهها المنير، أم أن هنالك دوافع خاصة بالأزهري دعت إليه أن يسدد سهام لسانه عليه؟؟

والمرجح عندي أن الأزهري لم يقصد من قدح الخارزنجي والخط من قدر منزلة معجمه الحفاظ على العربية وحمايتها من كل عابث، فقد تحامل الأزهري على علماء معروفين ذوي بصمات راسخة في علوم العربية "... وألّفوا كتباً أودعها الصحيح والسقيم، وحشوها بالمزال المفسد، والمصحف المغير، الذي لا يتميز ما يصح منه إلا عند النقاب المبرز، والعالم الفطن"<sup>(٤)</sup>.

فالأزهري يرى أن الليث نحل الخليل بن أحمد تأليف كتاب العين ليسداع صيته ويتسابق على حيازته أكابر العلماء فينفقه، واتهم الأزهري قطرب أنه غير ثقة وأن روايته محاطة بالريبة ولا يؤخذ برأيه، وكان ابن دريد قرين الخارزنجي فسي انتحال العربية

(١) التهذيب، ج ١، ص ٤٠.

(٢) تحقيق: السيد محمد يوسف، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، د.ت.

(٣) التهذيب، ج ١، ص ٣٤.

(٤) م، ن، ج ٢٨.



وتوليد ألفاظها وإدخال ألفاظ أعجمية في نظمها واعتباره لألفاظ عربية معربة، وقد نال من أخبار لغويينا كثيرا في مقدمة كتابه.

تحار الألباب في وصف الخارزنجي بالغفلة وقلة الفطنة وضعف الفهم لاستدراكه على معجم العين<sup>(١)</sup>، في التكملة، فإذا كان الخليل نفسه قد ألف كتابا يريد أن يستدرك به على العين الموسوم بفانت العين، فلماذا يعد الخارزنجي مجترنا على مقام الخليل وأنه الأوحى الذي اقترب ذنبا لا يغتفر، ونحن نعلم أن الخارزنجي لم يكن العالم الوحيد الذي استدرك على العين، فقد استدرك عليه أبو تراب في كتابه "الاستدراك على الخليل في المهمل والمستعمل"، وأبو عمر الزاهد في كتابه "فانت العين"، وأبو الأزهر البخاري في كتابه "الحصائل"، وأبو الفتح المراغي في كتابه "الاستدراك لما أغفله الخليل"، والنياني في كتابه "الموعب"، وغيرها<sup>(٢)</sup>، ووجه لكتاب العين مأخذ وهنات حتى ترفع ابن جني أن ينسبه إلى أصغر تلاميذ الخليل.

قلنا إن المحيط اعتمد على الخارزنجي في معظم التقليل والألفاظ التي أهملها الخليل، ولما قابلت بين معاني الألفاظ التي أسندها صاحب للخارزنجي، والألفاظ التي زادها الأزهرى على العين معتمدا على أسانيد مختلفة، وجدت أن الخارزنجي والأزهوي متماثلان في معظم المعاني التي زاداها على العين، ولتبيان هذا التماثل نورد أمثلة مهمة عند الخليل مستعملة عند الخارزنجي والأزهري، قال صاحب في تقليل كعت "كعت: أهمله الخليل: وحكى الخارزنجي: الكَعَيْتُ: البَلْبَلُ، ويخفف أيضا ويجمع على الكِعَعَانِ"<sup>(٣)</sup>، وقال في معناها الأزهرى "كعت: أهمله الليث، وأخبرني المنذري عن ثعلب عن ابن الأعرابي قال: الكَعَيْتُ: البَلْبَلُ جاء مصغرا كما ترى. وقال أبو زيد: رجُلٌ كَعَتَ وامرأةٌ كَعَتَةٌ وهما القصيران. لم أسمع له غيره"<sup>(٤)</sup>. وقد أوردا أن عَاكَ عليه مَوُكَا: كَرَّ عليه<sup>(٥)</sup>. ومعنى الزَّرَاوِحُ: الزَّوَابِي الصَّعَارُ، واحدها زَرُوحٌ<sup>(٦)</sup>.

وهذه الأمثلة التي تدل على تماثل معنى الألفاظ عند الخارزنجي والأزهري - وأهملها الخليل - غيض من فيض.

إذا سلمنا أن الخارزنجي صحف في معظم الألفاظ التي زادها على الخليل وأخطأ في تفسيرها وقال الخارزنجي<sup>(٧)</sup> إن كتابه بلغ ضعف كتاب الخليل وأزيد من باب أولى أن يعد الأزهرى مصحفا في معظم الألفاظ التي أضافها إلى العين وأخطأ في تفسيرها ولا سيما أن أسانيد الأزهرى ترجع في معظمها إلى مصادر كتاب الخارزنجي نفسها التي أشرنا إليها سابقا.

(١) التهذيب، ج ١، ص ٥٢.

(٢) انظر المعجم العربي، ج ١، ص ٢٢٣-٢٢٦.

(٣) المحيط، ج ١، ص ٢١٦.

(٤) التهذيب، ج ١، ص ٣٠٣.

(٥) المحيط، ج ٢، ص ٨٨، التهذيب، ج ٣، ص ٤١.

(٦) المحيط، ج ٣، ص ٨، التهذيب، ج ٤، ص ٣٥٩.

(٧) التهذيب، ج ١، ص ٥٣.

أجمعت المصادر أن وفاة الخارزنجي كانت سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة<sup>(١)</sup> مورثا للأمة مؤلفات منها: التكملة، والتفضلة، وشرح أبيات أدب الكاتب إلا أن فقدانها حلال دون إفادتنا محتواها.

"سعة ثقافته"

احتوى المحيط في مواد كثيرة ألفاظا زادت على مواد العين والتهديب. وهناك ألفاظ وتراكيب عديدة انفرد فيها صاحب على سابقه، ولا يقتصر هذا القول على تقليب إضافها وإنما يتعدى ذلك إلى إضافة ألفاظ وتراكيب داخل التقليل العام. ولنبين جهد صاحب في ذلك نضرب بعض الأمثلة ذاكرين الألفاظ والتراكيب التي انفرد بها صاحب عليهما فقط وليكونا: تقليب قعس وتقليل خضع: "الإفْعاس: التّضخيم من الغنى، وقُعسوس: لقبٌ للمرأة الدّميمة، والأفْعَس من الرووس: المُشرف الدّفري العظيم الخُششاء، وهو اسم لجبل يسمى ذا الهضاب أيضا، ومقاعيس: حي من تميم"<sup>(٢)</sup>.

وتقليل خضع "الخَيْضَعَةُ... الجَلْبَةُ، الخَضِيعَةُ... صوت السيل، الخُضُوع: المرواة التي لخواصيرها صوت، وخُضَعَةُ السَّياط: صوت وقعها، والخَضِيعَتان: لحمتان مُجَوَّفَتان في بطن الفرس يُسَمَعُ الصوت منهما، الخُضَعُ: قَصِر العُنُق وانتشاؤه، ومنه: صَقَّرَ مُخَضِّع، وأخْضَعَ الفحلُ الناقة: سانها، ورَجَلٌ خُضَعَةٌ: يَخُضَعُ لكلِّ أحدٍ"<sup>(٣)</sup>.

وانفراده في تقليل مخصوصة جلي في معجمه فمنها:

باب الخاء والكاف<sup>(٤)</sup>، وتقليل سَخَج<sup>(٥)</sup>، وتقليل رَخَس<sup>(٦)</sup>، وتقليل عَشَق<sup>(٧)</sup>، وتقليل صَيَّب<sup>(٨)</sup>، وتقليل نَيْد<sup>(٩)</sup> وغيرها.

ومنعم النظر في قراءة المحيط يرى أن صاحب لم يأخذ مادة معجمه بوساطة طرق التحمل المعروفة. وطريقته في استمداد مادته تغاير ما دأب عليه اللغويون ولا سيما المعجميون، فقراءة التهذيب ترينا أن الأزهرى أخذ معظم مواد كتابه بوساطة الرواية عن العلماء واللغويين، يليها مرتبة الأخذ بوساطة السماع عن الأعراب ولا سيما أعراب هراة أيام أسره، والسماع من شيوخه، ولم نجد صدق لتين الطريقتين في المحيط ولم نعثر فيه على عبارات تفيد أن صاحب روى عن اللغويين أو سمع منهم ومن الأعراب.

غزارة مادة المحيط وتفرّد صاحب في إيراد الكثير من مواده يجعلنا نحار في الطريقة التي نهل بوساطتها هذا العلم الوافر.

(١) الأنساب، ج ٢، ص ١١٩، معجم الأبناء، ج ١، ص ٤٦١، انباء الرواه، ج ١، ص ١٠٧، الوافي بالوفيات، ج ٨، ص ٨، بغية الوعاة، ج ١، ص ٢٨٨.

(٢) المحيط، ج ١، ص ١٣٨.

(٣) م.ن، ج ١، ص ١٢٠-١٢١.

(٤) م.ن، ج ٤، ص ١٥٠.

(٥) م.ن، ج ٤، ص ٣٠٢.

(٦) م.ن، ج ٤، ص ٥٢.

(٧) م.ن، ج ٤، ص ٥٢٧.

(٨) م.ن، ج ٨، ص ٥٤.

(٩) م.ن، ج ٩، ص ٣٣٤.

قد تزول الحيرة إذا سلمنا أن صاحب أودع معجمه مستصفي ما قرأ من كتب وخبر من تجارب وأخذ عن شيوخه وإن لم يشر إليهم، فقد توقفت معظم التراجم عند وصف مكتبة صاحب وفرادتها، إذ حفلت بكل نفيس واجتذبت لها كل جديد، ولا غرابة في ذلك؛ إذ كان يحتاج صاحب لكي يحمل مكتبته أربعمئة جمل<sup>(١)</sup> عدا بنائه دار بيست التوبة<sup>(٢)</sup> ليملئ ما حفظه وقرأه من تلك الكتب.

أميل إلى أن قدرا لا بأس به من مادة المحيط نقلت من الكتب الأماط في اللغة والأدب والفقه وعلوم القرآن والحديث وغريبيهما وكتب المعاني وكتب الأمثال، وغيرها؛ لأن بين صاحب والعلماء الذين وردت أسماؤهم في المحيط أمدا بعيدا، فابن دريد الذي يعد أقربهم من صاحب زمنا توفي قبل أن يولد صاحب بخمس سنوات.

وقد يقال: إن صاحب يمكن أن يكون قد تتلمذ للخارزنجي صاحب التكملة لكن التراجم جميعها لم تشر إلى أن الخارزنجي وفد على ابن عباد وأدبه أو سمع منه أو روى عنه، فضلا على أن مادة التكملة للخارزنجي مستقاة من أمهات كتب العربية، ولم تؤخذ رواية أو سماعا، فلم يبق لنا إلا التسليم أن معظم مادة المحيط نقلت من الكتب السابقة عليها ومن صحف امتلكها ودرر ثقفها. وقد وجدت للصاحب عبارتين في المحيط تؤكد ما ذهبت إليه " قال: هذه الكلمة أهملها علماؤنا أجمع من الكوفيين والبصريين وذكرها ابن دريد في الجمهرة، فقال: اللّخِيعَة والياء زائدة - من اللّخَع، لغة يمانية، وهو استرخاء في الجسم"<sup>(٣)</sup>.

" قال صاحب: الصحيح في الغَرْفِ فتح الرءاء، كذا وجدته في أصل أبي حنيفة والواحدة غَرْفَة"<sup>(٤)</sup>.

ولا يعني هذا القول أننا ننقص من منزلة المحيط وأثره ودوره في تطور الحركة المعجمية العربية لأنه امتاز بلمحات أسلوبية وفرادة علمية ونظرات نقدية، فشخصية صاحب النقدية وفطنته العلمية تراها في كل مادة من مواده، فقد كان ينكر على علماء مشهورين أقوالهم وتفسيراتهم أمثال: الخليل<sup>(٥)</sup>، والليث<sup>(٦)</sup>، والكسائي<sup>(٧)</sup>، وأبي عبيد وأبي عمرو الشيباني<sup>(٨)</sup>، وأبي زيد<sup>(٩)</sup>، وابن قتيبة<sup>(١٠)</sup>، وابن دريد<sup>(١١)</sup>، والخارزنجي<sup>(١٢)</sup>، ومن

(١) انظر الملحق.

(٢) انظر الملحق.

(٣) المحيط، ج ١، ص ١٢٧.

(٤) م.ن، ج ٥، ص ٣٢٨.

(٥) م.ن، ج ٢، ص ٤٤٣، مادة لده.

(٦) م.ن، ج ٢، ص ١٩١.

(٧) م.ن، ج ٦، ص ٤٦ وقف.

(٨) موع، م.ن، ج ٢، ص ١١٣.

(٩) عوى، م.ن، ج ٢، ص ١٨٧.

(١٠) بلك، م.ن، ج ١، ص ٢٢٣.

(١١) بفس، م.ن، ج ٥، ص ١٨.

(١٢) مادة عقى، م.ن، ج ٢، ص ٨٤.

ذلك قوله: " وقال الليث: سئل أعرابي عن ناقته، فقال: تركتها ترعى العَهْمَحْ، وأنكر الثقات هذا الاسم، وقال بعضهم: إنما هو الخُعُخُعُ" (١)

وقوله: " بغس: مهمل عند أكثر العلماء، وذكر ابن دريد أن البَغْسَ السَّوَادُ، ونسبه إلى أنه لغة يمانية، وأدعى عن أبي مالك الاحتجاج فيه ببيت شعر ولم يذكره، وإنما أعرِفُ العَبْسَةَ في اللَّوْنِ وبتقديم الغَيْنِ" (٢)

ولم يكن الصاحب جامع ألفاظ وإنما كان منتقياً للألفاظ التي يوردها، فإذا نقل لفظه مشكوكاً في صحتها عقب عليه بعبارة (لا أحقه) فهو يقول في مادة قَعز: " أهمله الخليل، وحكى الخارزنجي: القَعزُ: مَلءُ الإناء والشَّرْبُ عَبًا، قال: ولا أحقه" (٣). وفي مادة عهق " العِيهَقُ: طائر ولا أحقه" (٤).

وإذا رويت لفظتان لمعنى واحد وكانتا متفاوتتين في الصحة والفصاحة والشهرة استقصاهما الصاحب وعقب على اللفظة التي استعمالها أشهر وموردها أصفى بكلمة (أعرف)، ومن ذلك قوله: " حَطَرْتُ القَوْسَ وهي مَحْطُورَةٌ: أي وَتَرْتُهَا. الهمزة فيه أعرف" (٥) " وأنطَحَ الرِّزْعُ إنطاحاً: سَمِنَ وأُمَّتلاً حَبّاً، وهو بالضاد أعرف" (٦).

ومن أمثلة تعقيبه أنها الأكثر " الفراء: أَشَدَّ حَمَى الشمسِ وَحَمِيَهُ أكثر" (٧) " وحياءُ الشاةِ، ممدود ومقصور، والمدُّ أكثر وجمعه أحيبةٌ" (٨).

ولم يقتصر هذا التتبع على المستعمل والأعرف بين الناس، وإنما وسعه ليشمل مقياسه اللغات، فإن وردت لفظة غاير نسجها نسج اللغات المتفق على صحتها أشار إلى ذلك بعبارات متداولة بين النحويين واللغويين، وذلك مثل: لغة جيدة (٩)، ولغة فصيحة (١٠)، ولغة نادرة (١١)، ولغة منكورة (١٢)، ولغة رديئة (١٣)، ولغة شنعاء (١٤)، لغة شاذة (١٥)، فهو يقول: " العُنْصَرُ: أصلُ الحَسْبِ، وبتنصِبِ الصَّادِ، وهو فصيح" (١٦) " عزو وعزى: كلمة شنعاء من لغة أهل الشحر يقولون: كعزِّي لقد كان كذا كما يقال: كعمرِّي" (١٧).

(١) المحيط، ج ٢، ص ١٩١.

(٢) م. ن، ج ٥، ص ١٨.

(٣) م. ن، ج ١، ص ١٤٢.

(٤) م. ن، ج ١، ص ١٠٧.

(٥) م. ن، ج ٣، ص ٢٢.

(٦) م. ن، ج ٣، ص ٢٦.

(٧) م. ن، ج ٣، ص ٢٣٠.

(٨) م. ن، ج ٣، ص ٢٣٩.

(٩) كفاء، م. ن، ج ٦، ص ٣٣٧.

(١٠) صطح، م. ن، ج ٢، ص ٢٢٩.

(١١) قرقف، م. ن، ج ٦، ص ١٠٨.

(١٢) عهمح، م. ن، ج ٢، ص ١٩١.

(١٣) لجر، م. ن، ج ٧، ص ١٧١.

(١٤) مضخ، م. ن، ج ٤، ص ٢٣٨.

(١٥) عوى، م. ن، ج ٢، ص ١٨٧.

(١٦) م. ن، ج ٢، ص ٢٤٤.

(١٧) م. ن، ج ٢، ص ١١٨.

ودوران هذه المقاييس على الألفاظ واللغات في المحيط أقل منها في العين والتهديب.

ولما كان الصاحب واقد الذهن ثاقب النظر حافظا لأقوال العرب وأشعارها مـيز الألفاظ التي نقلها عالم عن عالم، ومن الألفاظ التي انفرد بها عالم دون غيره من العلماء ولا سيما الألفاظ التي تحتوي على معنيين متضادين أو الألفاظ التي تتسم بالندرة، إذ انفرد ابن الأعرابي في قوله: إن أفرح تدل على السرور والغم<sup>(١)</sup> وانفراد الأصمعي بذكر معان جديدة لكلمة (الطحوم) أنها الدفوع والطحم الدفع، وكذلك طحمة السيل، واعتبار أبي زيد أن (قعد) تحمل معنيي القيام والجلوس<sup>(٢)</sup>. وانفراد الأصمعي في معنى (الأجم) بأنها البيت المربع المسطح<sup>(٣)</sup>، وانفراد الفراء بقول: إن معنى (الحوط)؛ شيء يتضعه الجارية على جبينها من فضة أو نحوها<sup>(٤)</sup>، ولابن دريد ألفاظ انفرد بها منها: "اللخية - والياء زائدة - من اللخع، لغة يمانية، وهو استرخاء في الجسم، ويُلخَع: اسم موصغ من اليمن"<sup>(٥)</sup>، وأورد الخارزنجي ألفاظا عديدة لم تسمع من غيره وقد أسندها الصاحب إليه ولا سيما التقاليب التي أهملها الخليل كما أشير.

ومظاهر سعة ثقافة الصاحب، ووفرة مطالعته، وغنى تجربته، وخبراته جليلة في محيطه منها:-

١- وصفه للأماكن<sup>(٦)</sup> والبلدان المشتقة من المادة المتناولة، إذ رصد الصاحب أسماء الأماكن جميعها، وحاول وصفها، وذكر ما امتازت به على غيرها من الأماكن قوله: "وهيئت: موضع بشاطئ الفرات، وسُميت لأنها في هوة من الأرض"<sup>(٧)</sup>.

ولم يكن الصاحب عالما جغرافيا في وصف البلدان وإنما كان يعطي ملمحا عاما<sup>(٨)</sup> يحدد موقع تلك الأماكن ومن ذلك أقواله: "أبو قبيس: جبل بمكة"<sup>(٩)</sup>.

واعتمد الصاحب في وصف عدد من الأماكن وتحديدها على أسماء القبائل العربية الملازمة لها مثل: "وعرين: حي من كويم"<sup>(١٠)</sup>، والعذيب: ماء لبني تميم"<sup>(١١)</sup>.

وقد يعطينا الصاحب وصفا جزئيا لا يمكننا من تحديد ذلك الموضع بالدقة "وعزة: أرض بمشارف الشام"<sup>(١٢)</sup> "وكتامة: جبل بالمغرب"<sup>(١٣)</sup>.

(١) المحيط، ج٣، ص ٨٢.

(٢) م.ن، ج١، ص ١٤٧.

(٣) م.ن، ج٧، ص ٢٠٤.

(٤) م.ن، ج٣، ص ١٧٦.

(٥) م.ن ج١، ص ١٢٧.

(٦) م.ن، ج١، ص ٤٤٩، م.ن، ج٢، ص ٢٧.

(٧) م.ن، ج٤، ص ٤٩.

(٨) م.ن، ج٢، ص ٧٢، ج٢، ص ٤٧١.

(٩) م.ن، ج٥، ص ٢٩٦.

(١٠) م.ن، ج٢، ص ٢٠.

(١١) م.ن، ج١، ص ٤٦٩.

(١٢) م.ن، ج٤، ص ٥٠١.

(١٣) م.ن، ج٦، ص ٢٣٠.

ويؤخذ على الصاحب في وصف بعض الأماكن أنه لم يحدد موقعها ولم يذكر لها معلما مشهورا يميزها من غيرها وإنما يذكر أنها اسم بلد أو موضع أو أرض أو اسم جبل. ومن ذلك قوله: "والظلعُ: جبل" (١) "فليسطين: بلدة" (٢) "مؤتة: اسم أرض" (٣) "والرّصافة: اسم موضع" (٤)، "كهمد: اسم مكان" (٥).

وأسلوب الصاحب في وصفه العام للأماكن يفضي إلى اللبس والغموض في تحديد تلك الأماكن وتعيينها.

٢- احتواء المحيط على عدد كبير من أسماء الحيوانات ووصفها.

كان لوصف الحيوانات وأطوار حياتها حيز كبير من المحيط. إذ اهتم الصاحب اهتماما كبيرا بعالم الحيوان ومقومات معيشتها، فلا تكاد تخلو مادة من معجمه إلا وفيها ذكر للحيوان أو إشارة إليه "الرّعوم: الشاة أو الجزور يشك في سمنها فيخبس ويحفظ" (١) "المعل من الخيل: المحوج إلى الضرب" (٢)، ولا أريد أن أطنب في تتبع اهتمام الصاحب في عالم الحيوان لأن استقصاءها يضطرنني إلى تأليف مجلد كبير لا مجال لإيراده في هذا الموضوع.

تفاوت وصف الصاحب لعالم الحيوان فهناك حيوانات وصفها وصفا دقيقا يمكننا بوساطته أن نرسمها دون أن نضطر لرؤيتها "وذو الطرفين: حية له إبرة في الأنف وإبرة في الذنب" (٨) "الزمت: طائر أسود يتلون في الشمس ألوانا، أحمر المنقار والرجلين" (٩).

وهناك حيوانات ذكرها لم يتسم وصفها بالدقة وإنما يذكر أبين ما امتازت بها على غيرها من الحيوانات، وأعني بذلك أشهر معلم يلحبه الناظرون "الخنفساء: كويبة سوداء" (١٠) "السمندل: طائر يدخل النار فلا يحترق" (١١).

قلما يورد الصاحب اسما من أسماء الحيوانات دون أن يصفه بدقة أو يشير إلى أشهر ما يميزه من لون أو حجم أو سرعة، وإذا أردنا رصد الحيوانات التي جاء وصفها عاما فسنجدها نادرة في المحيط ومن ذلك: "الفاغوس: الأفعى" (١٢) "القعقع: طائر" (١٣).

(١) المحيط، ج١، ص ٤٥٤.

(٢) م.ن، ج٨، ص ٤٢٦.

(٣) م.ن، ج٩، ص ٤٧٩.

(٤) م.ن، ج٨، ص ١٣٠.

(٥) م.ن، ج٤، ص ٣٢٢.

(٦) م.ن، ج١، ص ٣٩٧.

(٧) م.ن، ج١، ص ٧٢.

(٨) م.ن، ج٩، ص ٩٦٠.

(٩) م.ن، ج٩، ص ٩٦٦.

(١٠) م.ن، ج٤، ص ٤٦٣.

(١١) م.ن، ج٨، ص ٤٣٥.

(١٢) م.ن، ج١، ص ٣٧٤.

(١٣) م.ن، ج٩، ص ٣٦٨.

٣- تضمين المحيط عددا كبيرا من أسماء النباتات وأنواعها.

زين صاحب معجمه بجنان وافرة الخضرة ونباتات طيبة الثمار ورياض تعبق أريجاً. وتفاوت صاحب في وصفه للنباتات كتفاوته في وصف الحيوانات، إذ كثر في معجمه وصف النباتات والأشجار وصفاً دقيقاً نحو قوله "الغَلَقَةُ: شجرة بَجْدَرٍ، يخرج منها كَبْنٌ؛ يَدْبَعُ بها، يقال: أَدِيمٌ مَعْلُوقٌ"<sup>(١)</sup> "الأسل: نَبَاتٌ له أَغْصَانٌ كَثِيرَةٌ دِقَاقٌ؛ لا وَرَقٌ له، الواجِدَةُ أَسَلَةٌ، وَسُمِّيَ الْفَنَا أَسَلًا تَشْبِيهاً بطوله واستوائه"<sup>(٢)</sup>.

وقد ينبه صاحب على سمات غلبت على نبات ما دون أن يصف ذلك النبات وصفاً دقيقاً كقوله: "الخويق: نبات كالسم يغشي ولا يقتل"<sup>(٣)</sup> "السَّمَانُ، نَبَتٌ يَنْبُتُ في الزَّرْعِ لا تَأْكُلُهُ دَابَّةٌ، إِلا مَاتَتْ"<sup>(٤)</sup>.

لم يماثل صاحب في وصفه للنبات وصفه للحيوان، إذ أورد أسماء نباتات وأشجار لم يصفها ولم يشر إلى ما يميزها وإنما كان يكتفي بالقول: هو نبات أو عشبة أو بقلة أو شجر "الخُبَازِي: نبت"<sup>(٥)</sup> "الخِلاف: شجر"<sup>(٦)</sup> "السَّخْرُ: بَقْلَةٌ بِخُرَاسَانَ"<sup>(٧)</sup>.

٤- التنبيه على أعلام العرب وقبائلهم.

لا يخفى أثر مميزات أمة ما في مواد معاجمها، والأعلام ركيزة رئيسة في تحديد هوية الأمة ومعالمها، وقد فطن صاحب إلى هذه الصلة الوثيقة بين المعجم وأعلام الأمة التي يوضح لها معانيها، فأخذ ينبه على أسماء الأعلام المشهورين وما اشتق منها من ألفاظ لها صلة بمعنى الاسم المشتق منه، ومن ذلك: توقفه عند ذكر النبي نوح<sup>(٨)</sup>، واليسع<sup>(٩)</sup>، والمَنَامِيس<sup>(١٠)</sup>، وعَنْتَرَةَ<sup>(١١)</sup>، وهَرَمُ بن سنان<sup>(١٢)</sup>، وقَحْطَانَ أبي اليمن<sup>(١٣)</sup>، وكَبَشِيَةَ زوجة يعقوب<sup>(١٤)</sup>، وهَالَةَ أم حمزة<sup>(١٥)</sup>، وبَسُوس التي أضرمت نيران حرب البسوس<sup>(١٦)</sup>.

(١) المحيط، ج٤، ص ٥٣٠.

(٢) م.ن، ج٨، ص ٣٨١.

(٣) م.ن، ج٤، ص ٤٤٤.

(٤) م.ن، ج٨، ص ٢٥٩.

(٥) م.ن، ج٤، ص ٢٨٠.

(٦) م.ن، ج٤، ص ٣٤٧.

(٧) م.ن، ج٤، ص ٢٦١.

(٨) م.ن، ج٣، ص ٢١٧.

(٩) م.ن، ج٢، ص ١٦٤.

(١٠) م.ن، ج٨، ص ٣٣٤.

(١١) م.ن، ج٢، ص ٢٦٤.

(١٢) م.ن، ج٢، ص ٤٨٤.

(١٣) م.ن، ج٢، ص ٢٣٨.

(١٤) م.ن، ج٢، ص ٤٣٢.

(١٥) م.ن، ج٢، ص ٦٢.

(١٦) م.ن، ج٨، ص ٢٥٦.

ولم يقتصر صاحب على مشاهير أعلام العرب بل تعداه إلى مشاهير العجم على اختلاف أممهم، ككَيْصَرَ وَهْرَقْل من ملوك الروم<sup>(١)</sup>، وأبي سَاسان كنية كِسْرَى<sup>(٢)</sup>، وأبْرَهَةَ الحَبَشِي<sup>(٣)</sup>، وَطَحْمُورَت من ملوك الفُرس<sup>(٤)</sup>، والسَمَوَّال<sup>(٥)</sup>.

وإذا أطلقت العرب علما على أبنائها لم ينبغ صاحبه نبه على أن العرب كانت تسمي به سواء أكانوا نساء أم رجالا مثل: طُعْمَةَ<sup>(٦)</sup>، وَقَطْعُونَ<sup>(٧)</sup>، وَبُورَع<sup>(٨)</sup>، وَحَرْشَل<sup>(٩)</sup>، من أسماء الرجال، وأما أسماء النساء فمنها: عُدان وَعُدَيْنَةَ<sup>(١٠)</sup>، وَعَدَامَةَ<sup>(١١)</sup>، وَرَعُوم وَرَعَم<sup>(١٢)</sup>، وغيرها.

سار منهج صاحب في وصفه لقبائل العرب وذكر أسمائها في سبيلين: -  
أحدهما: - ذكر القبائل العربية الكبرى ومحاولة إرجاع القبائل الصغيرة إلى أصولها من القبائل الكبرى.

"وبنو بكر: قبيلتان؛ بكر بن عبد مناة، وأخوة تَعْلَبَ بَنِي وائل"<sup>(١٣)</sup> "أزْدُ شَنْوَاءَ - على فَعُولَةٍ - أَصْحَ الْأَزْدِ أَصْلًا وَفِرْعَاءَ"<sup>(١٤)</sup> "أَوْسٌ: قَبِيلَةٌ مِنَ الْيَمَنِ"<sup>(١٥)</sup>.  
ومن القبائل التي ردها إلى أصولها: جَشَمٌ قَبِيلَةٌ مِنَ تَعْلَبَ<sup>(١٦)</sup>، وَجَدْيَلَةٌ قَبِيلَةٌ مِنْ بَنِي اسد<sup>(١٧)</sup>، وَبَنِي كَيْثٍ حِي مِنْ كِنَانَةَ<sup>(١٨)</sup>.

ثانيهما: - ذكر اسم القبيلة دون أن يبين موطنها أو أصلها الذي انحدرت منه، وإنما يقصر القول على أنها قبيلة من العرب أو أنها قبيلة.  
فَالرَّحَجُ قَبِيلَةٌ مِنَ الْعَرَبِ<sup>(١٩)</sup>، وَطَيْئٌ قَبِيلَةٌ<sup>(٢٠)</sup>، وَبِرُودٌ قَبِيلَةٌ<sup>(٢١)</sup>، وَتَيْمٌ قَبِيلَةٌ<sup>(٢٢)</sup>.

(١) المحيط، ج ٥، ص ٢٦١.

(٢) م. ن، ج ٨، ص ٤١٧.

(٣) م. ن، ج ٣، ص ٤٨٣.

(٤) م. ن، ج ٤، ص ٤٨٥.

(٥) م. ن، ج ٨، ص ٤٨٥.

(٦) م. ن، ج ١، ص ٤١٢.

(٧) م. ن، ج ١، ص ٤٥٥.

(٨) م. ن، ج ١، ص ٣٩٢.

(٩) م. ن، ج ٣، ص ٢٦٥.

(١٠) م. ن، ج ١، ص ٤٢٥.

(١١) م. ن، ج ١، ص ٤٦٩.

(١٢) م. ن، ج ٢، ص ٤٥.

(١٣) م. ن، ج ٦، ص ٢٥٩.

(١٤) م. ن، ج ٧، ص ٣٨٦.

(١٥) م. ن، ج ٨، ص ٤١٨.

(١٦) م. ن، ج ٦، ص ٤٣٦.

(١٧) م. ن، ج ٦، ص ٤٣.

(١٨) م. ن، ج ١٠، ص ١٧٣.

(١٩) م. ن، ج ٤، ص ٢٠٨.

(٢٠) م. ن، ج ٧، ص ٢٣٨.

(٢١) م. ن، ج ٩، ص ٢٩٨.

(٢٢) م. ن، ج ٩، ص ٤٧٨.



عهد العرب في سنن حياتهم أن يطلقوا ألقابا وكنى على متعلقات معيشتهم وظروفها، فلا يغفلون عن ركن من أركانها إلا وأطلقوا عليه لقباً أو كنية تحدده وتعكس أظهر ملامحه وصفاته. فقد ميزوا رجالهم وساداتهم بألقاب خصصوها بهم فأطلقوا على الملك النعمان بن المنذر كنية أبو قابوس<sup>(١)</sup>، وأطلقوا على كعب بن سعد ومالك بن كعب المرزغان<sup>(٢)</sup>، ومجدوا الحارث بن شريك بالحوقران<sup>(٣)</sup>.

وقد تعد في العرب في إطلاق الألقاب والكنى على ملوك العجم، فهم يكونون خاقان أبا الترك بأبي مزاجم<sup>(٤)</sup>.

ولم يحصروا ألقابهم وكناهم على السادة من الرجال وإنما أطلقوها على الأرنالين من الناس فهم يذمون صغير الرأس بقولهم: رأس العصا<sup>(٥)</sup>، ويحطون من قدر اللصوص بتكنيتهم؛ بني غبراء<sup>(٦)</sup>، ولنسائهم نصيب وافر من ألقابهم وكناهم، فالمرأة العجوز؛ أم الهنبر<sup>(٧)</sup>، والمرأة الجريئة عدوس<sup>(٨)</sup>، وطويلة المتن؛ ناسعة<sup>(٩)</sup>، والقصيرة المسنة من النساء؛ حوزم<sup>(١٠)</sup> .. الخ.

فلنا إنهم أطلقوا على مستلزمات معيشتهم كني وألقاباً، فللحيوانات على مختلف أنواعها وأطوار حياتها ألقاب تفردها عن غيرها. الضبغ؛ أم عامر<sup>(١١)</sup>، والغراب؛ ابن بريج<sup>(١٢)</sup>، والنمير؛ أبو رقاش<sup>(١٣)</sup>، والفرس؛ أبو المضاء<sup>(١٤)</sup>، والأسد؛ أبو فراس<sup>(١٥)</sup>.

دوران رحى الحرب في بلادهم وتوقدها بين حين وآخر بوساطة الدواهي والفتن استدعت العرب أن يطلقوا على الدواهي ألقاباً وعلى الناتج عنها -وهي الحروب- ألقاباً كذلك، فمن القباب الدواهي وكناهها: أم طبق<sup>(١٦)</sup>، وأم خشاف<sup>(١٧)</sup>، والقلمس<sup>(١٨)</sup>، والمصميلة<sup>(١٩)</sup>، والطامة<sup>(٢٠)</sup>.

(١) المحيط، ج ٥، ص ٢٩٦.

(٢) م.ن، ج ٢، ص ٣٨٣.

(٣) م.ن، ج ١، ص ١٥.

(٤) م.ن، ج ٣، ص ١٨.

(٥) م.ن، ج ٢، ص ١٠٧.

(٦) م.ن، ج ٥، ص ٧٦.

(٧) م.ن، ج ٤، ص ١٤٠.

(٨) م.ن، ج ١، ص ٣٥٥.

(٩) م.ن، ج ١، ص ٣٦٧.

(١٠) م.ن، ج ١، ص ٣٩٧.

(١١) م.ن، ج ٢، ص ٤٢.

(١٢) م.ن، ج ٣، ص ٨٩.

(١٣) م.ن، ج ٥، ص ٢٣٧.

(١٤) م.ن، ج ٨، ص ٥٨.

(١٥) م.ن، ج ٨، ص ٣٠٨.

(١٦) م.ن، ج ٥، ص ٣٣٣.

(١٧) م.ن، ج ٤، ص ٢٢٧.

(١٨) م.ن، ج ٦، ص ٨٩.

(١٩) م.ن، ج ٨، ص ١٥٢.

(٢٠) م.ن، ج ٩، ص ١٤٣.

وكنوا الحرب؛ بأم قَسَطِل<sup>(١)</sup>، وأم صَبَار<sup>(٢)</sup>، ولاقتران الحرب بالدواهي كانوا يمانلون بينهما في بعض الكنى مثل: أم قسطل، أم صبار.

ويغلب أن ينتشر الفقر ويصبح وباء مستشريا عقب انتهاء الحروب، فاضطرهم أن يميزوه بالألقاب وكنى مثل قولهم: أبا كَمْرَة<sup>(٣)</sup>، ويطلقون على نقيضه أم خَنْوَر<sup>(٤)</sup>. والرياح العاتية الباردة سموها أم مَرْزَم<sup>(٥)</sup>.

أميل إلى أن العرب فاقوا غيرهم من الأمم في إطلاق الكنى والألقاب، فهام يكون أطعمتهم وأشربتهم وأبنيتهم وأماكنهم. ولم يدعوا شيئا إلا وأطلقوا عليه لقبا ولم يستنوا - من ذلك - حتى الأمراض.

فالخبز جابر بن كَحْبَة<sup>(٦)</sup>، والخَمْرُ أم الخَل<sup>(٧)</sup>، والقَبَّة الطويلة؛ أم العُود<sup>(٨)</sup>، ومَكَّة؛ أم القُرَى<sup>(٩)</sup>، والحَمَى؛ أم مَلْدَم<sup>(١٠)</sup>، وأم اللُهيم<sup>(١١)</sup>.

ولما كانت الدنيا متقلبة لا تدوم على حال أحضر تغيرها في أذهان العرب ألقابا وكنى تناسب تبدل أحوالها، فالدنيا؛ أم كَرْن<sup>(١٢)</sup>، وأم سَمَلَة<sup>(١٣)</sup>.

٥- استكناهه حقيقة الأمراض ووصف أعراضها.

يعرج الصاحب في صفحات عديدة من معجمه على الأمراض التي تصيب الإنسان والحيوان فتحسبه طبيا يجس مريضا أو عالما يصف تلك الأمراض ويوضح أسبابها، ولا يحوجك الصاحب في وصفها إلى استكناه حقيقتها من كتب أخرى. ويظهر ذلك في أقوال كثيرة له "الْحَنَاقِيَّة: دَاءٌ يَأْخُذُ الطَّيْرَ فِي رَأْسِهَا وَالْفَرَسَ فِي حَلْقِهَا فَيُخَنِّقُهَا"<sup>(١٤)</sup> "الْخَفَسُ: فَسَادٌ فِي الْجَفُونِ تَضْيِيقٌ لَهُ الْعْيُونَ مِنْ غَيْرِ وَجَعٍ"<sup>(١٥)</sup> "الشَّقِيْقَةُ: صَدَاعٌ يَأْخُذُ فِي نِصْفِ الْوَجْهِ وَالرَّأْسِ"<sup>(١٦)</sup>.

(١) المحيط، ج ٦، ص ٨٤.

(٢) م.ن، ج ٩، ص ١٣٥.

(٣) م.ن، ج ٢، ص ٤٢.

(٤) م.ن، ج ٤، ص ٣٢٨.

(٥) م.ن، ج ٩، ص ٤٩.

(٦) م.ن، ج ٢، ص ٣٢٣.

(٧) م.ن، ج ٤، ص ١٧٤.

(٨) م.ن، ج ٢، ص ١٢٧.

(٩) م.ن، ج ٥، ص ٦.

(١٠) م.ن، ج ٩، ص ٣١٩.

(١١) م.ن، ج ٣، ص ٤٩٤.

(١٢) م.ن، ج ٩، ص ٢٨٧.

(١٣) م.ن، ج ٧، ص ٣٤١.

(١٤) م.ن، ج ٤، ص ١٩٧.

(١٥) م.ن، ج ٤، ص ٢٢٥.

(١٦) م.ن، ج ٥، ص ١٨٣.

وتتبع الصاحب الدقيق للمرض لا نجده في المواد جميعها، فقد يجزئ القول فسي وصفها، وذلك في أقواله: "الدَّخْسُ: دَاءٌ يَأْخُذُ فِي قَوَائِمِ الدَّابَّةِ"<sup>(١)</sup> "صَدَاْمٌ: دَاءٌ يَلْخُذُ رُؤُوسَ الدَّوَابِّ وَجَمَلٌ مُصَدُّومٌ: مِنْهُ"<sup>(٢)</sup>.

وقد تعرى بعض الأمراض من الوصف الدقيق والوصف الجزئي وإنما يقتصر ذكره على نوع الكائن الذي يصاب به "الغُسَّاسُ: دَاءٌ يَأْخُذُ الْإِبِلَ"<sup>(٣)</sup> "وَالْعَلْلُ وَالغُلَاكَةُ: دَاءٌ يَأْخُذُ الْغَنَمَ"<sup>(٤)</sup> "وَالرِّمَالُ: دَاءٌ يَأْخُذُ الْخَيْلَ"<sup>(٥)</sup>. وطريقة الصاحب في النوع الأخير في وصفه العام للأمراض لا تتقص من قيمته إذ إنه كتاب في اللغة وليس كتابا في الطب.

٦- دقة وصفه لمصطلحات العلوم المختلفة.

تقوم العلوم على ركائز وأسس لتضمن لها الاستقلال والديمومة، ونحن نعلم أن لكل علم ركائزه المميزة له والمغايرة له عن غيره، وقد اقتضت الطبيعة الإنسانية أن تعبر عن أسس العلوم وركائزها بألفاظ خاصة بها، وقد استدعت فطنة الصاحب الوثابة وثقافته الملمة في معظم علوم عصره الدقة في تحري أسس تلك العلوم وفروعها أو ما يعرف حديثا بالمصطلح العلمي، فتسميات فروع علم الفلك مغايرة لتسميات علم العروض والتاريخ والجغرافيا والطب، وتنبه الصاحب إلى هذه الحقيقة فأخذ يوضح مصطلحات العلوم وفق التقلبات المتناول.

ومن أظهر المعارف التي توقف عند تبيان أهم مصطلحاتها أو تسميات أسسها وفروعها:-

أ- علم الفلك والنجوم.

اعتنى الصاحب بتسميات علم الفلك والنجوم عناية كبيرة، فما من تقليد تناوله إلا واستدعته قريحته اللغوية ومعرفته الواسعة في علم الفلك إلى التوقف عند أهم معالم ذلك العلم وملامحه فهو يعرف أشهر الكواكب. ويعرج على أسمائها عند العرب، وإذا عبر عنها المنجمون بلفظة مغايرة نبه على ذلك: "الرَّيْبُفُ: كَوْكَبٌ قَرِيبٌ مِنَ النَّسْرِ الْوَاقِعِ وَالنَّاظِرُ إِلَى النِّجْمِ الطَّالِعِ، وَأَزْدَافُ النُّجُومِ: تَوَالِيهَا. وَكَوْكَبُ الرَّذْفِ يَسْمِيهِ الْمُتَجَمِّونَ: تَنَبُّ الدَّجَاجَةِ"<sup>(١)</sup> "وَالْمِعْلَفُ: كَوَاكِبٌ مُسْتَدِيرَةٌ مُتَبَدِّدَةٌ يُقَالُ لَهَا الْخِبَاءُ أَيْضاً"<sup>(٢)</sup>.

وتراه يتوقف عند حقائق فلكية فهو يقول: "السَّمَاءُ الْأَعَزَّلُ: يُرْجَحُ لَا يَنْزِلُ بِهِ الْقَمَرُ"<sup>(٣)</sup>، ويقول في مادة (نعم)<sup>(٤)</sup> أن هنالك ثمانية كواكب تسمى النعائم، أربعة تسمى الوارِدُ لأنها داخل المجرة، والأربعة الأخرى تسمى الصَّادِرُ لوقوعها خارجاً.

(١) المحيط، ج ٤، ص ٢٥٨.

(٢) م.ن، ج ٤، ص ١١٨.

(٣) م.ن، ج ٤، ص ٤٩٩.

(٤) م.ن، ج ٤، ص ٥١٦.

(٥) م.ن، ج ٩، ص ٦٣.

(٦) م.ن، ج ٩، ص ٢٩.

(٧) م.ن، ج ٢، ص ٥٣.

(٨) م.ن، ج ١، ص ٣٨٧.

(٩) م.ن، ج ٢، ص ٧٠.

وإذا كان اللون دور في تغيير أسماء الكوكب أو النجم وتحديده أنعم صاحب النظر فيه أشار إليه "والأعيان: كواكب زهر في مجرى قنم سهيل" (١) "الذئخ: كوكب أحمر" (٢)، ويستكنه صاحب حقيقة إطلاق اسم ما على تغير فلكي "الستراز: يوم يستسر فيه السهاكل وهو آخر يوم من الشهر، وربما استسر ليلة وربما ليلتين، وكسر القمر: بمعناه" (٣).

وإذا اتسم كوكب بميزة أشار إليها ". عطار: كوكب لا يفارق الشمس" (٤) "وسهيل: كوكب لا يرى بخراسان" (٥).

إذا تماثل مصطلحان أحدهما في معارف العامة والجمهور والآخر في فروع علم الفلك وضح المقصود في المصطلح عند الفلكيين. فالتوائم معروفة لدى الجميع أما التوائم في علم الفلك فمصطلح يدل على السماكين والقرقدين والنشرين (٦).

ب- مصطلحات علم الفقه.

عهدنا في علماء القرن الرابع الهجري إتقان العديد من العلوم اللغوية والشرعية والعلمية والصاحب واحد من هؤلاء العلماء الذين أتقنوا علوما جمة من أهمها؛ الفقه الذي يرتبط باللغة ارتباطاً وثيقاً؛ لأن إتقان علم الفقه معول على امتلاك ناصية اللغة، وإدراك الصاحب لهذه الحقيقة لها أمارات عديدة ومظاهر جليلة، فإذا اشتق مصطلح فقهي له دلالة خاصة من التقليل اللغوي الذي يناقشه أتى الصاحب عليه ووضعوه وأشار إلى الحكم فيه وعند تدقيق النظر في معظم المصطلحات الفقهية التي ارتأى الصاحب توضيحها وجدناها قد فسر معظم فروع علم الفقه.

فراصة الصاحب اللغوية خولته أن يفسر المفاهيم العامة للفقه مثل: الإسلام (٧)، والكفر (٨)، والفسق (٩)، والنفاق (١٠)، وجعلته يبين فروعه ومصطلحاته فقد فسر بعض مفاهيم العبادات كالعمرة (١١)، والحج (١٢)، والقرآن بينهما (١٣)، والزكاة (١٤)، والوقف في الصدقة (١٥).

(١) المحيط، ج ٢، ص ١٤٣.

(٢) م.ن، ج ٤، ص ٣٩٩.

(٣) م.ن، ج ٨، ص ٢٣٩.

(٤) م.ن، ج ٢، ص ٢٥٧.

(٥) م.ن، ج ٣، ص ٤١٤.

(٦) م.ن، ج ٩، ص ٤٧٧.

(٧) م.ن، ج ٨، ص ٢٢٣.

(٨) م.ن، ج ٦، ص ٢٥٠.

(٩) م.ن، ج ٥، ص ٢٩٣.

(١٠) م.ن، ج ٥، ص ٤٤٥.

(١١) م.ن، ج ٢، ص ٤٣.

(١٢) م.ن، ج ٢، ص ٢٩١.

(١٣) م.ن، ج ٥، ص ٣٨٩.

(١٤) م.ن، ج ٦، ص ٣٠٠.

وَجَبَّتْ فِيهِ الْغَنَمُ مِنْ فَرَائِضِ الْإِبِلِ فِي الصَّدَقَةِ مَا بَيْنَ الْخَمْسِ إِلَى الْعَشْرِينَ، وَقِيلَ: الْأَوْقَاصُ فِي الْبَقَرِ خَاصَّةٌ<sup>(١)</sup>، وَالرُّحَصَةُ<sup>(٢)</sup>، وَالْمَخَاصِرَةُ<sup>(٣)</sup>.

وَوَسَّعَ الْقَوْلُ فِي مِصْطَلِحَاتِ نِظَامِ الْأَسْرَةِ أَمْثَالَ: الصَّدَاقِ<sup>(٤)</sup>، وَالْعَقِيقَةِ<sup>(٥)</sup>، وَالشِّغَارِ<sup>(٦)</sup>، وَالْمُظَاهَرَةِ<sup>(٧)</sup>، وَالْمُتَعَّةَ<sup>(٨)</sup>، وَالطَّلَاقَ<sup>(٩)</sup>، وَالرِّضَاعَةَ<sup>(١٠)</sup>، وَالْحِضَانََةَ<sup>(١١)</sup>، وَالْخِطْبَةَ<sup>(١٢)</sup>، وَالنِّكَاحَ<sup>(١٣)</sup>، وَالْعِدَّةَ<sup>(١٤)</sup>، وَالشِّقَاقَ<sup>(١٥)</sup>.

وَأَخَذَتْ مِصْطَلِحَاتِ النِّظَامِ الْاِقْتِصَادِيِّ فِي الْإِسْلَامِ مَوْضِعَ غَيْرِ قَلِيلَةٍ مِنْ طَيِّبَاتِ الْمَعْجَمِ، وَيُظْهِرُ ذَلِكَ فِي تَوْضِيحِهِ لِمَعْنَى الْمَخَاضِرَةِ وَالْمَخَاضِرَةَ: أَنْ تَبِيعَ الثَّمَارَ قَبْلَ بَدْوِّ صَلَحِهَا، وَهُوَ مَكْرُوهٌ<sup>(١٦)</sup> وَالصُّغْطَةُ "فِي الْحَدِيثِ: لَا تَجُوزُ الصُّغْطَةُ" وَهُوَ إِذَا كَانَ لِرَجُلٍ عَلَى آخِرِ دَرَاهِمِ فَصَالِحِهِ عَلَى بَعْضِ مَنَاهَا ثُمَّ وَجَدَ الْبَيْئَةَ فَأَخَذَهُ بِجَمِيعِ الْمَالِ<sup>(١٧)</sup> وَالتَّلْقِي تَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - عَنِ التَّلْقِي: وَهُوَ أَنْ يَتَلَقَى الْحَضَوِيُّ الْبَدَوِيَّ فَيَبْتَاعُ مِنْهُ مَتَاعَهُ بِالرُّحَصِ<sup>(١٨)</sup>، وَالْبَخْسِ<sup>(١٩)</sup>، وَالرِّبَا<sup>(٢٠)</sup>، وَالْعَزْلَ<sup>(٢١)</sup>.

وَعَرَجَ الصَّاحِبُ عَلَى مِصْطَلِحَاتِ نِظَامِ الْعُقُوبَاتِ وَنَبِهَ عَلَى رَأْيِ الشَّرْعِ فِيهَا، وَهَذَا جَلِيٌّ فِي أَلْفَاظٍ عَدِيدَةٍ مِنْهَا: الْكُدُودُ<sup>(٢٢)</sup>، وَالْقَصَاصُ<sup>(٢٣)</sup>، وَالتَّغْزِيرُ<sup>(٢٤)</sup>.

(١) المحيط، ج ٥، ص ٤٦٨.

(٢) م. ن، ج ٤، ص ٢٤٥.

(٣) م. ن، ج ٤، ص ٢٤٣.

(٤) م. ن، ج ٥، ص ٢٥٨.

(٥) م. ن، ج ١، ص ٦٨.

(٦) م. ن، ج ٤، ص ٥٢٨.

(٧) م. ن، ج ٢، ص ٤٦٤.

(٨) م. ن، ج ١، ص ٤٥٠.

(٩) م. ن، ج ٥، ص ٢٣٥.

(١٠) م. ن، ج ١، ص ٣٠٤.

(١١) م. ن، ج ٢، ص ٤٤٤.

(١٢) م. ن، ج ٤، ص ٢٩٣.

(١٣) م. ن، ج ٢، ص ٣٨٢.

(١٤) م. ن، ج ١، ص ٨٥.

(١٥) م. ن، ج ٥، ص ١٨٢.

(١٦) م. ن، ج ٤، ص ٢٣٣.

(١٧) م. ن، ج ٤، ص ٥٤٧.

(١٨) م. ن، ج ٦، ص ٢٧.

(١٩) م. ن، ج ٦، ص ٤٣٢.

(٢٠) م. ن، ج ١٠، ص ٢٧٦.

(٢١) م. ن، ج ١، ص ٣٨٧.

(٢٢) م. ن، ج ٢، ص ٣٠٦.

(٢٣) م. ن، ج ١، ص ٣٨٣.

(٢٤) م. ن، ج ٨، ص ١٦٢.

وإشارته إلى موقف الإسلام من النَّمَص<sup>(١)</sup>، والتَّقْشِير<sup>(٢)</sup>، واللَّغْو في اليمين<sup>(٣)</sup>، واليمين العَمُوس<sup>(٤)</sup>، واليمين اللِّغْز<sup>(٥)</sup>.

أسلوب الصاحب في توضيح مصطلحات علم الفقه على اختلاف فروعه لم يماثل أسلوب الأزهرى، وإنما كان يكتفي بالإشارة إلى معنى المصطلح وموقف الإسلام منه دون أن يعرج على آراء الأئمة وموقف كل واحد منهم على حدة، كما أنه لم يقدم مذهب إمام على غيره من مذاهب الأئمة ولم ينتصر لموقف إمام على موقف الأئمة الآخرين.

ج- مصطلحات علم الأدب والعروض.

اهتم الصاحب بمصطلحات الأدب المختلفة ولا سيما العروض، وهذا ليس بغريب على شاعر وأديب مؤلف كتاب في العروض والقوافي. إذ عرف الصاحب البَيْت<sup>(٦)</sup> وأشار إلى أغراض الشعر، فهو يبين مفهوم الشعر الذي بني من أجل النَّسِيب<sup>(٧)</sup>، ومفهوم الشعر الذي قرض من أجل المديح أو الهجاء<sup>(٨)</sup>، والشعر الذي ألف لغرض إظهار الثكل والحزن<sup>(٩)</sup>، وقد سدد الصاحب سهمه على عيوب الشعر ومراتبه الرديئة<sup>(١٠)</sup>، وتتبع أقسام الشعر وفق علم العروض، وهي كثر منها: الخفيف<sup>(١١)</sup>، والوافر<sup>(١٢)</sup>، والهزج<sup>(١٣)</sup>، والمجتث<sup>(١٤)</sup>، والكامل<sup>(١٥)</sup>، وقرن التطور الذي أحدث على الشعر مع التغيرات التي أحدثتها الحضارة وتلاقى المجتمعات المختلفة في دولة واحدة ونقصد بذلك الشعر المجزوء والمسمط<sup>(١٦)</sup>.

(١) المحيط، ج ٥، ص ٢٢٢.

(٢) م.ن، ج ٥، ص ١٢٢.

(٣) م.ن، ج ٥، ص ١٩.

(٤) م.ن، ج ٥، ص ٢٥.

(٥) م.ن، ج ٩، ص ٤٧٤.

(٦) م.ن، ج ٨، ص ٢٤٢.

(٧) م.ن، ج ٤، ص ٤٣.

(٨) م.ن، ج ٦، ص ٢٤١.

(٩) م.ن، ج ٨، ص ٢٨.

(١٠) م.ن، ج ٨، ص ٢٥٢.

(١١) م.ن، ج ٤، ص ١٨١.

(١٢) م.ن، ج ١٠، ص ٢٦٠.

(١٣) م.ن، ج ٢، ص ٣٦٨.

(١٤) م.ن، ج ٦، ص ٣٩٨.

(١٥) م.ن، ج ٦، ص ٢٧٣.

(١٦) م.ن، ج ٨، ص ٤١٩.

وقد دقق النظر في مرتكزات علم العروض ومصطلحاته وزحافاتهِ وعلله وعيوب قوافيه، فاستنفذ قواه ليوضح أبعاده، فتناول مفهوم العَرُوض<sup>(١)</sup>، واختلاف العلماء فيه<sup>(٢)</sup>، وعرج على المقاطع منها: الوَتر<sup>(٣)</sup>، التَّاسِيس<sup>(٤)</sup>، والمُتَرَادِف<sup>(٥)</sup>.

وحدد الزحافات التي تحدث على التفعيلة كالترَفِيل<sup>(٦)</sup>، والتَدْيِيل<sup>(٧)</sup>، والعِلَل التي تشوبها أيضاً كالخَزَل<sup>(٨)</sup>، والخَزْم<sup>(٩)</sup>، والخَبْن<sup>(١٠)</sup>، والكَف<sup>(١١)</sup>.

ورصد معظم عيوب القافية كالإقواء<sup>(١٢)</sup>، والسَّنَاد<sup>(١٣)</sup>، والإيطاء<sup>(١٤)</sup>، والمُصَّرَف<sup>(١٥)</sup>، والإكفاء<sup>(١٦)</sup>.

#### د- مصطلحات علمي الجغرافيا والتاريخ.

نحا الصاحب عدة مناح في استقصائه لأهم معالم علم التاريخ منحيّ تعلق في تحديد مسمى الأمم البائدة كطَسَم<sup>(١٧)</sup>، وجَدِيس<sup>(١٨)</sup>، وعَاد<sup>(١٩)</sup>، وثَمُود وبئرِها الرِّس<sup>(٢٠)</sup>.

ومنحي عمل على إرجاع عدد من القبائل أو الملوك إلى القبيلة الأم أو الجد الأول "وأعياص قريش: كرامهم يتناسبون إلى عيص أب لهم"<sup>(٢١)</sup> وذو الأذعار جدُّ تُبَع<sup>(٢٢)</sup> وقال إن العرب تقسم وفق نسبها إلى قسمين: العرب العاربة الخُلص، والعرب المُسْتَعْرَبَة التي دخلت في العرب الخُلص بعد زمن أي أنهم ليسوا بعرب خُلص<sup>(٢٣)</sup> ومنحيّ اختص بالأوائل

(١) المحيط، ج ٩، ص ٢٩٠.

(٢) م.ن، ج ١٠، ص ٢٢٦.

(٣) م.ن، ج ٩، ص ٣٢٣.

(٤) م.ن، ج ٨، ص ٤١٩.

(٥) م.ن، ج ٩، ص ٢٩٠.

(٦) م.ن، ج ١٠، ص ٢٢٦.

(٧) م.ن، ج ١٠، ص ٩٩.

(٨) م.ن، ج ٤، ص ٢٧٧.

(٩) م.ن، ج ٤، ص ١٨٢.

(١٠) م.ن، ج ٤، ص ٣٦٣.

(١١) م.ن، ج ٤، ص ١٤٦.

(١٢) م.ن، ج ٦، ص ٦٨.

(١٣) م.ن، ج ٨، ص ٢٨٥.

(١٤) م.ن، ج ٩، ص ٢٤٠.

(١٥) م.ن، ج ٨، ص ١٢٩.

(١٦) م.ن، ج ٦، ص ٣٢٧.

(١٧) م.ن، ج ٨، ص ٢٧٦.

(١٨) م.ن، ج ٧، ص ٦.

(١٩) م.ن، ج ٢، ص ١٢٨.

(٢٠) م.ن، ج ٨، ص ٢٤١.

(٢١) م.ن، ج ٢، ص ١٠٩.

(٢٢) م.ن، ج ١، ص ٤٦٢.

(٢٣) م.ن، ج ٢، ص ٣١.

فاول من تطفل على وليمة لم يدع إليها في الجاهلية طفيل العرائس<sup>(١)</sup>، وأول ملك قعد على سرير من خشب هو نو الأعوان<sup>(٢)</sup>، ومنحى كان همه تعيين أشهر أصنام العرب في الجاهلية كاللات<sup>(٣)</sup>، وسواع<sup>(٤)</sup>، وإساف<sup>(٥)</sup>، والفلس<sup>(٦)</sup>، والأقيصر<sup>(٧)</sup>، وباجر<sup>(٨)</sup>، وضيمار<sup>(٩)</sup>، ومنحى آخر تحدث فيه عن وقائع العرب قبل الإسلام كحرب البسوس<sup>(١٠)</sup>، ووقعة يوم حليمة<sup>(١١)</sup>.

أما مصطلحات علم الجغرافيا فقد سارت هي الأخرى في مناح عديدة، إذ حدد صاحب أقسام الليل والنهار، فالعتمة<sup>(١٢)</sup> هي الثلث الأول من الليل، والضحي<sup>(١٣)</sup> ارتفاع النهار. وإذا اختصت ليلة من الشهر دون الأخرى توقف لتبيان مصطلحها فالليلة العقراء<sup>(١٤)</sup>، أو السواء<sup>(١٥)</sup>؛ هي الليلة الثالثة عشرة من الشهر.

وإذا اختصت سنة دون غيرها من السنوات نبه على مصطلحها، كالسنة الكبيسة<sup>(١٦)</sup>، وكان يعرج صاحب على أسماء الشهور كصفر<sup>(١٧)</sup>، ورجب<sup>(١٨)</sup>، ورمضان<sup>(١٩)</sup>. وكان يتوخى الدقة في تحديد أسماء الرياح واتجاهاتها "وتبوع الشمس: ربح يقال لها الكئيبة تهب بالغداة مع طلوع الشمس من نحو الصبا فتدور في مهابة الرياح حتى تعود إلى مهبة الصباحين بدأت بالغداة"<sup>(٢٠)</sup>، وريح النعامي؛ الريح الرطبة التي تهب من الجنوب<sup>(٢١)</sup>.

وتتبع صاحب للبلدان ومسمياتها أمر مسلم به كما أشير.

(١) المحيط، ج ٩، ص ١٧٨.

(٢) م.ن، ج ٢، ص ١٢٨.

(٣) م.ن، ج ٩، ص ٤٦٣.

(٤) م.ن، ج ٢، ص ١١٣.

(٥) م.ن، ج ٨، ص ٣٩٥.

(٦) م.ن، ج ٨، ص ٣٢٥.

(٧) م.ن، ج ٥، ص ٢٦٢.

(٨) م.ن، ج ٧، ص ٩٩.

(٩) م.ن، ج ٧، ص ٩٧.

(١٠) م.ن، ج ٨، ص ٢٥٦.

(١١) م.ن، ج ٣، ص ١٢٢.

(١٢) م.ن، ج ١، ص ٤٥٠.

(١٣) م.ن، ج ٣، ص ١٥٢.

(١٤) م.ن، ج ٢، ص ٣٠.

(١٥) م.ن، ج ٨، ص ٤١٥.

(١٦) م.ن، ج ٦، ص ١٩٢.

(١٧) م.ن، ج ٨، ص ١٣١.

(١٨) م.ن، ج ٧، ص ٩٥.

(١٩) م.ن، ج ٨، ص ١٨.

(٢٠) م.ن، ج ١، ص ٤٤٩.

(٢١) م.ن، ج ٢، ص ٦٨.



لم يترك الصاحب علما إلا وتعلق به بسبب، غير أن تفصيله القول في مصطلحات علوم الفقه والأدب والعروض والفلك والجغرافيا والتاريخ كان أكثر من غيرها، فهناك علوم لم تحظ بما حظي به الفقه والعروض، والمقصود بذلك علوم الزراعة والصناعة والمنطق، فقد يشار إلى تلك العلوم بمصطلح أو مصطلحين أو ثلاثة مصطلحات.

مع أن النحو علم مسلم في أهميته إلا أن الصاحب لم يعرف من مصطلحاته سوى الاسم<sup>(١)</sup>، والمسند والمسند إليه<sup>(٢)</sup>، والنصب<sup>(٣)</sup>.

ويبقى معجم الصاحب صورة عاكسة لمصطلحات علوم العرب المتقدمين عليه والمعاصرين له، ولا يعني ذلك أن المحيط كان موسوعة علمية وفقهية وفلكية وتاريخية أو خريطة جغرافية وإنما كان معجما لغويا يوضح مصطلحات تلك العلوم إذا كانت مشتقة من التقليل المتناول ولم يبذل الصاحب جهدا في استقصاء نشوء العلوم ومصطلحاتها وتطورها، ورأي العلماء فيها لأن غرضه الأول هو توضيح المعنى المعجمي وليس نقل العلوم المختلفة ومصطلحاتها.

(١) المحيط ج ٨، ص ٤١٧.

(٢) م.ن، ج ٨، ص ٢٨٥.

(٣) م.ن، ج ٦، ص ١٥٩.

## الفصل الثاني: شواهد المحيط

شيوخ فرضية وتثبيت نظرية يحتاجان إلى براهين وحجج عقلية وعملية لإثبات صحتها وتبيان ميزاتها. وقد عهدنا في معاجمنا ومؤلفات لغتنا أن تكون الشواهد الدلائل القطعية على صحة لفظة أو استعمال عبارة. فلا نكاد نقرأ مادة لغوية ولا نستكنه قاعدة نحوية ولا بنية صرفية إلا وأردفت بنوع من أنواع الشواهد المختلفة ليكون المسوغ الحقيقي والعملية لصحتها وجواز استخدامها نثراً وشعراً.

أيقن صاحب هذه الحقيقة وأراد أن تكون جل مواد معجمه صحيحة منسوبة إلى العرب الفصحاء، فعمد إلى الشواهد على اختلاف أنواعها، فنثرها في معظم صفحات كتابه.

الشواهد في حقيقتها نوعان، النوع الأول الكلام المنصوص عليه ونعني بذلك مصادر السماع المعروفة، القرآن الكريم، والحديث الشريف وأمثال العرب وأقوالهم وأشعارهم سواء قالها عربي بليغ أو أعرابي بدوي، والنوع الثاني: هو المثل المصنوع الذي يؤلفه الكاتب لتبيان قاعدة نحوية أو حقيقة لغوية أو استعمال صيغة صرفية وغيرها، ومن أمثلة هذا النوع قول صاحب: "التعجيبُ: إثارة العجاج والدخان، ويوم عَجَّ وموجَّ وعجاج" (١) "الفه: الرجل العيبي عن حجته، والمرأة فهة. وفههت يا رجل فه فهاً وفهاهة. ورجل فهية" (٢)، فقد أراد صاحب من هذين المثالين أن يبين صيغ الصفة المشبهة التي تشتق من هذه المادة في وصف اليوم في مادة (عَجَّ)، والرجل والمرأة في مادة (فه).

اتكأ صاحب في تبيان معنى الدلالة وصحتها على أنواع الشواهد المختلفة سواء أكانت آيات قرآنية أم أحاديث نبوية أم أمثالا وأقوالا أم أشعارا.

### ١ - الآيات القرآنية:

أجمع على الاحتجاج بالقرآن الكريم وقراءاته سواء أكانت متواترة أم أحادا أم شاذة مع أن بعض علمائنا تخرجوا من الاستشهاد بالقراءات الشاذة وإن أصر بعضهم على جواز الاحتجاج والاستشهاد بها؛ لأنها لا تقتصر إلى جميع شروط صحة قراءة القرآن؛ ونعني بصحة الشروط صحة إسنادها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وموافقتها رسم المصحف المجمع عليه وموافقتها وجها من وجوه العربية (٣).

الصاحب من العلماء الذين أدركوا وقع الآيات القرآنية على الذهن والفكر فاستند عليها في إثبات صحة عدد كبير من مواد كتابه، إذ استشهد بإحدى وستين وثلاثمائة آية، والسمة الغالبة عليها أن معظمها مجتزأة.

راوح الصاحب في كيفية الاستشهاد بالآيات القرآنية، فقد يورد معنى اللفظة ثم يأتي بالآية القرآنية المجتزأة ليدلل بها على صحة معنى اللفظة التي ذكرها، ومواضع هذا النهج كثير في المحيط ومن أمثلته: "تَصَدَّيْتُ لفلان: أي تبعته صدها وصوته من قوله عز وجل: "قَأَنَّتْ لَهُ تُصَدَّى" (٤) "والتسلان: مشية الذئب إذا أعنق وأسرع ينسل من قوله عز

(١) المحيط، ج١، ص ٧٣.

(٢) م١، ج٢، ص ٣٢٦.

(٣) سعيد الأفغاني، في أصول النحو، ط٣، مطبعة جامعة دمشق، ١٩٦٤، ص ٢٩-٣٠.

(٤) المحيط، ج٨، ص ١٦٩. سورة عبس، آية ٦.

وجل: "إلى ربهم يَنْسَلُونَ" (١) وقد يورد الآية القرآنية أولاً ثم يبين معنى اللفظة الواردة في الآية القرآنية والمشتقة من المادة المتناولة ومن ذلك: "قوله عز وجل: "فَصَرَّهِنَّ إِلَيْكَ" أي سَفَّهِنَّ إِلَيْكَ" (٢) "قوله عز وجل: "إِيَّاكَ نَعْبُدُ" أي نَتَعَمَّدُكَ بِالْعِبَادَةِ" (٣).

وقد تتوسط الآية القرآنية توضيح اللفظة المرادة. ونعني بذلك أن صاحب صدر شرح اللفظة بالمعنى العام ثم يورد الآية المتضمنة تلك اللفظة ثم يحدد معنى اللفظة الخاص الذي تضمنته الآية "الصَّوْمُ: ترك الأكل والكلام: وقوله عز وجل: "إِنِّي نَكَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً" أي صَمْتاً" (٤) "والتَّصَدِيقُ: ضربه يداً على يد في قول الله عز وجل: "مَكَاةً وَتَّصَدِيقاً" وهو التَّصْفِيقُ" (٥).

قلما يتوقف صاحب عند آراء المفسرين واختلافاتهم في تحديد معنى من ألفاظ القرآن وإنما يكتفي بذكر المعنى المتفق عليه وإذا شاع تفسيران أو ثلاثة تفاسير لآية من الآيات اضطره ذلك إلى ذكر تلك الآراء أو الاختلافات في تفسير اللفظة لكنه لا يسند تلك الآراء إلى أصحابها أي المفسرين، وقد وجدت أن صاحب كرر هذا النهج في معظم الألفاظ التي أورد لها غير معنى اللفظة المراد تفسيرها أو تحديد معناها ويظهر ذلك في أقوال له "اللزوم.. وقوله عز وجل "فَسَوْفَ يَكُونُ لَزَاماً" يقال يوم بدر، وقيل: يوم القيامة" (٦) "وقول عز وجل: "صَفْرَاءَ فَاقِعٌ لَوْنُهَا" قيل: هي من الصفرة وقيل: سوداء" (٧).

وإذا كان للفظه المشتقة من المادة المتناولة معنى خاص في استعمال العرب ومعنى خاص في القرآن الكريم ذكر المعنيين كليهما وبين كل معنى على حدة "والبَلَدُ: المقبرة، وقيل: التراب. وفي القرآن: مَكَّةَ نَفْسِهَا" (٨) "الفَنْدُ: إنكار العقل من الهرم. وشيخ مُفَنَّد. وقوله عز وجل: "لَوْلَا أَن تَفَنَّدُونَ" أي تكذبون. والفَنْدُ: الكَذِبُ" (٩).

أشرنا إلى أن العلماء أجمعوا على الاحتجاج بالقراءات القرآنية، والصاحب من هؤلاء العلماء الذين اتكأوا عليها في إثبات صحة نطق اللفظة وصرافها، فإذا وجد للفظه المشتقة من المادة صورتان نطقيتان نصت عليهما القراءات القرآنية نبه صاحب على جوازهما، وهذا جلي في مواضع عديدة من معجمه "وخلقه وجه السماء: حبك، وقيل: حبك، وقرئ: "وَالسَّمَاءُ ذَاتُ الْحَبْكِ" بالنسكين، والحبك بكسر الحاء" (١٠) "هَيْتَ لَكَ: بمنزلة هَلُمَّ لَكَ، وقرئ: "هَيْتَ لَكَ" وهَيْتَ لَكَ أي كَهَيْتَاتُ لَكَ" (١١).

استنبط صاحب أن لاختلاف القراءات القرآنية أثراً في تفسير المعنى وتغييره، فعمد إلى تتبع القراءات القرآنية التي يؤدي اختلافها إلى تباين المعنى وتحولته، ويظهر

(١) المحيط، ج ٨، ص ٣٢٣. سورة يس، آية ٥١.

(٢) م. ن، ج ٨، ص ١٧٩. سورة البقرة، آية ٢٦٠.

(٣) م. ن، ج ١٠، ص ٤٧٢. سورة الفاتحة، آية ٥.

(٤) م. ن، ج ٨، ص ٢٠٧. سورة مريم، آية ٢٦.

(٥) م. ن، ج ٨، ص ١٦٩. سورة الأنفال، آية ٣٥.

(٦) م. ن، ج ٩، ص ١٦٨. سورة الفرقان، آية ٧٧.

(٧) م. ن، ج ٨، ص ١٣٢. سورة البقرة، آية ٦٩.

(٨) م. ن، ج ٩، ص ٣١٤.

(٩) م. ن، ج ٨، ص ٣٢٣. سورة يوسف، آية ٩٤.

(١٠) م. ن، ج ٢، ص ٣٨٥. سورة الذاريات، آية ٧.

(١١) م. ن، ج ٤، ص ٤٩. سورة يوسف، آية ٢٣.

اتجاه صاحب هذا في أقوال متفرقة له منها .. وقوله عز وجل "تَمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى" من ذلك ومعناه: وَتَرَى وَيَقْرَأ: تَتْرَى - بالتثوين - ومعناه بَعَثًا<sup>(١)</sup> "قوله عز وجل: "مَا أَنْسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نَسَّأَهَا" أي نُؤَخِّرُهَا وَيَقْرَأ: (نَسَّأَهَا) معناه نَتْرَكُهَا<sup>(٢)</sup>.

ويؤخذ على صاحب في هذا المضمار أنه لم يسند القراءات القرآنية إلى قرائها، فلم نره يورد سوى أربعة أسماء من أسماء القراء مع ان معجمه توقف عند عدد لا بأس به منها، وإذا دققنا النظر في القراءات القرآنية الأربعة التي أسندها صاحب إلى قرائها، فإننا نجد أن تلك القراءات مغايرة لنطق العرب وعلم التصريف في العربية، فتفرد أولئك القراء في قراءتهم المغايرة لما اعتاده العرب في سنن كلامهم جعل صاحب يورد أسماءهم ويميزهم من غيرهم لما ابتدعوه من نطق وبنى لا تتسجم وواقع مستويات التحليل اللغوي في العربية، ولإظهار رؤية صاحب هذه نورد بعض الأمثلة "قَرَأَ أَبُو قَلَابَةَ: مِنْ الْكُذَّابِ الْأَشْرَرِ" من الشر وهو غير مستعمل في الكلام، لا يقال هو أَشْرٌ مِنْهُ<sup>(٣)</sup> "الْقَالَ: الْقَوْلُ وَفِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ: "ذَلِكَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ قَالَ الْحَقُّ" أي قوله<sup>(٤)</sup> "وَأَصَابَهُ ذَلِكَ مِنْ جَرَمِكَ: أَي مِنْ جَرِيمَتِكَ وَجِنَايَتِكَ، وَمَالِي عِنْدَهُ جَرَمَةٌ، وَقَرَأَ يَحْيَى بْنُ وَثَابٍ: "لَا يُجْرِمُكُمْ بَرْفَعُ الْيَاءِ؛ مِنْ أَجْرَمِ إِجْرَامًا"<sup>(٥)</sup> "وَالرَّبَّاءُ: مَعْرُوفٌ، وَصَاحِبُهُ مَرْبٌ، وَقَرَأَ قَعْنُبُ: "وَنَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرُّبُو" عَلَى فَعُولٍ، جَعَلَهُ جَمْعَ رَبِيَاءٍ، وَتَثْنِيَةَ الرَّبَّاءِ: رَبِّيَانٌ، وَالْقِيَاسُ رَبَّوَانٌ"<sup>(٦)</sup>.

اللافت للنظر في معجم المحيط أن صاحب استشهد بالقراءات الشاذة لتبيان أن المادة قد يكون لها مبنى صرفي مغاير لما شاع بين العلماء واللغويين وإن لم يستشهد صاحب فيها سوى مرة واحدة وذلك في مادة رشد .. وقرئ: "أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الْإِرْشَادِ" مِنْ أَرْشَدَهُ وَهِيَ قِرَاءَةٌ شَاذَةٌ"<sup>(٧)</sup>.

نلاحظ أن صاحب أردف تلك القراءة بقوله إنها قراءة شاذة ليقى نفسه من نقد قد يوجه إليه؛ أنه يستشهد بالقراءات الشاذة حالها حال القراءات المتواترة والأحاد، وإذا عدنا أراجنا إلى الوراء وحاولنا أن نستخلص من تلك العودة إن كان متفردا في اتكائه على القراءات الشاذة أو مماثلا لغيره.

تحرز السلف من الأخذ بالقراءات الشاذة واعتبارها أساسا يقاس عليه وحجة يستشهد فيها على صحة نطق اللفظة ومبناها ولا سيما النحويون<sup>(٨)</sup>، ولكننا وجدنا أن هنالك مذهباً قد أخذ بالقراءات الشاذة وأيد الاستشهاد بها في ذلك العصر، وأقصد بذلك القرن الرابع، فقد وجدت أن إمام مدرسة المحافظين ابن فارس<sup>(٩)</sup> قد استشهد بالقراءات الشاذة في مواضع عديدة من كتابه الصحابي، وانتصر لها رائد مدرسة المجددين في القرن نفسه ابن

(١) المحيط، ج ٩، ص ٤٥٦. سورة المؤمنين، آية ٢٤.

(٢) م، ن، ج ٨، ص ٢٨٦. سورة البقرة، آية ١٠٦.

(٣) م، ن، ج ٧، ص ٢٥٨. سورة القمر، آية ٢٦.

(٤) م، ن، ج ٦، ص ٢٣. سورة مريم، آية ٣٤.

(٥) م، ن، ج ٧، ص ١٠٠. سورة المائدة، آية ٨.

(٦) م، ن، ج ١٠، ص ٢٧٦. سورة البقرة، آية ٢٧٨.

(٧) م، ن، ج ٧، ص ٣٠٠. سورة غافر، آية ٣٨.

(٨) انظر التهذيب مادة حرف، ج ٥، ص ١٣-١٤.

(٩) الصحابي، ص ١٣٠، ٢٤٣، ٢١٢، ١٤٩، ١١٥، ٢٦١، ١٥٢، ١٥٤، ١١٢، ٢١٤، ٢٢٩، ٣٩٠، ١٧١.

جني في كتابه "المحتسب في شواذ القراءات"<sup>(١)</sup>، إذ قال في سبب تأليفه "... لكن غرضنا منه أن نري وجه قوة ما يسمى الآن شاذاً، وأنه ضارب في صحة الرواية.. أخذ من سمت العربية مهلة ميدانه، لئلا يرى مري أن العدول عنه إنما هو غض منه أو تهمة له"، وقد حذا المحدثون حذو الصحاح وابن فارس وابن جني أمثال: أحمد أمين في كتابه "هذا النحو"، وسعيد الأفغاني في كتابه في أصول النحو، ومحمد الخضر حسين في كتابه القياس في اللغة وغيرهم.

غابر الصحاح الأزهرى في استنفاد ينباع القرآن الكريم، إذ اتكا الأزهرى على القراءات القرآنية اتكاء ظاهراً، وتوسع في تتبع قراءة اللفظة عند معظم القراء المشهورين إلا أنه لم يأخذ بالقراءات الشاذة بل اكتفى بالقراءات السبع المشهورة.

وقد أضرب الصحاح عن البحث في علوم القرآن الكريم المختلفة، فلم نجده يعرض لأسباب نزوله ومشكله وناسخه ومنسوخه وسبب تسمية سوره بأسمائها ولم يعلل وجود الأحرف المتقطعة في بدايات السور. وقد ناقش الأزهرى هذه المباحث جميعها وتوسع فيها، أما الصحاح فاقنصر القول على توضيح معاني الألفاظ المشتقة من المادة التي وردت ضمن آية من أي القرآن وعلى القراءات القرآنية التي تفيد أن هنالك صورتين لنطق اللفظة ومبناها الصرفي.

تقتضي الأمانة العلمية أن ننبه على هنات وجدناها في منهج الصحاح في استشهاده بالآيات القرآنية والتوقف عند قراءاتها، مع أن الصحاح أغفل أسماء المفسرين الذين اتكا عليهم في بعض المواد وأهمل معظم أسماء القراء الذين رجع إليهم إلا أنه أضاف إلى ذلك مأخذين واضحين:

أولاهما: أنه أورد التفاسير التي استنبطت حول لفظة من أي القرآن الكريم دون أن يكتب نص الآية، ومن ذلك قوله: "والرقيم في قول الله عز وجل: هي الصخرة وقيل: الوادي الذي فيه الكهف. وقيل: القرية التي خرجوا منها. وقيل: الكلب، وهو أيضاً: الدواه بلسان الروم. والكتاب أيضاً، وقيل لقب كانت فيه أسماؤهم وأسماء آبائهم"<sup>(٢)</sup> "والرَجْفَةُ في القرآن: كل عذاب أخذ قومًا، وكذلك الصَّاعِقَةُ"<sup>(٣)</sup>.

ثانيهما: تنبيهه على القراءات التي قرئت بها اللفظة المشتقة من المادة دون أن يورد نص تلك الآية ومن ذلك قوله: "وقرئ: دَكَاً" و "دَكَاءً"؛ وهي روايات من طين ليست بالغلاظ"<sup>(٤)</sup>.

## ٢- الحديث النبوي الشريف:

يأتي الحديث في المرتبة الثانية من مصادر التشريع، وقد احتل المرتبة الثانية في الاستشهاد على صحة الألفاظ التي احتواها المحيط، إذ لم يزد عليه مصدر من مصادر

(١) المحتسب في شواذ القراءات، تحقيق: علي النجدي ناصف. وعبد الحلیم النجار، وعبد الفتاح اسماعيل شلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي القاهرة، ١٩٦٦، ص ٣٢-٣٣.

(٢) المحيط، ج ٥، ص ٤١٥.

(٣) يشير إلى قوله تعالى: "تأخذنهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين" الأعراف آية (٧٨)، م ن، ج ٧، ص ٨٩.

(٤) سورة الكهف آية (٩٨) المحيط ١٣٢/٦.

الشواهد عدا الشعر، فقد أورد تسعة وثمانين وثلاثمائة حديث في مواقع مختلفة من معجمه، وهذا العدد الكبير من الشاهد الحديثي يرينا أن صاحب من العلماء الذين جوزوا الاستشهاد بالحديث النبوي على صحة اللغة.

تباين أسلوب صاحب في تناوله للحديث وعرضه له، فقد يبدأ بذكر معنى اللفظة ثم يأتي بالحديث النبوي مؤكدا لمعنى تلك اللفظة "البَلَّةُ: الغَفْلَةُ عن الشر وفي الحديث: "أكثر أهل الجنة البَلَّةُ" (١) "الجَلَجَةُ: الجَمُجَمَةُ في حديث: وعلى كُلِّ جَلَجَةٍ إرْبَعَةٌ دراهم وعَبَاءٌ" (٢).

وتارة يبدأ بذكر الحديث ثم يوضح معنى اللفظة المشتقة من المادة المتناولة التي ورد ذكرها في الحديث "وفي الحديث: "تَبَرَّقَ أسَارِيرٌ وَجْهٌ" وهي الخطوط التي في الكِبْهَةِ" (٣) "وفي الحديث: "عَيْنٌ سَاهِرَةٌ لِعَيْنٍ نَائِمَةٍ" أي عَيْنٌ مَاءٍ لَا يَنْقَطِعُ، ويعني بالنائمة عين صاحبها، أي هو ينام وتلك تجري" (٤).

وتارة يذكر صاحب المعنى العام للفظه ويتبعه بحديث نبوي يؤكد ذلك المعنى ثم يوضح صاحب المعنى الخاص للفظه وفق ورود حالها في الحديث "السيوب: الركاز. وفي الحديث "في السُّيُوبِ الخُمُسُ" وهو من الرِّزْعِ: ما سَبَّبَ فِيهَا "لأنها من غير سَقْيٍ كَلَوِ وَلَا سَمَاءٍ" (٥) "والمَرَازِمَةُ في الأكل: المَعَاقِبَةُ بين الأَطْعَمَةِ، وفي الحديث: "إِذَا أَكَلْتُمْ فَرَازِمًا" والإبل تَرَازِمُ أيضا... وَفَسَّرَ الحديث على معنى أَحْمَدُوا الله بين اللَّقْمَةِ وَاللَّقْمَةِ" (٦).

قد يلجأ صاحب إلى تأكيد معنى اللفظة التي وردت في الحديث على قول من أقوال العرب "وفي الحديث: "صَفْرَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ" وهي الجَوَاعَةُ من قولهم: صَفِرَ بَطْنُهُ إِذَا خَلَا مِنْ الطَّعَامِ" (٧) "وَالْإِزْلَالُ: الْإِنْعَامُ. وفي الحديث: "مَنْ أَزَلَّتْ إِلَيْهِ نِعْمَةٌ فَلْيَشْكُرْهَا" وهو التَّقْدِيمُ: من قولهم: أَزَلَّ أَمَامَهُ شَيْئًا أَي قَدَّمَ" (٨).

الأحاديث التي اتكأ عليها صاحب في معجمه تضمنت أحكاما شرعية ولم تقتصر على تأكيد معنى اللفظة أو توضيحه وإن كان الغرض من ذكرها بيان المعنى أولا "وفي الحديث: "لَا شِيْعَارَ فِي الْإِسْلَامِ" وهو أن يَكْرُوجَ أَخْتَهُ عَلَى أَنْ يَزَوِّجَهُ الْآخَرَ أَخْتَهُ فَيَكُونُ الْمَهْرُ بَيْنَهُمَا ذَلِكَ. وهو أيضا-: أَنْ يَعْدُوَ الرَّجُلَانِ عَلَى

(١) المحيط ج٣، ص ٩٢.

(٢) م١، ج ٦، ص ٤٠٧.

(٣) م١، ج ٨، ص ٢٣٩.

(٤) م١، ج ٢، ص ١٦٢.

(٥) م١، ج ٨، ص ٣٩٧.

(٦) م١، ج ٩، ص ٤٩.

(٧) م١، ج ٨، ص ١٢٣.

(٨) م١، ج ٩، ص ٩١٢.

الرجلين" (١) "وفي الحديث: "لا تَجُوزُ الصَّغَطَةُ" وهو إذا كان لرجل على آخر دراهم فصالحه على بعض منها، ثم وجد البيئنة فأخذه بجميع المال" (٢).

استقصاء أحاديث المحيط ترينا أن صاحب لم يبحث في علوم الحديث المختلفة ولم تأخذ من معجمه قدر أنملة، فقد تنحى عن الجدل والقول في علوم النسخ والمنسوخ ورواية الحديث ونقدها. وأغفل صاحب ذكر سلسلة أسانيد الأحاديث النبوية ونحن نعلم أن البحث في صحة متن الحديث وتوثيق رجال روايته هما الركنان الأساسيان لإطلاق الحكم على صحة الحديث وردة، وقد يقال: إن المحيط كتاب معجمي وليس كتابا فقهيا أو أحد كتب الجرح والتعديل.

نقول: إن هذا القول صوابه ظاهر ولكن إجماع صاحب عن ذكر سلسلة السند وإطلاق حكم على الحديث من حيث القوة والضعف والصحة والوضع غير مسوغ، ولا أريد أن يكون الغرض من تأليف المحيط تفصيل القول في مراتب الحديث وثقة رجال أسانيد. فمن المفترض أن يسرد الكتاب سلسلة أسانيد الأحاديث وأن يبين مرتبتها من حيث قوتها أو ضعفها ومن حيث صحتها أو وضعها؛ لأن الحديث مصدر تشريعي أولا ومصدر لغوي ثانيا.

أما إيراد الأحاديث النبوية منسقة عن أسانيدها ومفتقرة إلى تصنيفها ومرتبها فهي تذكر وكان صحتها مسلم بها فهذا الفعل فعل مردود وبينه وبين الدقة العلمية أمد بعيد.

وقد يقال: إن احتواء معجم على علوم الأحاديث كلها وتصنيفها ونقد روايتها أمر محال أن يحيط به معجم.

فإننا نقول -وبالله التوفيق:-

إن معجم التهذيب قد احتوى على علوم الأحاديث جميعها وفصل القول في روايتها ونقدها متنا وسندا.

فأنت لا تجد في المحيط أحاديث عديدة لتأكيد معنى لفظة أو حكم شرعي، فقد كان يكتفي صاحب بذكر حديث واحد فقط، ولا يورد روايات مختلفة للحديث الواحد بل يكتفي بذكر أشيعها رواية، وإذا وجد للحديث غير تفسير واحد فإن صاحب لا يستقصيها جميعها وإنما يشير إلى التفسير المتفق عليه غالبا.

دقة النظر في مجمل الأحاديث التي استقاها المحيط من مصادر ترينا سعة ثقافة صاحب من جهة وترينا أنه قد وقع منهجه في مأخذ من جهة أخرى، وسأحاول تسليط الضوء على جلها:-

١- لا يشير صاحب إلى الحديث باللفظ الصريح وإنما يكتفي للدلالة على أنه حديث بالقوسين في مواضع عديدة، ففي مادة كور قال: "الزيادة، من قوله: أعوذ بالله من

(١) المحيط، ج ٤، ص ٥٣٨.

(٢) من، ج ٥، ص ٢٤٠.

الحَوْرُ بعد الكَوْرِ" (١) "وَكَفَاتَ الْإِنْيَاءَ وَكَفَاتَهُ: لغتان جيدتان وَكَفَاتَهُ أَيضاً. ومنه قوله: لَتَكُنْفِي بَاقِي صَحْفَتَهَا" (٢).

٢- قد يورد صاحب الحديث مجتزأ، فقد يقتصر على ذكر الجزء المحتوي على اللفظة المراد توضيح معناها ومن أمثال ذلك "قَفَوْتَهُ: قَدَفْتَهُ بِالرَّيْبَةِ، وفي الحديث: "من قَفَا مُؤْمِناً أَي قَذَفَهُ" (٣) "الْكَفْوُ: المَثَلُ فِي الحَرْبِ وَالتَّرْوِيجِ.. وفي الحديث: "المُسْلِمُونَ تَنَكَّفُوا دِمَاؤَهُمْ" أَي كَلَهُمُ أَكْفَاءٌ" (٤).

٣- قد يستشهد صاحب فكرة الحديث ولا يورد نصه "ونهي النبي صلى الله عليه وسلم - عن بيع الكالئى بالكالئى: وهي النسبنة بالنسبنة" (٥) "ونهي رسول الله (ص) - عن التلقئى: وهو أن يتلقى الحضري البدوي فيبتاع منه متاعه بالرخص" (٦).

٤- قد يشير إلى الأحاديث المتضمنة أحد مشتقات المادة المتناولة دون أن يورد نصها "وَهَجَمَتْ عَيْنُهُ - فِي الحَدِيثِ -: غَارَتْ" (٧) "وَفَرِيصُ الرَّقَبَةِ فِي الحَدِيثِ: عَرُوقُهَا" (٨).

### ٣- أمثال العرب وأقوالهم:

القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف المصدران الرئيسان من مصادر السماع التي قيس عليها ما أتى بعدها من ألفاظ وتراكيب إلا أن المعجميين لم يقصروا صحة ما أوردوه على هذين المصدرين وإنما استفدوا معطيات المصدرين الآخرين اللذين استمدوهما من أفواه بلغاء العرب وأعرابهم، ونعني بذين المصدرين، نثر العرب وأشعارها.

نحن نعلم أن كلام العرب هو ما ورد عن فصحانهم الموثوق بروايتهم، وقد أطر العلماء كلام العرب بإطارين كبيرين هما الزمان والمكان، فقد اشترطوا لصحة رواية الحضري أن تكون في القرن الثاني، أما إذا كانت الرواية بعد هذا القرن فتزد ولا يؤخذ بها، أما إذا كانت رواية بدوية فيجب أن تكون قبل القرن الرابع وما بعده ترد (٩).

أما مكانياً فقد حدده الفارابي في كتابه الألفاظ وبين فيه ما القبيلة التي يحتج بكلامها وما القبيلة التي يرد كلامها وما الداعي لذلك، فقال: "كانت قريش أجود العرب انتقاءً للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق وأحسن مسموعاً وإبانة عما في النفس" (١٠)، فأخذوا اللغة واستنبطوا قواعدها وأقيمتها .. من سكان البراري منهم دون أهل الحضرة ثم من سكان من كان في أوسط بلادهم ومن أشدهم توحشاً وجفاءً وأبعدهم

(١) المحيط، ج ٦، ص ٣١٩.

(٢) م.ن، ج ٢، ص ٢٣٧.

(٣) م.ن، ج ٦، ص ٣٨.

(٤) م.ن، ج ٦، ص ٢٣٦.

(٥) م.ن، ج ٧، ص ٢٢٧.

(٦) م.ن، ج ٦، ص ٢٧.

(٧) م.ن، ج ٢، ص ٣٨٥.

(٨) م.ن، ج ٨، ص ٢٩٤.

(٩) فقه اللغة علي عبد الواحد وافي، ص ١٨٢، مصطفى الشهابي مجلة مجمع اللغة العربية الملكي، ج ١، ١٩٢٤م، ص ٢٠٢-٢٠٤، وتام حسان في الأصول.

(١٠) السيوطي في الاتراح، ص ١٩.



إذ عانا وانقيادا وهم قيس وتميم وأسد وطيب ثم هذيل، فإن هؤلاء هم معظم من نقل عنه لسان العرب، والباقي فلم يؤخذ عنهم شيء، لأنهم كانوا في أطراف بلادهم مخالطين لغيرهم من الأمم مطبوعين على سرعة انقياد أسنتهم لألفاظ سائر الأمم المطيفة لهم من الحبشة والهند والفرس والسريانيين وأهل الشام وأهل مصر<sup>(١)</sup>.

وقد أفرد ابن جنّي بابا في كتابه الخصائص سماه "باب في ترك الأخذ عن أهل المدر كما أخذ عن أهل الوبر"<sup>(٢)</sup> تحدث فيه عن شروط أخذ اللغة الفصيحة وأكد على أن تطور الحضارة له دور كبير في إفساد لغة المدر والوبر وأن لغة الوبر في زمانه قد شابها فساد ولحن. وابن خلدون الذي كتب بابا في هذا الموضوع أسماه "فصل في أن أهل الأمصار على الإطلاق قاصرون في تحصيل هذه الملكة اللسانية التي تستفاد بالتعليم ومن كان منهم أبعد عن اللسان العربي كان حصولها له أصعب وأعسر"<sup>(٣)</sup>.

نهل صاحب من معين هذين المصدرين واستمد صحة ما أورده من مواد عليهما، ولا أريد أن أدمج القول فيهما في موضع واحد كي لا أقع في الاختصار المخل، ولذلك سأبدأ الحديث عن أمثال العرب وأقوالها.

#### أ- استشهاده بالأمثال:

عنى صاحب بالأمثال عناية بالغة إذ كان نصيبها من المعجم مماثلا للحيز الذي أخذته الآيات القرآنية، إذ أورد في طيات معجمه اثنين وستين وثلاثمائة مثل وقول.

ويظهر اهتمام صاحب في تتبع معنى الأمثال ودورها في إثبات صحة اللفظة في دقة جمعه للأمثال التي تقال في مقامات تكاد تكون أحداثها متماثلة أو صفات من قيلت فيهم الأمثال متشابهة.

ويتضح منهجه هذا بالأمثال التي قيلت في صفة قوة السمع "وفي المثل: "أسمع من السمع الأزل" و "من الفراد" و "من فرخ العقاب" و "من الفرس" و "من القنفذ"<sup>(٤)</sup>، ورسده الأمثال التي تدل على حال المتهدد "هو كسير علي أرعاض النبل" وفي آخر: "ما مددت عليه حتى تعطف علي أرعاض النبل"<sup>(٥)</sup>، واستقصاه الأمثال التي قيلت في صفة كائن، ومن ذلك الأمثال التي سردها في صفات الفرس "الفرس سواء في الذكر والأنثى. وفي المثل: "هما كفرسي ركان" للاثنتين يستبقان إلى غاية. ويقولون: "أبصر من فرس بيها في غلس" و "أطوع من فرس"<sup>(٦)</sup>.

قلما يورد صاحب من نوع الشاهد نفسه في المادة المتناولة أزيد من شاهد أو شاهدين، أما الأمثال فاحتفى بها المحيط، فنحن نجد مواد عديدة احتوت على أمثال غير قليلة فقد تصل بعضها إلى تسعة أمثال ومن ذلك مادة سمر "والسمير في كلام العرب: الدهر. يقولون: "لا أكلوك ما سمر ابن سمير" و "أبنا سمير" و "لا أتيك ما سمر السمير"

(١) كتاب الحروف الفارابي، ص ١٤٧، وانظر الاقتراح ١٩-٢٠، وابن خلدون، المقدمة، تحقيق علي عبد الواحد وإقسي، ط ١، لجنة البيان العربي، ١٩٦٢م، ٤/١٢٦٩-١٢٧١، وتام حسان في الأصول، ص ٩٤، ومهدي المخزومي، مدرسة الكوفة، ص ٥٤.

(٢) الخصائص، ج ٢، ص ١٢-٥.

(٣) مقدمة ابن خلدون، ج ٤، ص ١٢٨٢.

(٤) المحيط، ج ١، ص ٣٧٩.

(٥) م، ج ١، ص ٤٥٢-٤٥٣.

(٦) م، ج ٨، ص ٣٠٧.

و "ما أسمر ابن سمر" وهما الغداة والعشي. و "لا أفعله سمر الليالي"، وعيش مسمر: ليس فيه كفاية ولا تمام مأخوذ من اللبن السمار وهو المخلوط بالماء وفي المثل: "ومنك ربضك وإن كان سماراً" قعب مسمر: إذا أكثر على لبنه الماء.. وفي المثل: "السمر والقمر" وهو سواد الليل، .. والسمر: الطحنة في القمر، ومنه قيل: "حلف بالسمر والقمر" .. وشبهوا على القوم سمرأ: إذا أظهروا لهم الحرب وصارحوهم بها. وهو من قولهم: "أشبه شرح شرحاً لو أن أسيراً"<sup>(١)</sup>.

واستفاده لمعطيات الأمثال تظهر في تكراره المثل نفسه بوصفه دليلاً على صحة اللفظة في عدد من المواد فقال في مادة قر "قررت الكلام في أذنه أقره قرا. وفي المثل في التجني قولهم: "بدأهم بالصراخ يقرؤا" أي يسكنوا"<sup>(٢)</sup> وكرر المثل نفسه في مادة بدأ<sup>(٣)</sup>.

وقال في مادة خثر "رأيت خائفة من الناس: أي فرقة وفي المثل: "أختلط الخائز بالزباد"<sup>(٤)</sup>، وكرر المثل نفسه في مادة زبد<sup>(٥)</sup> "الزباد: نبت"، وغيرها من المواد.

تباين أسلوب الصحاح في اتكائه على الشاهد المثلي، فقد يبدأ بذكر معني المثل وفكرته ثم يورد ذلك المثل المتضمن لتلك الفكرة أو المعنى ومن أمثلة ذلك: "الأبلق: قوصر السمؤال بن عابيا. وفي المثل في الفر "تمرد مارد وعز الأبلق"<sup>(٦)</sup> "وفي المثل لمن انقل عن مهانة إلى عز: "صار خيز قويس سهما"<sup>(٧)</sup>.

وفي مواضع أخرى يبدأ بذكر المثل ثم يبين الفكرة التي تضمنها ومنها: "وفي المثل: "أصنع من سرفة" وهي كويبة صغيرة تنقب الشجر تبني فيه. يقال: سرفت الشجرة. وقيل دودة القز"<sup>(٨)</sup> "وفي المثل: "متى عهدك بأسفل هيك" إذا سألته عن أمر قديم لا عهد له به"<sup>(٩)</sup>، ولم يقصر الصحاح استشهاده على الشاهد المثلي النثري وإنما وسع دائرته ليشمل الأمثال الشعرية، وقد كان عددها ليس بالقليل .. ويقولون -أيضا-: وقع الأمر بقرّة: أي استقر، وقيل في قول طرفة:

فنتاهيت وقد صابت بقر ...<sup>(١٠)</sup>

وتدमित المكان: توطنته، وفي المثل:

كمت لنفسك قبل النوم مضطجعا ...<sup>(١١)</sup>.

مع أن المحيط حفل بالشاهد المثلي واحتفى به احتفاء كبيراً، إلا أن نهجه أوقعه في مزلق أسلوبية وعلمية منها:-

١- يفاجئك بذكر المثل وشرحه دون أن يشير إلى أنه مثل باللفظ الصريح.

(١) المحيط ج ٨، ص ٢٢-١٢١.

(٢) م.ن، ج ٥، ص ٢٠٧.

(٣) م.ن، ج ٩، ص ٣٧٤.

(٤) م.ن، ج ٤، ص ٣٢٢.

(٥) م.ن، ج ٩، ص ٣٢.

(٦) م.ن، ج ٥، ص ٤٣٦.

(٧) م.ن، ج ٥، ص ٤٦٩.

(٨) م.ن، ج ٨، ص ٣٠٧.

(٩) م.ن، ج ٨، ص ٣٢٦.

(١٠) م.ن، ج ٥، ص ٢٠٩.

(١١) م.ن، ج ٩، ص ٢٨٥.

"وَالصَّرْمَاءُ: المَفَاذَةُ الَّتِي لَا شَيْءَ بِهَا وَلَا مَاءَ. وَأَرْضُ صَرْمَاءَ كَذَلِكَ، وَتَرَكَّتُهُ بَوْحَشُ الْأَصْرَمِينَ" أي بقلادة ليس فيها إلا الْأَصْرَمَانِ وهما الْغَرَابُ وَالصَّرْدُ<sup>(١)</sup> "وَوَخْفٌ مَلْبُودٌ وَمَلْبِدٌ: إِذَا كَانَ مِنْ لَبْدٍ، وَ"مَالُهُ سَبْدٌ وَلَا كَبْدٌ" أي ماله ذو شعر وصوف ووبر<sup>(٢)</sup>.

٢- قد يستشهد صاحب على صحة اللفظة بأمثال عديدة غير أنه لا يوضح معناها، "وَقَلَانٌ مَسَالٌ الْخَدَيْنِ: أَي طَوِيلُهُمَا، نَحْوَ الْأَسِيلِ، وَمَثَلٌ: "سَبَقَ سَيْلُكَ مَطْرَكَ" و"هُوَ أَمْضِي مِنَ السَّيْلِ"<sup>(٣)</sup> "وَجَاءَ يَسْتَوِقُ دَبَابِي: أَي سَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الْمَالِ. وَجَاءَ يَدْبَابِيَانِ وَيَدْبَابِيَاتٍ. وَفِي الْمَثَلِ: "أَعْيَيْتَنِي مِنْ سَبِّ إِلَى كَتَبٍ"<sup>(٤)</sup>.

٣- التلازم بين الحادثة والمثل الذي قيل فيها أمر مسلم به، لكن هذا التلازم لم نجده عند صاحب، فقد فصل المقام عن المقال، فلم يورد الموقف الذي قيل فيه المثل ولا الحدث أو القصة التي حبك حول وصفها ونقدها ذلك المثل، إذ كان يكتفي بذكر المثل والمعنى العام الذي تجلى فيه، وهذا النهج يظهر في مواضع عديدة منها: "وَوَظَلَّ يَضْرِبُ أَخْمَاسًا لِأَسْدَاسٍ، وَهُوَ حَدِيثٌ"<sup>(٥)</sup>، وفي المثل بالمرزاة بالأخ "إِنَّمَا أَكَلْتُ يَوْمَ أَكَلِ النَّوْرَ الْأَبْيَضَ" وله حديث<sup>(٦)</sup>.

٤- لم يعن صاحب برواية المثل وضبطه فلا يصح رواية ولا يضعف أخرى وإنما يذكر أشهرها رواية.

ب- استشهاده بأقوال العرب وفصحائهم.

لم يقصر صاحب الشواهد النثرية على الأمثال بل تعداها إلى أقوال أعراب العرب ومشاهيرهم بوصفها مقياسا ساطعا على صحة الألفاظ الواردة في معجمه حيث يقول: "لَجَمَّ عَاطِسٌ: لِقَالِ الشَّوْءِ"<sup>(٧)</sup> "وَرَجَّعَ عَوْدَهُ عَلَى بَدْنِهِ: أَي فِي الطَّرِيقِ الَّذِي جَاءَ مِنْهُ"<sup>(٨)</sup>.

وهذه الأقوال غيض مما أودعه صاحب في معجمه من أقوال الأعراب، أما استشهاده بأقوال مشاهيرهم وفصحائهم فسخرها تسخييرا كبيرا ليخدم الغرض الذي أراده من تأليف معجمه، ونقصد بذلك صحة الألفاظ التي تضمنها المحيط.

وأما أشهر من استشهد بأقوالهم فهم:

(١) للمحيط، ج ٨، ص ١٤١.

(٢) م. بن. ج ٩، ص ٣١٦.

(٣) م. بن. ج ٨، ص ٣٧٩.

(٤) م. بن. ج ٩، ص ٢٦٦.

(٥) م. بن. ج ٤، ص ٢٧٢.

(٦) م. بن. ج ٦، ص ٣٣٠.

(٧) م. بن. ج ١، ص ٣٥١.

(٨) م. بن. ج ٢، ص ١٢٦.

١- أقوال الصحابة الأبرار الذين تحملوا مع الرسول أعباء دعوته وتبعاتها أمثال: عبد الله بن مسعود<sup>(١)</sup>، والزيبر بن العوام<sup>(٢)</sup>، وأبي هريرة<sup>(٣)</sup>، والعباس بن عبد المطلب<sup>(٤)</sup>، ومعاذ بن جبل<sup>(٥)</sup>، وأبي الدرداء<sup>(٦)</sup>، وعبد الله بن عمرو بن العاص<sup>(٧)</sup>، وعبد الله بن عمر بن الخطاب<sup>(٨)</sup>، وعبد الله بن عباس<sup>(٩)</sup>، ومن ذلك قول العباس بن عبد المطلب: "الصَّالِبُ: عَظْمُ الظَّهْرِ وكذلك الصَّالِبُ فِي قول العباس. وقوله: إِنَّ المَغَالِبَ صُلِبَ اللهُ مَغْلُوبٌ"<sup>(١٠)</sup>.

٢- أقوال أمهات المؤمنين أمثال: عائشة<sup>(١١)</sup>، وأم سلمة حين قالت لعائشة: "قد جَمَعَ القرآن كَيْلَكَ فلا تَبْرَحِيه" أي لا تُوسِعِيه بالحركة"<sup>(١٢)</sup>.

٣- أقوال الخلفاء الراشدين<sup>(١٣)</sup> ومنها قول أبي بكر لعمر: "وفي وصية أبي بكر لعمر - رضي الله عنهما-: عَلَيْكَ بالرَّائِبِ من الأمور وإياك والرَّائِبِ منها، قال: الرائب الأول: الأمر الحق الذي لا شبهة فيه كالرائب من الألبان، والثاني: هو الأمر الذي فيه شبهة فَبِرَّيْكَ"<sup>(١٤)</sup>.

٤- مجزآت من خطب الخلفاء الأمويين أمثال معاوية<sup>(١٥)</sup>، وعبد الملك بن مروان الذي قال: "الاستِجْرَاحُ فِي قولهِ: "لِمَ تَزْدَادُوا على الموعظة إلا استِجْرَاحاً" وهو النقصان والفساد"<sup>(١٦)</sup>.

٥- حكم التابعين:

استشهد صاحب بأقوال للتابعين غير قليلة ولا سيما الحسن البصري حيث قال: "وقال الحسن لأبيه: لقد سَعَلَنِي الحُزْنَ عَلَيْكَ عن الحُزْنِ لِكَ"<sup>(١٧)</sup>، وإبراهيم النخعي<sup>(١٨)</sup>، وشريح<sup>(١٩)</sup>، وعبد الله بن المبارك<sup>(٢٠)</sup>.

(١) المحيط، ج٧، ص ٢٦٣، ج٨، ص ٣٥٨.

(٢) م، ج٦، ص ٣٥٦.

(٣) م، ج٨، ص ٣٨٦.

(٤) م، ج٨، ص ١٤٨.

(٥) م، ج٧، ص ٦.

(٦) م، ج٦، ص ٢٠٠، و ج٨، ص ٢٣٤.

(٧) م، ج٢، ص ٣٧٤.

(٨) م، ج٥، ص ٣٢، و ج٦، ص ٦٨.

(٩) م، ج٨، ص ٣٦٣.

(١٠) م، ج٨، ص ١٤٨.

(١١) م، ج٧، ص ٤٣٨، و ج٤، ص ٧٥، و ج٣، ص ٤٤.

(١٢) م، ج٣، ص ٤٤، و ج٤، ص ٣٩.

(١٣) م، أبو بكر، ج١، ص ٣٦٦، ٢٦٤، وعمر، ج٧، ص ٤٣٧، و ج١، ص ٢٥٧، وعشان، ج٦، ص ١٩٤، وعلي، ج٧، ص ٣٢١.

(١٤) م، ج١٠، ص ٢٦٤.

(١٥) م، ج٢، ص ٤٨.

(١٦) م، ج٢، ص ٤٠٢.

(١٧) م، ج٦، ص ٢١٠، و ج٣، ص ١٠.

(١٨) م، ج٢، ص ٢٥٥.

(١٩) م، ج٧، ص ١٥٠.

(٢٠) م، ج٦، ص ٩١.

٦- الاستشهاد بأقوال المشركين أمثال أبي جهل "وَعَمِدٌ مِنَ الْوَصَبِ: اشتكى. ومنه قول أبي جهل: "أَعَمِدٌ مِنْ سَيِّدِ قَنْطَرَةَ قَوْمُهُ" ومعناه: ليس ذلك بِعَارٍ فَاشْكُوهُ"<sup>(١)</sup>، وعبيد الله بن جحش الذي تنصر<sup>(٢)</sup>.

تباين عرض صاحب في الاستشهاد بالأقوال حالها حال الأمثال، إذ يبدأ صاحب أحيانا بذكر القول ثم يتبعه الفكرة التي بني عليها أو معنى اللفظة المبهمة فيه "ويقولون: لا تُحَطِّبَنَّكَ مِنِّي رَصَدَاتٌ خَيْرٌ أَوْ شَرٌّ" أي أكافئك بما يكون منك"<sup>(٣)</sup>.

وفي مواضع أخرى كان يبتدئ بذكر معنى اللفظة المتناولة ثم يأتي بقول توضيحي لذلك المعنى .. وسمي سُبَيْبَانٌ لِأَبِيضَاضِ الْأَرْضِ بِالتَّلْجِ. ويقولون: "مَاتَ الْجُنْدُبُ وَقَرَّبَ الْأَسْيَبُ": أي الثلج"<sup>(٤)</sup> "وَتَعَرَّبَتِ الْمَرْأَةُ تَغَزَلَتْ، وفي حديث ابن عمر: "مَا أُوْتِيَ أَحَدٌ مِنْ مُعَارِبَةِ النِّسَاءِ مَا أُوْتِيَتْ" أي مُعَارَلَتِهِنَّ"<sup>(٥)</sup>.

على الرغم من أن عدد الأقوال أقل من عدد الأمثال إلا أنهما تشابها في المآخذ التي وقع بها صاحب ولا سيما اتكاؤه على بيان معنى لفظ ما ويقول إن معناها كذا في حديث فلان دون أن يورد ذلك الحديث، وتكرر هذا في أقوال مختلفة: "الْوَهَادَةُ: الْخَلَطُ فِي حَدِيثِ أُمِّ سَلْمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا"<sup>(٦)</sup> "الصَّاعِطُ: الْأَمِينُ فِي حَدِيثِ مُعَاذٍ"<sup>(٧)</sup>.

كما أنه يجتزئ أقوال بعضهم اجتزاءً مخلصاً، ومنها قول العباس بن عبد المطلب: "وَكَذَلِكَ الصَّالِبُ فِي قَوْلِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ، وَجَمَعَهُ صُلُوبٌ وَقَوْلُهُ: إِنَّ الْمَغَالِبَ صُلِبَ اللَّهُ مَغْلُوبٌ"<sup>(٨)</sup>.

#### ٤- الشعر:

الشعر ديوان العرب وحافظ مآثرهم ومقيد أحسابهم، عبارة ردها كتاب كثيرون لتبليان دور الشعر وأثره في تاريخ وقائعهم وأحوالهم وبيئتهم ونظمهم الاجتماعية والسياسية، ولما كان للشعر المنزلة العليا والمرتبة القصوى استلهم صاحب من أثره دوراً يخدم بوساطته غرضه من تأليف معجمه ليضمن الديمومة لمواده إذا ما استند عليه، فما من معجم لغوي أو معنوي إلا واتكا على هذا المصدر واستمد من معطياته ليثبت صحة مواد غزيرة أوردتها في طياته، ووجدنا أن الشعر في المحيط قد حاز المرتبة الأولى بين مصادر الاستشهاد، إذ استشهد به في مواضع عديدة بلغت عشرين وسبعمائة شاهد شعري.

اعتمد صاحب في استشهاده الشعرية على أبحر الشعر المختلفة، وزاوج بين الرجز والشعر على الأبحر الأخرى، لكن نصيب الرجز كان أقل من نصيب الشعر على

(١) المحيط، ج ١، ص ٤٣٥-٤٣٦.

(٢) م. ن، ج ٢، ص ٣٦١.

(٣) م. ن، ج ٨، ص ١١٠، وقابل ج ١٠، ص ٧٢، و ج ١٠، ص ٢١٤.

(٤) م. ن، ج ٧، ص ٣٩٣.

(٥) م. ن، ج ٢، ص ٣٢.

(٦) م. ن، ج ٤، ص ٣٩.

(٧) م. ن، ج ٤، ص ٥٤٨.

(٨) م. ن، ج ٨، ص ١٤٨.

الأبهر الأخرى، إذ بلغت المواضع التي أورد فيها أبياتا من الرجز أربعة وأربعين ومائة شاهد، أما الشواهد الشعرية على الأبهر الأخرى فكانت ستة وسبعين وخمسمائة شاهد.

ولناخذ نموذجا حيا على طريقته في استغلال الشواهد الشعرية على البحور المختلفة والشاهد الشعري من الرجز وليكن في الجزء الخامس من مؤلفه.

بلغ عدد الشواهد فيه ثلاثين شاهدا؛ كان عدد شواهد الرجز خمسة شواهد وشواهد الشعر على الأبهر الأخرى خمسة وعشرين شاهدا، وهذا يدل على أنه يستشهد بالرجز ولكنه أقل من شواهد البحور الأخرى مجتمعة وأكثر منها منفردة.

أطر العلماء مصادر الاستشهاد بإطارين كبيرين: هما الإطار المكاني والزمني كما أشير، وقد تنبه صاحب إلى هذين الإطارين وحرص على أن تكون شواهد موافقة لهذين الإطارين ولا سيما الإطار الزمني، إذ كانت جل شواهد الشعرية من العصر الجاهلي مستقاة من دواوين شعرائهم الفحول، ولا أستطيع رصد أسمائهم وأشعارهم، فميدان البحث لا يسمح بذلك. اعترف صاحب من أشعار امرئ القيس<sup>(١)</sup>، والأعشى<sup>(٢)</sup>، والسنفري<sup>(٣)</sup>، وزهير<sup>(٤)</sup>، وطرفة<sup>(٥)</sup>، وشعراء هذيل أمثال: أبي ذؤيب<sup>(٦)</sup>، وأبي خراش<sup>(٧)</sup>، وبريق<sup>(٨)</sup>، وأبي جندب<sup>(٩)</sup>، وصخر الغي<sup>(١٠)</sup>، وغيرهم. ووثق صحة مواده بأشعار ابن مقبل<sup>(١١)</sup>، وعمر بن أحمر الباهلي<sup>(١٢)</sup>، وحميد بن ثور<sup>(١٣)</sup>، والنابغة الجعدي<sup>(١٤)</sup>، والعباس ابن مرداس<sup>(١٥)</sup>، والخنساء<sup>(١٦)</sup>، وحسان بن ثابت<sup>(١٧)</sup>، وكعب بن زهير<sup>(١٨)</sup>، وزيد الخيلي<sup>(١٩)</sup> من الشعراء المخضرمين.

وولي الشعراء الأمويون الجاهليين مرتبة، إذ احتوى المحيط على أشعار كثيرة لأشهر شعراء بني أمية ورجازهم، ومن شعرائهم على سبيل الذكر لا الحصر نو

(١) المحيط ج ١٠، ص ٢٢٧، و ج ٣، ص ٩٨.

(٢) م، ج ١٠، ص ٤٤٢، و ج ٨، ص ٢٣٩.

(٣) م، ج ٨، ص ٨١، و ج ٢، ص ٤٥.

(٤) م، ج ٣، ص ٩١، و ج ٩، ص ١٧٨.

(٥) م، ج ٦، ص ١٥٨، و ج ٢، ص ٣١٣.

(٦) م، ج ٩، ص ٤٨٢، و ج ٣، ص ١٥٥.

(٧) م، ج ٥، ص ١٠٢، و ج ٤، ص ٥٣٩.

(٨) م، ج ٢، ص ٦٩.

(٩) م، ج ٥، ص ١٣٤.

(١٠) م، ج ٢، ص ١٠٠، و ج ٨، ص ٧.

(١١) م، ج ٢، ص ٦٤، و ص ٤٤٧.

(١٢) م، ج ١، ص ٢٦٥، و ج ٣، ص ٢٥٤.

(١٣) م، ج ١، ص ١٨٩، و ج ٢، ص ٤٧٠.

(١٤) م، ج ٨، ص ٣٧٠، و ج ١٠، ص ٢٥٢.

(١٥) م، ج ٤، ص ٨٠، و ج ٧، ص ٤٥٠.

(١٦) م، ج ١، ص ٣٣٨، و ج ٢، ص ٢٤٩.

(١٧) م، ج ٢، ص ٢٦، ٢٧.

(١٨) م، ج ٢، ص ٤٧٢.

(١٩) م، ج ٣، ص ١٥٤.

الرمة<sup>(١)</sup>، وجريز<sup>(٢)</sup>، والكميت<sup>(٣)</sup>، والفرزدق<sup>(٤)</sup>، وكثير عزة<sup>(٥)</sup>، والأخطل<sup>(٦)</sup>، والراعي النميري<sup>(٧)</sup>، والطرماح<sup>(٨)</sup>، وابن الدمينة<sup>(٩)</sup>، وعبد الله بن الزبير الأسدي<sup>(١٠)</sup>، ومسكين الدارمي<sup>(١١)</sup>.

أما أشهر رجاز العربية وإن كانوا من رجاز العصر الأموي فهم أبو النجم العجلي<sup>(١٢)</sup>، والعجاج<sup>(١٣)</sup>، ورؤبة<sup>(١٤)</sup>.

استشهد صاحب بأشعار الشعراء المخضرمين المتأخرين ونعني بذلك الشعراء الذين نشأوا في العصر الأموي وتوفوا في العصر العباسي، ونحن نعلم أن النقاد حددوا الشعراء الذين يحتج بشعرهم بإبراهيم بن هرمة، وقد التزم صاحب بهذا المقياس فاستشهد بشعر ابن ميادة<sup>(١٥)</sup>، وإبراهيم ابن هرمة<sup>(١٦)</sup>، ولم يتخط ذا المقياس أو يحد عنه إلا مرة واحدة في مادة (جعب)<sup>(١٧)</sup>، حينما استشهد بشعر بشار بن برد، وقد قوى الشعراء شعر بشار وعدوه من فصحاء شعراء العرب وبلغائها؛ لأن شعره لم يخالطه مولد أو معرب. وإذا ولدت لفظة كانت منسجمة ومقاييس العربية وصرفها.

لم يابه صاحب بذكر أخبار الشعراء الذين استند على شعرهم وأغراضهم، ومن ذكر تلك الأشعار والمناسبة التي قيلت فيها، حتى إنه لم يناقش سبب تسمية الشاعر أو إطلاق لقب ما عليه أو كنيته، وإنما كان يقصر على تبيان الصلة الاشتقاقية بين معنى اللفظة المتناولة ومعنى اسم الشاعر الذي اشتق منه هذا المعنى، فالصاحب يرى أن الرمة قطعة من الحبل وبها سمي ذو الرمة<sup>(١٨)</sup>، وأن ابن ميادة اشتق من معنى الميّد وهو الميسّ والنَّبَخْتَر<sup>(١٩)</sup>، واشتق اسم دِعْبِلِ الخَزَاعِي من الدَّعْبِلِ المتضمن معنى بيض الضفدع والناقة

(١) المحيط ج ١، ص ٣٤، و ج ٢، ص ٤٣٥.

(٢) م، ج ١، ص ١٥٢، و ج ٢، ص ٢٨.

(٣) م، ج ١، ص ٣٦٢، و ج ٨، ص ١٥٩.

(٤) م، ج ١، ص ٧٦، و ج ٢، ص ٤٤.

(٥) م، ج ٢، ص ٤٦٧، و ج ٣، ص ٤٦٦.

(٦) م، ج ١، ص ٣٣٩، و ج ٣، ص ١٢٧.

(٧) م، ج ١، ص ٣٧٣، و ج ٣، ص ٢٠٣.

(٨) م، ج ٢، ص ٣١٢، و ج ٤، ص ٢٥٥.

(٩) م، ج ٢، ص ٢٧٦، و ج ٥، ص ٤٦٣.

(١٠) م، ج ٨، ص ٩٣، و ج ٩، ص ٤٦.

(١١) م، ج ٣، ص ١١٩.

(١٢) م، ج ٢، ص ١٧٥، و ج ٣، ص ٤٥٨.

(١٣) م، ج ١، ص ٣٦٦، و ج ٢، ص ١١٢.

(١٤) م، ج ١، ص ٣٦٦، و ج ٢، ص ١١٢.

(١٥) م، ج ٢، ص ٣٥٩، و ج ٣، ص ٢٦.

(١٦) م، ج ٢، ص ١٣٨، و ج ٣، ص ٩٦.

(١٧) م، ج ١، ص ٢٦٨.

(١٨) م، ج ١٠، ص ٢١٦.

(١٩) م، ج ٩، ص ٣٨٣.

الشارق<sup>(١)</sup>، واشتق معنى الرُّؤْبَةِ من الأرض التي تدل على المكرمة للنبات اسم رُؤْبَةِ الراجز<sup>(٢)</sup>.

لم يعن صاحب نفسه عناء إثبات قاعدة نحوية أو صيغة صرفية أو بطلانها على الأبيات الشعرية، ولم نره يحاول تمحيص الشروح التي قيلت حول البيت الواحد أو رواياته المتعددة، وإنما كان يورد أشهر المعاني تداولاً بين اللغويين والمعجميين، كما أننا لم نجد صاحب يتوقف عند قضية انتحال الشعر وتبيان أصيله من زائفه، وقد يكون صاحب محققاً في إضرابه عن مناقشة هذه القضايا الشائكة، لأن ميدان بحثها كتب الأدب والنقد.

ومطالعة أبيات المحيط الشعرية ترينا أن أغراض صاحب كانت منصبة على إثبات صحة اللفظة "والتَّوَابُ: ماءٌ تَيُوبُ في الوادي أي يَجْتَمِعُ؛ في قول ساعدة: تَوَابٌ يَرْعَبُ..."<sup>(٣)</sup>.

أو تبيان أن الشاعر استخدم لفظة لإفادة معنى مضاد لمعناها المتعارف عليه "والعَمَاعِمُ: الجماعات الواحد: عَمٌّ، وقد يَجْمَعُ على العُمومِ. والقوم عَمَاعِمُ: متفرقون أيضاً، قال لبيد:

وَأَجْعَلُ أَقْوَاماً عُموماً عَمَاعِمَا..."<sup>(٤)</sup>.

أو أن الشاعر استخدم اللفظة لإفادة معنى مغاير للمعاني المعهودة والمتداولة بين الأدباء والكتاب والجمهور، ومثال ذلك مادة (فرض) فبعد أن ذكر معاني عديدة للفظ (فرض) قال إن معنى (فرض) قد يأتي لإفادة معنى الفِدْحُ لقول الشاعر:

يُقَلِّبُ بِالْكَفِّ قَرْضاً خَفِيفاً..."<sup>(٥)</sup>.

ومن ذلك قوله أيضاً أن معنى التَّبَصُّرُ؛ العين نفسها "والتَّبَصُّرُ: العين نفسها في قول أبي زبيد:

كَالْجَمْرَتَيْنِ التَّبَصُّرِ..."<sup>(٦)</sup>.

مع أن صاحب أغفل الحديث عن الشاعر وبينته وغرضه وأسلوبه، إلا أنه لم يهمل القول عن الضرورة الشعرية، وأنها قد تقتضي الخروج على قاعدة نحوية أو صيغة صرفية "الإِنَاتُ جماعة أنثى ويجيء في الشعر أنثى"<sup>(٧)</sup> "ذو: اسم ناقص وتفسيره صاحب ذلك، والتثنية ذوان والجمع ذوون والأنثى ذات وذوات، ويجوز ذاتا في الشعر"<sup>(٨)</sup>، ولا يعني ذلك أنه استطرد في الحديث عنها أو أطنب القول فيها فلم نجد أنه توقف عندها في غير هذه المواضع.

راوح صاحب في تناوله للشعر واستشهاده به بين البدء بالشعر والبدء بالمادة وبين إيراد البيت كاملاً ومجتزأً وبين نسبة البيت إلى قائله وعدم نسبته.

(١) المحيط، ج ٢، ص ٢٦٢.

(٢) م، ن، ج ١٠، ص ٢٦٥.

(٣) م، ن، ج ١٠، ص ١٨٩.

(٤) م، ن، ج ١٠، ص ١٠٤.

(٥) م، ن، ج ٨، ص ٧.

(٦) م، ن، ج ٨، ص ١٣٦.

(٧) م، ن، ج ١٠، ص ١٨٢.

(٨) م، ن، ج ١٠، ص ١١٦.



ولتبيان تناول صاحب الشاهد الشعري نعرج على أمثاله التي استشهد بها  
موضحين أسلوبه في استشهاده.

فالساحب يبدأ كثيراً بذكر معنى اللفظة ثم يستشهد عليها ببيت شعري مجتزأ مسند  
إلى قائله "الزَّيْمَةُ: قَاعٌ عَظِيمٌ يَنْجَدُ يَنْصَبُ فِيهِ أَوْدِيَةٌ، وَهِيَ الْجَبْهُةُ أَيْضاً - فِي شِعْرِ امْرِئِ  
الْقَيْسِ:

لَهَا زَيْمَةٌ مِثْلُ الْمَدَاكِ... (١)

وقد يبدأ بتوضيح معنى اللفظة المشتقة من المادة فيستشهد عليها ببيت شعري مجزوء غير  
مسند إلى قائله "وَالْبَلَاخِيَّةُ: الْعَظِيمَةُ، وَقِيلَ هِيَ الشَّرِيفَةُ، فِي قَوْلِهِ:  
عَبْهَرَةُ الْخَلْقِ بِلَاخِيَّةٍ... (٢)

وقد يبدأ صاحب بذكر معنى اللفظة فيستشهد ببيت شعري كامل مسند إلى قائله  
"وَالْحَرَجُ: مَا يُوضَعُ فَوْقَ النَّعْشِ لِلنِّسَاءِ، وَهِيَ خِرْقَةٌ مَسْدُودَةٌ عَلَى رَأْسِ الْمَرَأَةِ تَتَّخِذُ  
لِصَيْدِ رِثَالِ النَّعَامِ، قَالَ عَنَتْرَةَ:

يَنْبَغُنَ قَلَّةَ رَأْسِهِ وَكَانَهُ حَرَجٌ عَلَى نَعْشٍ لِهِنَّ مَحِيمٌ (٣)

وقد لا يسند صاحب الأبيات الكاملة إلى قائلها: "وَالْمَعْتَمِرُ: الْحَزِينُ، قَالَ:  
إِذَا الْحَمَامَةُ نَاحَتْ ظَلَّتْ مَعْتَمِراً عَلَى فِضَالَةٍ تَبْكِينِي وَأَبْكِيهَا" (٤).

وفي مواضع أخرى من معجمه يبدأ بذكر البيت الشعري المبتور مسندا ذلك إلى  
قائله ثم يوضح معنى اللفظة التي احتواها البيت المذكور "وقول الكميث:

إِمَّا ابْتِهَاراً وَإِمَّا ابْتِئَاراً...

وَهُوَ أَنْ يَقُولَ: قَدْ فَعَلْتُ؛ وَقَدْ فَعَلَ. وَالْإِبْتِهَارُ ضِدُّهُ" (٥).

وقد يبدأ بإيراد بيت شعري مبتور غير مسند إلى قائله ثم يوضح معنى اللفظة التي  
تضمنها ذلك البيت "وقيل: في قوله:

وَسَفَعٌ عَلَى مَا يَبِينُهُنَّ حَوَاضِنٌ ... إِنَّهَا الْإِنْفَافِيُّ" (٦).

وفي أحايين أخرى يورد بيتاً شعرياً كاملاً مسندا إلى قائله ثم يوضح المعنى الذي  
تضمنه، فقد ذكر في مادة حس "وقول الأَفْوَه:

نَفْسِي لَهْمٌ عِنْدَ أَنْكِسَارِ الْقَنَا وَقَدْ تَرَدَّى كُلُّ قَرْنٍ حَسِيسٍ

أَيُّ كُلِّ قَرْنٍ نَجْدٌ كَرِيمٌ" (٧).

وقد لا يسنده إلى قائله قبل أن يفسر معنى اللفظة المراد توضيحها، ولكنه قليل  
"ويقال: كَذَبَ عَلَيْكَ الْحَجُّ: أَوْ وَجَبَ عَلَيْكَ، وَلَا يَصْرَقُ وَجْوهُ الْفِعْلِ مِنْهُ، وَأَنْشَدُوا:

كَذَبْتُ عَلَيْكَ أَوْ عِدُونِي وَعَلَّلُوا بَيْ الْأَرْضِ وَالْأَقْوَامِ قِرْدَانَ مَوْطِبَا

أَيُّ عَلَيْكَ بِهِجَائِي فَاقْطَعُوا بِذِكْرِي الْأَرْضَ" (٨).

(١) المحيط، ج ١٠، ص ٢١٨، لم نعث على هذا البيت في الديوان، وانظر ج ٤، ص ٢٤٠.

(٢) م، ن، ج ٤، ص ٣٥٢، هذا بيت للأعشى وعجزه: تَسْوِبُهُ بِالْخَلْقِ الطَّاهِرِ..... وانظر ج ٢، ص ١٠٢.

(٣) م، ن، ج ٢، ص ٤٠١، وانظر ج ١، ص ٤٠١.

(٤) م، ن، ج ٢، ص ٤٣، وانظر ج ١، ص ٤٣٣.

(٥) م، ن، ج ١٠، ص ٢٧٠، وصدرة: كَبِيحٌ بِمِثْلِ نَعْتِ الْفَتَاةِ..... وانظر ج ١٠، ص ١٩١.

(٦) م، ن، ج ٢، ص ٤٤٤، هذا من شعر النابغة الذبياني غير أنه ليس موجوداً في ديوانه، وانظر، ج ٢، ص ٩٦.

(٧) م، ن، ج ٢، ص ٣٠٢، وانظر، ج ٢، ص ٢٧.

(٨) م، ن، ج ٦، ص ٢٣٨.

أبرزت الأمثلة الفاتنة تراوح الصاحب بين إيراد البيت تاما وبين إيراده مجزوءا، وأنه ينسب الأبيات لأصحابها أحيانا ويغفلها أحيانا أخرى، وقد يؤكد على صحته معنى اللفظة بالرجز أحيانا وبالأسعار على البحور الأخرى أحيانا أخرى، وقد ارتأيت أن أتتبع الاستشهادات الشعرية في جزأين منفصلين من معجم المحيط لنستنتج السمات العامة التي غلبت عليه في الشواهد الشعرية، وقد وقع الاختيار على الجزء الأول والجزء الخامس ولم أعدد هذين النموذجين بباب بعينه لكي تكون استنتاجاتنا صورة صادقة لدقة الصاحب أو عدمها في استغلال هذا المنبع الثر.

احتوى الجزء الأول على ثلاثة وسبعين شاهدا شعريا كان حظ الرجز منها سبعة وعشرين شاهدا، ولم يورد سوى ستة أبيات كاملة من الرجز في هذا الجزء، وما عدا ذلك فكانت أبياتا مجتزأة جميعها، ولم ينسب من تلك الأبيات إلى قائلها سوى ستة أبيات فقط.

أما الأبيات الشعرية فكان عددها ستة وأربعين بيتا، وكان عدد الأبيات المجتزأة منها سبعة عشر بيتا، وعدد الأبيات الكاملة سبعة وعشرين بيتا، ولم يورد بيتين شعريين بل أشار إلى معنى اللفظة فيهما "أساريع كطبي فليل: الأساريع: نبات النقا، وطبي: رمل أو موضع"<sup>(١)</sup>. أسند ثلاثة وعشرين بيتا إلى قائلها، ولم ينسب ثلاثة وعشرين بيتا إلى قائلها كذلك. أما إذا انتقلنا إلى الجزء الخامس فإننا نجد أنه استشهد بثلاثين بيتا شعريا، كان عدد أبيات الرجز خمسة جميعها مجتزأة ولم ينسب سوى بيت واحد إلى قائله.

أما الأبيات الشعرية على البحور المختلفة فإن عددها خمسة وعشرون بيتا لم يورد منها بيتا كاملا، بل كان معظمها مجتزأ، وثمانية منها لم يوردها وإنما اكتفى بالإشارة إلى معنى اللفظة فيها، وقد نسب سبعة عشر بيتا إلى قائلها ولم ينسب ثمانية منها.

من قراءتنا للأعداد التي تحريناها في الجزأين السابقين نستنتج حقائق خاصة بالرجز وأخرى خاصة بالأبيات الشعرية على البحور المختلفة.

أما الحقائق الخاصة بالرجز:

- أن الرجز يأخذ حيزا لا بأس به من شواهد المحيط الشعرية.
- يغلب على أبيات الرجز أن تكون مجتزأة، فلم يورد إلا ستة أبيات كاملة من أصل اثنين وثلاثين شاهدا من الرجز.
- معظم أبيات الرجز غير منسوبة إلى شعرائها، فلم ينسب الصاحب سوى سبعة أبيات إلى قائلها من أصل العدد الإجمالي اثنين وثلاثين بيتا.
- قلما يشير الصاحب إلى معنى لفظة احتوى عليها بيت من الرجز دون إيراده فقد تجد بيتا واحدا من الجزء كاملا أحال عليه الصاحب دون أن يورده "والدهانج في بيت العجاج: هي الإكمام العظام، وأحدّها دهانج"<sup>(٢)</sup>.

أما الحقائق الملازمة للأبيات الشعرية على البحور الأخرى فاهمها:

- أن الأبيات الشعرية أخذت في المحيط المرتبة الأولى والمنزلة القصوى بين الشواهد المختلفة.

(١) المحيط، ج ١، ص ٣٦٠.

(٢) م. ن، ج ٤، ص ١١٧.

- وازى الصاحب بين المجتزأ والكامل في الاستشهاد بالأبيات الشعرية، وإن كان إيراده للأبيات المبتورة أكثر، إذ أورد أربعة وثلاثين بيتاً مبتوراً من أصل واحد وسبعين بيتاً، وسبعة وعشرين بيتاً كاملاً من العدد الكلي نفسه.

- يوجد تقارب بين عدد الأبيات المنسوبة إلى قائلها والأبيات المجهولة، وإن كان عدد الأبيات المنسوبة إلى شعرائها أكثر فقد نسب أربعين بيتاً إلى قائلها وأورد واحداً وثلاثين بيتاً مجهولاً.

- من اللافت للنظر إحالة الصاحب معنى اللفظة على أبيات شعرية لم يوردها، وهذا النهج في الأبيات الشعرية ظاهر بين، فقد أحال على عشرة أبيات لم يوردها من أصل واحد وسبعين بيتاً، وقد تكون أعداد الأبيات المحال عليها دون إيرادهما أزيد من هذا العدد في بعض الأجزاء.

### الماخذ على الشواهد الشعرية:

على الرغم من أن الصاحب التزم في الإطارين الزماني والمكاني اللذين حددهما اللغويون أو عصر الاحتجاج اللغوي إلا أن هذا لم ينجح من الوقوع في عثرات عاقت المنهج العلمي القويم:

أولها: كثرة استشهاده بالأبيات الشعرية المبتورة سواء أكانت منسوبة<sup>(١)</sup> إلى قائلها أم لم تكن<sup>(٢)</sup>.

ثانيها: عدم نسبة الصاحب عدداً من الأبيات التي استشهد بها إلى قائلها.

أكثر الصاحب من إيراد أبيات شعرية لم ينص على شعرائها، وقد يعود ذلك إلى أنه نقل معظم الأبيات الشعرية من الكتب التي لم تكن نصت على أسماء شعرائها، وقد يكون الصاحب نفسه أغفل ذكر شعرائها بقصد الاختصار؛ لأن معجمي عصره قد أشاروا إلى أسماء الشعراء الذين استشهد الصاحب بأشعارهم ولم ينسبها إليهم، فمن أمثلة الضرب الأول - وأقصد بذلك الأبيات التي نقلها من كتب لم يشر مؤلفوها إلى أسماء قائلها - قوله في مادة قطف "والقُطْفُ: الكُدْسُ من قوله:

خَمْسَنَ وَجَوْهَاً حُرَّةً لَمْ تُقَطَّفِ ...<sup>(٣)</sup>.

أما أمثلة الضرب الثاني أي الأمثلة التي لم يشر الصاحب إلى قائلها مع أن غيره من المعجميين قد أشاروا إلى اسم شعراء تلك الأبيات، "فأما قوله:

مَكَانَ عَبِيدَانَ الْمَحَلَّ بِإِقْرَةَ ...<sup>(٤)</sup>

مع أن الأزهرى<sup>(٥)</sup> نص على أنه للنابغة الذبياني، وقوله في مادة كمع

(١) المحيط، ج ١، ص ١٠٤.

(٢) م، ج ١، ص ٣٩٧.

(٣) م، ج ٥، ص ٣٣٠.

(٤) م، ج ١، ص ٤٣١. وصدرة: وَهَنَ إِذَا بُصِرَتْهُ مَبْدَلًا ...

(٥) مادة عبد، التهذيب، ج ٢، ص ٢٣٩. وصدرة: لِيَهْنَأَ لَكُمْ أَنْ تَدْنَيْتَ بِيَوْمًا ...

"كَامَعَهَا: ضَاغَعَهَا وَضَمَّهَا إِلَيْهِ، وَالْمُكَامِعُ مِنْهُ اشْتَقَ، قَالَ:

كَيْلُ التَّمَامِ إِذَا الْمُكَامِعُ ضَمَّهَا ..."<sup>(١)</sup>

وقد نسبه الخليل<sup>(٢)</sup> لذي الرمة.

ثالثها: أحال الصاحب معاني عديدة على أبيات شعرية لم يوردها سواء أكانت تلك الأبيات لشعراء معروفين أم إلى شعراء مجهولين.

"ونسوة مكرهه: كريهاته؛ في قول ابن مقبل"<sup>(٣)</sup> "وَالْفَيْتُقُ: الْمَلِكُ، وَقِيلَ: الْبُؤَابُ فِي قَوْلِ الْأَعْشَى"<sup>(٤)</sup> ومن المعاني التي أحالها علي أبيات لم يوردها ولم يشر إلى اسم شاعرها "فأما: "أَسَارِيْعُ ظُبِي" فقول: الأَسَارِيْعُ: نَبَاتُ النَّقَاءِ، وَظُبِي: رَمَلٌ أَوْ مَوْضِعٌ، وَيَحْكِي عَنْ أَبِي عَمْرٍو أَنَّهُ قَالَ: أَسْرُوعُ الظُّبِيِّ: عَصْبَةٌ تَسْتَبْطِنُ الْيَدَّ وَالرِّجْلَ"<sup>(٥)</sup> "وَالغَيْنَاءُ: بئر فيها ماء. واسم بئر في شعر هذيل"<sup>(٦)</sup>

السمات الغالبة على منهج الصاحب في الشواهد:

امتاز الصاحب باتكائه على الشواهد بميزات غايرته عما سواه من المعجميين، وقد حاولت استخلاص ما ماز الصاحب واتسمت به شواهد:

١- شواهد الصاحب جميعها مستقاة من المصادر المتفق على صحتها ومعظمها مستمدة من شواهد عصر الاحتجاج، فلم نجد الصاحب يستشهد بشعر مولد أو قول متأخر.

٢- معظم شواهد الصاحب مبتورة غير تامة ولا سيما الأبيات القرآنية.

٣- لم يابه بروايات الشواهد ونقدها على اختلافها كما أنه لم يتوقف عند شروحها، وإنما اكتفى بذكر أشيعها معنى ورواية.

٤- لا يورد الصاحب أكثر من شاهد على صحة أحد معاني اللفظة المتناولة.

٥- يقصر الصاحب شرح الشاهد على معنى اللفظة المتناولة ولا يتعداه إلى تبيان معاني الألفاظ الغامضة أو الغريبة أو الحوشية التي احتوتها الشواهد نفسها، فقال في مادة يرع "وَالْيَرْعُ: وَكَدَّ الْبَقْرَةَ، وَأَنْشَدَ:

عَلَى بَرْجِدٍ مِنْ عَبْرِيٍّ وَمِسْطَحٍ هِبَاصٍ عِرَاصٍ يَرْعُهَا وَرُبُوحُهَا"<sup>(٧)</sup>

وأورد في مادة سج حديثاً فقال "وفي الحديث: "إن الله قد أراحكم من السَّجَّةِ وَالْبَجَّةِ" وفسر على أنها كانت آلهة تعبد في الجاهلية"<sup>(٨)</sup> وفي مادة أشر ووشر أورد ..

(١) المحيط، ج ١، ص ٢٣٤. وعجزه: بعد الهدوء من الخرائد تسطع ...

(٢) العين، مادة كع، ج ١، ص ٢٠٩.

(٣) المحيط، ج ٣، ص ٣٥٦.

(٤) م. ن، ج ٥، ص ٣٦٩.

(٥) م. ن، ج ١، ص ٣٦٠.

(٦) م. ن، ج ٥، ص ١٢٤.

(٧) م. ن، ج ٢، ص ١٥٠.

(٨) م. ن، ج ٦، ص ٣٨٨.

وهي الإِشْرَةُ تَأَشُرُ أَسْنَانَهَا: أي تُصَيِّرُهَا ذَوَاتَ أَشْرٍ وهو تحزير في أطرافها. وفي المثل: "أَعْيَيْتَنِي بِأَشْرٍ فَكَيْفَ بَدَّرَكَرْمَ وَأَشْرَ الْأَسْنَانَ وَأَشْرَهَا"<sup>(١)</sup>.

٦- قد يكرر صاحب الشاهد نفسه في مواد غير قليلة بغرض إثبات صحة عدد من معاني الألفاظ المختلفة، وكان التكرار منسجما ومعنى اللفظة المراد توضيحها، إذ ورد الآية القرآنية "مَكَّاءَ وَتَصَدِّيَّةٍ" مرتين إحداهما في مادة مكو "مَكَا الْإِنْسَانَ يُمَكُو مَكَا: صَفَرَ، من قوله عز وجل "إِلَّا مَكَّاءَ وَتَصَدِّيَّةٍ"<sup>(٢)</sup> وثانيهما في مادة صدى "التَّصَدِّيَّةُ: صَرَّبَكَ يَدَا عَلَى يَدٍ، في قول الله عز وجل: "مَكَّاءَ وَتَصَدِّيَّةٍ"<sup>(٣)</sup>، وكرر الحديث الشريف "أَفْطَرَ الْحَاجِمِ وَالْمَكْحُومِ" مرتين أيضا، أولاها: في مادة حَجَمَ<sup>(٤)</sup> وثانيهما في مادة فَطَرَ<sup>(٥)</sup>.

ولا أريد أن أسرد الشواهد المكررة جميعها<sup>(٦)</sup>؛ لأن مقتضيات البحث تحول دون ذلك.

٧- قد يستشهد صاحب في التقليب الواحد بغير نوع من الشواهد، فقد يستشهد بضربين من الشواهد كاستشهاده في بعض المواد بأية قرآنية ومثل عربي<sup>(٧)</sup>، أو بأية قرآنية وحديث شريف<sup>(٨)</sup>. أو أية قرآنية وبيت شعري<sup>(٩)</sup>، أو حديث ومثل عربي<sup>(١٠)</sup>، أو بيت شعري ومثل عربي<sup>(١١)</sup>.

ويتكى على ثلاثة أضرب من الشواهد، إذ أورد صاحب في تقليب واحد أية قرآنية وحديث ومثل<sup>(١٢)</sup>، أو أية قرآنية ومثل وشعر<sup>(١٣)</sup>.

وقد يورد صاحب في التقليب الواحد أربعة أضرب من الشواهد، إلا أنها قليلة كاستشهاده بأية قرآنية وحديث نبوي وبيت شعري وقول<sup>(١٤)</sup>، وقد تصل شواهد صاحب إلى خمسة أضرب في التقليب الواحد، ولم نجد هذا التوسع إلا في تقليب واحد فقط هو تقليب (الحاء والقاف)، إذ استشهد على صحة مواده بأية قرآنية وحديث نبوي وبيت شعري وقول عام وقول مسند إلى علي بن أبي طالب<sup>(١٥)</sup>.

(١) المحيط، ج٧، ص ٣٧٧.

(٢) من، ج٦، ص ٣٤٨. سورة الأنفال، آية ٣٥.

(٣) من، ج٨، ص ١٦٩. سورة الأنفال، آية ٣٥.

(٤) من، ج٢، ص ٤١٦.

(٥) من، ج٩، ص ١٦٤.

(٦) انظر ج٤، ص ٤٩، ج٤، ص ٩٣، وقابل: ج٨، ص ٢٠٨، و ج١٠، ص ٤١٨.

(٧) من، ج٦، ص ٤٢٣، و ج٢، ص ٤٠٢.

(٨) من، ج٤، ص ٥٥٧، و ج٨، ص ١٣٤.

(٩) من، ج٢، ص ٢٩٨، و ج٣، ص ١٩٨.

(١٠) من، ج٢، ص ٣٠، و ج٣، ص ٢٠٠.

(١١) من، ج١، ص ٢٥١، و ج٧، ص ١٨٦.

(١٢) من، ج٣، ص ٣٧٢ - ٣٧٤.

(١٣) من، ج٣، ص ١٧٦.

(١٤) من، ج١، ص ٣٢٧ - ٣٢٨.

(١٥) من، ج٢، ص ٢٨٦ - ٢٨٧.

٨- يستشهد صاحب على صحة مواد التقلب الواحد بشواهد عديدة ترجع إلى نوع واحد من الشواهد، إذ استشهد صاحب في مادة (سَجَرَ)<sup>(١)</sup> بأيتين قرآنيتين، وفي مادة (صَفَرَ)<sup>(٢)</sup> بحديثين شريفيين، وفي مادة (رَصَفَ)<sup>(٣)</sup> بمثلين. قد يصل عدد شواهد صاحب من النوع نفسه إلى تسعة شواهد، إذ أورد في مادة (سَمَرَ)<sup>(٤)</sup> تسعة أقوال.

٩- امتاز معجم المحيط من غيره أن شواهده قليلة إذا ما قورن بسابقه العين والتهذيب. تضمن تقلب الحاء والقاف (حَقَّ)<sup>(٥)</sup> في المحيط خمسة شواهد مختلفة، وتضمن التقلب نفسه في العين<sup>(٦)</sup> عشرة شواهد مختلفة، أما التهذيب<sup>(٧)</sup> فأورد فيها ثلاثة وعشرين شاهداً مختلفاً، وأقصر صاحب شواهد (حَصَدَ)<sup>(٨)</sup> على شاهدين. ووسع الخليل<sup>(٩)</sup> دائرة الاستشهاد فيها ليصل عددها إلى خمسة شواهد، وأفاض الأزهرى<sup>(١٠)</sup> في إيراد الشواهد إذ بلغت عنده ستة عشر شاهداً.

وهذا القول مماثل لشواهد مواد كثيرة، فقد كان عدد شواهد (حَزَمَ)<sup>(١١)</sup> في المحيط أربعة شواهد، وفي العين<sup>(١٢)</sup> سبعة شواهد، وفي التهذيب<sup>(١٣)</sup> ثلاثة عشر شاهداً، وفي مادة (هَجَرَ) تكرر النهج نفسه، فعدد شواهد في المحيط<sup>(١٤)</sup> خمسة شواهد، وفي العين<sup>(١٥)</sup> ثمانية شواهد، وفي التهذيب<sup>(١٦)</sup> تسعة عشر شاهداً.

الملاحظ أن الأزهرى كان أكثرهم إيراداً للشواهد وإن كان كرر بعضها "وصنف في اللغة كتاباً سماه "المحيط" وهو في سبع مجلدات، رتبته على حروف المعجم، كثر فيه الألفاظ وقلل الشواهد فاشتمل من اللغة على جزء متوفر"<sup>(١٧)</sup>.

١٠- خلت تقاليد عديدة في المحيط من الشواهد مع أن العين والتهذيب قد زخرا بها. فلم يورد صاحب شواهد في مادة (جَعَّ)<sup>(١٨)</sup>، وذكر فيها الخليل<sup>(١٩)</sup>

- 
- (١) المحيط، ج٧، ص ٧-٨.  
 (٢) م.ن، ج٨، ص ١٣١-١٣٤.  
 (٣) م.ن، ج٨، ص ٧.  
 (٤) م.ن، ج٨، ص ٣١٩-٣٢١.  
 (٥) م.ن، ج٢، ص ٢٨٦-٢٨٧.  
 (٦) العين، ج٣، ص ٦-٨.  
 (٧) التهذيب، ج٣، ص ٣٧٤-٣٨٣.  
 (٨) المحيط، ج٢، ص ٤٥٢.  
 (٩) العين ج٣، ص ١١٢-١١٣.  
 (١٠) التهذيب ج٤، ص ٢٢٦-٢٢٩.  
 (١١) المحيط ج٣، ص ٩٣-٩٥.  
 (١٢) العين ج٣، ص ٢٢٢-٢٢٣.  
 (١٣) التهذيب ج٤، ص ٤٢-٤٩.  
 (١٤) المحيط ج٣، ص ٣٧٢-٣٧٤.  
 (١٥) العين ج٢، ص ٣٨٦.  
 (١٦) التهذيب ج٦، ص ٤١-٤٧.  
 (١٧) وفيات الأعيان ج١، ص ١٢٤.  
 (١٨) المحيط ج١، ص ٧٣.  
 (١٩) العين ج١، ص ٦٨.

شاهدين والأزهري<sup>(١)</sup> عشرة شواهد مختلفة، وأهمل المحيط شواهد (شَع) <sup>(٢)</sup>، واستشهد الخليل<sup>(٣)</sup> على صحة موادها بستة شواهد مختلفة وقاربه في ذلك الأزهري<sup>(٤)</sup>، إذ استشهد بخمسة شواهد، وأهملها الصاحب في تقلاب (دَع) <sup>(٥)</sup> مع أن الخليل<sup>(٦)</sup> ذكر فيها خمسة شواهد مختلفة، والأزهري<sup>(٧)</sup> استشهد على صحتها بسبعة عشر شاهداً.

لم يابه الصاحب بإيراد شواهد على صحة مواد تقلاب (وَقَف) <sup>(٨)</sup> واحتوى التقلاب نفسه في العين<sup>(٩)</sup> على أربعة شواهد وفي التهذيب<sup>(١٠)</sup> على ثمانية شواهد، وهذا القول ينطبق على تقلاب (سَجَد) المتضمن شاهدين في العين<sup>(١١)</sup> واثنى عشر شاهداً في التهذيب. <sup>(١٢)</sup>

١١- اللافت للنظر في شواهد المحيط أن الصاحب اتكأ في صحة بعضها على أقوال الساجع. "والبَطِينُ: نَجْمٌ، يَقُولُ السَّاجِعُ: إِذَا طَلَعَ البَطِينُ، أَقْنَضِي الدِّينَ وَظَهَرَ الرِّينَ، وَأَقْنَعِي العَطَارَ والقَيْنَ" <sup>(١٣)</sup> "وقال الساجع: إِذَا طَلَعَتِ العَقْرَبُ، جَمَسَ المُنْدَبُ: أَي جَمَدَ الماءَ" <sup>(١٤)</sup>.

١٢- يعيد الصاحب معاني ألفاظا عديدة إلى شعر شاعر على الرغم من أنه لم يورد شعرا لذلك الشاعر، ولم يحدد الأبيات التي ورد فيها ذلك المعنى، وإنما يكتفي بالقول: إن معنى اللفظة كذا في شعر فلان "الحُرُّ: وَكَلْدُ الحَيَّةِ اللطيفُ في شِعْرِ الطَّرْمَاحِ" <sup>(١٥)</sup> "أقُرُّ: اسم مَوْضِعٍ في شِعْرِ امرئ القيس" <sup>(١٦)</sup>.

وفي مواضع أخرى يورد أسماء أشخاص أو مستلزمات ذات صلة بالشاعر أو ملازمة له دون أن يذكر الشعر الذي وردت فيه تلك الأسماء حتى إنه لا يورد شعرا لذلك الشاعر "وَقَفِيرَةٌ: أم الفرزدق" <sup>(١٧)</sup> "وَصَيْدَخٌ: ناقة ذِي الرِّمَّةِ" <sup>(١٨)</sup> "العِفَّاسُ: اسم ناقة للراعي الشاعر" <sup>(١٩)</sup>.

(١) التهذيب ج ١، ص ٦٨-٧٠.

(٢) المحيط ج ١٠، ص ٧٦.

(٣) العين ج ١، ص ٧٦.

(٤) للتهذيب ج ١، ص ٧٢.

(٥) المحيط ج ١، ص ٨٦.

(٦) العين ج ١، ص ٨٠ - ٨١.

(٧) التهذيب ج ١، ص ٩٢-٩٤.

(٨) المحيط ج ٦، ص ٤٦-٤٨.

(٩) العين ج ٥، ص ٢٢٣.

(١٠) التهذيب ج ٩، ص ٣٢٣-٣٢٥.

(١١) العين ج ٦، ص ٤٩.

(١٢) التهذيب ج ١٠، ص ٥٦٩-٥٧٣.

(١٣) المحيط ج ٩، ص ١٩٢.

(١٤) م. ن ج ١٠، ص ٨٧.

(١٥) م. ن ج ٢، ص ٣١٢.

(١٦) م. ن ج ٦، ص ١٨.

(١٧) م. ن ج ٢، ص ٢٥٠.

(١٨) م. ن ج ٥، ص ٤٠٣.

(١٩) م. ن ج ٢، ص ٤٥٣.

## الفصل الثالث: - لغات القبائل في المحيط

أجمع علماء اللغة والفقهاء قديماً وحديثاً على سعة لغة العرب، وأنها لم تنته إلينا بكليتها، وأن الإحاطة بها أمر متعذر على العلماء والأدباء والحقاق، فالإحاطة بها مقتصرة على الأنبياء لا غير، ومظاهر اتساعها جلية في مواضع لغوية لا تخفى على المتبحرين بها والمطالعين لأفانينها فمن ذلك: القياس، والاشتقاق والقلب والإبدال والترادف والمشارك اللفظي والأضداد ناهيك عن المجاز.

اتساع لغة العرب لم يقل عبثاً ولم يردده الخلف عن السلف تقليداً وإنما طبيعة اللغة العربية وتعدد لهجاتها هو السبب الذي دعا العلماء ليستنبطوا ذلك ويكرروه، فنحن نعلم أن اللغة العربية محتوية على عدد كبير من اللهجات العربية فمنها: المضرية الشمالية، ومنها القحطانية الجنوبية. ولم يمنع تعدد لغاتها وكثرتها الاحتجاج بها جميعها، فلم يعول العلماء على ترك الاحتجاج ببعضها لأن المعرفة بنظمها جميعها محال، وإنما قالوا إن لغات العرب على اختلافها حجة ولا يجوز أن ترد إحداهما لأنك ترى أن الأخرى أيسر في النطق وأقرب للسليقة، فقد قال ابن جني في باب اختلاف اللغات وكلها حجة: "وليس لك أن ترد إحدى اللغتين بصاحبتهما، لأنها ليست أحق بذلك من رسيلتها لكن غاية مالك في ذلك أن تتخير إحداهما، فتقويها على أختها وتعتقد أن أقوى القياسين أقبل لها، وأشد أنسا بها، فأما رد إحداهما بالأخرى فلا"<sup>(١)</sup>.

ولتسوية الاحتجاج باللغات جميعها اتكأ معظم العلماء على حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي ينص على أن القرآن الكريم المحتج به دون خلاف قد احتوى على سبع لغات من لغات العرب قال النبي صلى الله عليه وسلم نزل القرآن بسبع لغات كلها كاف شاف"<sup>(٢)</sup>.

على الرغم من أنهم ذهبوا إلى أن لغات العرب حجة جميعها إلا أنهم قدموا لغات على أخرى وعللوا ذلك التقديم بعلة عديدة؛ أن التطور الحضاري والتقني قد أدى إلى إفساد لغات الحضرة ثم وصل هذا الفساد إلى لغة البادية شيئاً فشيئاً"<sup>(٣)</sup>.

ولذا ردوا رواية الحضري ولم يأخذوا بها إذا كانت بعد القرن الثاني، أما إذا كانت قبله فإنهم يأخذون بها، ولم يسلموا بصحة رواية البدوي وإنما شرطوا أن تكون روايته قبل القرن الرابع، فإن أتى بها بعد ذلك فمردودة"<sup>(٤)</sup>، كما أن مجاورة عدد من القبائل العربية لأمم أعجمية أدى إلى إفساد السنة العرب وتحويلها عن سليقة العرب وسمت لغتهم مما اضطر اللغويين إلى اقتصار الاحتجاج على لغات الوبر المجافين لأهل الحضرة أمثال: قيس وتميم وأسد وطيب وهذيل .. من سكان البراري فهم دون أهل الحضرة، ثم من سكان من كان في أوسط بلادهم وفي أشدهم توحشا وجفاء وأبعدهم إذعانا وانقيادا وهم قيس وتميم وأسد وطيب ثم هذيل فإن هؤلاء هم معظم من نقل عنه لسان العرب، والباقيون فلم يؤخذ عنهم شيء لأنهم كانوا في أطراف بلادهم مخالطين لغيرهم من الأمم مطبوعين

(١) الخصائص ج ٢، ص ١٠.

(٢) م.ن ج ٢، ص ١٠، وقابل بالصاحبي ص ٥٧.

(٣) الخصائص ج ٢، ص ٥-١٠.

(٤) علي عبد الواحد واقفي، فقه اللغة، ص ١٨٢، مصطفى الشهلي، مجلة مجمع اللغة العربية الملكسي، ج ١، ١٩٣٤م، القاهرة، ص



على سرعة انقياد أسنتهم لألفاظ سائر الأمم المطيعة بهم من الحبشة والهند والفرس والسرانيين وأهل الشام وأهل مصر<sup>(١)</sup>.

ولا يعني اقتصارهم على لغات أهل البادية أنهم لم يأخذوا عن لغة قريش وأهل الحجاز والطائف ولا سيما أن بعضهم ذهب إلى أن اللغات السبع التي نزل بها القرآن كما نص على ذلك ابن فارس هي: "عن ابن عباس قال: نزل القرآن على سبعة أحرف، أو قال سبع لغات، منها خمس بلغة العجز من هوازن، وهم الذين يقال لهم عليا هوازن، وهي خمس قبائل أو أربع، منها سعد بن بكر وجشم بن بكر ونصر بن معاوية وتقيف. قال أبو عبيد: وأحسب أفصح هؤلاء بني سعد بن بكر لقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "أنا أفصح العرب بيد أني من قريش وأني نشأت في بني سعد بن بكر"، وكان مسترضعا فيهم، وهم الذين قال فيهم أبو عمرو بن العلاء: أفصح العرب عليا هوازن وسفلى تميم، وعن عبد الله بن مسعود أنه كان يستحب أن يكون الذين يكتبون المصاحف من مضر، وقال عمر: "لا يملين في مصاحفنا إلا غلمان قريش وتقيف". وقال عثمان: "اجعلوا المملي من هذيل والكاتب من تقيف"<sup>(٢)</sup>.

ولا خلاف بين اللغويين على أن قريشا أفصح العرب لغة وأصفاهم لسانا والذهم جرسا<sup>(٣)</sup>.

الصاحب من اللغويين الذين رأوا أن اللغة لا تؤخذ إلا عن العرب الأقحاح الذين لم يسبق لهم أن خالط لسانهم السنة أمم أعجمية وأن مستصفي اللغة يؤخذ من أهل البادية الذين لم تفسد الحضارة أسنتهم ولا سلبت لغوية. ولذلك حفل معجمه بألفاظ كثيرة منسوبة إلى أفصح العرب وأجفأها، إذ اتكأ في تبيان صحة المواد على ألفاظ مسندة إلى تميم<sup>(٤)</sup> "وشهد فلان بحق فلان شهادة، فهو شاهد وشهيد. ولغة تميم: شهيد"<sup>(٥)</sup> وقيس<sup>(٦)</sup> "والهجاء: القراءة في كلام قيس، وقيل لقيسي: انقرأ القرآن؟ فقال: والله ما أهجو منه حرفاً"<sup>(٧)</sup> وأسد<sup>(٨)</sup> "وأما هذا: فالهاء فيه زائدة دخلت لتنبيه، وهذا فعل ذاك وهذاؤه فعل ذاك: لغة لبني أسد"<sup>(٩)</sup> وبني سعد<sup>(١٠)</sup> "الحفز: الأجل في لغة بني سعد"<sup>(١١)</sup> وطيبى<sup>(١٢)</sup> "وقد

(١) الثغرابي، الحروف، تحقيق: محسن مهدي، دار المشرق، بيروت - لبنان، ١٩٦٩م، ص ١٤٧، وقابل بالخصائص، ص ٥-١٢، وابن خلدون في مقدمة كتابه ج ٤، ص ١٢٦٣-١٢٧٠، والسيوطي في الاقتراح في علم أصول النحو، ملحمة عبد الرحمن بن يحيى اليماني وسعيد بن عبد الله العمودي وأحمد بن محمد اليمني، ط ٢، دائرة المعارف العثمانية، ١٣٥٩هـ، ص ١٩-٢٠، السيوطي في المزهرة، ومهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ط ٢، مصطفى البابي الجلي وأولاده، مصر-القاهرة، ١٩٥٨م، ص ٥٤، وتام حسان الأصول دراسة بيستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٨م، ص ٧٤.

(٢) الصاحب، ص ٥٧-٥٨.

(٣) الخصائص ج ٢، ص ١١، الصاحب، ص ٥٢.

(٤) المحيط ج ٢، ص ٢٣١، ج ١، ص ١٢٩.

(٥) م ج ٣، ص ٣٨٨.

(٦) م ج ٢، ص ١٧٠، ج ٣، ص ٢٩٩.

(٧) م ج ٤، ص ٢٢.

(٨) م ج ٢، ص ٥٨١، ج ٦، ص ١٢٧.

(٩) م ج ٤، ص ٥٣.

(١٠) م ج ٣، ص ٣٩٢.

(١١) م ج ٣، ص ١٥.

(١٢) م ج ٦، ص ٥٤.

رُضِي مذهبه: أي رُضِيَ - لغة طيبي -<sup>(١)</sup> وهذيل<sup>(٢)</sup> "والحدق: شجر - في لغة هذيل - شاكة مؤرقة وهو أيضا: الباذنجان"<sup>(٣)</sup> وغيرها من القبائل<sup>(٤)</sup>. والملاحظ أن استشهاده بلغتي طيبي وهذيل كان أزيد من استشهاده بغيرهما.

ولم يمنع شغف الصاحب بالألفاظ البدوية الاستشهاد على صحة مواد معجمه بلغات أهل الحضرة، ولا سيما أن القول بفصاحتها مسلم به عند جل العلماء، ومنها قريش قريش تقول: هو يطيع لك، وقد طيعت ويتطاع لك<sup>(٥)</sup>، وأهل مكة "والبرقي: الطفيلي، بلغة أهل مكة"<sup>(٦)</sup>، وأهل المدينة "الهدية: ما أهديت من طريف ولطف، والجميع الهدايا، ولغة أهل المدينة: الهداوي"<sup>(٧)</sup>، وأهل الطائف "ويقال بالطائف في زجر الديك: كُرِّ يا ديك"<sup>(٨)</sup>، وأهل الحجاز "والنقر - بلغة الحجاز - طائرٌ مثل العصفور، وقيل بالغين معجمة"<sup>(٩)</sup>.

المقابلة بين اللغات البدوية التي استشهد بها الصاحب اللغات الحضرية ترينا أن الصاحب لم يهتم بلغات أهل الحضرة وإن كانت قريش منهم. كما اهتم بلغات أهل البادية، فإن مجموع ما نسبه للغات الحاضرة من ألفاظ يماثل مجموع الألفاظ التي نسبها لطيبي وحدها.

مجمل المؤلفات التي عرضت للغات التي يحتج بها لم تبين موقفهم من الاحتجاج باللغات الجنوبية ولا سيما اليمن، وإنما كانوا يركزون القول على لغات مضر. فهل كانت لغة اليمن من اللغات التي لا يحتج بها لقربها من الحبشة؟؟ فإذا كان الأمر كذلك فماذا نقول بحق الصاحب الذي نسب لها ألفاظا كثيرة؟؟ فقد نسب لليمن<sup>(١٠)</sup> خمسا وثلاثين لفظة "والإقليد: المفتاح، بلغة اليمن"<sup>(١١)</sup>، وعشرين لفظة لحمير<sup>(١٢)</sup> "والتكلع: التجمع بلغة حمير"<sup>(١٣)</sup>، ولفظتين لأهل الشحر "الخسف: الجور - بلغة الشحر -، الواحدة خسفة"<sup>(١٤)</sup>.

(١) المحيط ج ٨، ص ٤٣.

(٢) م. ن ج ٤، ص ٢٤٧.

(٣) م. ن ج ٢، ص ٣٤١.

(٤) م. ن الأزدي ج ٢، ص ٩٧. وأهل العالية ج ٧، ص ٥٥، وبكر ج ٦، ص ١٢٦، وبلحوث بن كعب ج ٢، ص ٣٥٥، وبنو جعفر ج ٢، ص ١٢، وسفلى مضر ج ٦، ص ٢٤٨، وسليم ج ٣، ص ١٣٧، وضبة ج ٨، ص ٣٧٩، وعامر ج ٢، ص ٣٢٧، عبد القيس ج ٦، ص ٢٤٧، عقيل ج ١٠، ص ٢٩٥، غطفان ج ٤، ص ٢٤، قضاة ج ١، ص ٧٣، كلاب ج ٢، ص ١١٦، كلب ج ٥، ص ١٩٣.

(٥) م. ن ج ٢، ص ١٢٠.

(٦) م. ن ج ٥، ص ٤١٠.

(٧) م. ن ج ٤، ص ٤٣.

(٨) م. ن ج ٦، ص ٣١٧.

(٩) م. ن ج ٤، ص ٢٢.

(١٠) م. ن ج ٩، ص ٤٤.

(١١) م. ن ج ٥، ص ٣٤.

(١٢) م. ن ج ١٠، ص ٢١١.

(١٣) م. ن ج ١، ص ٢٢٥.

(١٤) م. ن ج ٤، ص ٢٦٧.

ونحن نعلم أن ألفاظا غير قليلة نزلت في القرآن بلسان أهل اليمن وأن المفسرين لم يعرفوا معناها إلا باتكاثهم علي لغة اليمن ومعرفتهم بها، ومن ذلك في قوله تعالى: "رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ" أن الفاتح في لغة اليمن القاضي<sup>(١)</sup>.

وقد وجدت نصا لابن فارس يدل على جواز الاحتجاج بلغات اليمن لأن عددا من ألفاظ القرآن نزلت بها، ولتفسيرها يحتاج إلى العلم بها قال أبو عبيد: فهذا ما جاء في لغات مضر، وقد جاءت لغات لأهل اليمن في القرآن معروفة، منها قوله - جل ثناؤه - "مَتَكِينٍ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ" حدثنا أبو الحسن علي .. قال: أخبرنا.. عن الحسن قال: كنا لا ندري ما الأرائك حتى لقينا رجلا من أهل اليمن فأخبرنا أن الأريكة عندهم الحجلة فيها سرير، قال أبو عبيد: وحدثنا الفزاري عن نعيم بن بسطام عن أبيه عن الضحاك بن مزاحم في قوله - جل وعز - "ولو ألقى معاذيره" قال ستوره وأهل اليمن يسمون الستر العذار، وزعم الكسائي عن القاسم بن معن في قوله - جل وعز - "اسكن أنت وزوجك الجنة" إنها لغة لأزد شنوءه وهم من اليمن<sup>(٢)</sup>.

ولما تتبع الصاحب معظم لغات العرب وأنها على اختلافها حجة أودع معجمه ألفاظا قد تقع فيها لغتان أمثال: الْقِتَاءُ لُغَةٌ وَالْقِتَاءُ لُغَةٌ فِيهَا<sup>(٣)</sup>، ويقال: الْبُرْهَةُ وَالْبُرْهَةُ<sup>(٤)</sup>.

وقد تقع في اللفظة ثلاث لغات فمنها السَّقْمُ وَالسَّقْمُ وَالسَّقَامُ<sup>(٥)</sup>. ويقال: الْوُجْنَةُ وَالْوُجْنَةُ<sup>(٦)</sup>.

وقد تقع في اللفظة عينها أربع لغات فنقول: وَإِصْبَعٌ وَأُصْبِعٌ وَأُصْبِعٌ وَإِصْبَعٌ<sup>(٧)</sup>، وَالصَّدَاقُ وَالصَّدَاقُ وَالصَّدَقَةُ وَالصَّدَقَةُ<sup>(٨)</sup>.

وقلما يقع في الكلمة خمس لغات، ومن الكلمات التي قيل فيها خمس لغات لفظة شمال، فالشَّمَالُ لُغَةٌ، وَالشَّمَالُ لُغَةٌ وَالشَّامِلُ لُغَةٌ، وَشَمَالٌ لُغَةٌ وَشَمَالٌ لُغَةٌ<sup>(٩)</sup>.

اعتدنا في المحيط أن ينسب اللغات إلى قبائلها كأن يقول: السك في لغة بني أسد جحر العقرب<sup>(١٠)</sup>، والمذهب بلغة الحجاز المتوضأ<sup>(١١)</sup>، ولكنها ليست سمة ملازمة له في

(١) حفني ناصف، مميزات لغات العرب، ط١، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ١٣٠٤هـ، ص ٤٦.

(٢) الصاحب، ص ٥٨.

(٣) المحيط ج٥، ص ٤٩٨.

(٤) م.ن ج٣، ص ٤٨٣.

(٥) م.ن ج٥، ص ٣٠٠.

(٦) م.ن ج٧، ص ١٩٠.

(٧) م.ن ج١، ص ٣٤٢.

(٨) م.ن ج٥، ص ٢٥٨.

(٩) م.ن ج٧، ص ٣٣٩.

(١٠) م.ن ج٦، ص ١٢٧.

(١١) م.ن ج٣، ص ٤٧٠.

جميع مواده، فقد ينبه على أن في الكلمة لغتين وثلاث لغات دون أن ينسب تلك اللغات إلى قبائلها كان يقول: الصَّرُّ والصَّرُّ لغتان<sup>(١)</sup>، والتَّبْنُّ والتَّبْنُّ لغتان<sup>(٢)</sup>.

واحتوى المحيط ألفاظا فيها عدة لغات، إلا أن صاحب لم ينسب تلك اللغات إلى قبائلها، ولم يشر إلى أن تلك الاختلافات الصرفية لغات في الكلمة كذلك، مع أنه يورد اللغات التي وردت عن العرب في اللفظة جميعها "الفَكَكُ والفِكَكُ: الشيء الذي فَكَّكَتْ به رهناً وأسيراً"<sup>(٣)</sup> "وَلَعَنَهُ: في معنى لَعَلَّه"<sup>(٤)</sup> وقد يعود أسلوبه هذا إلى نهج متبع في زمانه؛ أن اختلاف بنية اللفظة ونطقها عائد إلى اختلاف اللغات وأن إيرادها في المعجم دليل على فصاحتها، ولا سيما أن صاحب كان يستقصى الألفاظ البدوية والحوشية المتصفة بالفصاحة، ويضرب صفحا عن الألفاظ الحضرية والمنتهمة بالرداءة وعدم الجودة. ومنعم النظر في المحيط يدرك هذه الحقيقة؛ أن صاحب اقتصر في معظم ألفاظه على الفصيح من اللغات، فقد قيل إن في لفظة بغداد ثلاث لغات: بغداد وبغدان وبغداد، ولكن صاحب لم يذكر سوى بغداد ليبدل بها على معنى بغدان "بَغْدَانُ: لُغَةٌ فِي بَغْدَاد"<sup>(٥)</sup>، ولم يورد بغداد مع أنها جميعها فصيحة إلا أن بغداد أفصحها. واعتمد عليها ليبدل على معنى بغدان، أما بغداد فإنه لم يابه بها لأنها أقل فصاحة من بغداد، وذكروا أن كلمة فسطاط فيها ست لغات: فِسْطَاطٌ وفُسْطَاطٌ وفِسْطَاطٌ وفِسْطَاطٌ وفِسْطَاطٌ وفِسْطَاطٌ لكن صاحب لم يورد سوى أربع لغات فيها؛ لأن اللغتين المتبقيتين أقل مرتبة في الفصاحة من اللغات الأخرى "الفِسْطَاطُ" والفُسْطَاطُ: ضرب من الأبنية، وكذلك الفُسْطَاطُ والفَسْطَاطُ، ومجتمع أهل الكورة"<sup>(٦)</sup>.

لم يجعل صاحب كثرة الاستعمال سببا يعول عليه لفصاحة الألفاظ، فإن المولدين قد غيروا أبنية الكلم ونطقه فصار خطاهم جاريا على الألسنة ومتداول بين الناس، ولذلك لم يورد الألفاظ التي غيرها المولدون - وإن كثر استعمالها - أمثال: إمْرَةٌ مَطَاعَةٌ، وعِرْقُ النَّسَاءِ وإنما جعل معجمه سجلا للألفاظ الفصيحة فقط، ولذلك وجدنا فيه ".. وَلَكِ عَلَيَّ أَمْرَةٌ مَطَاعَةٌ"<sup>(٧)</sup> "وَالنَّسَاءُ: عِرْقٌ فِي الْفَخْذَيْنِ يَسْتَمِرُّ إِلَى الرَّجْلِ"<sup>(٨)</sup>.

وقد يتساءل متسائل، أو يقول قائل: إن كان هم صاحب ذكر الفصيح من الألفاظ فما مسوغ إيراده الألفاظ العامية في اللغة والألفاظ المنسوبة إلى أهالي مدن لم يشهد لها بالفصاحة؟؟ فإننا نقول: إن كثرة الاستعمال هي المسوغ الأساس لذكره الألفاظ العامية، إذ إن هنالك ألفاظا عامية قد شاعت وكثر استعمالها، ولذلك توقف صاحب عند بعضها لينبه على أنها عامية وليست بدوية فصيحة، ومن ذلك قوله: "قال أبو حاتم: تَوَلَّعَ الْعَامَّةُ بِتَصْغِيرِ الْعَيْنِ بَعْوَيْنَةً، ويقولون: ذُو الْعَوَيْنَيْنِ، وإنما هو: الْعَيَيْنَيْنِ"<sup>(٩)</sup>.

(١) المحيط ج ٧، ص ٤٢٩.

(٢) م. ن ج ٩، ص ٤٤٥.

(٣) م. ن ج ٦، ص ١٤٧.

(٤) م. ن ج ٢، ص ٥١.

(٥) م. ن ج ٥، ص ٤٥.

(٦) م. ن ج ٨، ص ٢٧١.

(٧) م. ن ج ١٠، ص ٢٨٤.

(٨) م. ن ج ٨، ص ٣٨٥.

(٩) م. ن ج ٢، ص ١٦٠.

وكثرة استعمال العام من الألفاظ جعلته يتكئ عليه ليبين رديفه الفصيح "وراعي البستان: جُنْدَبٌ عَظِيمٌ تُسَمِّيهِ الْعَامَّةُ جَمَلَ الْحُمَى" (١).

كما أن العامة قد تكسب اللفظة الفصيحة دلالة جديدة، فإن القينة في اللغات الفصيحة الأمة، أما عند العامة فإنها المغنينة (٢).

أما القول في حق إيراد ألفاظ أهالي مدن لم تؤخذ عنهم اللغة الفصيحة والسليمة كأهل الشام وأهل العراق وأهل الكوفة وأهل البصرة وأهل عمان وأهل مصر، فإن لكل منطقة ظروفها الاجتماعية والبيئية والاقتصادية والسياسية مما يوجد فوارق معيشية وطبقية وفكرية، وهذه الفوارق يعبر عنها بألفاظ تصفها، وكل منطقة تستدعي ألفاظا مغايرة للألفاظ التي استحدثتها الفوارق في منطقة أخرى، ولما كان لكل منطقة إرثها الأدبي والفكري وأسلوبها الاجتماعي كان من الواجب على المعجمي أن يتوقف عند دلالة تلك الألفاظ التي اختصت بها بيئة دون أخرى، ولا سيما أن الغرض من المعجم شرح المعنى المبهم وحتى يكون المعجم صلة وصل تزيل الحواجز أمام أبناء الأمة الواحدة توقف صاحب عند تلك الفوارق الدلالية المميزة لكل منطقة ووضح معناها ونسبها إلى أهلها. إذ اختص أهل الشام في إطلاق لفظة الزبير على حب الماء (٣) وعام كيبس؛ هو العام الذي يكون فيه شهر شباط تسعة وعشرين يوماً (٤)، واختص أهل العراق في تسميتهم المبيت في ماء وملح؛ النشوط (٥)، وضربك طرف الأذن بالسبابة، تبليط (٦) والعمانيون قد اختصوا بإطلاق العيش على الطعام (٧)، وأن ظروفهم البيئية قد جعلتهم يصنعون غطاء يضعونه فوق سطوحهم ليقبهم ومد البحر أسموه الزقن (٨).

عرف صاحب حاله حال المعجميين اللغات التي اختصت بها قبيلة دون أخرى، واصطلحوا على تسميتها بالشاذة أحيانا وبالمذمومة أحيانا أخرى وإن جوزوا الاحتجاج بها، أما صاحب فإنه لم يطلق عليها مصطلح لغات شاذة أو مذمومة وإنما كان يكتفي بتعريفها ونسبتها إلى قبيلتها دون أن يحط من قدرها ودرجة فصاحتها ومنها: عننة تميم الذين كانوا يبدلون الهمزة عينا (٩). وكشكشة ربيعة (١٠) الذين يزيدون شينا بعد كاف التانيث مثل: عليكش وبكش (١١)، وكسكسة بكر الذين يزيدون سينا بعد كاف التانيث وهذا ما قاله العلماء جلهم (١٢)، أما صاحب فإنه لم يصب في تعريفها الذي قال "الكسكسة: لغة لبكر

(١) المحيط ج٢، ص ١٤٧.

(٢) م٦ ج٦، ص ٣٦.

(٣) م٩ ج٩، ص ٨٣.

(٤) م٦ ج٦، ص ١٩٢.

(٥) م٧ ج٧، ص ٢٩٥.

(٦) م٩ ج٩، ص ١٨٠.

(٧) م٢ ج٢، ص ٩٧.

(٨) م٩ ج٩، ص ٦٥.

(٩) م١ ج١، ص ٩٩.

(١٠) ج٦، ص ١٢١.

(١١) ج٦، ص ١٢١.

(١٢) التهذيب ج٩، ص ٤٣٠، الخصائص ج٢، ص ١٢، الصحابي ص ٥٤.

يبدلون الكاف سينا، كقولهم: كَارِسٌ فِي دَارِكٍ<sup>(١)</sup>، وَعَجَّجَةٌ قَضَاعَةٌ هُمْ يَقْلِبُونَ الْيَاءَ الْمَشْدُودَةَ أَوْ الْمَخْفُوفَةَ جِيمًا إِذَا وَقَعَتْ آخِرًا<sup>(٢)</sup>، وَالْقَطْعَةُ فِي طَيِّبٍ إِذْ إِنَّهُمْ يَحْدِفُونَ مِنْ آخِرِ الْكَلِمَةِ حَرْفًا أَوْ حَرْفَيْنِ<sup>(٣)</sup> مَثَلٌ: يَا أَبَا الْحَكَا بَدَلْ يَا أَبَا الْحَكَمِ، وَرُقْرُقَةٌ كَلْبٌ وَفِيهَا يَتْبَعُونَ الْكَلَامَ بَعْضُهُ بَعْضًا وَيَسْرَعُونَ فِيهِ<sup>(٤)</sup>.

ولم يذكر الصاحب لفظة (لغة شاذة) سوى ثلاث مرات فمنها: زَيَّبَتِ الشَّيْءَ بِمَعْنَى رَصَدَتْهُ شَاذًا<sup>(٥)</sup>.

فالصاحب يطلق أحكاما على صحة اللفظة وشذوذها حاله حال المعجميين جميعهم وإن كان الصاحب أقلهم إطلاقا لمقاييس اللغويين المعتادة على مرتبة اللفظة؛ لأن الصاحب عمد إلى أن تكون معظم ألفاظه فصيحة، والمقاييس التي أطلقها ليقيدها بها مراتب ألفاظه من الصحة وعدمها: لغة فصيحة<sup>(٦)</sup>، ولغة جيدة<sup>(٧)</sup>، واللغة الأعراف والأشهر<sup>(٨)</sup>، ولغة غير فصيحة<sup>(٩)</sup>، ولغة غير صحيحة<sup>(١٠)</sup>، ولغة نادرة<sup>(١١)</sup>، ولغة منكورة<sup>(١٢)</sup>، ولغة رديئة<sup>(١٣)</sup>، ولغة شنعاء<sup>(١٤)</sup>.

إذا أنعمنا النظر في الألفاظ التي نوه بها الصاحب أنها لغات أو أن فيها لغة أو أنها لغة لقبيلة ما فإنه لم يهدف إلى رصد تلك اللغات فقط، وإنما كان يهدف إلى استظهار قضايا لغوية كان لاختلاف اللغات دور كبير في نشوئها، ومن أهمها:

#### أ- الترادف:

وهو ما اختلف لفظه واتفق معناه، وقد رد معظم اللغويين نشأة ظاهرة الترادف إلى اختلاف اللغات، فأهل الشام يطلقون على الكرم مَعْنَبَةً<sup>(١٥)</sup>، ويقول أهل الشحر بدل لَعْمَرِي لَعْرِي<sup>(١٦)</sup>، والعَيْنُ بِلُغَةِ أَهْلِ الْيَمَنِ الْكَحْمَةُ<sup>(١٧)</sup>.

(١) المحيط ج٦، ص ١٢٦.

(٢) م ن ج١، ص ٧٣.

(٣) م ن ج١، ص ١٤٦.

(٤) م ن ج٢، ص ٧٥، ج٢، ص ١٨٧.

(٥) م ن ج٩، ص ١١١.

(٦) م ن ج٢، ص ٢٢٦، ج٤، ص ٣٣٢.

(٧) م ن ج٦، ص ٣٣٧.

(٨) م ن ج٢، ص ١٧٤، ج٢، ص ٦١.

(٩) م ن ج١٠، ص ١١٨.

(١٠) م ن ج٣، ص ٤١٥.

(١١) م ن ج٥، ص ٢٦٠، ج٦، ص ١٠٨.

(١٢) م ن ج٤، ص ٢٠٧، ج٦، ص ٣٨٨.

(١٣) م ن ج٥، ص ٤٠٠، ج٧، ص ١٧١.

(١٤) م ن ج٢، ص ١١٨، ج٤، ص ٢٣٨.

(١٥) م ن ج٢، ص ٦٧.

(١٦) م ن ج٢، ص ١١٨.

(١٧) م ن ج٢، ص ٣٨٩.

## ب- المشترك اللفظي:-

تلعب اللغات دورا كبيرا في ظهور المشترك اللفظي، وهو نقيض الترادف لأن العلماء قالوا: إنه ما اتفق لفظه واختلف معناه. فالْحَدَقُ سواد العَيْنِ؛ المعنى المعروف، أما الْحَدَقُ في هذيل فهو الشَّجَرُ أو الباذنجان<sup>(١)</sup>، والكانون المَصْطَلِي، وهو عند أهل المدينة ومكة الداخل بين اثنتين<sup>(٢)</sup>، والسَّرْعَةُ، السَّقِيفَةُ، وهي في لغة أهل اليمن الْفُدَّان<sup>(٣)</sup>.

## ج- الأضداد:

الأضداد هي نوع من المشترك اللفظي إلا أنه يجب أن يتضاد المعنيان اللذان تحملهما اللفظة نفسها، فالأضداد هي ما اتفق لفظه وتضاد معناه، ويعد اختلاف اللغات أظهر مسبب لنشوتها، وإن كان هنالك أسباب أخرى فإنها متطورة عن اختلاف اللغات غالبا. فالوئبُ في لغة حمير القعود<sup>(٤)</sup> هو السَّاجِدُ في لغة طي؛ المُنْتَصِبُ<sup>(٥)</sup>.

وقد تضعف قبيلة ما الفعل فتصير معناه مضادا لمجرده، فأهل العالية يقولون: مَجَّدَتِ الدَّابَّةُ أي ملأت بطنها، وأهل نجد يقولون مَجَّدَتِ الدَّابَّةُ؛ إذا علفت الدابَّةُ نصف بطنها<sup>(٦)</sup>.

## د- القلب المكاني:

رد الصاحب ألفاظا عديدة طرأ عليها قلب لغوي (مكاني) إلى اختلاف اللغات، وقد عرف العلماء القلب أنه: تقديم حرف وتأخير آخر في الكلمة نفسها دون أن يؤثر ذلك القلب المكاني في معنى الكلمة نفسها، وإن أضيف معنى جديد فإنه لا ينفك بالضرورة عن المعنى الأصلي، فالجَبْدُ لغة في الجَدْبِ<sup>(٧)</sup> لبني تميم، المَصْدُ لغة في ضَمْدِ الرَّاسِ<sup>(٨)</sup> لأهل اليمن، والمَصْدُ لغة في الضَمْدِ<sup>(٩)</sup> بمعنى الجَدِّ.

## هـ- الإبدال اللغوي:

رأى العلماء أن عددا كبيرا من الكلمات التي وقع فيها إبدال عائدة إلى التغيير الصوتي، فقد عرفوا الإبدال اللغوي أنه؛ وضع حرف مكان حرف في الكلمة لعلة صوتية دون أن يغير ذلك الإبدال معنى اللفظة وإن زاد على اللفظة معنى فإنه لا ينسلخ عن المعنى الأصلي، ويغلب على الحرف المبدل أن يكون متقفا مع المبدل منه في المخرج وبقية الحصلب: أي التراب، والحصلمُ مثله<sup>(١٠)</sup> أو الهيئة مثل هَضُضْتُ وَحَضُضْتُ<sup>(١١)</sup>. أو تماثل في كليهما مثل: الكَدْدُ وَالكَتْدُ اللذين يحملان نفس المعنى؛ أسفل الكتف<sup>(١٢)</sup>.

(١) المحيط ج٢، ص ٣٤١.

(٢) م٦ ج٦، ص ١٤٤.

(٣) م٦ ج١، ص ٢٨٦.

(٤) م٦ ج١٠، ص ١٩١.

(٥) م٦ ج٧، ص ٦.

(٦) م٦ ج٧، ص ٥٥.

(٧) م٦ ج٧، ص ٧٠.

(٨) م٦ ج٧، ص ٤٦٠.

(٩) م٦ ج٧، ص ٤٦٠.

(١٠) م٦ ج٣، ص ٢٧٥.

(١١) م٦ ج٣، ص ٣١٣.

(١٢) م٦ ج٦، ص ١٣٢.

ولا يعني أن الإبدال لا يقع بين الحروف التي لم تتفق في المخرج أو الهيئة أو كليهما لأن الإبدال واقع في ما عداها، وقد رد العلماء هذا النوع من الإبدال إلى اختلاف اللغات، فلا يمكن تسوية التبادل بين الهمزة والعين صوتياً لأنهما غير متماثلتين في المخرج ولا الهيئة. ولذلك فهي لغات لا غير مثل: الخَبَعُ؛ البكاء وتقول تميم الخَبَبُ<sup>(١)</sup>، وكذلك التبادل بين الهمزة والواو أمثال: أَهْلَتُهُ وَوَهَلَّتُهُ<sup>(٢)</sup>، والوَكَافُ وَالْإِكْفَافُ<sup>(٣)</sup>، والإبدال بين العين والنون عائد لاختلاف اللغات فالإِنطَاءُ لغة في الإِعطَاءِ<sup>(٤)</sup>.

ولا يعني هذا القول أن الإبدال لا يقع بين صوتين متفقين في المخرج نتيجة اختلاف اللغات، فقد تبادلت الراء واللام وهما متفقتان في المخرج، فالْبِلْسَامُ لغة في الْيُرْسَامِ<sup>(٥)</sup>، وقد تؤدي اللغات إلى التبادل بين صوتين متفقين في الهيئة، فقد تبادلت القاف والكاف في كلمة الغسق، فالغَسَقُ لغة في الغَسَقِ<sup>(٦)</sup>، كما أن الإبدال بين الأصوات نتيجة اختلاف اللغات قد يقع بين صوتين متماثلين في المخرج والهيئة، فقد تبادلت السين والصاد، فالسَقْلُ لغة في الصَقْلِ<sup>(٧)</sup>.

و- تلعب اللغات دوراً واضحاً في تغيير بنى الأفعال الماضية والمضارعة ونطقها وكتابتها سواء أكانت صحيحة أم معتلة، فمعظم العرب يقولون: رَكِنَ إلى الدنيا، وسفلى مضر يقولون: رَكَنَ إليها<sup>(٨)</sup>، وجمهور القبائل تقول: بَقِيَ، أما طيبي فنقول: بَقِيَ<sup>(٩)</sup>. وتقول عامة العرب: كُنْتُ أما بنو عدي فيقولون: كُنْتُ<sup>(١٠)</sup>. والعرب تقول: بُنِنْتُ الأبنية، أما طيبي فإنها تستعمل بُنِنْتُ الأبنية<sup>(١١)</sup>.

والاختلافات السابقة تظهر في المضارع كما ظهرت في الماضي، فقد اختص الحجازيون بالفعل كِلَ يَنْكُلُ والمعروف عند العرب يَنْكُلُ<sup>(١٢)</sup>، وبعض العرب يقولون: لَصَى يَلْصَى مع أن جلهم يستعملون لَصَا يَلْصُو<sup>(١٣)</sup>، وتقول العرب: مَا يَعْينِكَ أما طيبي فنقول: مَا يَعْينُوكَ<sup>(١٤)</sup>، ويقول بعضهم: يَبِيسُ في يَبِيسِ<sup>(١٥)</sup>.

(١) المحيط ج ١، ص ١٢٩.

(٢) م.ن ج ١، ج ٤، ص ٦٤.

(٣) م.ن ج ٦، ص ٢٣٩.

(٤) م.ن ج ٩، ص ٢٢١.

(٥) م.ن ج ٨، ص ٤٢٤.

(٦) م.ن ج ٤، ص ٥٢٣.

(٧) م.ن ج ٥، ص ٢٨٩.

(٨) م.ن ج ٦، ص ٢٤٨.

(٩) م.ن ج ٦، ص ٥٤.

(١٠) م.ن ج ٦، ص ٣٠٣.

(١١) م.ن ج ١٠، ص ٤٠٤.

(١٢) م.ن ج ٦، ص ٢٢٥.

(١٣) م.ن ج ٨، ص ١٨٨.

(١٤) م.ن ج ٢، ص ١٦٤.

(١٥) م.ن ج ٨، ص ٣٩٨.



وقد يكون للغات أثر في اختلاف حركة حرف المضارعة، فتميم تقول: أنا أُجِبُّكَ في أنا أُجِبُّكَ<sup>(١)</sup> وقريش تقول: يُطِيعُ لك بدلا من يُطِيعُ لك<sup>(٢)</sup>.  
ز - الإعلال بالقلب.

مع أن معظم اللغويين ردوا ظاهرة الإعلال بالقلب إلى أسباب نطقية في ألفاظ كثيرة، فنحن نعلم أن الإعلال بالقلب يقع ليبسر نطق اللفظة ويخفف الجهد على جهاز النطق، فيقلبون الياء واوا إذا ضم ما قبلها، ويقلبون الواو ياء إذا كسر ما قبلها، ويكفي بالميزان من وزن، وموسر من يسر مثالين موضحين لذلك.

وقد أورد صاحب أمثلة عديدة وقع عليها إعلال بالقلب نتيجة اختلاف اللغات، فالأزد يقولون: مَعْوَشَةٌ في مَعِيشَةٌ<sup>(٣)</sup>، وبنو قيس يقولون: الأفعي بدلا من الأفعي، وطبيئ تقول: الأفعو<sup>(٤)</sup>، وأهل المدينة يقولون الهداوى بدلا من الهدايا<sup>(٥)</sup>.

ح - اختلاف اللهجات العربية من عوامل توسع لغتهم ونثرهم وشعرهم من المصادر الأساس في تعويد اللغة والقياس عليها، ولما كانت اللغات مختلفة كان من العسير وضع قاعدة نحوية ضابطة لا يجوز تخطيها؛ لأن السماع يوسع القياس ويعدد القواعد النحوية، وفي ذلك يقول صاحب الخصائص: "اعلم أن سعة القياس تبيح لهم ذلك، ولا تحظره عليهم؛ ألا ترى أن لغة التميميين في ترك إعمال (ما) يقبلها القياس، ولغة الحجازيين في إعمالها كذلك؛ لأن لكل واحد من القومين ضربا من القياس يؤخذ به، ويخذ إلى مثله، وليس لك أن ترد إحدى اللغتين بصاحبتهما، لأنها ليست أحق بذلك من رسيلتها. لكن غاية مالك في ذلك أن تتخير إحداهما، فتقويها على أختها، وتعتقد أن أقوى القياسين أقبل لها، وأشد أنسا بها. فأما رد إحداهما بالأخرى فلا"<sup>(٦)</sup>.

وقد أكد صاحب دور اختلاف اللغات في سعة القياس. وقال: إن بعض الحجازيين يخالفون عامة العرب في استعمالهم لأن مخففة فيقولون: "إنَّ وأنَّ حرفان ينصبان وللعرب في إنَّ لغتان: التثقيب والتخفيف، فمن خَفَّفَ رَفَعَ بها، إلا أنَّ ناساً من أهل الحجاز يَخَفِّفُونَ وَيَنْصِبُونَ على نِيَّةِ التثقيب"<sup>(٧)</sup>.

ط - التذكير والتأنيث:

يوجد في العربية ألفاظ يجوز فيها التأنيث والتذكير، وهذا التجوز ناتج عن اختلاف اللهجات، فبعض القبائل تؤنثها وبعضها الآخر تذكرها، فقد ورد عن العرب أنهم قالوا: لقيته ذا صَبَاحٍ وذات صَبَاحٍ<sup>(٨)</sup>. وجاء القوم من ذِي أنفسهم ومن ذَاتِ أنفسهم<sup>(٩)</sup>.

(١) المحيط ج ٢، ص ٣٢١.

(٢) م من ج ٢، ص ١٢٠.

(٣) م من ج ٢، ص ٩٧.

(٤) م من ج ٢، ص ١٦٩.

(٥) م من ج ٤، ص ١٣٨.

(٦) الخصائص ج ٢، ص ١٠.

(٧) المحيط ج ١٠، ص ٤٢٣.

(٨) م من ج ١٠، ص ١١٦.

(٩) م من ج ١٠، ص ١١٦.

## ي- المجرد والمزيد:

تبين لنا أن للغات أثرا في سعة القياس والتجوز اللغوي، ومما يتعلق بهذين الموضوعين أثر اختلاف اللغات في تماثل معنى المجرد والمزيد ولا سيما صيغتي فعل وأفعل، فهم يقولون: سَقَّتْ إليها الصَّدَاقُ وَأَسَقَّتَهُ<sup>(١)</sup>، وَكَفَّاتُ الإِنَاءِ وَأَكْفَأَتْهُ<sup>(٢)</sup>. وَرَابِنِي الأَمْرِ وَرَابِنِي<sup>(٣)</sup>، ويقولون: كَكَفَّتْ مَالَهُ وَأَنْتَكَفَّتُهُ<sup>(٤)</sup>.

## ك- الهمز:

قد تميل بعض القبائل إلى همز الصوائت وتميل معظم القبائل إلى ترك الهمز، فمعظم قبائل العرب تقول هذا، وانفردت بنو أسد بهمزهم هذا فهم يقولون: هَذَا نُهُ<sup>(٥)</sup>، وَالشَّمَالُ لُغَةٌ فِي الشَّمَالِ<sup>(٦)</sup>، وَالأَفْزُ لُغَةٌ فِي الوُفْزِ<sup>(٧)</sup>.

## ل- التخفيف والتنقيط:

طالعنا في المحيط ألفاظا عديدة جاز فيها التنقيط والتخفيف كلاهما مما يدل على أن بعض القبائل كانت تتقل ومعظمها الآخر كان يميل إلى التخفيف، وقد قلنا إن معظم يميل إلى التخفيف لأن الإنسان بطبيعته يميل إلى تخفيف الجهد النطقي، فالدم لغة في الدم<sup>(٨)</sup>، والذي - بتشديد الياء - لغة في الذي<sup>(٩)</sup>، والصيور بمعنى القوة فيها لغة أخرى؛ الصيور مخففة<sup>(١٠)</sup>.

## م- التسيكين والتحرك

لما كان الإنسان يميل إلى تخفيف الجهد النطقي وإلى نطق الأيسر، عمل على تسيكين الأصوات المتحركة. وقد مالت قبائل إلى هذا النهج فسكنت أصواتا عديدة كانت متحركة، فالوَهْنُ لغة في الوَهْنِ<sup>(١١)</sup>، والسَخَطُ لغة في السَخَطِ<sup>(١٢)</sup>، والرَّقْصُ لغة في الرَّقْصِ<sup>(١٣)</sup>.

(١) المحيط ج ٥، ص ٤٧٥.

(٢) م ن ج ٦، ص ٣٣٧.

(٣) م ن ج ١٠، ص ٢٦٦.

(٤) م ن ج ٦، ص ٢٧٨.

(٥) م ن ج ٤، ص ٥٣.

(٦) م ن ج ٧، ص ٣٣٩.

(٧) م ن ج ٩، ص ١٠٠.

(٨) م ن ج ٩، ص ٢٧٢.

(٩) م ن ج ١٠، ص ١١٧.

(١٠) م ن ج ٨، ص ١٧٨.

(١١) م ن ج ٤، ص ٧١.

(١٢) م ن ج ٤، ص ٢٥٧.

(١٣) م ن ج ٥، ص ٢٦٤.

## ن- الاختلاف في الحركات:

للغات دور في تغيير حركة بعض الأصوات ولا سيما فاء اللفظة، فحلقة الباب كلمة مستعملة عند عامة العرب لكن بلحارث انفردت في حلقة الباب<sup>(١)</sup>، والعرب تقول: شهيد أما تميم فإنها تقول: شهيد<sup>(٢)</sup> والتبن لغة في التبن<sup>(٣)</sup>، والوتر لغة في الوتر<sup>(٤)</sup>، والإرب لغة في الأرب<sup>(٥)</sup>.

س- الإدغام:

تميل معظم اللغات إلى إدغام المتماثلين لكن هذا ليس صفة غالبية على قبائل العرب جميعها، فبعضهم يقول: الأسس وبعضهم يقول: الأسس<sup>(١)</sup>، ويقولون: العلل<sup>(٢)</sup> والعلل<sup>(٣)</sup>، ويقولون في رفع الصوت العج والعجيج<sup>(٤)</sup>.

ع- الحذف والزيادة:

أدى اختلاف اللغات إلى إيجاد حذف في بعض الكلمات، فبعضهم يقولون علّ بدل لعل<sup>(١)</sup>، والهليلج لغة في الإهليلج<sup>(١٠)</sup>، والعصص لغة في العصص والعصصوص<sup>(١١)</sup>.

وعلى النقيض من ذلك فإن هنالك قبائل يزيدون أحرفاً بعينها على ألفاظ مخصوصة، فبعضهم يزيدون على عهد أحرفاً معينة فيقولون: عهدانك<sup>(١٢)</sup>، وقوس فزح لغة في قوس فزح<sup>(١٣)</sup>، واللخبة لغة في اللخع وهي استرخاء الجسم<sup>(١٤)</sup>، وأنظور لغة في أنظر<sup>(١٥)</sup>.

## ف- المد والقصر:

اختلف اللغويون في جواز مد الاسم المقصور إلا أنهم اتفقوا في جواز قصر الاسم الممدود؛ لأن فيه رداً إلى الأصل وتخفيفاً في النطق، ونحن نعلم أن موقفهم منوط بالقياس وليس مقيداً بالسمع؛ لأن هنالك ألفاظاً عديدة سمعت عن العرب مدها بعضهم وقصرها بعض آخر، فكلما ألى مقصورة عند معظم العرب وهي اسم ممدود عند الحجازيين

(١) المحيط ج ٢، ص ٣٥٥.

(٢) م ن ج ٢، ص ٢٨٨.

(٣) م ن ج ٩، ص ٤٤٥.

(٤) م ن ج ٩، ص ٤٥٥.

(٥) م ن ج ١٠، ص ٢٦٦.

(٦) م ن ج ٨، ص ٤١٨.

(٧) م ن ج ١، ص ٩٥.

(٨) م ن ج ١، ص ٧٣.

(٩) م ن ج ١، ص ٩٥.

(١٠) م ن ج ٣، ص ٣٧٩.

(١١) م ن ج ١، ص ٧٩.

(١٢) م ن ج ١، ص ١١١.

(١٣) م ن ج ٢، ص ٣٣٧.

(١٤) م ن ج ١، ص ١٢٧.

(١٥) م ن ج ١٠، ص ٢١.

فيقولون: <sup>(١)</sup> الأء والصّلاء؛ الوَقُود يقصر عند بعضهم فيقولون: الصّلا<sup>(٢)</sup>، وبعضهم يمد التّبكاء وبعضهم يقصرونه البكى<sup>(٣)</sup>.

ص- تعدد صور الجمع:

بيننا أن للغات أثرا في القلب، والإبدال، والتخفيف، والتثقيل، والتحرك والتسكين، والإعلال بالقلب، والحذف والزيادة، وهذه التغيرات ستؤدي بالضرورة إلى تعدد صور الجمع "العَجَزُ: نقيض الحَزْم، عَجَزَ عَجْزاً وَعَجْزَ عَجْزاً وَعَجَزَاناً، وَهَدَيْلٌ وَحَدَّهَا تَجْمَعُ الْعَاجِزُ عَلَى الْعَوَاجِزِ"<sup>(٤)</sup>، وتجمع الهَجْمَةَ عَلَى هَجَمَاتٍ وَهَجَامٍ<sup>(٥)</sup>، وتجمع الشّهَابَ عَلَى شُهَبٍ وَسُهَبَانٍ<sup>(٦)</sup>، وتجمع الأيْصَرَ عَلَى الأَيَاصِرِ وَإِصَارَةَ لُغَةً فِيهِ<sup>(٧)</sup>.

ق- الاتباع:

عرف اللغويون<sup>(٨)</sup> الاتباع أنه: أن تتبع الكلمة الكلمة على وزنها أو رويها اشباعا وتأكيذا واتساعا مثل: رجل طَبِعَ طَمَعٌ<sup>(٩)</sup>، وذهب دمه خَصِيرٌ مُضَيَّرٌ<sup>(١٠)</sup>، وَجَائِعٌ كَانِعٌ<sup>(١١)</sup>. أخذت قضية الاتباع اهتمام اللغويين منذ القدم، فمنهم من خصص له مؤلفا بعينه، ومنهم من أفرد له بابا في مؤلفاتهم، ومن أمثال القسم الأول: أبو الطيب اللغوي في كتابه الإِتْبَاعُ<sup>(١٢)</sup>، وابن فارس في كتابه الإِتْبَاعُ وَالْمَزَاجَةُ<sup>(١٣)</sup>، أما أشهر من أفردوا له بابا في كتبهم: فثعلب في مجالسه<sup>(١٤)</sup>، وأبو عبيد<sup>(١٥)</sup> وابن قتيبة في أدب الكاتب<sup>(١٦)</sup> وأبو علي القالي في أماليه<sup>(١٧)</sup> وابن دريد في جمهرته<sup>(١٨)</sup> وابن فارس في كتابه الصاحبى<sup>(١٩)</sup> وابن

(١) المحيط ج ١٠، ص ٣٧٨.

(٢) م.ن ج ٨، ص ١٨٥.

(٣) م.ن ج ٦، ص ٣٤٣.

(٤) م.ن ج ١، ص ٢٤١.

(٥) م.ن ج ٣، ص ٣٨٥.

(٦) م.ن ج ٢، ص ٣٩٥.

(٧) م.ن ج ٨، ص ١٧٦.

(٨) ابن فارس، الصاحبى ٢٧٠، وأبو علي القالي، الأمالي، ط ٣، المكتبة التجارية الكبرى، مصر-القاهرة، ١٩٥٤، ٢٠٥/٢-٢٠٨، والثعالبي في فقه اللغة وسر العربية. تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي شركة ومكتبة مصطفى الباني الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٧٢، ص ٣٧٢، وأحمد محمد نيب أبو دلو، الإِتْبَاعُ فِي الْعَرَبِيَّةِ عِلْمُهُ وَظَوَاهِرُهُ، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك - اربد، ١٩٩٢، ص ٦.

(٩) المحيط ج ١، ص ٤١١.

(١٠) م.ن ج ٤، ص ٢٧٣.

(١١) م.ن ج ٢، ص ١٦٦.

(١٢) تحقيق: عز الدين التنوخي، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٦١، دن.

(١٣) تحقق: رولف برونو VEVLAGE VON ALFRED TOPELNANN VORMALS J.RICKER GIESZEN-1906

(١٤) تحقيق: عبد السلام هارون، ط ٢، دار المعارف، القاهرة - مصر، ١٩٤٩، ج ١، ص ٧ و ٢٠٥ - ٢٠٦.

(١٥) ذكره السيوطي في المزهج ج ١، ص ٤١٤-٤١٥.

(١٦) باب المستعمل من مزدوج الكلام ص ٤٣-٤٨.

(١٧) الأمالي ج ٢، ص ٢٠٤-٢١٥.

(١٨) الجمهرة ج ٣، ص ٤٢٩-٤٣١.

(١٩) الصاحبى، ص ٢٧٠.

الدهان في الغرة<sup>(١)</sup> والبلوي في ألف باء<sup>(٢)</sup> وابن سيده في المخصص<sup>(٣)</sup> والهمذاني في الألفاظ الكتابية<sup>(٤)</sup>.

والمطلع على تعريف اللغويين للاتباع يرى أن الهدف الأساس من اللجوء إلى هذا التركيب اللغوي هو تأكيد الفكرة والموضوع المتحدث عنه في ذهن السامع، ولذلك قالوا: إن الكلمة التابعة تماثل الكلمة المتبوعة في الروي والوزن إشباعاً وتوكيداً، وقد أدركوا هدف العرب من الاتباع وهو التقوية والتأكيد من الرواية التي أسندت إلى ابن الأعرابي في مجالس ثعلب "أخبرنا محمد، ثنا أبو العباس قال: قال ابن الأعرابي: سألت العوب أي شيء معنى شيطان ليطان، قالوا: شيء نند به كلامنا"<sup>(٥)</sup>.

والصاحب من اللغويين الذين رأوا أن في الاتباع توكيداً لغوياً ومن ذلك قوله: "وإنه لَزَّ كَزَّ: تأكيد"<sup>(٦)</sup> "وإنه لخَبِيثٌ لَبِيْثٌ نَبِيْثٌ: تأكيد وإتباع"<sup>(٧)</sup>.

ولم يذهب مذهب أبي الطيب اللغوي<sup>(٨)</sup> الذي فرق بين الاتباع والتوكيد وفقاً لجواز التكلم بالكلمة التابعة مفردة أو لا، فإن جاز التكلم بها مفردة فهي من قبيل التوكيد وإن لم يجز ذلك فهي اتباع، كما أنه لم يعد الاتباع نوعاً من التوكيد اللفظي وأنه باب من أبواب النحو كما قال ابن جني<sup>(٩)</sup> وتبعه أبو هلال العسكري في الصناعتين<sup>(١٠)</sup> والرضي الاسترلابادي في شرح الكافية في النحو لابن الحاجب<sup>(١١)</sup>.

معظم الأمثلة التي أوردها صاحب في معجمه تبين أن الكلمة التابعة تماثل الكلمة المتبوعة في الوزن والروي، مثل: هو جِبَسٌ عِبَسٌ؛ لَنِيْمٌ<sup>(١٢)</sup>. ولقَيْته صَحْرَةَ نَحْرَةَ؛ أي عياناً ومواجهة<sup>(١٣)</sup> وكَبِيصٌ بَيْصٌ<sup>(١٤)</sup>.

وقلما يورد ألفاظاً غير متماثلة في الوزن، مثل: أَعْسَرَ يَسْرٌ<sup>(١٥)</sup>، وما رأيت له أثراً ولا عَثِيراً<sup>(١٦)</sup> وتدل أمثلة صاحب كذلك على أن الكلمة التابعة قد تكون أزيد من كلمة

(١) نكره السيوطي في المزهج ج ١، ص ٤٢٤-٤٢٥.

(٢) عالم الكتب، بيروت، توزيع مكتبة المشي، القاهرة، مكتبة سعد الدين، دمشق ج ١، ص ٣٣٣.

(٣) ج ١٤، ص ٢٨ وما بعدها.

(٤) الدار العربية للكتاب، تونس ١٩٨٠م، ص ٣٢١-٣٢٢.

(٥) مجالس ثعلب ج ١، ص ٧.

(٦) المحيط ج ٩، ص ١٣.

(٧) م بن ج ١٠، ص ١٤٩.

(٨) أبو الطيب اللغوي، الاتباع، ص ١٢.

(٩) ابن جني الخصائص ج ١، ص ٨٣-٨٤، وقابل بالمنصف، تحقق: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين ط ١ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر-القاهرة، ١٩٥٤م، ج ٢، ص ٣٢٥-٣٢٦.

(١٠) تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، ١٩٥٢م، ص ١٩٤.

(١١) دار الكتب العلمية، ط ٣، بيروت - لبنان، ١٩٨٢م، ج ١، ص ٣٣٣.

(١٢) المحيط ج ١، ص ٣٧٥.

(١٣) م بن ج ٣، ص ٨٢.

(١٤) م بن ج ٣، ص ١٦٢.

(١٥) م بن ج ١، ص ٣٥٧.

(١٦) م بن ج ٢، ص ٥.

واحدة، مثال: ومررت بهم أجمعين أكتعين أبتعين على الإتياع<sup>(١)</sup>. ولقيته أول صوكٍ وعوكٍ وبوكٍ<sup>(٢)</sup>، وإنه لخبيث كبيت كبيت<sup>(٣)</sup>.

وقد شرط العلماء<sup>(٤)</sup> للاتباع شروطا استنتجناها من عباراتهم التي كانوا يعقبون بها على أمثلة الاتباع المختلفة، ويمكن إجمال هذه الشروط فيما يلي:

- ١- أن يكون معنى الكلمة التابعة مماثلا لمعنى الكلمة السابقة.
- ٢- ألا يتكلم بالكلمة التابعة مفردة بل يجب أن تكون متصلة بالكلمة السابقة دائما.
- ٣- ألا يفصل بين الكلمتين اللتين فيهما اتباع فاصل، كواو العطف مثلا.

ولما استقرينا أمثلة المحيط وجدنا أن الصاحب لم يلزم نفسه بأي من تلك الشروط، فقد ذكر مما فيه اتباع قولهم: أوصى فلان في صحته وشحنه<sup>(٥)</sup>، ومعناها مختلفان فمعنى الصّحّة نقيض السقم<sup>(٦)</sup>، والشحّ البخل<sup>(٧)</sup>، ويقولون: فليحّ فزيح، ومعنى الفلحّ؛ صفرة تعلقو الأسنان<sup>(٨)</sup> والقرحّ البروز والظهور مأخوذة من إبراز القدر<sup>(٩)</sup>.

أما الشرط الثاني فأورد عبارات يجوز فيها التكلم بالكلمة التابعة مفردة، فقد قالت العرب: هو قذاع لذاع<sup>(١٠)</sup>، وعندما تناول مادة لذع بين معناها وذكر استعمالات عديدة لها مفردة دون أن تكون متصلة بمذاع لذعه لذعا: أحرقه، وكذعته باللسان أيضا.. وكذع الطائر بالجنح: رفرف، واللودع واللودعي: الخفيف الذكي. والتلذع حسُّ السير سُرعة. والتلفن، وتفتب البصر أيضا<sup>(١١)</sup>. ويقولون: ريح ضيح<sup>(١٢)</sup>. وقد ذكر الصاحب للضيح معاني عديدة منها العسل واللبن وضوء الشمس والهزال والبصر، وذكر سياقات غير قليلة لها منها "ما أجود ضاحته، وكأنه من الصيح الذي هو نور الشمس، وضاحت عظامه: أي تحركت من الهزال وانكشفت"<sup>(١٣)</sup>.

أما الشرط الثالث. فإن الصاحب نبه على وقوع الإتياع في تراكيب فصلت السواو بين الكلمة التابعة والمتبوعة وقد فصلت بينهما لام النفي مع الواو كذلك "ويقولون: مهلا وبهلا - إتياعا -: أي لا تفعل"<sup>(١٤)</sup> "وما عنه هم ولا رم - إتياع -: أي شيء"<sup>(١٥)</sup>.

(١) المحيط ج ١، ص ٤٤٧.

(٢) م-ن ج ٢، ص ٨٨.

(٣) م-ن ج ١٠، ص ١٤٩.

(٤) أبو عبيد نكرة السيوطي في المزهج ج ١، ص ٤١٥، والبليوي، ألف باء، عالم الكتب، بيروت توزيع مكتبة المشى، القاهرة، ومكتبة سعد الدين، دمشق ج ١، ص ٣٢٢، والهمذاني، الألفاظ الكتابية ٣٢١-٣٢٢، ابن بري نكرة ابن منظور في لسان العرب مادة (نوح).

(٥) المحيط ج ٢، ص ٢٩٦.

(٦) م-ن ج ٢، ص ٢٩٩.

(٧) م-ن ج ٢، ص ٢٩٥.

(٨) م-ن ج ٢، ص ٣٥١.

(٩) م-ن ج ٢، ص ٣٢٦.

(١٠) م-ن ج ١، ص ٤٦٥.

(١١) م-ن ج ١، ص ٤٦٥.

(١٢) م-ن ج ٣، ص ١٥٦.

(١٣) م-ن ج ٣، ص ١٥٦-١٥٧ وانظر ج مادة نقر ج ٥، ص ٣٨٥.

(١٤) م-ن ج ٣، ص ٤٩٢.

(١٥) م-ن ج ١٠، ص ٢١٦.

اقتضت طبيعة البحث المعجمي تكرار الاتباع في غير موضع؛ لأن المعجمي سيضطر بالضرورة إلى ذكر معنى الكلمة التابعة في بابها، ومعنى الكلمة المتبوعة في مقامها، لذلك كرر الصاحب عددا من الجمل التي وقع فيها اتباع.

إذ أورد في باب العين والكاف والذال من الرباعي ناقة دَلَعَكَ وَبَلَعَكَ<sup>(١)</sup>، ثم أعاد ذكرها في باب العين والكاف واللام<sup>(٢)</sup>. وأورد في باب الثلاثي من المعتل في قلب العين والطاء قولهم: وَعَظَاهُ اللهُ وَبَطَّاهُ؛ صرفه عن الخير<sup>(٣)</sup>. وكرره في قلب الثلاثي المعتل من قلب الطاء والباء<sup>(٤)</sup>. وفي قلب العين والسين والنون من الثلاثي الصحيح ذكر: ماله سَعْنَةٌ وَلَا مَعْنَةٌ؛ أي ماله شيء<sup>(٥)</sup>، وكرره في قلب العين والنون والميم من الباب نفسه<sup>(٦)</sup>.

قلنا إن العرب اتكأوا على الإتيان لتقوية كلامهم ولتأكيد فكرتهم في سمع المتلقي، ولما كانت قبائل العرب كثيرة أدى ذلك إلى إيجاد صور غير قليلة للكلمة التابعة والكلمة المتبوعة، فقد قالوا: "وإنه لفي حَوْرٍ بُورٍ؛ أي في ضيعة وهلاك. وتركته في حَوْرٍ بُورٍ وَحَيْرٍ يَبْرٍ. ويقال بغير تنوين: وهي الهلاك"<sup>(٧)</sup> "ويقولون: بعثوا إبنيا بالهياء واللبياء؛ والسبياء واللبياء؛ والسواء واللواء: أي بعثوا يستغيثون"<sup>(٨)</sup> "والشيء اللين: لان يَلِينُ كِينًا وَلِيَانًا، ورجل هَيْنٌ كَيْنٌ؛ وهَيْنٌ لِينٌ"<sup>(٩)</sup>.

وقد تنفرد قبيلة في إطلاق لفظة تابعة وتنسب إليها ومن ذلك قول بني أسد: ما يَلِيْقُ به الخير ولا يَعِيْقُ<sup>(١٠)</sup>.

ولا يفوتني التنويه إلى أنني قصرت الحديث على أثر اللغات في ظهور قضايا وموضوعات لغوية ولم استقص أسباب ظهورها الأخرى وتطورها وما يتعلق بها من جوانب وأبعاد لغوية واجتماعية مختلفة، وذلك لأنني سأفصل القول عن معظمها في الفصول الآتية إن شاء الله.

(١) المحيط ج ٢، ص ٢٢١.

(٢) م.ن ج ٢، ص ٢٢٤.

(٣) م.ن ج ٢، ص ١٣٣.

(٤) م.ن ج ١٠، ص ٤٧.

(٥) م.ن ج ١، ص ٣٦٩.

(٦) م.ن ج ٢، ص ٧١.

(٧) م.ن ج ١٠، ص ٢٧٠.

(٨) م.ن ج ١٠، ص ٣٧١.

(٩) م.ن ج ١٠، ص ٣٣٧.

(١٠) م.ن ج ٢، ص ٨١.

الباب الثالث:

مستويات التحليل اللغوي في المحيط



## الباب الثالث: مستويات التحليل اللغوي في المحيط

صنف العلماء مستويات اللغات الإنسانية إلى خمسة مستويات: المستوى الصوتي والمستوى الصرفي، والمستوى النحوي، والمستوى المعجمي، والمستوى الدلالي.

الصاحب بن عباد من العلماء اللغويين الذين أدركوا هذه الحقيقة اللغوية وإن لم يصرح بها لأنه كان يعرض لقضايا صوتية وصرفية ونحوية ودلالية إذا كان التقليل المتناول يتطلب التوقف عند قضايا المستويات اللغوية المختلفة، وارتأيت أن أعرض لموقف ابن عباد من تلك المستويات اللغوية مستوى مستوى.

### المستوى الصوتي: - phonetics

قسّم العلماء المستوى الصوتي وفق دراسة الصوت إذا كان منفرداً أو متصلاً بأصوات أخرى إلى قسمين رئيسيين: علم الأصوات العام، وعلم الأصوات الوظيفي.

#### أ- علم الأصوات العام phonetics

يعنى بدراسة الجهاز النطقي ووصف أعضائه مبتدئاً من الحجاب الحاجز أسفل الرئتين إلى الشفتين، فيدرس هذا الجهاز من الناحية التشريحية ووظيفته في إنتاج الأصوات سواء أكان ذلك بدفع الهواء أم بحبسه، أم بالسماح له بأن يمر محتكاً بموضع الصوت، ويدرس ذبذبات الصوت وعددها وعناصره الأساسية، فهو يهتم بدراسة الأصوات التي تجري في الكلام بوصفها حركات عضوية مقترنة بنغمات صوتية، ويدرس صفات الصوت المثالية من جهر وهمس، وانفجارية واحتكاكية، وتكرارية وجانبية، فهذا العلم يهتم بوصف مكان نطق الصوت وهيئته.

بُني معجم المحيط على فكرة وصف مكان خروج الصوت، إذ أشار الصاحب في خطبة كتبه إلى أنه سيرتب أبواب معجمه وفق مخارج الأصوات فيبدأ بالأبواب التي تكون فيها الحروف المتقدمة في المخرج ويعني بذلك الأحرف الحلقية، ثم يليها الأحرف التي تقرب من أحرف الحلق، ثم ينتقل إلى الأقرب فالأقرب إلى أن يصل إلى الأصوات الشفوية "فصير أولاها بالابتداء أدخل حرف منها في الحلق وكان ذلك العين فجعلها أول الكتاب، ثم ما قرب منها؛ الأرفع فالأرفع. وهذه صورة الحروف على الولاء؛ وذكر نسبتها إلى مخارجها، وهي تسعة وعشرون حرفاً:-

ع. ح. هـ. خ. غ	حلقية
ق. ك	لهويتان
ج. ش. ض	شجرية
ص. س. ز	أسلية
ط. د. ت	نطعية
ظ. ذ. ث	لثوية
ر. ل. ن	ذلقية
ف. ب. م	شفوية
ي. و. ا [الهمزة]	هوائية (١)

(١) المحيط ج ١، ص ٥٩ - ٦٠.

وناقشنا ترتيب الصاحب بن عباد لأبواب كتابه وفق مخارج الحروف في تحليل مقدمة كتابه، وأشرنا إلى النظرات اللغوية التي تعدّ له والعثرات المنهجية التي تؤخذ عليه.

علم الصوتيات العام يدرس الصوت مجرداً، وقلما نجد أن ابن عباد قد وصف هيئة خروج الصوت وصفته وفق اندفاع الهواء أو حبسه، إذ لم يصف سوى صوت الهمزة والألف والحاء والهاء "الهمزة: صوت مهتوت في أقصى الحلق"<sup>(١)</sup> "وسميت الهمزة في الحروف لأنها تُهمز فتهمز عن مخرجها"<sup>(٢)</sup> "والألف اللينة هافية في الهواء"<sup>(٣)</sup>.

"الحاء حَرْفٌ من حُرُوفِ الحَلْق، ولولا بَحَّةٌ فيه لأشبهَ العين؛ لِقُرْبِ مخرجه من العين"<sup>(٤)</sup> "الهاء: حرف هَشٌّ لَيِّنٌ، وقد يجيء خلفاً من الألف الذي يبني على القطع"<sup>(٥)</sup>.

#### ب- علم الأصوات الوظيفي أو التشكيلي phonology

هو علم يدرس النظم الصوتية للغة ما، ويبين القواعد التي تضبط ذلك النظام، فالنظام الصوتي للغة العربية يقتضي أن لا تبدأ كلماتها بساكن، وإذا كان أول حرف في الكلمة ساكناً جلبت همزة الوصل حتى لا يبدأ بساكن، كما أن نظامها الصوتي يمنع أن يتوالى صامتان أو أزيد دون أن يفصل بينهما صانت طویل أو قصير.

فرّق العلماء المحدثون بين مصطلحين صوتيين؛ مصطلح الحرف ومصطلح الصوت؛ فالصوت؛ هو الصور النطقية المختلفة للحرف الواحد وهو ما يسمى عند الغربيين بـ Allophone، فالألف في كلمة (مال) لها صورة نطقية مغايرة عن صورتها في كلمة (طار) وصورة نطق الباء في كلمة (باب) مغايرة لصورة نطقها في كلمة (سبت)، فالألف في (طار) و (مال) صوتان Two Allophones، وكذلك في (باب) وفي (سبت) Two Allophones.

أما الحرف فهو أوسع من الصوت، إذ يقصد به الحرف الواحد على اختلاف صورته النطقية وهو ما يقابل بـ phoneme، فالألف وفق هذا المقياس تكون حرفاً واحداً وكذلك الباء، وقد اهتم علماء التجويد في الصوت والصور النطقية العديدة للحرف الواحد والقواعد التي يجب أن يضبطها القارئ في قراءة الصوت أو الصور النطقية المختلفة للحرف الواحد. أما المعجميون فلم يأبهوا بدراسة الصور النطقية للحرف الواحد Allophone وإنما قصرُوا دراساتهم على الحرف أو phoneme.

نص الصاحب على أن للحرف أو phoneme صوراً عديدة ومواقع مختلفة، فقد يكون الفونيم أو الحرف صائناً قصيراً مثل "وفي الدّين والأمرِ عِوَجٌ. وفي العصا عِوَجٌ"<sup>(٦)</sup>. ويكون الفونيم صائناً طويلاً النور: الضياء، والنير: الخشبة التي على عنق الثور باداتها<sup>(٧)</sup>.

(١) المحيط ج ٣، ص ٣١٨.

(٢) م.ن ج ٣، ص ٤٣٠.

(٣) م.ن ج ٤، ص ٧٣.

(٤) م.ن ج ٢، ص ٢٨٥.

(٥) م.ن ج ٤، ص ٩١.

(٦) م.ن ج ٢، ص ٩٣.

(٧) م.ن ج ١٠، ص ٢٥، ٢٥٢.

أو أن يكون أنصاف حركات، فالرَّوْب: اللَّبْنُ الرَّائِبُ والرَّيْبُ: الشُّكُّ وصَرَْفُ الدهر<sup>(١)</sup>. ويكون الفونيم صوتاً صامتاً وهو الغالب في العربية، فإذا أبدلت حرفاً مكان حرف آخر فإن معنى الكلمة سيتغير بالضرورة. فالصدر غير القدر، والفهم غير الفطم، والجُرم غير الجُرف.

ولمعرفة العامة بهذه الحقيقة كان يشير صاحب إلى المعاني الدقيقة التي يوجد بها تغيير الصامت أو الفونيم "الحَضُّ على الخير: كالحَثِّ: إلا أن الحَثَّ أجمع.."<sup>(٢)</sup> "المَدَّة: كالمَدْح: إلا أن المدَّة في نعت الجمال والهيئة، وذلك عام في كل شيء"<sup>(٣)</sup>.

الفارق بين علم الأصوات العام وعلم الأصوات الوظيفي ظاهر للعيان، إذ يهتم علم الأصوات الوظيفي بدراسة وظيفة الصوت في اللغة وفق تركيب معين، ولا يدرس الصوت مجرداً كحال الفوناتيک. ويدرس الفوارق المعنوية التي تظهر نتيجة اختلاف طول الحركة وقصرها مثل: الزَّرُّ<sup>(٤)</sup> والزرير<sup>(٥)</sup>، والخَلُّ<sup>(٦)</sup> والخال<sup>(٧)</sup>، والعدَّة<sup>(٨)</sup> والعود<sup>(٩)</sup>.

أما علم الأصوات العام فيرى أن الفرق بينهما أن الحركة في الكلمات الأولى قصيرة. والحركة في الكلمات الثانية طويلة، وترقيق الحرف وتفخيمه نتيجة اتصاله بحرف مفخم أو مرقق ومن أمثلة ذلك: السحب والصحب، والدرج والضرب، واللذُّ واللظُّ<sup>(١٠)</sup> والفطر والفتر<sup>(١١)</sup>. فعلم الأصوات الوظيفي يبين اختلاف المعنى الذي ظهر نتيجة اختلاف الأصوات أو الفونيمات، أما الفوناتيک فيركز على أن الصوت مفخم أو مرقق فقط لأنه يدرس الصوت مجرداً.

وعلم الصوتيات الوظيفي يتناول بالدراسة والتحليل القضايا الصوتية الناتجة عن ميل الإنسان إلى تخفيف الجهد النطقي الواقع على جهاز النطق.

نحن نعلم أن الإنسان يميل في كلامه إلى تخفيف الجهد النطقي، ولذلك يلجأ إلى حذف صوت أو تغيير صورة ذلك الصوت، أو قلب مكانه، أو استبداله بحرف آخر، أو تسكينه أو تخفيفه، تنبّه صاحب إلى التغيرات الصوتية التي يحدثها الإنسان لتقليل الجهد النطقي الواقع على جهاز النطق، ولكن ذلك الميل ليس اعتبارياً وإنما خاضع إلى قواعد صوتية يقتضيه النظام الصوتي للغة، ومن هاتيك التغيرات الصوتية:-

(١) المحيط ج ١٠، ص ٢٦٤، ٢٦٦.

(٢) م.ن ج ٢، ص ٢٩٧.

(٣) م.ن ج ٣، ص ٤٥٤.

(٤) م.ن ج ١٠، ص ٨.

(٥) م.ن ج ١٠، ص ٨٣.

(٦) م.ن ج ٤، ص ١٧٤.

(٧) م.ن ج ٤، ص ٤١٠.

(٨) م.ن ج ١، ص ٨٦.

(٩) م.ن ج ٢، ص ١٢٨.

(١٠) م.ن ج ١٠، ص ١١، اللظ: الطرد.

(١١) م.ن ج ٩، ص ٤٢٦، الفتر: ما بين طرف الإبهام وطرف المشيرة.

## ١- حذف أحد حروف أو أصوات الكلمة.

نفرت العربية من نطق صوتين متتاليين يكون مخرجهما واحداً، ولهذا لم نجد مضاعفاً ثنائياً مكوناً من حرفين حنجريين أو شفويين، فقد انعدم ثنائي مكون من العين والحاء أو العين والهاء وغيرها.

عرض صاحب إلى كلمات حذفت لامها، ودلل على ذلك الحرف المحذوف بوساطة علم الصرف معتمداً على ذكر تصغير تلك الكلمة أو جمعها.

- كلمة شفه: قال صاحب: "الشَّفه: حذفت منها الهاء، وتصغيرها شُفِيهَةٌ"<sup>(١)</sup>

من قول صاحب السابق نتبين أن الهاء حرف أصلي في كلمة شفه، وأنها لام الكلمة لأن صاحب وضع هذه الكلمة ضمن كلمات تقلب الهاء والشين والفاء، وأن تصغيرها شُفِيهَةٌ كما أن جمعها شُفُهَات وشُفَوَات<sup>(٢)</sup>.

قلنا إن العربية تنفر من توالي صوتين متتاليين من مخرج واحد، والذي دعا العرب إلى حذف لام الكلمة؛ أن الهاء صوت حنجري احتكاكي مهموس، وأن تاء التانيث إذا سكنت أصبحت صوتاً مماثلاً لصوت الهاء الحرف الأصلي، فيصبح العربي كأنما ينطق هاءين متتاليتين (شفهه). ولكي يتخلصوا من نطق صوتين متماثلين متتاليين حذفوا لام الكلمة وأبقوا على التاء لأنها علامة التانيث.

وما قلناه عن (شُفَّة) نقوله عن (سَنَّة)<sup>(٣)</sup> إذا افترضنا أن لامها هاء، وكلمة جر<sup>(٤)</sup> إذا كانت لامها حاء.

ورأينا صاحب يكرر الرأي نفسه في كتابه الكشف عن مساوئ شعر المتنبّي عندما اعتبر تكرار الهاء<sup>(٥)</sup> والحاء في كلمة واحدة عيباً يُقدح به المتنبّي ".. قال: اعلم أن أحد ما يُحتاج إليه في الشعر سلامة حروف اللفظ من الثقل، وهذا التكرير في "أمدحه أمدحه" مع الجمع بين الحاء والهاء مرتين وهما من حروف الحلق خارج عن حد الاعتدال نافر كل النفار"<sup>(٦)</sup>.

٥٤٥٥٢٤

## ٢- الهمز

تعد الهمزة من الحروف العربية التي يطراً عليها تغيرات صوتية وصرفية غير قليلة، فهي تبدل من الهاء مثل: (أراق، وهراق)، وتبدل من العين مثل: (عَنك، وإنك)، وتبدل من أحد أحرف العلة إذا سبقت بحرف مد زائد (بائع، وبايغ) و (عجائز، وعجاوز)، وتحذف في مبان عديدة، ولذلك اعتبرها صاحب حرفاً من حروف العلة، وقد بينا موقف صاحب هذا في الفصل الأول من الباب الأول.

دارت الأمثلة المهموزة التي أوردتها صاحب في عدة محاور:

(١) المحيط ج٣، ص ٣٩٥.

(٢) التهذيب ج٦، ص ٨٦.

(٣) التهذيب ج٦، ص ١٢٧ - ١٢٩.

(٤) المحيط ج٣، ص ١٩٥.

(٥) لا يؤيد البحث صاحب أن الهاء صوت حلقي وإنما هي صوت حنجري.

(٦) الكشف عن مساوئ شعر المتنبّي، ص ٣٤ - ٣٥.

أولاهها: إذا كانت الهمزة حرفاً أصلياً لا يجوز قلبها إلى حرف آخر، نَبّه الصاحب على أن هذه الكلمة مهموزة.

"الْحَتَّى: حَطَّ المتاع عن الإبل - مهموز" (١) "المكافأة - مَهْمُوز - مجازاة النعم، كافأته أكافئه" (٢).

ولما كانت الهمزة حرفاً أصلياً ولم تبدل إلى حروف أخرى في الصيغ المشتقة من المادة الأصلية أفرد لها الصاحب تغليات بعينها أمثال: حَضاً (٣)، وَحَطّاً (٤)، وَهَزّاً (٥)، وَشَقّاً (٦)، وَزّاً (٧).

ثانيها: لميل الإنسان لتخفيف الجهد النطقي ترك الهمز، واستبدل بالهمزة حرفاً آخر، ولا يعني هذا القول أن ترك الهمز مقتصر على اختلاف القبائل؛ أي أن قبيلة تهمز وقبيلة أخرى لا تهمز، وإنما قد يكون الهمز وتركه في القبيلة نفسها؛ لأن بعض أبنائها يميلون إلى ترك الهمز لما فيه من تخفيف على جهاز النطق، ولا سيما أن ترك الهمز لا يغير معنى اللفظة، أدرك الصاحب هذه الحقيقة الصوتية في عدد كبير من ألفاظ تقاليبه، فإذا جاز في الفعل الهمز وتركه؛ أي أن تقلب الهمزة إلى حرف آخر، أتى بالفعل بصورتيه المهموزة وغير المهموزة مردفاً إياهما بكلمة مهموز.

وقد غلب عليه أن يبدأ بالفعل غير المهموز، ومن ذلك قوله: "حزاً السراب الشيء يحزوه: دفعه، وكذلك حزأه - مهموز" (٨) "النيطل: الداهية الشنعاء، وكذلك الننطل" (٩) "ذراً أرضه يذروها: إذا بذرها، وقد يهمز" (١٠). ومما يؤيد أن الهمز وتركه كان موجوداً في القبيلة نفسها؛ أن الصاحب لم يُشر إلى أن هذه الظاهرة في الألفاظ السابقة عائدة إلى اختلاف اللغات، وإن الهمز لغة وتركه لغة أخرى.

وإذا جاز في ألفاظ تقلب الهمز وتركه - وكانت الهمزة حرفاً أصلياً في التقليل - نوه الصاحب بجواز النطقين كليهما، ففي تقلب (حلاً) الهمزة أصلية فيه، إلا أن هنالك لفظة من ألفاظه يجوز فيها الهمز وتركه "حَكَيْتَ شَفْتَهُ تَحَلّاً حَلّاً: إذا شرب فخرج بها الحلاً الذي يقال له: قبة الحمى، ومنهم من لا يهمزه" (١١).

ثالثها: ظاهرة الهمز في العربية تعود في معظم ألفاظها إلى اختلاف اللغات، فهنالك قبائل ترغب في تخفيف الجهد النطقي، فتنأى عن همز الألفاظ، وهنالك قبائل تبقى على الهمز ويكون صفة ملازمة لها، وإذ حفل معجم المحيط بالألفاظ التي يترك همزها

(١) المحيط ج ٣، ص ٨٤.

(٢) م. ن. ج ٦، ص ٣٣٦.

(٣) م. ن. ج ٣، ص ١٥٢.

(٤) م. ن. ج ٣، ص ١٧٤.

(٥) م. ن. ج ٤، ص ٣٧.

(٦) م. ن. ج ٥، ص ٤٥٩.

(٧) م. ن. ج ٩، ص ٧٧.

(٨) م. ن. ج ٣، ص ١٦٩.

(٩) م. ن. ج ٩، ص ١٧٦.

(١٠) م. ن. ج ١٠، ص ٩٥.

(١١) م. ن. ج ٣، ص ٢٠٧.

عند بعض القبائل مع أن هنالك قبائل قد أبقت عليه .. وهذا فعل ذاك وهاذاً فعل ذاك: لغة لبني أسد<sup>(١)</sup> "الأقز: لغة في الوقر؛ من العجلة"<sup>(٢)</sup>.

رابعها: إذا شاع الهمز في لفظة ما، وروي أن العرب الأقحاح تركوا همزها تتبعتها ونبتة عليها باللفظ.

"أقطارُ النبت: يبسٍ مهموز - والصحيح أنه غير مهموز"<sup>(٣)</sup> "تراً الله الخلق يذروهم: أي خلقهم، والذرية من ذلك إلا أنهم تركوا الهمز"<sup>(٤)</sup>.

خامسها: المحاور الأربعة السابقة التي دارت حول قضية الهمز في العربية تناولتها في الألفاظ التي إذا ما ترك همزها لم يحدث تغيير جذري على معناها، لكن هنالك ألفاظاً إذا ترك همزها أحدث تغيير على معناها الذي اكتنفته، فمعنى اللفظة المهموزة مغاير لمعنى اللفظة غير المهموزة وإن تماثلا في البنية.

"الموق: مؤخر العين، وجمعه أمواق، ومن همز أمواق، والمواق، والجميع الماقي: مقاديمها"<sup>(٥)</sup> "السماء: سقف كل بيت، وتثنيته سموان، ويقال للتثنية من السماء من المطر: سماءان"<sup>(٦)</sup>.

٣- التسكين.

اتفق معظم علماء العربية أن تسكين الحرف أخف من جعله متحركاً، فتسكين الحرف إذن؛ طريقة يلجأ إليها المتكلم لتخفيف الجهد النطقي الواقع على جهاز النطق. رأى صاحب أن هذه الظاهرة موجودة عند أبناء القبيلة نفسها، وعند أبناء القبائل المختلفة، فبعضهم يحرك ساكناً ويسكن متحركاً، ومستصفي موقف صاحب من ظاهرة التسكين يدور في ثلاثة محاور:

أولها: أن ظاهرة التسكين سنة من سنن العرب في كلامها، يلجأ العربي إليها أئى شاء وكيفما شاء، فأبناء القبيلة نفسها يرون أن من حقهم تسكين حرف ما أو تحريكه إذا لم يؤد هذا الحق إلى تغيير معنى اللفظة.

"لقبته أول وهلة وهلة أي أول شيء، وأول وأهلة"<sup>(٧)</sup> "الخصلة والخصلة والجميع الخصال: حالات الأمور"<sup>(٨)</sup>.

ثانيها: إن لاختلاف اللغات دوراً كبيراً في شيوع ظاهرة التسكين وعدمها في العربية "الوهن: الضعف في العمل؛ والعظم ونحوه،.. والوهن لغة فيه"<sup>(٩)</sup> "الرقص والرقصان والرقص: لغات"<sup>(١٠)</sup>.

(١) المحيط ج ٤، ص ٥٣.

(٢) م ن ج ٩، ص ١٠٠.

(٣) م ن ج ٥، ص ٣١٦.

(٤) م ن ج ١٠، ص ٩٣.

(٥) م ن ج ٦، ص ٥٦.

(٦) م ن ج ٨، ص ٤٠٦ - ٤٠٧.

(٧) م ن ج ٤، ص ٦٣.

(٨) م ن ج ٤، ص ٢٤٨.

(٩) م ن ج ٤، ص ٧١.

(١٠) م ن ج ٥، ص ٢٦٤.

ثالثها: إن التسكين في ألفاظ عديدة ليس سنة من سنن العرب في كلامها، فيؤدي تسكين متحرك، أو تحريك ساكن إلى تغيير في معنى الألفاظ، ولذلك نبه صاحب على الاختلافات بين الألفاظ المسكنة وبين الألفاظ المتحركة ذات البنى المتقاربة.

".. رجل سُخَّرَ: يسخر بالناس، وسُخَّرَ: يُسخر منه"<sup>(١)</sup> والسَّمَر: سدك الشيء بالمسمار. والسَّمَر؛ حديث القوم بالليل<sup>(٢)</sup>.

#### ٤- التخفيف والتثقيب.

درجنا على أن معنى التخفيف؛ هو إزالة التضعيف عن الحرف المراد تخفيفه، لكن قراءة معجم المحيط ومناقشة صاحب لهذا المفهوم تبين أن هنالك ثلاثة معانٍ للتخفيف:

أولها: المعنى المعروف لدينا، وهو إزالة التضعيف عن الحرف المراد تخفيفه إذا ما أريد تخفيف الجهد النطقي "بَخَّ: كلمة تقال عند الإعجاب بالشيء وقد تخفف"<sup>(٣)</sup> "القوصرة: وعاء من قصب للتمر، ويخفف"<sup>(٤)</sup>.

ثانيها: أن التخفيف يعني تسكين الحرف المتحرك في اللفظة "الحلقة بالتخفيف:- حلقة القوم، والجميع، الحلق، ومنهم من يُثقله"<sup>(٥)</sup>.

ثالثها: تليين حرف الهمزة؛ أي إرجاع الهمزة إلى الحرف الذي قلبت عنه.

"المشيء ممدود- والمشو: ما يستطلق به البطن، يقال استمشى فلان: شرب دواء المشي. ويلين فيقال: شربت مشوًا ومشياً ومشاءً ومشوا. وامتشيت: بمعنى استمشيت بالدواء"<sup>(٦)</sup> "الضدأ: الغضب، ضديّ ضدأ وضدأ مخفف"<sup>(٧)</sup>.

ويخفف نطق اللفظة حينما تحذف الهمزة الحرف الأصلي من اللفظة كذلك (وقولهم من رأيت: يرى؛ هو في الأصل: يراى؛ ولكنه خفف)<sup>(٨)</sup>.

وسائل التخفيف التي أتاحتها العربية لمتكلميها تقتضي أن هنالك ثلاث وسائل يستطيع العربي بوساطتها أن يثقل أحد حروف ألفاظها، فمفهوم التثقيب مضاد تماماً لمفهوم التخفيف، فهو يعني؛ تشديد أحد أحرف اللفظة "هوي: تصغير هو، ويشدد الواو من هو وهي"<sup>(٩)</sup>.

أو تحريك ساكن .. وقيل: الحلقة من القوم مخففة-، والحلقة من الحديد- منقلة"<sup>(١٠)</sup>.

(١) المحيط ج ٤، ص ٢٦١.

(٢) م-ن ج ٨، ص ٣١٩.

(٣) م-ن ج ٤، ص ١٨٥.

(٤) م-ن ج ٥، ص ٢٦٠.

(٥) م-ن ج ٢، ص ٣٥٥.

(٦) م-ن ج ٧، ص ٣٩٩.

(٧) م-ن ج ٨، ص ٣٦.

(٨) م-ن ج ١٠، ص ٢٩٨.

(٩) م-ن ج ٤، ص ٩٧.

(١٠) م-ن ج ٢، ص ٣٥٥.

أو همز أحد أحرف العلة، وهذه الوسيلة قلما يلجا إليها العربي؛ لأن الإنسان يميل إلى تقليل الجهد في النطق، وهمز الألفاظ يتطلب جهداً إضافياً لنطقها؛ لأنها صوت انفجاري حنجري، ووجود الهمز في بعض الألفاظ التي تُرك همزها يعود في معظمه إلى اختلاف اللغات، ومن ذلك: أَحَدُ المَأخُذَةِ من وَحَدٌ، وإِرْثُ المَأخُذَةِ من وِرْثٌ.

موقف صاحب من مفهومي التثقيب والتخفيف دار في ثلاثة محاور، حاله حال موقفه من التسكين:-

أولها: إن التخفيف والتثقيب سنة من سنن العرب في كلامها، يتصرف العربي في تخفيف ألفاظه وتثقيبها متى شاء وكيفما شاء، وهذا القول يقتضي أن أبناء القبيلة نفسها كانوا يلجؤون إلى تخفيف ألفاظ قد ثقلوا أحد أحرفها.

"الهدّي يخفف ويتقل - ما أهدى الإنسان إلى مكة من النعم" (١) "اللذان: مثقل بمعنى المخفف" (٢).

ثانيها: يؤثر اختلاف اللغات تأثيراً واضحاً في بينونة هذه الظاهرة واستمرارها "الدم: لغة في الدم - خفيف" (٣) "الذي يتشديد الياء - لغة في الذي" (٤).

ثالثها: دقق صاحب النظر في المعاني التي تستحدث أو تستجد على اللفظة إذا ما ثقلت؛ لأن التثقيب إذا أحدث دلالة جديدة، فيعني ذلك أنه من وسائل توسع اللغة العربية لفظياً ودالياً.

"قَطٌ خفيفة - بمعنى حَسَبٌ،.. وأما قَطٌ: فإنه الأبد الماضي، ورفع لأنه غاية" (٥)  
"المصَيصة: من ثغر الروم، والمصَيصة: القصعة" (٦) "وإذا شويت قلت: صليتُه صلياً.  
وإذا ألقيته في النار قلت: صليتُه أصليته تصلياً، وأصليته إصلاء" (٧).

#### ٥ - القلب المكاني.

قد يحار القارئ في السبب الذي جعلنا نضع القلب اللغوي ضمن قضايا المستوى الصوتي ولا سيما أن القلب لا يُحذف منه حرف ولا يستبدل بحروفه أخرى تكون أيسر في النطق، فنقول: إن السبب الذي دعا لوضع القلب ضمن المستوى الصوتي؛ أن العلماء (٨) قد عرّفوا القلب؛ بأنه تقديم حرف أو تأخير آخر في الكلمة مع احتفاظها بالمعنى نفسه وإن وجد تغيير على معنى تلك الكلمة المقلوبة، فإن التغيير المعنوي سيكون طفيفاً

(١) المحيط ج ٤، ص ٤٣.

(٢) م ن ج ١٠، ص ١١٧.

(٣) م ن ج ٧، ص ٢٧٢.

(٤) م ن ج ١٠، ص ١١٧.

(٥) م ن ج ٥، ص ١٩٤.

(٦) م ن ج ٨، ص ١٠٢.

(٧) م ن ج ٨، ص ١٨٥.

(٨) ابن سيده، المخصص، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت - لبنان دت، ج ١٣، ص ٢٦٧، وانستاس مارى الكرملى، نشوء اللغة العربية صص ١٦، وجورجي زيدان، الفلسفة اللغوية ص ٣٣، الراقعي، تاريخ آداب العرب، تحقيق: محمد سعيد العريان، ط ٢، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٩٤٠، ج ١، ص ١٨٦، ورمضان عبد التواب، لحن العامة، ط ١، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٦٧م، ص ٤٨، سليمان أبو غوش، عشرة آلاف كلمة انجليزية من أصل عربي، ط ١، الكويت، ١٩٧٧م، ص ٤٣.



ومحدوداً، ضمّن الصاحب تَقْلِيْب (قَلْب) التعريف نفسه إذ قال: "وتحويلك الشيء عن وجهه: قلب، تقول: كلام مقلوب، قلبته فانقلب، وقلبته فتقلب"<sup>(١)</sup>، ومن الأسباب التي دعت لوضع القلب ضمن الوسائل التي يلجأ إليها الإنسان لتخفيف الجهد النطقي؛ رأي الصاحب وجل العلماء - المتقدمين عليه<sup>(٢)</sup> واللاحقين به<sup>(٣)</sup> - أن القلب سنة من سنن العرب يلجأ إليها العربي في كلامه اليومي دون قيد أو شرط، ويظهر رأي الصاحب هذا في أمثلة كثيرة من معجمه. "امرأة شَهْرَبَة: بمعنى الشَهْبَرَة وهي الكبيرة"<sup>(٤)</sup> "الطَلْسَاء والظَلْمَسَاء: الظلمة"<sup>(٥)</sup>.

ورأى الصاحب أن للغات أثراً ظاهراً في نشر ظاهرة القلب واتساعها في العربية، ولهذا أورد ألفاظاً مقلوبة يعود سبب قلبها إلى اختلاف اللغات.

"المَصْدُّ: لغة في صَمْدِ الرأس لغة يمانية"<sup>(٦)</sup> "الجَبْدُ: لغة في الجَبْر لتمييم"<sup>(٧)</sup> ورأيه هذا مطابق لرأي أستاذه ابن فارس في باب اختلاف لغات العرب في كتابه الصاحب<sup>(٨)</sup>.

ولم نجد لغوياً عدا ابن جنّي يضع مقاييس لتحديد الفرع من الأصل في الألفاظ المقلوبة، رجّح ابن جنّي أصلية عدد كبير من المقلوب إذا ما طبق مقياسه اللذان وضعهما في تحديد الأصل من الفرع وهما؛ التصرف<sup>(٩)</sup> والاستعمال<sup>(١٠)</sup>.

ولم نجد الصاحب يردد مقولة أستاذه ابن فارس<sup>(١١)</sup> أن الألفاظ المقلوبة فرّوع لا يقاس عليها.

لم يقصر الصاحب القلب على الأحرف الصحيحة، بل جعله يطوّق أحرف العلة ولا سيما الألفاظ المنقوصة التي تحولت فيها لام الألفاظ إلى عينها بعد أن انقلبت لام اللفظة همزة "الترْقُوة - على فَعْلُوة -: عظم وصل بين ثغرة النحر والعائق من الجانبين. ويقال للترائي ترائق؛ على القلب، وترقيت الرجل: أصبت ترقيوته"<sup>(١٢)</sup> "اللَّوْث: إدارة الإزار مرتين. ويقال: لاثٍ ولائثٌ - على القلب -"<sup>(١٣)</sup>.

(١) المحيط ج ٥، ٤٣٥.

(٢) الأصمعي: نكرة السيوطي المزهري ج ١، ص ٤٧٨، وأبو عبيد في القريب المصنف (لم يطبع الجزء الثالث من القريب المصنف لذا اعتمدت المزهري ج ١، ص ٤٧٩، وابن قتيبة في أدب الكاتب، تحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط ٤، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٩٧٣، ص ٣٨١-٣٨٣، وابن دريد في الجمهرة، طبعة جديدة بالأوقست، ط ١، مكتبة المثني، بغداد، ١٣٤٥م، باب الحروف التي قلبت ج ٢، ص ٤٣١.

(٣) ابن فارس، الصاحب ص ٢٠٢ - ٢٠٣، ابن سيده، المخصص ج ١٣، ص ٢٦٧، والسيوطي، المزهري ج ١، ص ٤٨١.

(٤) المحيط ج ٤، ١٢٢.

(٥) م ن ج ٨، ص ٤٢٦.

(٦) م ن ج ٧، ص ٤٦٠.

(٧) م ن ج ٧، ص ٧٠.

(٨) الصاحب، ص ٤٨ - ٤٩.

(٩) الخصائص ج ٢، ص ٧١ - ٧٣.

(١٠) م ن ج ١، ص ٧٦.

(١١) المقاييس ج ٥، ص ٤٢.

(١٢) المحيط ج ٥، ص ٣٦٣.

(١٣) م ن ج ١٠، ص ١٧٤.

ورأي البصريين يماثل هذه الواجهة في أن القلب لا يكون إلا في أحرف العلة ولا سيما الأسماء المنقوصة، ولم يؤيدوا الكوفيين في مذهبهم؛ أن القلب يقع على الأحرف الصحيحة لأن الكلمتين أصلان لا فرع عن أصل، وأنهما لغتان لا لغة واحدة، فالقلب في مجمله عائد عند البصريين إلى اختلاف اللغات، ويظهر مذهبهم في قول النحاس في شرح المعلقات: "القلب الصحيح عند البصريين مثل شاكي السلاح وشائك، وجرف هار وهائر، وأما ما يسميه الكوفيون القلب نحو جذب وجذب، فليس هذا بقلب عند البصريين، وإنما هو لغتان.." (١).

انفرد ابن جنبي بين الأسبقين في قوله: أن للقلب أثراً في توسع اللغة العربية، لكن العربي لا يلجأ إليه إلا اضطراراً: "أما ما طريقه الإقدام من غير صنعة فنحو ما قدّمناه أنفاً من قولهم: ما أطيبه وأيطبه،.. فهذا ونحوه طريقه الاتساع في اللغة من غير تلت ولا صنعة، ومثله موقوف على السماع ليس لنا الإقدام عليه من طريق القياس" (٢).

وتبعه في ذلك معظم المحدثين أمثال: جورجى زيدان (٣)، والأب انستاس مارى الكرملى (٤)، وإبراهيم أنيس (٥)، ولم يناقض رأيهم سوى عبد الله العلايلي الذي رأى أنه من

أسباب تجمد اللغة (٦).

ولعل رأي صاحب وجمهور اللغويين أقرب إلى واقعنا اللغوي المعاصر، إذ نسمع أعطى وأطعى، وزوج وجوز، وعربون ورعبون في البيئة اللغوية الواحدة، والذي يؤيد هذا المذهب أن القرآن الكريم خال تماماً من الكلمات المقلوّبة، لأنها سنة صوتية إنسانية يلجأ إليها الإنسان بهدف تقليل الجهد النطقي، وهذا لا يعني أننا ننفي أن يكون لاختلاف اللغات دوراً في إيجاد ألفاظ مقلوّبة. أما رأي ابن جنبي فيمكن أن يعدّ صحيحاً إذا ما طبقناه على النصوص المكتوبة ولا سيما أن الكلمات التي تناقلها المؤلفون في كتبهم هي ألفاظ سماعية غير قياسية، وقد أنكر ابن درستويه ظاهرة القلب في كتابه "إبطال القلب" (٧).

ودراسة الألفاظ المقلوّبة المستنتجة من المحيط وإن لم يكن صاحب قد أشار إلى أنها مقلوّبة تجعلنا نأخذ عليه في تبويبه لها مأخذين رئيسيين:-

أولهما: قد يتماثل معنيان في كلمتين طراً عليهما قلب، لكن صاحب لا يشير إلى ذلك القلب وإنما يضع كل كلمة في تقليب منفصل عن تقليب الآخر، على الرغم من أن معاني التقليبين لا يتماثلان إلا في كلمة أو كلمتين.

(١) ذكره السيوطي في المزهري ج ١، ص ٤٨١.

(٢) الخصائص ج ٢، ص ٩٠.

(٣) جورجى زيدان، الفلسفة اللغوية، ص ١٣.

(٤) انستاس الكرملى، نشوء اللغة العربية، ص ١٤.

(٥) عد إبراهيم أنيس القلب من طرائق تنمية اللغة في كتابه أسرار اللغة إلا أنه لم يعرضه ولم يناقشه، أسرار اللغة، ط ٣، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ص ٥٣.

(٦) عبد الله العلايلي، مقدمة لدرس لغة العرب، ص ٢١٥.

(٧) ذكره السيوطي في المزهري ج ١، ص ٤٨١.

ذكر صاحب في تَقْلِيْب (حَجَّ): "الْحَجَّجَةُ: النُّكُوصُ"<sup>(١)</sup>، وكرر المعنى نفسه في تَقْلِيْب (جَجَّ) "وَجَجَّجْتَ عَنِ الْأَمْرِ: نَكَصْتُ عَنْهُ، كَذَا حَكِي"<sup>(٢)</sup>، وفي تَقْلِيْب نَضَبُ<sup>(٣)</sup> قَالَ: إن معنى نَضَبُ الْمَاءِ؛ ذَهَبَ فِي الْأَرْضِ، وَيُكْرَرُ الْمَعْنَى نَفْسَهُ فِي تَقْلِيْب (نَبَضَ)<sup>(٤)</sup>، وَقَالَ فِي تَقْلِيْب (صَمَخَ)<sup>(٥)</sup>: إِنْ الشَّمْسُ صَمَخَتْنا أَيْ لَفَحَتْنا، وَكُرِّرَ الْمَعْنَى نَفْسَهُ فِي تَقْلِيْب (صَخَمَ)<sup>(٦)</sup>.

اللافت للنظر أن حجَّ وججَّ، ونضب ونبض، وصمخ وصخم، لا تشترك معاني موادها إلا في المعنى الذي كرره صاحب في التقليبين المختلفين، والمنهج القويم يقتضي أن يقول صاحب: إن معنى حجَّ؛ نكص ومثلها ججَّ في الأمر، وأن نبض الماء مماثل لمعنى تَقْلِيْبِهِ نَضَبُ الْمَاءِ، وَأَنْ صَمَخَتْنا الشَّمْسُ؛ لَفَحَتْنا وَصَخَمَتْنا الشَّمْسُ مَقْلُوبَةٌ عَنْهُ.

ثانيهما: كثرة التقليلات عند صاحب مع أن عددا لا بأس به منها يمكن رده إلى تَقْلِيْبٍ قَدْ ذُكِرَ سَابِقًا، فِلاَعْتِمَادِ الصَّاحِبِ عَلَى الْخَارِزْنَجِيِّ وَالْأَلْفَاظِ الَّتِي انْفَرَدَ بِهَا جَعَلْتَهُ يَفْرِدُ أَلْفَاظًا مَحْدُودَةً بِتَقَالِيْبٍ خَاصَّةٍ، مَعَ أَنَّ مَعْظَمَ تِلْكَ الْأَلْفَاظِ يَعُودُ ظُهُورُهَا إِلَى الْقَلْبِ اللَّغَوِيِّ وَلَا سِوَمَا أَنَّ مَعَانِي تِلْكَ الْأَلْفَاظِ الْقَلِيلَةَ الَّتِي انْفَرَدَتْ فِي تَقْلِيْبٍ خَاصٍ مِمَّا تِلْكَ لِمَعَانِي أَلْفَاظٍ ذُكِرَتْ فِي تَقَالِيْبٍ غَزِيرَةٍ الْأَلْفَاظِ.

أفرد صاحب لفظة (نَعَثَ) فِي تَقْلِيْبٍ خَاصٍ فَقَالَ: "وَحَكَى الْخَارِزْنَجِيُّ: الْمُنْعَيْتُ: الْجَادِ فِي الْعَمَلِ الْمُنْكَمِشِ"<sup>(٧)</sup>، وَنَمِيلٌ إِلَى أَنَّ هَذِهِ اللَّفْظَةُ فِرْعٌ مَنقَلَبٌ عَنِ الْأَصْلِ؛ لِأَنَّ الْأَلْفَاظَ الَّتِي اسْتَقَتْ مِنْ هَذَا التَّقْلِيْبِ نَادِرَةٌ، عِدا أَنَّ مَعْنَى هَذِهِ اللَّفْظَةُ وَرَدَ فِي تَقْلِيْبِ (عَثَنَ) ذِي الْأَلْفَاظِ الْعَدِيدَةِ وَالْبَنِي الْغَزِيرَةِ "وَعَثَنَ فِي الْعَمَلِ يَعَثُنُ وَيَعَثُنُ عَثُونًا: دَابَّ وَاجْتَهَدَ"<sup>(٨)</sup> وَوَضَعَ (زَبَغَ) فِي تَقْلِيْبٍ خَاصٍ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَذْكَرْ فِيهِ سِوَى اسْمٍ وَاحِدٍ "الْخَارِزْنَجِيُّ: خَذَهُ بِزَبْغِهِ: أَي بِجَمَلْتِهِ وَحَدَّثَانَهُ"<sup>(٩)</sup>، وَهَذَا الْمَعْنَى تَضَمَّنَتْهُ تَقْلِيْبِ (زَغَبَ) ذُو الْأَلْفَاظِ الْعَدِيدَةِ وَالْمَشْتَقَاتِ الْكَثِيرَةِ "وَأَخَذَهُ بِرُغْبِهِ: أَي بِحَدَّثَانِهِ"<sup>(١٠)</sup>.

ومعجم المحيط محشو في التقليب ذات الألفاظ المنفردة التي يمكن ردها إلى تقليب أخرى تمتاز بغزارة المادة ولا سيما أن معانيها متماثلة.

(١) المحيط ج ٢، ص ٢٩٢.

(٢) م. ن ج ٢، ص ٢٩٣.

(٣) م. ن ج ٨، ص ٢١.

(٤) م. ن ج ٨، ص ٢٧.

(٥) م. ن ج ٤، ص ٢٥٤.

(٦) م. ن ج ٤، ص ٢٥٦.

(٧) م. ن ج ٢، ص ١١.

(٨) م. ن ج ٢، ص ١٢.

(٩) م. ن ج ٥، ص ٢٨.

(١٠) م. ن ج ٥، ص ٢٨.

## ٦- الإبدال.

يعد الإبدال من أظهر الوسائل الصوتية التي يلجأ إليها المتحدث بغرض تقليل الجهد النطقي الواقع على جهاز النطق، وذكر العلماء<sup>(١)</sup> تعريفات عديدة للإبدال إلا أن مجملها ينضوي تحت فكرة واحدة تنص على أن الإبدال؛ وضع حرف مكان حرف آخر في الكلمة الواحدة، ويغلب أن يكون هذان الحرفان المبدلان متفقين في المخرج، أو في الصفة، أو في كليهما دونما تغيير في معنى الكلمة المبدلة، وقد يوجد الإبدال تغيراً طفيفاً على المعنى، ومثال ذلك: كَمَحَ وكَبَحَ وَأَكْبَحَتْهُ وَأَكْمَحَتْهُ<sup>(٢)</sup>، وَحَصَدَ يَحْصِدُ في معنى عَصَدَ؛ أي مات<sup>(٣)</sup>.

نحن نعلم أن الإبدال نوعان، الإبدال اللغوي الذي سبق تعريفه، والإبدال الصرفي الذي يقع في مباني الكلم المختلفة - وإن كنت أميل إلى أن يسمى الإبدال الصوتي - غير أن صاحب لم يعرض له بوصفه قضية صوتية أو صرفية، لذا سأقصر القول على النوع الأول فيه.

لم يتناول صاحب الإبدال بوصفه قضية لغوية صوتية تحتاج إلى كشف وتبيين، وإنما أورد أمثلة الإبدال دون أن يشير إلى أنها إبدال باللفظ الصريح، إذ ترك للباحت أن يستنتج رؤيته تجاه هذه القضية بوساطة رصد أمثلة معجمه التي تماثلت معانيها وتبادلت الأحرف فيما بينها، وإشارات صاحب للإبدال مقتصرة على استعماله لكلمة (بمعنى واحد) مثال: "ويقولون: أما والله وهماً والله: بمعنى واحد"<sup>(٤)</sup>، وكلمة (بمعنى) "صَمَاتُ الجيش على بني فلان بمعنى صَبَاتُ-: إذا أتاهم بالجيش، وصَمَاتُ أنا بنفسي وانصمات"<sup>(٥)</sup>، وكلمة (مثل) "لَثَدْتُ القصة بالثرِيد: مثل رثدت"<sup>(٦)</sup>، أو بكلمة (منزلة) "خَطَّ في نومه بمنزلة غَطَّ"<sup>(٧)</sup>.

وأمثلة معجم المحيط ثري الباحث، أن صاحب يقول: إن الإبدال سنة من سنن العرب في كلامها، يلجأ إليه العربي متى أراد أن يخفف الجهد النطقي عليه، وهذا جلسي في "الجَزْم بمعنى الجِزْب، وهم الأَحْزَام والأَحْزَاب"<sup>(٨)</sup> "ولله قَصِيص وكَصِيص: أي صوت"<sup>(٩)</sup> وموقفه هذا مماثل لمعظم اللغويين<sup>(١٠)</sup> الذين ألفوا في هذا الموضوع.

(١) انظر تعريف الإبدال عند ابن سيده في المخصص ج ١٣، ص ٢٦٧، وحفني ناصف، مميزات لغات العرب، ط ١، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ١٣٠٤هـ، ص ١١، وجورجي زيدان في الفلسفة اللغوية ص ٣٤، والأب انستاس الكرملي، نشوء اللغة العربية ص ١٨، والرافعي في تاريخ آداب العرب ج ١، ص ١٨٤، وسليمان أبو غوش، عشرة آلاف كلمة إنجليزية من أصل عربي ص ٥٠.

(٢) ابن السكيت، الإبدال، تحقيق: حسين محمد شرف، مراجعة علي النجدي ناصف، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٩٧٨، ص ٧٥.

(٣) المحيط ج ٢، ص ٤٥٢.

(٤) م. ن. ج ٤، ص ٨٤.

(٥) م. ن. ج ٨، ص ٢٠٨.

(٦) م. ن. ج ٩، ص ٢٨٣.

(٧) م. ن. ج ٤، ص ١٦٤.

(٨) م. ن. ج ٣، ص ١٧.

(٩) م. ن. ج ٥، ص ١٨٧.

(١٠) ابن السكيت في كتابه الإبدال، وأبو الطيب اللغوي في كتابه الإبدال، مطبوع بجزأين، تحقق: عز الدين التوخي: من مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٦٠م، وابن فارس في كتابه الصحاحي ص ٢٠٣ - ٢٠٤، والسيوطي في المزهر ج ١، ص ٤٦٠-٤٧٤.

لم يُرجع الصاحب ومن ألف في الإبدال من اللغويين<sup>(١)</sup> جميع أمثلة الإبدال إلى أنه سنة من سنن العرب في كلامها، وإنما رأوا أن عدداً كبيراً من الألفاظ المبدلة يعود فسي حقيقته إلى اختلاف اللغات، وموقف الصاحب هذا يظهر في مواضع كثيرة من معجمه فمنها:

الإبدال بين الواو والباء "الواشِقُ لغة في الباشِق" (٢)، والإبدال بين اللام والهمزة "الأصْف: لغة في اللصْف" (٣).

البحث المتأنى المبني على أسس علمية المستند إلى نظام اللغة وواقع نطق أبنائها لأصواتها يضطر الناظر في موضوع الإبدال في العربية إلى القول: أن معظم الألفاظ التي طرأ عليها إبدال في العربية عائد إلى التغير الصوتي، أو إلى ميل الإنسان إلى تخفيف الجهد النطقي، فعندما قال الأقدمون: إن الإبدال سنة من سنن العرب يلجأ إليها العربي في كلامه، لم يقولوها عبثاً، كما أن العربي لا يبدل الحروف من بعضها اعتباراً وإنما إبداله لها مقيد في أسس نظام لغته الصوتي، ومما يؤيد ذلك إنكار ابن فارس أن يقول الخليل: إن الجيم مبدلة من الحاء في كلمة جاسوا .. وذكر الخليل ولم أسمعه سماعاً أنه قال في قوله جل ثناؤه - "فجاسوا" الإسرائ/٥، إنما أرادوا "فحاسوا" فقامت الجيم محل الحاء، وما أحسب الخليل قال هذا وما أحقه عنه<sup>(٤)</sup>، فرفضه للقول مرتبط بأسس النظام الصوتي للعربية، فالجيم صوت لثوي غاري مركب مجهور<sup>(٥)</sup>، أما الحاء فهي صوت احتكاكي حلقي مهموس<sup>(٦)</sup>، فمن غير المعقول أن يستبدل العربي بحرف لا يحتاج إلى جهد نطقي كالحاء حرفاً يحتاج إلى جهد مضغف لنطقه كالجيم. ولابن جني رؤى تماثل رؤية ابن فارس هذه في كتابه سر الصناعة<sup>(٧)</sup>.

قلنا إن الإبدال بين الأصوات ليس اعتبارياً، بل مرتبط بأسس وقواعد يفرضها النظام الصوتي للغة:-

أولها: تماثل المخرج بين الصوتين المبدلين.

تتبادل الأصوات فيما بينها إذا كانت متماثلة في المخرج تماثلاً تاماً، وليس هذا التماثل مقتصرًا على عضو من أعضاء النطق، وإنما يشتمل على الأجزاء كلها المبدوءة بالحنجرة والمنتهية بالشفقتين، فتبدل الهاء من الهمزة بوصفهما صوتين حنجريين فالهاء صوت حنجري احتكاكي مهموس، والهمزة صوت حنجري انفجاري مجهور<sup>(٨)</sup> - ومن أمثلتها قولهم "هَرَادَةٌ يَهْرِيدَةٌ: بمعنى أَرَادَةٌ"<sup>(٩)</sup>

(١) أمثال: ابن جني في الخصائص ج ١، ص ٣٧٥، وابن فارس في الصحابي ص ٤٨ - ٤٩.

(٢) المحيط ج ٥، ص ٤٦١.

(٣) م-ن ج ٨، ص ٢٠٠.

(٤) الصحابي، ص ٢٠٤.

(٥) انظر إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص ٦٥ - ٦٦، وكمال بشر، علم اللغة العام، ص ١٢٦.

(٦) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ص ٧١، وكمال بشر، علم اللغة العام، ص ١٢١.

(٧) ابن جني، سر صناعة الأعراب، تحقيق: حسن هندلوي، ط ١، دار القلم، دمشق، ١٩٨٥، ج ١/ ص ١٨٠ - ١٨٢.

(٨) اختلف العلماء في صفتها كما أشرنا سابقاً.

(٩) المحيط ج ٣، ص ٤٤٢، وانظر ج ٣، ص ٤٧٦، وانظر ج ٤، ص ٨٥.

وتتبادل اللام والنون؛ فهما صوتان لثويان أو نلقيان وفق تقسيم القدماء لهما - فاللام صوت لثوي أسناني جانبي مجهور والنون صوت لثوي أسناني أنفي مجهور "الهتل": مثل الهتن في تتابع المطر"<sup>(١)</sup>.

وتتبادل الأحرف الشفوية فيما بينها، فالميم صوت شفوي أنفي مجهور، والباء صوت شفوي انفجاري مجهور، ومن أمثلة تبادلها قولهم: "الرغابي والرغامي: زيادة الكبد"<sup>(٢)</sup>.  
ثانيها: تبادل صوتين لتمائل هيئة خروج الصوت.

يجوز النظام الصوتي للعربية أن تتبادل الأصوات فيما بينها المواقع في ألفاظ مختلفة إذا تماثلت هيئة خروج الصوتين، فالهيئة الاحتكاكية هي التي خولت التبادل بين صوت الخاء والحاء، مع أن الخاء صوت طبقي المخرج والحاء صوت حلقي المخرج "الخفانة: النعمة ويقال -: حفانة بالحاء غير معجمة أيضا -: السريعة"<sup>(٣)</sup>.

وتتبادل الفاء مع التاء، وإن كانت الفاء شفوية أسنانية والتاء سنينة "الأثافي: الأثافي"<sup>(٤)</sup>.  
وتبادلت الهاء والغين لتمائلهما بالهيئة الاحتكاكية، مع أن الغين صوت طبقي، والهاء صوت حنجري "جاء فلان سبغلا سبغلا: إذا جاء ولم يكن معه شيء من الثياب.."<sup>(٥)</sup>.

والهيئة الانفجارية لها أثر في الإبدال بين الأصوات، ولكنها أقل أثرا من الهيئة الاحتكاكية، فهي تسبب التبادل بين القاف والكاف، فهما صوتان انفجاريان، إلا أن القاف لهوية المخرج والكاف طبقية المخرج، "قالقاف صوت لهوي مهموس والكساف صوت طبقي مهموس" "دقته الحمى ودقته"<sup>(٦)</sup>.

والتبادل بين التاء والكاف، فالتاء صوت انفجاري لثوي أسناني مهموس، والكاف صوت طبقي انفجاري مهموس "محكك الرجل ومحتده: أصله ويقال وطنه"<sup>(٧)</sup>.

والهيئة الأنفية دور في التبادل بين صوتي الميم والنون، فالنون صوت لثوي أسناني أنفي مجهور، والميم صوت أنفي شفوي مجهور "ونصا السهم: مضي"<sup>(٨)</sup>.

ثالثها: تماثل مخرج الصوت وهيئة خروجه.

تماثل المخرج وهيئة خروج الصوت أقوى عوامل ظهور الإبدال، ويشترك في التبادل نتيجتها الأصوات المفخمة والمرققة.

(١) المحيط ج ٣، ص ٤٥٧.

(٢) م ن ج ٥، ص ٧٥.

(٣) م ن ج ٤، ص ١٨١.

(٤) م ن ج ١٠، ص ١٩٩.

(٥) م ن ج ٥، ص ١٦٤.

(٦) م ن ج ٥، ص ١٨٧.

(٧) م ن ج ٢، ص ٣٧٦.

(٨) م ن ج ٨، ص ٤٥.

تبدل الحاء والعين؛ لأنهما صوتان حلقيان احتكاكيان، والعين مجهورة والحاء مهموسة "حَصَدٌ يحصد في معنى عَصَدَ أي مات"<sup>(١)</sup> والهيئة الاحتكاكية بالإضافة إلى تماثل المخرج أحدثت تبادلاً بين الناء والذال، لأن مخرجهما بين الأسنان "أصوات سننية" وإن كانت الذال مجهورة والناء مهموسة "جَذَا يَجْذُو مثل جَنَّا يَجْنُو.." <sup>(٢)</sup>.

والصفة الانفجارية تؤدي إلى الإبدال بين الأصوات إذا تماثل مخرجها، فتبدل الدال من الناء؛ لأنهما صوتان لثويان أسنانيان انفجاريان، لكن الدال مجهورة والناء مهموسة "كَرَّحَهُ وَكَرَّحَهُ: صرعه"<sup>(٣)</sup>.

تماثل مخرج الصوت وهيئة خروجه فتحت الباب أمام العربي على مصراعيه ليحدث إبدالاً بين الأصوات المرققة والأصوات المفخمة، فقد أورد صاحب أمثلة تبادلته فيها السين والصاد المواقع؛ لأنهما صوتان لثويان "أسليان" احتكاكيان مهموسان، إلا أن السين مرققة والصاد مفخمة أو مطبقة "صَاعٌ لي الشراب وسَاعٌ: بمعنى واحد"<sup>(٤)</sup>.

وللسبب نفسه تبدل الصاد من الزاي، فهما صوتان لثويان "أسليان" احتكاكيان، إلا أن الزاي مجهورة، والصاد مفخمة "الْخَصْفُ: ثياب غلاظ جدا، والخَزْفُ أيضا"<sup>(٥)</sup>.

وتماثل المخرج والهيئة الانفجارية جعلت الناء والطاء يتبادلان المواقع مع أن الطاء مطبقة لثوي أسناني انفجاري مهموس والناء مرققة لثوي أسناني انفجاري مهموس "طَخُومُ الأرض وتَخُومُها واحد"<sup>(٦)</sup>.

وللسبب نفسه تبدل الدال من الطاء "قَدٌّ: مثل قَطٌّ في معنى حَسَبٌ، قَدِي وقَدِكُ"<sup>(٧)</sup>.

قد يتبادل الصوتان إذا كانا متقاربين في المخرج، إلا أن وجوده في العربية نادر إذ لم يروى صاحب إبدالاً بين صوتين متقاربين في المخرج سوى الإبدال الذي وقع بين الباء والفاء.

فالباء صوت انفجاري شفوي مجهور، والفاء صوت شفوي أسناني احتكاكي مهموس، مع أنني أميل إلى أن أحد اللفظين فصيح صحيح، والآخر مولد محدث نتيجة اتصال العرب بغيرهم من الشعوب الأخرى "الخارزنجي: المَقْهُوتُ: المَبْهُوتُ"<sup>(٨)</sup> "كَفَحَ الدابة باللجام وكَبَحَهُ وَأَكْفَحَهُ مثله"<sup>(٩)</sup>.

#### رابعها: إبدال الصوتين.

عهدنا في معظم ألفاظ العربية أن يقع الإبدال على صوت واحد في اللفظتين اللتين تبادلتا ذلك الصوت، لكن صاحب أورد ألفاظاً وقع الإبدال فيها على صوتين من أصواتها

(١) المحيط ج ٢، ص ٤٥٢.

(٢) م. ن ج ٧، ص ١٦٤.

(٣) م. ن ج ٣، ص ٢٥٣.

(٤) م. ن ج ٥، ص ١٠٥.

(٥) م. ن ج ٤، ص ٢٥٠.

(٦) م. ن ج ٤، ص ٢٩٦.

(٧) م. ن ج ٥، ص ١٩٦.

(٨) م. ن ج ٣، ص ٤٥٩.

(٩) م. ن ج ٢، ص ٣٨٤.

الأصلية، غير أن الإبدال فيهما ليس اعتباطياً، وإنما مرتبط بسمت اللغة الصوتي، فالإبدال الذي أورده صاحب الواقع على صوتين في اللفظة نفسها إما أن يكون الصوتان الأولان المبدلان متماثلين في الهيئة، والصوتان الآخران متماثلين في مخرج الصوت وهيئة خروجه، ومن هذا الضرب "الهاضوم: الجوارش، الحاطوم: الجوارش" (١)، فالحاء والهاء صوتان احتكاكيان مهموسان، إلا أن الهاء حنجرية المخرج، ومخرج الحاء الحلق والطاء والضاد صوتان لثويان أسنانيان مطبقان انفجاريان، إلا أن الطاء مهموسة والضاد مجهورة.

وإما أن يكون الصوتان الأولان والآخران متفقين في المخرج "الشهلمة - مثل - الشهيرة: الكبيرة" (٢)، فالباء والميم صوتان شفويان مجهوران، إلا أن الميم أنفية والباء انفجارية. والراء واللام صوتان لثويان "اللام لثوي أسناني" مجهوران، إلا أن اللام جانبية الهيئة والراء تكرارية.

وإما أن يكون الصوتان الأولان المبدلان متفقين في المخرج، والصوتان الآخران متفقين في المخرج وهيئة خروج الصوت، ومن هذا الضرب: "النضخ: كاللطح مما يبقى له أثر" (٣) فالنون واللام صوتان لثويان أسنانيان مجهوران، لكن النون أنفية واللام جانبية، والضاد والطاء صوتان لثويان أسنانيان انفجاريان مطبقان، لكن الطاء مهموسة والضاد مجهورة.

توافر مسوغات التغير الصوتي من تماثل مخرج أو تماثل هيئة أو تماثل كليهما بين الصوتين المبدلين لا يعني أن يكون توافرهما مانعاً يحول بين أن يكون الإبدال بين الأصوات عائداً إلى اختلاف اللغات، فقد يتبادل صوتان متفقان في المخرج وسبب إبدالهما اختلاف اللغات "القرهم: لغة في القرهب: وهو السيد أيضاً" (٤)، فالباء والميم صوتان شفويان مجهوران.

ويكون اختلاف اللغات سبباً في وقوع الإبدال بين صوتين متماثلين في هيئة خروجهما، مثل التبادل الذي وقع بين القاف والكاف "القشط: لغة في الكشط، وفي مصحف عبد الله" وإذا السماء فسطت" (٥)، فالقاف والكاف صوتان انفجاريان مهموسان.

كما قد يكون اختلاف اللغات سبباً في الإبدال بين صوتين متفقين في المخرج وهيئة خروجهما، فالإبدال بين السين والصاد في "السندوق: لغة في الصندوق" (٦).

أما إذا وجد إبدال بين صوتين غير متفقين في المخرج أو هيئة خروج الصوت، أو كليهما فلا يمكن أن يرد الإبدال فيهما إلى التغير الصوتي، بل سيكون الإبدال عائداً إلى اختلاف اللغات بالضرورة، فالإبدال الذي وقع بين الهمزة والواو لا يمكن أن يكون

(١) المحيط ج ٣، ص ٢، و ٤٠٣.

(٢) م.ن ج ٤، ص ١٢٢.

(٣) م.ن ج ٤، ص ٢٣٦.

(٤) م.ن ج ٤، ص ١٠٦.

(٥) م.ن ج ٥، ص ٢٨٨.

(٦) م.ن ج ٦، ص ٨٦.



نتيجة التغير الصوتي في كلمات "أَلُوْفِينَا فلان: أَي وِلْدٍ، وَيُقَالُ إِدَّةٌ وَوِلْدَةٌ"<sup>(١)</sup>؛ لأن مخرج الهمزة الحنجرية وهيئة خروجها الهيئة الانفجارية، أما الواو فمكان خروجها الشفتان، وأما هيئة خروجها فالهيئة الهوائية.

وهذا القول ينطبق على الإبدال الذي وقع بين القاف والفاء في كلمة زَحْلُوْقَةٌ وَزَحْلُوْفَةٌ<sup>(٢)</sup> لأن الفاء والقاف لا يتفان في المخرج ولا هيئة خروج الصوت، فالقاف صوت لهوي انفجاري، والفاء صوت شفوي أسناني احتكاكي، ولا أريد أن أظن في هذا الموضوع لأن أمثله كثيرة لا مجال لذكرها هاهنا.

لم يتطرق صاحب في معجمه إلى توضيح الأصل من الفرع في المبدل والمبدل منه، كما فعل ابن جنى الذي وضع لهما مقياسين مماثلين لمقياسي القلب، وهما التصرف<sup>(٣)</sup> والاستعمال<sup>(٤)</sup>، ولم يقل إن الألفاظ المبدلة فروع وليست أصولاً يقاس عليها كما نصّ على ذلك شيخه ابن فارس في المقاييس<sup>(٥)</sup>، يقولون: هَتَنْتِ السَّمَاءَ تَهْتِنُ تَهْتَانًا، وَهَتَلْتِ تَهْتَالًا، وَهِيَ سَحَابٌ هَتْنٌ وَهَتْلٌ".

أضف المحدثون سببين آخرين لظهور الإبدال عدا اختلاف اللغات، والتغير الصوتي وهما: التصحيف والتحرّيف<sup>(٦)</sup>، والخطأ في السمع<sup>(٧)</sup>، إلا أن أثرهما طفيف في اللغة.

غير المحدثون صاحب والأقدمين في رؤيتهم للإبدال، إذ عدّه الأقدمون ظاهرة عائدة إلى اختلاف اللغات، وأنه سنة من سنن العرب في كلامها، أما المحدثون فأقروا بذلك. إلا أنهم رأوا أن الإبدال من عوامل توسع اللغة الداخلية أمثال: جورجي زيدان<sup>(٨)</sup>، والأب انستاس ماري الكرمل<sup>(٩)</sup>، والرافعي<sup>(١٠)</sup>، وإبراهيم أنيس<sup>(١١)</sup>، وغيرهم.

(١) المحيط ج٩، ص ٣٥٨.

(٢) م.ن ج٢، ص ٢٤٧.

(٣) الخصائص ج٢، ص ٨٤ - ٨٥.

(٤) م.ن ج٢، ص ٨٦، ونظر له سر صناعة الأعراب ج١، ص ١٢٠.

(٥) المقاييس ج١، ص ٣٧، ص ٦١.

(٦) إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة ص ٦٩ - ٧٠، صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، ط١٢، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ١٩٨٩م، ص ٢٣٦ - ٢٣٨، وفؤاد حنا ترزي. الاشتقاق، منشورات كلية العلوم والآداب في جامعة بيروت الأميركية، دار الكتب، بيروت - لبنان، ١٩٦٨م، ص ٣٤٥ - ٣٤٦.

(٧) جورجي زيدان، الفلسفة اللغوية ص ٣٥، صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، ص ٢٣٧، واميل بديع بمقوب، فقه اللغة وخصائصها، ط١، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ١٩٨٢م، ص ٢٠٨.

(٨) الفلسفة اللغوية ص ٣٣ - ٣٩.

(٩) نشوء اللغة العربية، ص ١٤ - ٢٠.

(١٠) تاريخ آداب العرب ج١، ص ١٨٦.

(١١) من أسرار اللغة ص ٥٣ - ٧٠.

## مأخذ على مناقشة صاحب لقضية الإبدال:-

يعدّ للصاحب تتبعه ظاهرة الإبدال ورصده ألفاظها، إلا أن منهجه لم يخلُ من عثرات تعيق الباحث في استنتاج أسباب ظاهرة الإبدال ومواقعها في الألفاظ:-

١- إن صاحب وضع اللفظتين اللتين وقع عليهما الإبدال في تقليبين مختلفين دون أن يشير في أحد التقليبين إلى أن إحدى اللفظتين مبدلة من الأخرى.

ذكر صاحب في تقليب عسق "عَسِقُ بِهِ لَزِقَ بِهِ"<sup>(١)</sup>، وكرر هذا المعنى في تقليب عزق حيث قال: "عَزَقُ بِهِ: لَزَمَهُ"<sup>(٢)</sup>.

والتبادل بين السين والزاي جلي في العربية؛ لأنهما متماثلان في المخرج والهيئة، والذي دعا إلى القول إنها من قبيل الإبدال، وإن لم ينص صاحب على ذلك تماثلهما في المعنى. وكرر الفعل ذاته في مواضع كثيرة، إذ قال في تقليب فتع "وَقَاتَعَهُ اللهُ مَا أَسْخَاهُ:

في معنى قَاتَلَهُ اللهُ"<sup>(٣)</sup>، ولما قرأت تقليب كتع وجدته قد قال: "وَكَاتَعَهُ اللهُ: في معنى قَاتَلَهُ"<sup>(٤)</sup> والإبدال بين القاف والكاف واقع؛ لأنهما متماثلان في هيئة خروج الصوت "الهيئة الانفجارية"، وقد أشار الخليل إلى وقوع الإبدال بين هاتين اللفظتين "قَاتَعَهُ اللهُ مِثْلَ كَاتَعَهُ، وقيل: هي على البدل"<sup>(٥)</sup>.

وذكر أن معنى عسل مال وعسن مال، إزاؤه، إلا أنه وضع عَسِلَ مالٍ في تقليب عَسَلَ<sup>(٦)</sup>، وعَسِنَ مالٍ في تقليب عَسَنَ<sup>(٧)</sup>، ولم ينص على أنهما لفظتان مبدلتان من بعضهما على الرغم من أن النون واللام تتبادل المواقع في الألفاظ؛ لانفاقهما في المخرج، فهما صوتان لثويان أسنانيان.

وأسلوب صاحب هذا كرهه في الألفاظ التي أدى اختلاف اللغات إلى وقوع الإبدال فيها، فلم يشر إلى أن في اللفظة لغة أدت إلى إبدال أحد أحرفها لاشتمالهما على معنى واحد، وإنما كان يضع كل نطق للفظ، أو كل لغة لها في تقليب منفصل عن التقليب الآخر، إذ نص صاحب على أن معنى دُعَاعٌ ودُعَاعٌ؛ هو ما بين النخل غير أنه لم يقل في مادة (دُع) أن الدعاع لغة في الدعاع، ولم يقل كذلك في مادة (دُع) أن دُعَاعٌ لغة في دُعَاعٌ بلى وضع كل واحدة في تقليب منفرد.

نحن نعلم أن الدال والذال لا تتماثلان في المخرج وهيئة خروج الصوت، فالدال صوت لثوي أسناني انفجاري مجهور، أما الذال فصوت سني احتكاكي مجهور، ولذا لا بد أن

(١) المحيط ج ١، ص ١٣٨.

(٢) م ن ج ١، ص ١٤٠.

(٣) م ن ج ١، ص ١٥٦.

(٤) م ن ج ١، ص ٢١٤.

(٥) العين ج ١، ص ١٤٧.

(٦) المحيط ج ١، ص ٣٦٣.

(٧) م ن ج ١، ص ٣٧٠.

(٨) م ن ج ١، ص ٨٦.

(٩) م ن ج ١، ص ٨٩.

يكون الإبدال بينهما عائداً إلى أنهما لغتان مختلفتان، وهذا ما أكدّه الأزهرى في قوله: "والدُعَاع: النخل المنفروق. قال: ويقال: الدُعَاع ما بين النخلتين بضم الدال" (١).

وذكر صاحب في تَقْلِيْب هَقع "ناقة هَقَعَة: ضبعة" (٢)، وكرر هذا المعنى نفسه في تَقْلِيْب هَع "وناقة هَكَعَة: ضبعة" (٣).

نلاحظ أن القاف والكاف اللتين وقع عليهما إبدال صوتان متماثلان في الهيئة (الهيئة الانفجارية)، فقد يقال: إن السبب في إبدالهما التغير الصوتي لتماثل هيئة خروجهما، نقول: إن هذا القول حري بالقبول إذا لم يُسر أحد اللغويين إلى أنهما لغتان، والذي دعاني إلى القول إنهما لغتان، تنبيه الأزهرى على ذلك (٤).

وضع صاحب تَقْلِيْب (وَيْه) منفصلاً عن تَقْلِيْب (أَيْه) مع أن معانيهما متقاربة، وأظن أن هذا عائد إلى أن كل مادة تختص بها قبيلة دون الأخرى، وحفظ لنا المعجم النطقين للقبيلتين المختلفتين، لأن الواو والهمزة لا يتماثلان في مخرج الصوت وهيئة خروجه فيقول في تَقْلِيْب (أَيْه): "ما أَبْهَتْ: أي ما شعرت" (٥)، وفي تَقْلِيْب (وَيْه) "وَبْهَتْ له أبه وبها وبهه، وأوبهت بالألف - إيبها: كل ذلك إذا شعرت" (٦).

والمنهج العلمي يقتضي أن يضم صاحب اللفظتين المبدلتين من بعضهما بفعل التغير الصوتي واختلاف اللغات في تَقْلِيْب واحد، وألا يضعهما في تَقْلِيْبين منفصلين، وينص على أنهما مبدلان في التَقْلِيْب نفسه باستعمال عبارات مختلفة أمثال:

تبدل العسق من العزق، وقاتعه وكاتعه بمعنى واحد، وعسن مال مثله (بعد أن يورد عسل مال)، والذعاع لغة في الذعاع بعد أن يذكر معنى الذعاع، ويقولون الهقع والهكع، ووبه وأبه لغتان.

٢- ردّ صاحب العديد من الألفاظ المبدلة إلى أنها سنة من سنن العرب في كلامها - وهو ما يقابل في مصطلح المحدثين التغير الصوتي -، مع أنهما لغتان مختلفتان.

هنالك ألفاظ عديدة عدها صاحب من قبيل الإبدال، وأشار إلى أن معنيهما متماثلان، والذي دعا إلى تبادلتهما أن الإبدال سنة من سنن العرب في كلامها، أي أن التغير الصوتي هو الذي أدى إلى وقوع الإبدال فيها على الرغم من أنهما لغتان متباينتان، والذي جعلنا نقول ذلك أن الصوتين المبدلين من بعضهما غير متماثلين في مخرج الصوت أو هيئة خروجه أو كليهما.

قال صاحب في تَقْلِيْب زحلق: "وتزحلق وتزحلف: واحد، ومنه الزحلوقة: لمزقة الصبيان، والزحاليق والزحالف" (٧)، وهذا الإبدال محال أن يكون قد وقع نتيجة التغير

(١) التهذيب ج ١، ص ٩٧.

(٢) المحيط ج ١، ص ١٠٦.

(٣) م.ن ج ١، ص ١٠٨.

(٤) التهذيب ج ١، ص ١٢٦.

(٥) المحيط ج ٤، ص ٨٢.

(٦) م.ن ج ٤، ص ٨٢.

(٧) م.ن ج ٣، ص ٢٤٧.

الصوتي؛ لأن القاف والفاء لا يشتركان في المخرج ولا هيئة خروجهما، فالقاف صوت لهوي انفجاري مهموس، والفاء صوت شفوي أسناني احتكاكي مهموس.

وقال صاحب في تقليد هض "جاء يهض في المشي ويهز بمعنى: وذلك إذا مشى مشياً متدافعا"<sup>(١)</sup> تعدّ الهضّ والهزّ من قبيل الإبدال؛ لأنهما يتضمنان المعنى نفسه، ولكنني أميل إلى أن الهضّ لفظة اختصت بها قبيلة عربية مغايرة للقبيلة العربية التي قالت الهزّ؛ لأن التبادل بين الضاد والزاي غير ظاهر للعيان في البيئة اللغوية الواحدة؛ لأن الضاد صوت لثوي أسناني انفجاري مجهور مفتوح، أما الزاي فصوت لثوي (أسلي) احتكاكي مجهور.

وهذا القول ينطبق على يهتّ ويهدّ<sup>(٢)</sup>، فهما لغتان لأن التبادل بين التاء والذال في البيئة الواحدة محال، فالتاء صوت لثوي أسناني انفجاري، والذال صوت سني (بين أسناني) احتكاكي مجهور. نلاحظ أن التاء والذال لم ينفقا في مخرجيهما وهيئة خروجهما.

ولا يفوتني التنبيه على أن الإبدال ظاهرة حية في بيئاتنا اللغوية المعاصرة، ومعظم الأمثلة المبدلة تؤكد أن أقوى مسبب للإبدال هو التغيير الصوتي، فنحن نسمع في البيئة اللغوية الواحدة سؤال وسعال، وهسّ وأسّ، ولا يعني أننا نغض الطرف عن أثر اختلاف اللغات في ظهور الإبدال مثل: أعطى وأنطى.

### المستوى الصرفي Morphology:-

استعمل اللغويون في توضيح مفاهيم هذا المستوى وركائزه مصطلحين اثنين يصعب التفريق بينهما، فقد يستخدم أحدهما مكان الآخر، والمصطلحان المقصودان هما: علم التصريف، وعلم الاشتقاق، والغموض بين التصريف والاشتقاق لا يكون في أنواع الاشتقاق جميعها، وإنما هو واقع بين التصريف والاشتقاق الأصغر، عرف العلماء التصريف أنه: تغيير صيغة الكلمة إلى صيغة أخرى بوساطة أحرف الزيادة والتضعيف وغيرها من الوسائل لضروب من المعاني المختلفة<sup>(٣)</sup>، أما الاشتقاق الأصغر فوضّح مفهومه ابن جني<sup>(٤)</sup> والميداني<sup>(٥)</sup> وابن دحية<sup>(٦)</sup> الذي قال: "الاشتقاق أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقها معنى ومادة أصلية، وهيئة تركيب لها ليدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة لأجلها اختلافا حروفاً أو هيئة كضارب من ضرب وحذر من حذر".

أثار ابن عصفور موضوع الخلط بين التصريف والاشتقاق الأصغر، ووقوع اللبس بينهما وأنه يتعذر على الكثيرين إزالة الغموض المحيط بهما ولذلك حاول إزالة هذا اللبس وتوضيح الفارق الدقيق بينهما فقال: "وهو شبه الاشتقاق إلا أن الفرق بينهما أن الاشتقاق مختص بما فعلت العرب من ذلك، والتصريف عام لما فعلته العرب، ولما أحدثه نحن بالقياس. فكل اشتقاق تصريف، وليس كل تصريف اشتقاقاً إذا كان الاستدلال عليهما بالفرع سمي ذلك تصريفاً. فمثال الاستدلال، برد الفرع إلى الأصل استدلالنا على زبادة

(١) المحيط ج٣، ص ٣١٣.

(٢) م.ن ج٣، ص ٣١٨.

(٣) الممتع الكبير في التصريف، ص ٣٣، ٤٦.

(٤) الخصائص ج٢، ص ١٣٦.

(٥) ذكره الفخر الرازي في المحصول ج١، ص ٢٣٧.

(٦) ذكره السيوطي في المزهج ج١، ص ٣٤٦.

همزة أحمر مثلاً، بأنه مأخوذ من الحُمرة، فالحمرة هي الأصل الذي أخذ منه أحمر، فهذا وأمثاله يُسمى اشتقاقاً، لأن المستدل على زيادة همزته - وهو أحمر - مأخوذ من "الحمرة" ومثال الاستدلال على الزيادة بالفرع، استدلالنا على زيادة ياء أبيض، بقولهم في جمعه "إصار" بحذف الياء وإثبات الهمزة. "إصار" فرع عن أبيض لأنه جمعه. فهذا وأمثاله يسمى تصريفاً، لأن المستدل على زيادة يائه وهو أبيض - ليس مشتقاً من إصار، بل إصار تصريف من تصاريفه الدالة على زيادة يائه"<sup>(١)</sup>.

راوح الصاحب بالاعتماد على الاشتقاق وعلى علم الصرف في تناوله لمواد كتابه وبيان معانيها، فقد يبدأ بالمشتق من الأسماء، ثم يعيده إلى أصله أو المشتق منه، أي أنه يبدأ في تبين معنى الفرع ثم يعيده إلى أصله الذي اشتق منه دون زيادة أو تحوير "الوثير، الفراش الوطيء، وثر يُؤثر وثاره. والوثر: الوثير"<sup>(٢)</sup> "الكليل: السيف الذي لا حد له، كلَّ كِلالةً وكُلولةً"<sup>(٣)</sup>.

وقد يعتمد في مواضع عديدة على علم الصرف إذ يبدأ بعرض بنية الأصل أو الفعل المجرد ثم يبين الصيغ المتفرعة منه "وأسنَّتْ له من اللحم أسناً: أي أبقيت له منه بقية. والأسن: البقية، وجمعه أسان"<sup>(٤)</sup> "نزَفَ دمه فهو نَزِيفٌ مَنزُوفٌ: أي قطع عنه"<sup>(٥)</sup>

بين الصاحب أن العرب استنفدوا معطيات الاشتقاق، ولذلك عدّه معظم اللغويين من أهم العوامل التي تسهم في توسع العربية وأن موارده لا تنفذ أبداً، ومن صور استغلالهم له ردّهم اشتقاق أسماء الله من معان مجردة "الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ: اسمان مشتقان من الرحمة"<sup>(٦)</sup> واشتقاقهم من المعاني العامة والمجردة أسماء لهم "لَبَنٌ مُضَيَّرٌ: شديد الحموضة ومنه اسم مُضِرٌ"<sup>(٧)</sup> "وأدمة الأرض وجهها وأدم مشتق منه"<sup>(٨)</sup>، والقابهم وكناهم "العَصْمَةُ: بياض في الرُسْغِ وبه سَمِيَ الوَعْلُ: أعصم"<sup>(٩)</sup>، "وَجَلَعُ نُوبِهِ: خَلَعٌ، ومنه يقال للذي لا تَنضُمُ سَفْتَاهُ على أسنانه، أَجْلَعٌ، وَسَفَّةٌ جَلَعَاءٌ"<sup>(١٠)</sup>، وأسماء قبائلهم "الحَبَارِيُّ طائر وكذلك الليحورة وجمعه يحابر وبه سميت يحابر للقبيلة المعروفة"<sup>(١١)</sup>، وأعمالهم "والمُعْتَمِرُ: الزائر، ومنه العُمرة في الحج"<sup>(١٢)</sup>، وأماكنهم "عَكَظٌ: اسم مَنَسَّقٍ للعرب مأخوذ قولهم عَكَظَ خَصْمَهُ: إذا عَرَكَه وذلك لِنَقَاحِهِمْ فِيهَا"<sup>(١٣)</sup>.

(١) المتع الكبير في التصريف ص ٤٧.

(٢) المحيط ج ١٠، ص ١٦٥.

(٣) م.ن ج ٦، ص ١٤١.

(٤) م.ن ج ٨، ص ٣٨٧.

(٥) م.ن ج ٩، ص ٦٤.

(٦) م.ن ج ٣، ص ٩٥.

(٧) م.ن ج ٨، ص ١٩.

(٨) م.ن ج ٩، ص ٣٨٤.

(٩) م.ن ج ١، ص ٣٤٨.

(١٠) م.ن ج ١، ص ٢٦٠.

(١١) م.ن ج ٣، ص ٩١.

(١٢) م.ن ج ٢، ص ٤٣.

(١٣) م.ن ج ١، ص ٢١٦.

وصفاتهم "أَتَعَّ رَأْسَهُ فَانْظُرْ كَمَا يُقَالُ: أَطْلَعُ، وَمِنْهُ الْمُتَلَعُ: الْحَسَنَاءُ مِنَ النِّسَاءِ لِأَنَّهَا تَتَلَعُ رَأْسَهَا تَعَرَّضٌ لِلنَّاطِرِينَ"<sup>(١)</sup>.

لم يردَ الصاحب اشتقاق الأفعال إلى المصادر فقط، وإنما رأى أن هنالك مصادر أخرى ساعدت العرب في اشتقاق أفعال أعمالهم وكلامهم ومنها:

أ- اشتقاق أسماء من حكايات الأصوات.

"عَنْدَلُ الْهَدَّادِ عَنْدَلَةٌ: صَوْتٌ، وَهُوَ صَوْتُ الْبَلْبَلِ أَيْضًا"<sup>(٢)</sup>.

ب- اشتقاق أفعال من أسماء حكايات الزجر.

"حَلَحَلْتُ بِالْإِبِلِ: قَلْتُ لَهَا حَلْ. زَجْرٌ"<sup>(٣)</sup>.

ج- اشتقاق أفعال من أسماء الأعضاء.

"الْكَفُّ: كَفُّ الْيَدِ مُؤَنَّثَةٌ، وَجَمْعُهَا كَفُوفٌ وَأَكْفٌ، وَاسْتَكْفَ السَّائِلُ: بَسَطَ كَفَّهُ يَطْلُبُ"<sup>(٤)</sup>  
"الْأَذُنُّ: مَوْضِعُ السَّمْعِ. وَأَذَنْتَهُ أَذْنَا: ضَرَبْتُ أُذُنَهُ"<sup>(٥)</sup>.

د- اشتقاق الأفعال من الحروف والأدوات.

"وَالْكَافُ: أَلْفُهَا وَآوُ. وَتَقُولُ الْعَرَبُ: كَوَفْتُ كَافًا حَسَنَةً: أَي كَتَبْتُهَا"<sup>(٦)</sup> "التَّسْوِيفُ: التَّأخِيرُ، مِنْ قَوْلِهِمْ: سَوَّفَ أَفْعَلَ كَذَا، وَتَسْوَفَتُهُ أَمْرِي تَسْوِيفًا: أَي وَكَلَّتُهُ إِيَّاهُ"<sup>(٧)</sup>.

ه- اشتقاق الأفعال من الأعداد.

"الثَّلَاثَةُ: مِنَ الْعَدَدِ، تَلَثَّبَ الْقَوْمُ أَثْلَثُومًا: أَي صَرَّتْ ثَلَاثُهُمْ؛ وَكَذَلِكَ إِذَا صَيَّرْتَهُمْ تِمَامًا ثَلَاثِينَ"<sup>(٨)</sup>  
"وَيُقَالُ: تَنَبَّتَ الشَّيْءُ أَثْنَيْتَهُ، وَتَنَبَّتَهُ عَنْ وَجْهِهِ: إِذَا رَدَدْتَ عَوْدَهُ عَلَى بَدْنِهِ، وَاتَّنَبَّتَهُ: مَثَلَهُ.. وَتَنَّى فُلَانٌ: فَعَلَ فِعْلًا ثَانِيًا.. وَتَنَّى تَنْنِيَةً: إِذَا فَعَلَ أَمْرًا ثُمَّ ضَمَّ إِلَيْهِ آخَرَ. وَتَنَبَّتَ الرَّجُلِينَ أَثْنَيْتَهُمَا، وَأَنَا ثَانِيَهُمَا"<sup>(٩)</sup>.

و- اشتقاق الأفعال من أسماء الأماكن.

"أَعْمَنَّ وَعَمَّنَ: أَتَى عُمَانَ.."<sup>(١٠)</sup> "وَتُهُامَةٌ: اسْمُ مَكَّةَ، وَتَاهَمَ الْقَوْمُ: نَزَلُوا بِتُهُامَةَ"<sup>(١١)</sup>.

ز- اشتقاق الأفعال من أسماء الداء.

(١) المحيط ج ١، ص ٤٤٢.

(٢) م ن ج ٢، ص ٢٦٢.

(٣) م ن ج ٢، ص ٣١٥.

(٤) م ن ج ٦، ص ١٤٥.

(٥) م ن ج ١، ص ١٠٣.

(٦) م ن ج ٦، ص ٣٣٩.

(٧) م ن ج ٨، ص ٣٩٠.

(٨) م ن ج ١٠، ص ١٢٥.

(٩) م ن ج ١٠، ص ١٧٩.

(١٠) م ن ج ٢، ص ٧٢، وانظر ج ٢، ص ٣١٤، و ج ٢، ص ٢٤٥.

(١١) م ن ج ٣، ص ٤٦١.

"الْحَوْلُ: اِقْبَالَ الْحَدِيقَةِ عَلَى الْأَنْفِ، حَوَّلَتْ عَيْنَهُ تَحْوِيلَ حَوْلًا، وَاحْوَلَتْ اِحْوَالَ، وَاحْوَالَتْ، وَلُغَةً: حَالَتْ عَيْنَهُ تَحَالَ حَوْلًا"<sup>(١)</sup> "الْغَلْلُ وَالْغَلَالَةُ: دَاءٌ يَأْخُذُ الْغَنَمَ، وَقَدْ اغْتَلَّتْ، وَأَغْلَى الرَّجُلُ: اغْتَلَّتْ غَنَمُهُ"<sup>(٢)</sup>.

ح- اشتقاق الأفعال من أسماء الزمان.  
"وَمَسَيْتَ فَلَانًا: قُلْتُ لَهُ كَيْفَ أَمْسَيْتَ، وَمَسَيْنَا وَأَمْسَيْنَا"<sup>(٣)</sup> .. "وَأَزْمَنَ الشَّيْءُ: طَالَ عَلَيْهِ الزَّمَانُ"<sup>(٤)</sup>.

ط- اشتقاق الأفعال من أسماء الأعلام والقبائل.  
"التَّنَزَّرُ: التَّقَلُّ، وَهُوَ -أَيْضًا- التَّعَصُّبُ لِنَزَارِ بْنِ مَعَدٍ"<sup>(٥)</sup> "بَنُو لَيْثٍ: حِيٌّ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ. تَلَيْثٌ فَلَانٌ وَلَيْثٌ: أَيُّ صَارَ لَيْثِي الْهُوَى"<sup>(٦)</sup>.

ي- اشتقاق الأفعال من أسماء النباتات.  
"هُنْدَبٌ فَلَانٌ الْكَلَامُ وَهُنْدَبَتٌ أَنَا: إِذَا الْبَسَهُ. وَكَلَامٌ مُهَنْدَبٌ"<sup>(٧)</sup> "وَرَكَّتِ الْمَرْأَةُ خَدَّهَا: عَالَجَتْهُ بِالْوَرْدِ، وَالْوَرْدُ: صَوْفَةٌ مَصْبُوغَةٌ تُلَوَّنُ بِهَا الْخُدُودُ"<sup>(٨)</sup>.  
ك- اشتقاق الأفعال من أسماء الحيوانات.

"الْخَنْفُسَاءُ: دَوْبِيَّةٌ سُودَاءٌ.. وَخَنْفَسَ الرَّجُلُ عَنِ الْأَمْرِ: عَدَلَ عَنْهُ وَكَرِهَهُ"<sup>(٩)</sup> "أَشْبَلٌ عَلَيْهِ إِشْبَالًا: عَطَفَ عَلَيْهِ وَرَقَّ لَهُ"<sup>(١٠)</sup>.

إنعام النظر في أمثلة المحيط ثرينا أن العرب قد اشتقوا من كل ما حولهم أو عايشهم أفعالاً.

فقد اشتقوا من الأرض التي يعيشون عليها فعلاً "تَارَضَ الرَّجُلُ: نَزَلَ، مُشْتَقٌّ مِنَ الْأَرْضِ، وَهُمْ يَتَارَضُونَ مِنْزَلًا: أَيُّ يَتَخَيَّرُونَ أَرْضًا أَرِيضَةً لِلنَّزُولِ"<sup>(١١)</sup>.  
واشتقوا من أدواتهم الحربية أفعالاً، فاشتقوا من السيف، نَسَائَفَ الْقَوْمِ"<sup>(١٢)</sup>.  
واشتقوا من مساكنهم أفعالاً "تَكَهَفَ الْجَبَلُ: صَارَ فِيهِ كَهُوفٌ"<sup>(١٣)</sup> "تَدَيَّرْتُ: أَيُّ تَبَوَّأْتُ دَارًا"<sup>(١٤)</sup>.

واشتقوا من تضاريسهم أفعالاً فأسهَلُ الْقَوْمِ مَأْخُودَةٌ مِنَ السَّهْلِ"<sup>(١٥)</sup>،

(١) المحيط ج ٣، ص ٢١١.

(٢) م بن ج ٤، ص ٥١٦.

(٣) م بن ج ٤، ص ٧٢.

(٤) م بن ج ٨، ص ٤١٨.

(٥) م بن ج ٩، ص ٣٩.

(٦) م بن ج ١٠، ص ١٧٣.

(٧) م بن ج ٤، ص ١٣٦.

(٨) م بن ج ٩، ص ٣٤٨.

(٩) م بن ج ٤، ص ٤٦٣.

(١٠) م بن ج ٧، ص ٣٧٧.

(١١) م بن ج ٨، ص ٤٠.

(١٢) م بن ج ٨، ص ٣٩٣.

(١٣) م بن ج ٣، ص ٣٦١.

(١٤) م بن ج ٩، ص ٣٤١.

(١٥) م بن ج ٣، ص ٤١٤.

وَتَجَبَّلُوا، دَخَلُوا الْجَبَلَ<sup>(١)</sup>.

واشتقوا من مشاربهم أفعالا كذلك "يقولون: أميها حَوْضَكُم أي اجمعوا فيها الماء"<sup>(٢)</sup>.

لم يتخرج الصاحب من عدم معرفته اشتقاق لفظة إذا خفي عليه اشتقاقها "النَّقِيبُ: لسان الميزان، ولا أدري اشتقاقه"<sup>(٣)</sup> "الخارزنجي: الأيَاسِقُ: القَلَانِدُ ولم يسمع لها بواحدة، ولا يدري اشتقاقها"<sup>(٤)</sup>.

اهتم الصاحب بمعظم مباحث علم الصرف، إذ عالج الفعل وما يتعلق به من أسلوب عرض وزمن ومجرد ومزيد، والمعاني التي تفيدها أحرف الزيادة، والمتعدي واللازم، والأفعال المهجورة والمماتة، كما توقف عند الاسم مبيّنا مثناه. وجمعه ومقصوره وممدوده ومذكره ومؤنثه وتصغيره، وكان يورد أوزان الصفة على اختلافها ويذكر الأوزان المستعملة منها والمنهاة عنها في تراكيب مخصوصة: وإعطاء الصاحب حقه في هذا المبحث نفصل القول في قسميه الرئيسيين؛ الفعل والاسم.

### الفعل:-

معالجة الصاحب للفعل وأبعاده دارت في عدة محاور مختلفة:

أولها: منهجه في عرض الفعل وزمنه.

نحن نعلم أن الفعل في العربية ينقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسية: الفعل الماضي والفعل المضارع، وفعل الأمر.

لم ينهج الصاحب طريقة واحدة في عرض الفعل الماضي، إذ أورد الفعل الماضي فمضارعه فمصدره، فالضمير المنفصل فالصفة المشبهة المشتقة منه. "رَصَنَ الشيءَ يَرَصُنُ رَصَانَةً، فهو رَصِينٌ: أي شديد الثبات محكمه، وأرَصَنَتْهُ أنا"<sup>(٥)</sup> وقد لا يورد الضمير المنفصل والصفة المشبهة "صَالَ الرجل على قَرْنِهِ يَصُولُ صَوْلَةً: أوقع به فعلا، واستطال عليه"<sup>(٦)</sup>.

وفي مواضع أخرى يذكر الفعل الماضي مسندا إليه فاعله فمصدره دون أن يورد مضارعه "صَمَلَ الشيءَ صُمُولًا: صَلَبَ واشتد"<sup>(٧)</sup> وقد يورد مضارع الفعل الماضي ولكنه لا يورد مصدره "أَصْرَتَ فلانا على الشيء أصره: أي حبسته عليه"<sup>(٨)</sup>.

وقد يورد الفعل الماضي فالضمير المنفصل والصفة المشبهة منه دون أن يورد مضارعه ومصدره "دَثَرَ الشيءَ فهو دَاثِرٌ: أي دَارِسٌ"<sup>(٩)</sup>.

(١) المحيط ج٧، ص ١١٧.

(٢) م٦ ج٦، ص ٨٦.

(٣) م٥ ج٥، ص ٤٤٨.

(٤) م٥ ج٥، ص ٤٧٦.

(٥) م٨ ج٨، ص ١٢٨.

(٦) م٨ ج٨، ص ١٨٩.

(٧) م٨ ج٨، ص ١٥٢.

(٨) م٩ ج٩، ص ١٧٦.

(٩) م٩ ج٩، ص ٢٨٠.



وقد يورد الفعل الماضي مسندا إليه فاعله فمصدره فالضمير المنفصل فالصفة المشبهة دون أن يورد مضارعه "أَسَنَّ الماء أسنا وأسونا، فهو أسين: متغير الطعم، وماء أسين وأسِنَّ وأسِين" (١).

وفي مواقع أخرى يورد الفعل الماضي منفردا سواء أكان مجردا أم مزيدا مسندا إليه فاعله "تَذَرُ الشيء: سَقَطَ" (٢) "أَطْمَأَنَّ الرجل: سَكَنَ" (٣) قد يورد الصاحب الفعل الماضي ضمن سياق ما وبعد أن يبين معناه يورد مصدره "رَصَّنتُ فلانا بلساني: أي شتمته، رَصَّنا" (٤) وربما يورد الصاحب الفعل الماضي المزيد والمجرد مبنيا للمجهول إذا شاع استخدامه على المبني للمعلوم "... رُفِعَ إليه: انتهى" (٥).

أما إذا استوى فيه المبني للمجهول والمبني للمعلوم أورد الفعلين كليهما "الْبَهْتُ: استقبالك أخاك بما ليس فيه، .. وَبُهْتُ الرجل وَبُهْتُ" (٦).

وإذا أدى الإبدال بين الواو والياء "الإعلال بالقلب" إلى إيجاد صورتين للفعل المبني للمجهول ذكرهما "وَقَدْ قِيلَ وَقَوْلٌ، وَيُنشَدُ: وهو إذا ما قول هل من رافد" (٧).

وإذا وجد للفعل الماضي صورتان أي أن حركة عينهما مختلفة ولكل واحد منهما مصدر مغاير للأخر مع اتفاق معنييهما ذكرهما متصلين.

"وَصَبِيرُ القوم: الذي يَصْبِرُ معهم في أمرهم وهو الكفيل أيضا، صَبِرْتُ به أَصْبِرُ صَبْرًا وَصَبْرًا صَبَارًا" (٨).

ردّ الصاحب ظاهرة تعدد صور الماضي في أفعال غير قليلة إلى اختلاف اللغات. "نَقَمَ يَنْقُمُ نَقْمًا وَنَقِمَ يَنْقُمُ لَغْتَانِ: أي أنكر" (٩) "وَبَقِيَ الشيء بقاءً ولغةً طيئاً. بَقِيَ يَبْقَى" (١٠). وإذا روي للفعل المجرد صورتان إحداهما شائعة والأخرى نادرة أشار إلى ذلك. "فَضَّلَ يَفْضَلُ، وَرَجُلٌ مَفِضَالٌ: كثير الخير. ويقال: فَضِّلَ يَفْضِلُ كقولك حَسِبَ يَحْسِبُ - نادر" (١١).

تكررت ظاهرة لافتة للذهن في أمثلة المحيط تُبدي أن الفعل الماضي المعتل إذا أسند إلى ضمائر جاز فيه نطقان أو وجهان فإما أن تبقى على صورته أو جذره أو أن تقلب الواو ياءً إذا كان حرفه الأصلي واواً أو تقلب الياء واواً إذا كانت الياء حرفاً أصلياً

(١) المحيط ج ٨، ص ٣٨٧.

(٢) م-ن ج ٩، ص ٢٨٨.

(٣) م-ن ج ٩، ص ١٩٣.

(٤) م-ن ج ٨، ص ١٢٦.

(٥) م-ن ج ١، ص ٤٢٨.

(٦) م-ن ج ٣، ص ٤٦٠.

(٧) م-ن ج ٦، ص ٢٢.

(٨) م-ن ج ٨، ص ١٢٤.

(٩) م-ن ج ٥، ص ٤٥٠.

(١٠) م-ن ج ٦، ص ٥٤.

(١١) م-ن ج ٨، ص ٢٢.

ومن ذلك قولهم: "وَضَحَوْنَا وَضَحِينَا"<sup>(١)</sup> "وَسَخَوْتُ الْقَدْرَ وَسَخِيْتَهَا: نَحَيْتَ الْجَمْرَ مِنْ تَحْتِهَا"<sup>(٢)</sup>، ورد بعض أمثلة هذه الظاهرة إلى اختلاف اللغات.

"وهذيل تقول: صَلَوْتُ الظَّهْرَ: بِمَعْنَى صَلَّيْتُ"<sup>(٣)</sup>.

وهذا القول لا يمنع أن التبادل بين الواو والياء في الفعل الماضي المعتل الناقص ظاهرة شاعت على ألسنة العرب وأنه لا يعدّ خطأ لغوياً، لأن الأمثلة التي ردها الصاحب إلى اختلاف اللغات قليلة إذا ما قورنت بالأمثلة التي أوردها على أنها سمة اتسمت بها لغة العرب وطبع نطقي اعتاده العربي.

أما الفعل المضارع فغلب على الصاحب أن يورده في سياق جملة "وَالْمَاءُ يَقْصَعُ الْعَطْشَ: يَقْتَلُهُ"<sup>(٤)</sup>.

وقلما يأتي به منفرداً إذ لا يورده منفرداً إلا إذا كان مسبقاً بفعل ماضٍ ومعظم أفعال المضارع التي أتى بها الصاحب لها صورتان أو أكثر "وَعَتَلَ الْعِظْمَ يَعْتِلُ وَيَعْتَلُ: إِذَا بَدَأَ وَفِيهِ عَقْدَةٌ"<sup>(٥)</sup>. استقصى الصاحب صور المضارع الكتابية والنطقية جميعها، إذ أورد الصور النطقية المختلفة للمضارع الصحيح "ويقولون: لَفِظَ يَلْفِظُ، وَلَفِظَ يَلْفِظُ"<sup>(٦)</sup> والمضارع المثال "الْوَلَّةُ: ذَهَابَ الْعَقْلَ. وَلَهَتْ تَوْلَهُ وَتَالَهُ وَلَهَا، تَلَهُ وَلَهَا"<sup>(٧)</sup>.

والفعل المضارع الأجوف "وَصَافَ الْكَبْشَ يَصُوفُ وَيَصَافُ صَوْفًا وَصُؤُوفًا"<sup>(٨)</sup> والفعل المضارع الناقص "وَالضَّاحِيَةُ: الشَّمْسُ: وَضَحَى يَضْحُو وَيَضْحِي ضُحْوًا وَضُحْوًا: بَرَزَ لِلشَّمْسِ"<sup>(٩)</sup>.

ولم يخف على الصاحب أن كثيراً من هذه الأمثلة التي تعددت فيها صور المضارع عائدة إلى اختلاف اللغات.

"تَقَمَّ يَنْقَمُ نَقْمًا وَنَقِمَ يَنْقَمُ - لَغْتَانٌ - أَي أَنْكَرَ"<sup>(١٠)</sup>.

أما فعل الأمر فغلب على الصاحب أن يورده في سياق جملة "عَوَّتَ عَلَيَّ: أَي أَحْمَلْ عَنِي وَأَعْنِي"<sup>(١١)</sup>.

ثانيهما: استصفا الصاحب للأفعال المجردة والمزيدة المتماثلة في المعنى؛ عرض الصاحب في المحيط أفعالاً عديدة استوى فيها معنى المجرد والمزيد، تتماثل معاني الفعل

(١) المحيط ج ٣، ص ١٥٢.

(٢) م. ج ٤، ص ٣٨٥.

(٣) م. ج ١٠، ص ١٨٤.

(٤) م. ج ١، ص ١٣٥.

(٥) م. ج ٢، ص ١٠.

(٦) م. ج ١٠، ص ٢٩.

(٧) م. ج ٤، ص ٦٥.

(٨) م. ج ٨، ص ١٩٦.

(٩) م. ج ٣، ص ١٥٢.

(١٠) م. ج ٥، ص ٤٥٠.

(١١) م. ج ٢، ص ١٢٧.

المجرد الثلاثي "فعل" مع الفعل المزيد بالهمزة "أفعل" "ويقال: رَدَدْتُ الشَّيْءَ وَأَرَدَدْتُه"<sup>(١)</sup> وتتماثل والفعل الثلاثي المزيد "فعل" "الْفَسْرُ: التفسير وهو بيان وتفصيل الكتب، يقال: فَسَّرْتُ الْقُرْآنَ وَفَسَّرْتُهُ"<sup>(٢)</sup>.

وتماثلت معانيها مع (فاعل) "الْبَدَّةُ: أن تستقبل الإنسان بالأمر.. والاسم البَدِيهَةُ، وبَدَّهْنِي بَدَّهًا وبَدَّهْنِي مبادهة: أي باغتني مبادهة"<sup>(٣)</sup>. ولم يقتصر تماثل أفعل مع الفعل المزيد بحرف واحد، وإنما تماثلت معانيها مع الأفعال المزيدة بحرفين وثلاثة أحرف، حيث تماثلت مع انفعلي<sup>(٤)</sup>، تفعل<sup>(٥)</sup>، افتعل<sup>(٦)</sup> واستفعل<sup>(٧)</sup>.

ردّ الصاحب عددا كبيرا من تلك الأمثلة التي تماثلت فيها معاني الأفعال المجردة ومعاني الأفعال المزيدة إلى اختلاف اللغات ولا سيما فعلي (فعل وأفعل) "سُقَّتْ إِلَيْهَا الصَّدَاقُ وَأَسَقَّتْهُ لَعْنَانٌ"<sup>(٨)</sup> "رَأَيْتُ الْأَمْرَ يُرِيْبُنِي: إذا أدخل عليك الشك والخوف وفي لغة: أَرَأَيْتُ"<sup>(٩)</sup>.

تماثل المجرد والمزيد في العربية ليست ظاهرة مطردة وإنما الاطراد فيها هو أن الزيادة في المبنى تؤدي إلى الزيادة في المعنى بالضرورة، ولذا حرص اللغويون على تحديد تلك الأفعال التي استوى فيها معاني المجرد والمزيد، وعمدوا إلى رصدها في مصنفات مخصوصة.

أمثال: كتاب "فعلت وأفعلت" لأبي حاتم السجستاني، وكتاب "فعلت وأفعلت" للزجاج، وكتاب "الأفعال الثلاثية والرباعية لابن القوطية، وبعض أسواب كتاب "الأفعال" السرقسطي، وكتاب "الأفعال" لابن القطاع.

ثالثها: المعاني التي تضيفها أحرف الزيادة على الأفعال.

امتاز المحيط بإيراد الأفعال المجردة والأفعال المزيدة منوهاً بالمعاني الجديدة التي تقيدها أحرف الزيادة إذا ما اتصلت بالفعل المجرد مبيِّنا تلك المعاني باللفظ أحيانا وبالاستعمال غالبا، ولم يلزم الصاحب نفسه بإيراد المجرد فالمزيد بل كان يكتفي في مواضع كثيرة بذكر المزيد ومعناه دون إيراد مجرده أمثال: انتصر<sup>(١٠)</sup>، وتندست عن الأخبار؛ بحثت عنها<sup>(١١)</sup>.

نحن نعلم أن الزيادة في الأفعال تكون بحرف واحد، وبحرفين، وبثلاثة أحرف، وقد استقصى الصاحب معظم معاني الأفعال المزيدة على اختلافها سواء أكانت ثلاثية أم

(١) المحيط ج ٩، ص ٢٥٧.

(٢) م.ن ج ٨، ص ٣١١.

(٣) م.ن ج ٣، ص ٤٥٠.

(٤) م.ن ج ٥، ص ٢٠٧، وانظر م.ن ج ٦، ص ٢٧٨.

(٥) م.ن ج ٤، ص ٥٨، وانظر م.ن ج ١٠، ص ١٧٣.

(٦) م.ن ج ٣، ص ١٧٢، وانظر م.ن ج ٤، ص ٥٤٠.

(٧) م.ن ج ٨، ص ١٩٤، وانظر م.ن ج ١٠، ص ٦١.

(٨) م.ن ج ٥، ص ٤٧٥.

(٩) م.ن ج ١٠، ص ٢٦٦.

(١٠) م.ن ج ٨، ص ٢٢٦.

(١١) م.ن ج ٨، ص ٢٨٦.

رباعية، ولكي لا أطنب القول في هذا، ساكتفي بالإشارة إلى أشهر المعاني التي أفادت بها زيادة الهمزة على الفعل المجرد (فعل) ليقاس عليها ما عداها.

وجدت في المحيط المعاني التي تفيدها زيادة الهمزة جميعها. ومن أظهرها:

أ- التعدية "الزُهوف: الذُلُّ، أزهفهُ، أدله" (١).

ب- الصيرورة: "أصهَرَ: صار فيهم صِهْرًا" (٢).

ج- الدخول في الزمان: "أضحى الرجل يفعل ذلك: إذا فعله من أول النهار" (٣).

د- الدخول في المكان: "السماوة: ماء بالبادية. وأسمى فلان: دخل السماوة، وهي مفازة بين الكوفة إلى الشام" (٤).

هـ- الجعل على اختلاف معانيها:

١- أن تجعله يفعل كذا "أهدأت الصبي: ضربت يدي عليه رويداً لينام" (٥).

٢- أن تجعله على صفة "أتلَّهُهُ المرض: أي جعله مُتَلَفًا" (٦).

٣- أن تجعله صاحب شيء: "أرَسَنْتُ الدابة: جعلت لها رَسْنًا" (٧).

و- الوجود "أذهيت الرجل: وجدته داهية" (٨).

ز- المبالغة والتكثير "أسهب في المنطق: أكثر" (٩) "أزهف الخبر: زاد فيه وكذب" (١٠).

ح- الاتخاذ "الأدمة: خلاف البشرة، يقال: أدمته: أخذت أدمته" (١١).

ط- الوصول والمصادفة "حفرت حتى نهرت أنهر: أي انتهيت إلى الماء" (١٢).

ي- الدعاء "أرهن الله قوته: أي أوهنه" (١٣).

رابعها: الفعل اللازم والمتعدي.

لم تشغل قضية الفعل اللازم والمتعدي صاحب كما شغلت المعجميين السابقين عليه واللاحقين به، ولا سيما صاحب التهذيب وصاحب اللسان، فلا نجد صاحب يُردف

(١) المحيط ج ٣، ص ٤٢٦.

(٢) م ن ج ٣، ص ٤٠٦.

(٣) م ن ج ٣، ص ١٥٣.

(٤) م ن ج ٨، ص ٤٠٦.

(٥) م ن ج ٤، ص ٤٤.

(٦) م ن ج ٣، ص ٤٥٧.

(٧) م ن ج ٨، ص ٣٠٥.

(٨) م ن ج ٤، ص ٤٦.

(٩) م ن ج ٣، ص ٤١٧.

(١٠) م ن ج ٣، ص ٤٢٦.

(١١) م ن ج ٩، ص ٣٨٤.

(١٢) م ن ج ٣، ص ٤٧٦.

(١٣) م ن ج ٣، ص ٤٧٥.

الفعل بعبارة "وهذا فعل متعدٍ وهذا فعل لازم"، والقضية التي انصب جهد صاحب في توضيح أبعادها جواز استعمال أفعال بعينها لازمة أحيانا ومتعدية أحيانا أخرى، وسلك صاحب في تحديدها طرقاً شتى، فقد يتكئ على الاستعمال في جواز استخدامه لازماً مرةً ومتعدياً مرةً أخرى "وَشَكَّكَتْ إِلَى فُلَانٍ وَشَكَّكَتَهُ: أَي رَكَنْتَ إِلَيْهِ"<sup>(١)</sup>.

وقد ينبه صاحب على جواز لزومها وتعديها في اللفظ الصريح "ورث: يكون لازماً ومتعدياً"<sup>(٢)</sup>، وقد يعتمد في إيصال الفكرة نفسها على نظيرها من الأفعال المشهورة، إذ دلت صاحب على جواز لزوم (أَنْصَتَ) وتعديها بجواز لزوم (نَصَحَ) وتعديها، لأن جواز الفعل (نصح) في الحالتين أظهر معرفة وأكثر تداولاً على الألسن "الْإِنْصَاتُ: السُّكُوتُ لِاسْتِمَاعِ الْحَدِيثِ يَقُولُ: أَنْصَتَ يَنْصِتُ إِنْصَاتًا، وَأَنْصَتُهُ وَأَنْصَتَ لَهُ، كَمَا يَقَالُ: نَصَحْتَهُ وَنَصَحْتُ لَهُ"<sup>(٣)</sup> وإذا تعدى فعل لازم لم نعهد أن يكون متعدياً توقف صاحب عنده وأكد على أنه من نواذر استعمال العرب، وحاول استنباط المعنى الذي رموا إليه من تعديتهم ذلك الفعل "هو يقوم أهله وقام أهله: أَي قَامَ بِشَأْنِهِمْ فَعَدَّاهُ إِلَى الْمَفْعُولِ"<sup>(٤)</sup>.

#### خامسها: الممات من الأفعال.

لحركة الزمن وتغير وسائل العيش دور كبير في تغير أنماط اللغة وألفاظها، وإحياء أفعال وصيغ وإماتة أخرى. مع أن لغتنا العربية امتازت بنقائنها واستمرارها غير أن ديمومتها لم تمنع من إماتة بعض ألفاظها وصيغها<sup>(٥)</sup> لا سيما أفعالها، والصاحب من العلماء الذين أدركوا هذه الحقيقة وعملوا على رصد الأفعال التي دثرت، فقد تستعمل أسماء أفعال مماتة "الْفَاقَةُ: الْحَاجَةُ، وَلَا فَعَلَ لَهَا"<sup>(٦)</sup> "الذَّرَةُ: أَمِيَتْ فَعَلَهُ إِلَّا قَوْلُهُمْ: مِذْرَهُ حَرْبٌ، وَمِذْرَةُ الْقَوْمِ: وَهُوَ الدَّفَاعُ عَنْهُمْ الرَّئِيسُ فِيهِمْ، وَهُوَ دَرِيَّةُ الْقَوْمِ: أَي كَبِيرُهُمْ"<sup>(٧)</sup>.

وقد نجد ألفاظاً تمات في بنى وتحيا في بنى أخرى، فلفظنا "الْوَدْعُ" و"الْوَذْرُ" أميت ماضيها ومصدرهما وأحييتا في المضارع والأمر "العرب قد أماتت المصدر من "يذر" والفعل في الماضي؛ واستعملته في الغابر والأمر، يقولون: "ذُر" تركاً، وقد قيل وذرتسه: ودعته، وهو شاذ<sup>(٨)</sup> نلاحظ أن صاحب استخدم لفظة "غابر" وعنى بها "الحاضر" ولا أعرف المسوغ لذلك، فقد يكون هذا من خطأ النساخ لأن الخليل<sup>(٩)</sup>، والأزهري<sup>(١٠)</sup> استخدموا لفظة حاضر للدلالة على المضارع.

(١) المحيط ج٦، ص ١٢٢.

(٢) م ن ج ١٠، ص ١٦٢.

(٣) م ن ج ٨، ص ١٢١.

(٤) م ن ج ٦، ص ٥٩.

(٥) اسماعيل عميرة، الأقيسة الفعلية المهجورة، دار الملاحى، الأردن-أربد، ١٩٨٨م.

(٦) المحيط ج٦، ص ٤٢.

(٧) م ن ج ١٢، ص ٤٤٢.

(٨) م ن ج ١٠، ص ٩٦.

(٩) العين ج ٨، ص ١٩٦.

(١٠) التهذيب ج ١٥، ص ١١.

## الاسم:

الاسم قسيم الفعل، والركن الثاني من أركان علم الصرف، وماتلت معالجة صاحب للاسم معالجته للفعل.

لم يدع صاحب مبحثاً من مباحث الاسم إلا وعالجها ضمن أمثلة معجمه، وفتح الطريق أمام الباحث ليستنتجها ويستبين وجهة المؤلف فيها، ودارت مباحث الاسم في محاور رئيسة:

## أولها: المصدر.

رأى صاحب رأي معظم اللغويين ولا سيما البصريين أن المصدر أصل المشتقات. وأن الأفعال تصرف منه، والذي يؤكد ذلك عنايته الكبيرة بالاسم مجرداً ومزيداً وإشارته إلى المصادر على اختلاف أفعالها وأنواعها، فقد كان يورد مصادر الأفعال الثلاثية المجردة "سَبَغَ الشعرُ سُبُوغاً.." (١).

والأفعال المزيدة "وَقَّتَ الرجلُ تَوْقِيفاً" (٢).

وإذا تماثل الفعل المجرد والمزيد في معنى ذكر مصدر كل منهما "تَجَزَّ الوعدُ يَنْجُزُ نَجْزاً، وأنجَزْتَهُ إنْجَازاً: وهو وفاؤك به" (٣).

وتتبع صاحب مصادر الأفعال الرباعية المجردة والمزيدة، وذكره لها أكثر من المصادر الثلاثية "خَذَرَفْتُ الإناءَ خَذْرَفَةً: ملأته" (٤) "تَهَذَّرْتُ تَهَذُّرًا: ابتهجت وسررت" (٥) يوجد أفعال في العربية لها أكثر من مصدر، فبعضها يكون لها مصدران "عَطَفَهُ عَطْفًا وَعَطُوفًا: أماله وثناه.." (٦).

وبعضها يكون لها ثلاثة مصادر أو أزيد "رَفَهُ عَيْشَهُ رَفَاهَةً وَرَفَاهِيَةً وَرُفْهَةً: أي رَغِدٌ" (٧) "رَهَبْتُ الشيءَ رَهْبًا وَرَهَبًا وَرَهَبًا وَرَهَبًا: أي خفته" (٨).

ونأتي بنى مصادر أفعال تخفى على الكثيرين، فيورد صاحب تلك المصادر النادرة كي لا يظن القارئ أن بنية مصدرها مماثلة لبنية مصادر الأفعال المماثلة لبنية ذلك الفعل لا سيما إذا استخدمت تلك الأفعال استخداماً مغايراً لما هو معهود، أي أن استخدامها اختص في سياق حال محدود.

نحن نعلم أن المصدر الشائع للفعل (ظَهَرَ) هو الظهور إلا أن بنية مصدره اختلفت عندما اختص أحد معاني ظهر بالبعير "الظهيرُ: البعير القوي الظهر الصحيح، والفعل ظَهَرَ ظُهُارَةً، ويظهره أي يتبعه" (٩).

(١) المحيط ج٥، ص ١٨.

(٢) م.ن ج٦، ص ٤٧.

(٣) م.ن ج٧، ص ٢٧.

(٤) م.ن ج٤، ص ٤٧٥.

(٥) م.ن ج٤، ص ١١١.

(٦) م.ن ج١، ص ٤٠٨.

(٧) م.ن ج٣، ص ٤٧٨.

(٨) م.ن ج٣، ص ٤٧٩.

(٩) م.ن ج٣، ص ٤٦٤.

والمصدر من الفعل (صدر) المعروف لدينا (الصدر) لكنه إذا اختصّ الفعل بالماء فإن مصدره سيصبح "الصَدْر - بجزم الدال-: مصدر من صدرت عن الماء"<sup>(١)</sup>.

والتماثل بين بنى الأفعال وأحرفها مع اختلاف معانيها وبنائها الصرفية من سمت العربية لذا حرص صاحب على تبيان مصادر تلك الأفعال حتى لا يُظن أن تماثل مبنى تلك الأفعال وحروفها يقتضي تماثل مصادرها. "رَكَ السهم عن الدِرْع زَلِيلًا، وَرَلَّت قدمه زلا، وزلّ في الخطبة والمقالة زَلَّةً، وفي الرأي زَكَلًا وَرَلًا وَرَلُولًا وَرَلِيلًا، وَرَلَّ عن المنزلة زَلِيلًا وَرَلُولًا"<sup>(٢)</sup>.

وفي ثانياً كلام العرب نجد نقيضاً لما سلف، فقد يُعثر على أفعال متباينة في البنية ومنتقاة في المصدر والمعنى، ولكنها نادرة إذا ما قورنت بسابقتها "الدَّئَاءَةُ: مصدر الدَّيْنِ، دَنُوٌ يَدْنُوٌ وَدَنَا يَدْنَانُ، وهو الدقيق الخلق الحقيق"<sup>(٣)</sup>.

استقرأ أفعال العربية ومصادرهما يرينا أن العربية تتسم بسمة أخرى تتوسط الصفتين السابقتين، إذ إن هنالك تماثلاً بين الأفعال ومصادرهما واختلافاً بين معانيها، فعمل صاحب على توضيح الفوارق المعنوية بينها بوساطة وضع كل واحد منها في جملة مقترنة بالفاظ مخصوصة تدل على المعنى المراد، وقد يورد مضارع الفعل أو الفعل المزيد منه ومصدره ليؤكد الفارق بينهما "الأَرْضُ: كَرَمُ الأَرْضِ، أَرْضَتِ تَأْرَضُ أَرْضًا، وَأَرْضَتِ الفَرْحَةَ تَأْرَضُ أَرْضًا: أي فسدت وتقطعت"<sup>(٤)</sup> "وَنَاصَنِي نَوَاصًا: أي تتخى عني وفارقني.. وَنُصِتَ الشيء: أي طلبته نوصاً"<sup>(٥)</sup>.

واستقرأ أفعال العربية يرينا ظاهرة مغايرة لسابقتها، إذ إن هنالك أفعالاً منتقاة في المعنى ومختلفة في مبانيها وفي بنى مصادرهما، ويغلب أن تكون هذه السمة بين الأفعال المجردة والأفعال المزيدة التي تعود إلى جذر واحد "كَمَلَ الشيء صُمُولًا: صلب واشتد، ويوصف به الخيل والجمال والرجال.. وَأَصَمَالَ الأمر اصمئلاً: إذا اشتد"<sup>(٦)</sup> "وَأَقْصَرَ الرجل عن الأمر إِقْصَارًا: انتهى عنه، وقصرت عن الأمر أقصر عنه قَصْرًا وقصوراً"<sup>(٧)</sup>. يكون المصدر في أمثلة محدودة وسيلة من وسائل إزالة اللبس وتوضيح معنى الأفعال المنتقاة في البنية أمثال الفعل (وَجَدَ)<sup>(٨)</sup>.

تسهم عوامل غير قليلة في إثراء بنى المصدر منها: الإعلال بالقلب بين الأفعال الناقصة "الخَشْيَةُ: الخوف، خَشِيَ يَخْشَى خَشْيَةً وَخَشْيًا وَخَشْيَانًا وَمَخْشَاءً"<sup>(٩)</sup> ومد الاسم المقصور "رَضِيَ، يَرْضَى رِضًى وَرِضَاءً - بالمد أيضاً -"<sup>(١٠)</sup>.

(١) المحيط ج ٨، ص ١٠٩.

(٢) م.ن ج ٩، ص ١١.

(٣) م.ن ج ٩، ص ٣٦١.

(٤) م.ن ج ٨، ص ٤٠.

(٥) م.ن ج ٨، ص ١٩٤.

(٦) م.ن ج ٨، ص ١٥٢.

(٧) م.ن ج ٥، ص ٢٥٩.

(٨) م.ن ج ٧، ص ١٥٨.

(٩) م.ن ج ٤، ص ٣٧٥.

(١٠) م.ن ج ٨، ص ٤٢.

ولا يفوتني الإشارة إلى أن الصاحب أورد معظم أنواع المصادر أمثال المصدر الميمي "تَابَ إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً وَمَتَابًا"<sup>(١)</sup> "المَحَلُّ: مصدر كالحُلُول والحَلِّ"<sup>(٢)</sup>.

ومصدر الهيئة "وَضَعْتُ الشَّيْءَ وَضْعَةً وَوَضَعًا"<sup>(٣)</sup>.

ومصدر المرة "الذَّهَبَةُ: المرة الواحدة من الذهاب"<sup>(٤)</sup>.

والمصدر الصناعي "الرَّعَاوِيَّةُ مِنَ الْمَالِ: ما يرعى حول ديارهم"<sup>(٥)</sup>. ولكن اهتمامه بليراد المصدر الصريح أبين ووفرة أعدادها ظاهرة للعيان.

اعتنى الصاحب بالمشتقات عناية كبيرة، فلا نكاد نقرأ تقليبا إلا وأورد الصاحب في ثناياه معظم المشتقات على اختلاف أنواعها سماعية كانت أم قياسية، وثلاثية كانت أم فوق ثلاثية، وإذا شدَّ استخدام بنية من المشتقات نبه على ذلك. نحن نعلم أن اسم الفاعل من الفعل الثلاثي (وَفَع)؛ وافع، لكننا لم نسمع وافع وسمعنا يافع، فقد يكون للإبدال دور فسي تغيير فائه وإن لم يكن له مسوغ نطقي أو لغوي "غَلَامٌ وَفَعَةٌ وَوَفَعٌ، أَي يَافِعٌ، وَيَجْمَعُ عَلَى وَفَعَانٍ"<sup>(٦)</sup>.

ولم يشتق العرب من الفعل (أَفَع) اسم فاعل على بنية (مِيفَع)، وإنما اشتقوا منه كما يشتق من الفعل الثلاثي يفع؛ يافع.

وقد يختص اسم الفاعل في وصف اسم، ويختص اسم المفعول في وصف اسم آخر، على الرغم من أنهما مشتقان من الجذر نفسه "الوَهْنُ: الضعف في العمل؛ والعظم ونحوه، وَهِنَ الْعِظْمُ يَهِنُ وَهْنًا، وَأَوْهَنَهُ يَوْهِنُهُ، وَوَاهِنٌ فِي الْأَمْرِ، وَمَوْهُونٌ فِي الْعِظْمِ وَالْبَدَنِ"<sup>(٧)</sup>.

تُصَاغُ الصِّفَةُ الْمُؤَنَّثَةُ مِنَ الْوِزْنِ (أَفْعَل) عَلَى وَزْنِ (فَعْلَاء) "الْأَلْكَنُ: الرَّجُلُ الَّذِي لَا يَقِيمُ عَرَبِيَّتَهُ لِلْكُنَّةِ فِي لِسَانِهِ، وَامْرَأَةٌ لَكْنَاء"<sup>(٨)</sup>.

إلا أن هنالك صفات مخصوصة أتت على وزن (أفعله) "أَرْمَلَتِ الْمَرْأَةُ إِرْمَالًا: صَارَتْ أَرْمَلَةً، وَرَمَلَتْ أَيْضًا. وَرَمَلَ الرَّجُلُ: إِذَا مَاتَتْ امْرَأَتُهُ، وَهُوَ أَرْمَلٌ"<sup>(٩)</sup> وَقَدْ تَأْتِي صِفَةٌ لِلْمَذَكَّرِ عَلَى وَزْنِ (فَعْلَاء) "جَرَادَةٌ صَفْرَاءٌ: لِلذَّكَرِ مِنْهَا، وَلَا يُقَالُ أَصْفَرٌ"<sup>(١٠)</sup>.

عدَّ الصاحب وزن فعلائة بوصفها صفة للمؤنث وزنا عاما في العربية ولم يعده شاذًا أو قياسًا خاطئًا، فقيل إن بني أسد تقول فعلائة بدل فعلى، ومما يدل على موقفه إيراد "جارية

(١) المحيط ج ٩، ص ٤٧١.

(٢) م. ج ٢، ص ٣١٤.

(٣) م. ج ٢، ص ١٠٤.

(٤) م. ج ٣، ص ٤٧٠.

(٥) م. ج ٢، ص ١٤٠.

(٦) م. ج ٢، ص ١٦٩.

(٧) م. ج ٤، ص ٧١.

(٨) م. ج ٦، ص ٢٦٥.

(٩) م. ج ١٠، ص ٢٢٨.

(١٠) م. ج ٨، ص ١٣٣.



بِهَنَانَةٍ: لينة في منطقتها وعملها" (١) "لَيْلَةٌ دَخَانَةٌ: كأنما يغشاها دخان من شدة حرها. يوم دَخَانٌ سَخَانٌ" (٢).

وإذا دلّ وزن (فاعل) على الثبوت مائل معناه معنى اسم المفعول في ألفاظ مخصوصة ذكرها "رجل منلوّ العقل وتألّه: أي ذاهبه" (٣) "مكان مأهول وأهل: له أهل" (٤).

ثانيها: الاسم المقصور والممدود.

تناقلت المصادر تعريفات عديدة للاسمين المقصور والممدود، وإذا دققنا النظر فيها لا نجد فوارق بينة بينها، وأن مجمل تلك التعاريف مستقاة من كتابي المقصور والممدود لابن ولاد، والمقصور والممدود لأبي البركات الأنباري.

عرّف ابن ولاد المقصور بقوله: "كل اسم كانت في آخره ألف في اللفظ زائدة كانت أو غير زائدة كقولك ملهى ومرمى" (٥).

ومائله الأنباري (٦) في القول إلا أنه فصل فيه، إذ ضرب أمثلة توضيحية كثيرة للألف الأصلية والألف المنقلبة عن واو أو ياء، والألف الزائدة للتأنيث والألف الزائدة للإحاق.

رأى المتقدمون (٧) على ابن ولاد والأنباري أن الاسم المقصور قد ينتهي بألف أصلية أو ألف زائدة، وأثبتت أمثلة الصحاح الرأي ذاته، فمن الأسماء المقصورة التي ألفها أصلية "الحوى - مقصور - وجمعه أحواء" (٨).

ومن الأسماء المقصورة التي ألفها زائدة "الغزيرى - مقصور - نبت" (٩).

أما الاسم الممدود فعرفه الأنباري بقوله: "وأما الممدود فهو كل اسم في آخره همزة قبلها ألف، والهمزة لا تخلو من أن تكون أصلية، أو منقلبة عن حرف أصلي أو زائدة" (١٠). وقال القول نفسه ابن ولاد (١١) إلا أنه اشترط أن تكون الألف التي تسبق الهمزة زائدة.

(١) المحيط ج ٤، ص ٧.

(٢) م.ن ج ٤، ص ٣٠٤.

(٣) م.ن ج ٣، ص ٤٥٧.

(٤) م.ن ج ٤، ص ٦٤.

(٥) ابن ولاد، المقصور والممدود - لندن وليدن، تحقق: Dr: Poul Bronnle، ١٩٠٠، ص ٣.

(٦) الأنباري، حلية العقود في الفرق بين المقصور والممدود، تحقق: د. عطية عامر، نشر جامعة ستوك هولم، د.ت، ص ١.

(٧) الفراء، المقصور والممدود، تحقق: ماجد الذهبي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣م، وابن دريد في مقصورته المشهورة، انظر

نزاهة الألباء في طبقات الأدباء، الأنباري، استكهولم، تحقق: عطية عامر، ١٩٦٣، ص ١٥٥، والوشاء في كتابه المقصور والممدود،

تحقق: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٧٩م.

(٨) المحيط ج ٣، ص ١٩٤.

(٩) م.ن ج ٤، ص ٥١٣.

(١٠) الأنباري، المقصور والممدود، ص ٢٩.

(١١) ابن ولاد، المقصور والممدود، ص ٣.

أورد صاحب أمثلة من الاسم الممدود همزته أصلية "الهَجَاءُ - ممدود - تَهَجَّاتٌ وَتَهَجَّيْتُ" (١) وأمثلة أخرى همزتها زائدة "الرَاهِطَاءُ؛ حُجْرُ الِيرْبُوعِ، والرَّهْطَةُ مُثْلُهُ" (٢).

قسّم العلماء (٣) المقصور والممدود إلى ضربين رئيسيين: ضرب قياسي وآخر سماعي.

قضية المقصور والممدود قضية لغوية شغلت الأقدمين، فأخذوا يحصونها ويقسمون أبنيتها، فقد أعادت كتب التراجم نشأة التأليف فيه إلى أبي محمد يحيى بن المبارك اليزيدي والأصمعي، وأبي عبيد القاسم بن سلام وغيرهم، وقد تناول محقق كتب المقصور والممدود للأنباري هذه المؤلفات متتبعا ظهورها وأشهر من ألف فيها، فعلى من أراد الاستزادة في معرفة المصنفات التي ألفت حول المقصور والممدود وزمن ظهورهما الرجوع إليه (٤).

شغلت ظاهرة المقصور والممدود صاحب الذي حاول تحديد مواقعها وتبين البنى والأسماء التي يقع فيها القصر والمد، إذ رأى ألفاظا ممدودة في العربية لا يجوز فيها إلا المد، لأن عدم مدّها سيؤدي إلى إبهام معناها، ولكي يؤكد فكرته كان يردف الاسم الممدود بلفظة ممدود "جِراء - ممدود - : جبل بمكة" (٥) ووقف الموقف نفسه تجاه الأسماء المقصورة، فإذا لم يجز في الأسماء إلا القصر أتبعها بلفظة مقصور ".. الخفا - مقصور - : الشيء الخافي" (٦).

احتوى المحيط على ألفاظ ممدودة لم يلحقها صاحب بلفظة ممدود "الجِزَاءُ: قَرَحٌ فِي الرَّأْسِ يَخْرُجُ بِهِ لَيْسَ بِمُسْتَقْرَحٍ.." (٧).

وعدم إلحاقه إياها بلفظة ممدود يقودنا إلى القضية الخلافية التي أثرت حول جواز قصر الممدود ومد المقصور، إذ اختلف العلماء في جواز مد الألفاظ المقصورة وقصر الألفاظ الممدودة، وجوزوا مد المقصور في الضرورة الشعرية فقط "وإنما يمدّ لعله" (٨)، ولكنهم لم يمنعوا قصر الاسم الممدود لأن فيه رداً للأصل "وقد يجوز قصر الممدود، ولا يجوز مد المقصور، وإنما يمدّ لعله، فإذا قصر رُدَّ إلى أصله" (٩) كما أن قصر الممدود يقلل الجهد النطقي على المرء، وفي ذلك يقول ابن سيده:

"إنما أجمعوا على قصر الممدود، واختلفوا عكسه، لأن قصر الممدود تخفيف، وردّ شيء إلى أصله، وكلاهما مطلوب في الشعر وغيره، كالترخيم ونحوه من ضروب

(١) المحيط ج ٤، ص ٢٢.

(٢) م-ن ج ٣، ص ٤٢٣.

(٣) ابن سيده، المحقق، المكتب التجاري للطباعة - بيروت ج ١٥، ص ٩٥.

(٤) انظر مقدمة المحقق من ص ط إلى ص ل.

(٥) المحيط ج ٣، ص ١٩٤.

(٦) م-ن ج ٤، ص ٤٢٤.

(٧) م-ن ج ٤، ص ٤٢٤.

(٨) م-ن ج ٣، ص ١٧٠.

(٩) ابن الوشاء، الممدود والمقصور، ص ٣١.

الحذف؛ لأنهم مما يؤثرون التخفيف، وأما مد المقصور فزيادة فيه وتثقيل، فهذا فرق بينهما<sup>(١)</sup>.

نبه صاحب على جواز قصر الاسم الممدود في الاستعمال أحيانا وفي اللفظ أحيانا "البكاء: يمد ويقصر: والفعل: بكى يبكي"<sup>(٢)</sup>.

الصاحب من العلماء الذين رأوا أن لاختلاف اللغات أثرا في مد الاسم المقصور، وقصر الاسم الممدود "الصلاء: الوقود إذا اصطلت به، والصلاة: لغة - مقصور"<sup>(٣)</sup> "ألى: في لغة يقصر، وأهل الحجاز يمدون: الأء"<sup>(٤)</sup>.

قد يشتق من التقليل نفسه لفظتان إحداهما مقصورة والأخرى ممدودة، فإذا تماثلتا في المعنى نبه صاحب عليهما باللفظ "سوى: بمعنى وسط.. وسواء - أيضا -: وسط"<sup>(٥)</sup> أما إذا اختلفا في المعنى فيورد كلا منهما منفصلة عن الأخرى "الفضاء: المكان الواسع.. والفضا مقصور -: الشيء المختلط"<sup>(٦)</sup>.

لم يقصر صاحب لفظة ممدود على الاسم الممدود فقط، وإنما استخدمها لما زيد فيه حرف "الأس: أصل التأسيس في البناء، وفي لغة: أسس، والجميع الأساس - ممدود"<sup>(٧)</sup>. وكذلك المقصور فقد استخدمه ليبدل به على حذف أحد الحروف لا سيما الألف والهمزة "مضى يهوء من الليل وهو من الليل مقصور -"<sup>(٨)</sup> "الأبداء: المفاصل، واحدها بكاء - مقصور - وهو أيضا بدو"<sup>(٩)</sup>.

تسهم الأسماء الممدودة والمقصورة إذا تماثلت معانيها في إغناء ظاهرة المترادف "الهيجاء: الحرب يمد ويقصر"<sup>(١٠)</sup> "العواء: نجم يمد ويقصر"<sup>(١١)</sup>.

واحتواء الاسم الممدود عينه أو الاسم المقصور عينه على معنيين أو أزيد يوسعان ظاهرة المشترك اللفظي "سوى: بمعنى القصد أيضا. وسوى بمعنى وسط. وسواء - بالمد: بمعنى حذاء، وسواء أيضا: وسط"<sup>(١٢)</sup> "ليلة السواء: ليلة ثلاث عشرة من الشهر، وأمر سواء: تام وخمس سواء"<sup>(١٣)</sup>.

(١) ابن سيده، المخصص ج ١٥، ص ١١١.

(٢) المحيط ج ٦، ص ٣٤٣.

(٣) م.ن ج ٨، ص ١٩٥.

(٤) م.ن ج ١٠، ص ٣٧٨.

(٥) م.ن ج ٨، ص ٤١٤.

(٦) م.ن ج ٨، ص ٤٩.

(٧) م.ن ج ٨، ص ٤١٩.

(٨) م.ن ج ٤، ص ٩٧.

(٩) م.ن ج ٩، ص ٣٧٣.

(١٠) م.ن ج ٤، ص ٢٣.

(١١) م.ن ج ٢، ص ١٨٦.

(١٢) م.ن ج ٨، ص ٤١٤.

(١٣) م.ن ج ٨، ص ٤١٥.

## ثالثها: المذكر والمؤنث.

صرف العلماء جهداً كبيراً في توضيح أقسام المذكر والمؤنث وتحديد بنى كل منهما، والاستخدام الملائم لهما، فأنشأوا يولفون كتباً عالجت موضوع المذكر والمؤنث معالجة مستفيضة، وقسموا كتبهم أبواباً عديدة استوعبت متعلقاتهما المختلفة أمثال: "المذكر والمؤنث" للفراء و"المذكر والمؤنث" للمبرد و"المذكر والمؤنث" لأبي بكر ابن الأنباري، و"المذكر والمؤنث" لابن جنبي، و"البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث" لأبي البركات الأنباري.

لم يعن صاحب في تقسيم المؤنث كما فعل المبرد<sup>(١)</sup>، وأبو بكر الأنباري<sup>(٢)</sup>، وإنما أورد أمثلة غزيرة توحى لنا منهج صاحب في معالجته لموضوعي المذكر والمؤنث. اعتاد صاحب البدء بإيراد صفة المذكر من المادة المتناولة ثم يتبعها بالصفة المؤنثة المشتقة من المادة نفسها "رَجُلٌ لَهْفَانٌ: شديد اللَهْفِ، وامرأة لَهْفَى"<sup>(٣)</sup>.  
وقلما يبدأ المادة بالصفات المؤنثة "المَحْسَنُ: الموضع الحَسَنُ في البَدَنِ والجميع المَحْسِنُ، وامرأة حَسَنَاءُ ورجل حَسَانٌ"<sup>(٤)</sup>.

ويورد الصفات المشتقة من المادة للمذكر دون المؤنث على الرغم من أن اتصاف النساء بها واقع "رَجُلٌ أَحَجَمُ العَيْنِ: مُدَوَّرَهَا"<sup>(٥)</sup> "الأَحْزَمُ: الغليظ الوَسَطُ"<sup>(٦)</sup>. كما أنه قد يورد الصفات المشتقة من المادة للنساء دون الرجال مع أن اتصافهم بها معلوم "الهَرُّكْلَسَةُ من النساء: الحَسَنَةُ المِشِيَّةُ والخَلْقُ"<sup>(٧)</sup>.

يستوي المذكر والمؤنث في بنى صفات مخصوصة حفل المحيط في إيراد بنى عديدة منها: "القَزَمُ: اللثيم الدنيء الصغير الحَبَّةُ، رجل قَزَمٌ وامرأة قَزَمٌ..."<sup>(٨)</sup> "الفِرَارُ والمِفْكَرُ: لغتان، والفَرُّ: الفِرَارُ، يستوي فيه الذكر والأنثى"<sup>(٩)</sup>.

لا يقتصر الاستواء على الصفات، فقد يتماثلان في التسمية أيضاً "البُهْمَةُ: اسم للذكر والأنثى من أولاد البقر الوحش وغيرها"<sup>(١٠)</sup> "العَزُّ: طير سود من طير الماء. الواحد غَرَاءٌ، ذكراً كان أو أنثى"<sup>(١١)</sup>.

حفظت لنا المؤلفات اللغوية ألفاظاً محدودة جوز اللغويون تذكيرها وتأنيتها على حد سواء. فجوزوا أن تسبق بضمير شأن مؤنث لمن أراد التأنيث وضمير شأن مذكر لمن

(١) المبرد، المذكر والمؤنث، تحقق: رمضان عبد التواب، صلاح الدين الهادي، مطبعة دار الكتب، ١٩٧٥، ص ٨٣ - ٨٥.

(٢) أبو بكر ابن الأنباري، المذكر والمؤنث، تحقق: طارق عبد عون الجنابي، ط ١، مطبعة العاني - بغداد، ١٩٧٨، ص ٨٨ - ٨٩.

(٣) المحيط ج ٣، ص ٤٨٩.

(٤) م-ن ج ٢، ص ٤٨٧.

(٥) م-ن ج ٤، ص ٤١٧.

(٦) م-ن ج ٣، ص ١٧.

(٧) م-ن ج ٤، ص ١١٢.

(٨) م-ن ج ٥، ص ٣١١.

(٩) م-ن ج ١٠، ص ٢٠٨.

(١٠) م-ن ج ٤، ص ١١.

(١١) م-ن ج ٤، ص ٥١٠.

أراد التذكير، ومن المرجح أن يكون اختلاف اللغات المسبب الموجد للتجوز في الاستعمال، وأورد المحيط ألفاظا غير قليلة منها: الرُّوح<sup>(١)</sup>، والطَّرِيق<sup>(٢)</sup>، والسَّكِين<sup>(٣)</sup>، والعَرُوس<sup>(٤)</sup>، والإِبْط<sup>(٥)</sup>، والعَسَلُ<sup>(٦)</sup>.

نحن نعلم أن التجوز سمة تلازم الألفاظ مخصوصة لأن المعهود في العربية تخصيص ألفاظ معروفة للمؤنث دون المذكر أمثال: الكف<sup>(٧)</sup>، والورِك<sup>(٨)</sup>، والمُنُون<sup>(٩)</sup>.

وقد لا يشير صاحب إلى أن تلك الألفاظ مؤنثة باللفظ الصريح، وإنما يعتمد في تبيان ذلك على الضمائر أو إلحاق تاء التانيث في وصفها أو تصغيرها "الطاء: حرف، هذه طاء مكتوبة، وقصيدة طابوئة وطائنية"<sup>(١٠)</sup> "السين: واحدة من الأسنان"<sup>(١١)</sup> "البيتر: معروفة"<sup>(١٢)</sup> "الزاي والزي: لغتان وتصغيرهما زُبيبة، وزُبيبت زايا حسنة"<sup>(١٣)</sup>.

كما أن هنالك ألفاظا مذكرة لا تؤنث إلا أن إشارة صاحب إلى أنها مذكرة أقل من إشارته إلى الألفاظ المؤنثة ولعله عائد إلى اعتباره أن المذكر أصل والمؤنث فرع عنه فشكل في توضيح ما انفرد به الفرع عن الأصل أمثال المسك<sup>(١٤)</sup>، والبصرك<sup>(١٥)</sup>، والعسجد<sup>(١٦)</sup>، والنور<sup>(١٧)</sup>.

#### رابعها: المثني.

اعتنى صاحب بتوضيح المثني والتغيرات الصرفية والصوتية التي تحدث عليه وأزال اللبس والغموض الذي يحيط في مفرد المثني وجمعه، ولذلك أمارات أهمها:-

١- غلب على صاحب أن يبدأ المادة بالمثني إذا كان المثني المشتق منها أكثر دوراناً على الأسن من المفرد "الجاحظتان: حدقتا العين إذا كانتا خارجتين.." <sup>(١٨)</sup>.

(١) المحيط ج ٣، ص ١٩٧.

(٢) م ن ج ٥، ص ٣١٩.

(٣) م ن ج ٦، ص ١٨٧.

(٤) م ن ج ١، ص ٣٦٠.

(٥) م ن ج ٩، ص ٢٢٦.

(٦) م ن ج ١، ص ٣٦٤.

(٧) م ن ج ٦، ص ١٤٥.

(٨) م ن ج ٦، ص ٣٢٢.

(٩) م ن ج ١٠، ص ٣٩٠.

(١٠) م ن ج ٩، ص ٢٢٧.

(١١) م ن ج ٨، ص ٢٤٧.

(١٢) م ن ج ٣، ص ٢٧٠.

(١٣) م ن ج ٩، ص ١١١.

(١٤) م ن ج ٦، ص ١٩٣.

(١٥) م ن ج ٨، ص ١٣٥.

(١٦) م ن ج ٢، ص ٢٢٦.

(١٧) م ن ج ١٠، ص ٢٥٠.

(١٨) م ن ج ٢، ص ٣٩٧.

٢- تتبع المثنى الذي يتغير نطقه في أسماء خاصة لا سيما الاسم المقصور والاسم الممدود "وَتَنَّتَى الحُمَى: حَمِيَان وَحَمَوَان" (١) "وَالسَّمَاء: سَقَفُ كُلِّ بَيْتٍ وَتَثْبِيته سَمَوَان" (٢).

وقد يؤدي الإعلال بين الياء وبين الواو في المفرد إلى إيجاد صورتين للمثنى "هما قَوْضَانٌ وَقَيْضَانٌ: أَي يَتَقَاضِيَان" (٣).

٣- عمل الصاحب على إزالة اللبس بين المثنى والمفرد المماثل له في البناء، فنحن نعلم أن هنالك أسماء مفردة مماثلة للمثنى في البنية ومغايرة له في الدلالة، فالأَرْقَان (٤) اسم مفرد وإن كان بناؤه بناء مثنى "الأَرْقَانُ وَالْبِرْقَانُ: أَقْعَةٌ تَصِيبُ الزَّرْعَ".

٤- تسليطه الضوء على الألفاظ المثناة المفتقرة إلى المفرد من جنسها وأحرفها الأصلية فالأَقْوَرَان (٥) بمعنى الداھية لا مفرد لها من جنسها، والفَدَّانُ (٦)؛ البقرتان اللتان يحورث عليهما لا مفرد لها من لفظها وأحرفها الأصلية.

وعلى النقيض من ذلك فإن هنالك ألفاظاً مفردة مفتقدة إلى المثنى من لفظها، فالوَحْشُ (٧) من الناس؛ وذالتهم، والبَشْرُ (٨)؛ الإنسان رجلاً كان أم أنثى، والطَرْفُ (٩)؛ العين.

٥- محاولة رصد الصاحب للألفاظ التي تماثلت بنيتها على اختلاف مدلولها، إذ حفظ المحيط بنى تماثل فيها المفرد والمثنى والمذكر والمؤنث والجمع "سَكْرَوَى الشَّيْء: مثله، وكذلك: سَرَاه، ويستوي الذكر والأنثى والواحد والاثنتان والجمع منه" (١٠).

وعلى النقيض من ذلك احتواء العربية على ألفاظ مثناة ليس لها واحد ولا جمع من لفظها، ومن ذلك العدد اثنتان (١١) مع أن الغالب أن تكون اللفظة المثناة من جنس مفردها ومن ذلك الكانونان (١٢)؛ شهران في قلب الشتاء وهما كانون الأول وكانون الثاني.

(١) المحيط ج٣، ص ٢٣٠.

(٢) م من ج٩، ص ٣٩٦.

(٣) م من ج٥، ص ٤٦٤.

(٤) م من ج٦، ص ١٨.

(٥) م من ج٥، ص ١٢.

(٦) م من ج٩، ص ٢٦٥.

(٧) م من ج٤، ص ٣٧٤.

(٨) م من ج٧، ص ٣٣٠.

(٩) م من ج٩، ص ٣٠٢.

(١٠) م من ج٥، ص ٣٧٣.

(١١) م من ج١٠، ص ٧٩.

(١٢) م من ج٦، ص ١٤٤.

٦- اهتم صاحب بإيراد الألفاظ المثناة الشائعة بين الناس مع أنها تعود إلى مفردين مختلفين لفظاً ومعنى، فالجديدان<sup>(١)</sup> مفردهما الليل والنهار، والخافقان<sup>(٢)</sup> مفردهما المشرق والمغرب، والأبيضان<sup>(٣)</sup> مفردهما اللبن والماء.

لا ينبه صاحب على المثني باللفظ الصريح، وإنما يلجأ إلى وسائل لغوية مختلفة منها إيراد الاسم الموصوف مثني "مات فلان سوي أهله، ورجلان سوانان وقوم أسواء"<sup>(٤)</sup>.

#### خامسها: الجمع.

اختلفت وسائل صاحب في تبيان جمع المفرد، إذ نبه عليه باللفظ الصريح "البصيرة: ما بين شقي الباب، وجمعها بصائر.." <sup>(٥)</sup>.

وقد لا يشير إلى الجمع باللفظ الصريح، إذ يبدأ بذكر الجمع دون الإشارة إليه، بل يذكر مفرد باللفظ الصريح ليدل على أن ما سبق ذكره هو جمع المفرد الذي أشار إليه باللفظ الصريح "الصوان: الحجارة فيها صلابة لونها كلون الأرض، الواحدة صوانة"<sup>(٦)</sup>.

واعتمد في تبيان جمع الصفة والأسماء على ألفاظ مخصوصة مثال رجال، ونساء، قوم، وفتيان "ظماً مهموز-: ظمى ظماً وطماءة: أي عطش والنعث ظمان وطمأى ورجال ظمأ ونساء ظمأيات وطمأء"<sup>(٧)</sup> "مات فلان سوي أهله، ورجلان سوانان، وقوم أسواء"<sup>(٨)</sup> "الظرف: مصدر الظريف، ظرف يظرف، وفتية ظرفاء وظروف وظرف وظراف وظرائف وأظراف"<sup>(٩)</sup>.

وفي مواضع عديدة اتكأ صاحب على الضمائر هم وهن "النسب: نسب القرابة، فلان نسبي، وهم أنسبائي"<sup>(١٠)</sup> "السلوب من النوق: التي يؤخذ ولدها وهن السلائب"<sup>(١١)</sup>.

لا يلزم صاحب نفسه إيراد المفرد إذا ذكر الجمع أو إيراد الجمع إذا ذكر المفرد، إذ احتوى المحيط على أمثلة أورد الجمع فيها دون مفردها "الصوارى: النخل الطوال"<sup>(١٢)</sup> واحتوى المحيط كذلك على أمثلة اقتصر على المفرد ولم يورد جمعها "القول: الكلام، قال يقول فهو قائل.." <sup>(١٣)</sup>.

(١) المحيط ج ٦، ص ٣٩٢.

(٢) م ن ج ٤، ص ١٩٨.

(٣) م ن ج ٨، ص ٥٥.

(٤) م ن ج ٨، ص ٤١٤.

(٥) م ن ج ٨، ص ١٣٦.

(٦) م ن ج ٨، ص ٢١٣.

(٧) م ن ج ١٠، ص ٤٨.

(٨) م ن ج ٨، ص ٤١٤.

(٩) م ن ج ٩، ص ٢١٣.

(١٠) م ن ج ٨، ص ٣٤٣.

(١١) م ن ج ٨، ص ٣٢٦.

(١٢) م ن ج ٨، ص ١٦٩.

(١٣) م ن ج ٦، ص ٢٢.

راوح الصاحب في الابتداء بين المفرد والجمع، ولعل المراوحة عائدة إلى شيوع أحدهما على الآخر، فمن المواضع العديدة التي بدأها بالمفرد ثم ذكر جمعها قوله: "الغطاء: ما غطيت به والجميع الأغطية"<sup>(١)</sup>.

ومائلها عدداً ابتداءً بالجمع ثم المفرد "الظَّهَارُ: الجماعة، الواحدة ظَهْرٌ"<sup>(٢)</sup>.

لم يقصر الصاحب اهتمامه على نوع واحد<sup>(٣)</sup> من الجموع وإن كان إيراده لجموع التكسير أظهر<sup>(٤)</sup>.

اهتم الصاحب بالجمع اهتماماً كبيراً زاد على غيره من أقسام الاسم، إذ تتبع جمع المفرد ومفرد الجمع، فإذا كان للمفرد أكثر من جمع واحد أو بنية للجمع نفسه أوردتها كلها في أبواب كتابه جميعها "الحَبُّ: معروف، يجمع على الحُبُوبِ والأحِبَّةِ والإحِبَّاتِ"<sup>(٥)</sup>. وإذا عاد الجمع نفسه إلى مفرد له أكثر من بنية ذكرها جميعها "اللفاعة واللفيعة: الرقعة، والجميع اللفانج"<sup>(٦)</sup>.

من نوازل العربية أن تعثر على مفرد ليس له جمع وعلى جمع ليس له مفرد. ومن أمثلة النوع الأول: "النهار: ضياء ما بين طلوع الفجر إلى وقت غروب الشمس لا يجمع"<sup>(٧)</sup>، أما أمثلة النوع الثاني فقولته: "الهَمَلِيلُ: البقايا من الكلاً والضعاف من المطر وليس له واحد"<sup>(٨)</sup>. عدا وجود ألفاظ ليس لها جمع ولا مثني من جنسها.

ومن نوازل العربية أيضاً تماثل المفرد والجمع في اللفظ والبنية "وَلَدُ الرَّجُلِ: وَلَدُهُ وَرَهْطُهُ: وهو واحد وجمع"<sup>(٩)</sup>.

وقد يتوسع التماثل بين لفظ الجمع وبنية وألفاظ وبنية المفرد والمذكر والمؤنث والمنتثي، ومن أمثلها السَوْقَةُ<sup>(١٠)</sup>، وَسَرَوَى<sup>(١١)</sup>.

وقلما ينحصر التماثل في البنية واللفظ بين الجمع وبين المذكر والمؤنث أمثال: المَنُون<sup>(١٢)</sup> والفَلَك<sup>(١٣)</sup>، والهَجَان<sup>(١٤)</sup>.

اعتاد الصاحب أن يشير إلى جمع القلة والكثرة، وغلب عليه أن يتكئ على العدد ليفيد بوساطته أن الجمع جمع قلة وليس جمع كثرة "الخراب: نقيض العمران، وثلاثة

(١) المحيط ج ٥، ص ١١٢.

(٢) م.ن ج ٣، ص ٤٦٤.

(٣) مادة علن م.ن ج ٢، ص ٥٠، ومادة علم ج ١، ص ٢٦٢.

(٤) م.ن مادة علب ج ٢، ص ٥٦، مادة وقع ج ٢، ص ١٦٨.

(٥) م.ن ج ٢، ص ٣٢١.

(٦) م.ن ج ٢، ص ٥١.

(٧) م.ن ج ٣، ص ٤٧٦.

(٨) م.ن ج ٣، ص ٤٩٥.

(٩) م.ن ج ٩، ص ٣٥٦.

(١٠) م.ن ج ٥، ص ٤٧٤.

(١١) م.ن ج ٧، ص ٣٧٣.

(١٢) م.ن ج ١٠، ص ٣٩١.

(١٣) م.ن ج ٦، ص ٢٦٧.

(١٤) م.ن ج ٣، ص ٣٨٠.



أخربة والجمع خرب بكسر الراء - والواحدة خربة -<sup>(١)</sup> "التقاف: حديدة يقوم بها الشيء والعدد التقفة الجمع التقف"<sup>(٢)</sup>.

وقاسم جمع الجمع جمع الكثرة والقلة عناية صاحب؛ وغلب عليه أن يعبر عنه بلفظة "جمعه" بعد أن يورد جمع المفرد "الأقوام: جمع الأقوام"<sup>(٣)</sup>.

وأول مرة أشار فيها صاحب إلى جمع الجمع باللفظ الصريح كانت في مادة (سر) من الجزء الثامن "في الحديث تبرق أسارير وجهه" وهي الخطوط التي في الجبهة، واحدها سَرَرٌ وسَرٌّ وجمع أسرة وأسرار، والأسارير: جمع الجمع، ويقال لها سرر أيضا الواحد سر"<sup>(٤)</sup>.

وكرر إشارته له باللفظ الصريح في مواقع محدودة<sup>(٥)</sup>.

رأى صاحب أن تعدد بنى جمع المفرد ظاهرة ساعد على توسعها عاملان رئيسيان:

أولاهما: الإعلال بالقلب والحذف:

"القنَى والقِنُو والقِنُو بالضم -: العِدْقُ بما عليه قبل الإنضاج والجميع القِنَوَان والقِنِيَانُ والقِنِيَانُ والأقْنَاء"<sup>(٦)</sup> "وثب: ارتفع، والميثب من الأرض مرتفع منها وجمعها مَائِبٌ ومَوَائِب"<sup>(٧)</sup>.

ثانيهما: اختلاف اللغات.

"القفا: مؤخر العنق. ألفها واو، والعرب تؤنثه، والتذكير أعم، وثلاثة أقفية والجميع القُفُو والقُفِي، والقُفِي لغة فيه"<sup>(٨)</sup> "الأبصر: حَبِيلٌ قصير يشد به أسفل الخبَاء إلى وتد والجمع الأياصر وفي لغة: إصارة"<sup>(٩)</sup>.

لم يهتم صاحب بتوضيح الجمع وجوانبه المختلفة فقط، وإنما رأى فيه وسيلة يبين بواسطتها البنى الصرفية للكلمات التي حذف أحد حروفها، فالجمع طريقة مثلى لاستنتاج الحرف المحذوف في المفرد "الأخ [واحد] جمعه إخوة وأخوة وإخوان وأخاء مثل أباء - وأخون مثل أبون..."<sup>(١٠)</sup> "يقال: قَمٌ وقِمٌ وقَمٌ، وأصله قَمَاءٌ. وقيل في الجمع: أفواه، وفي التصغير: قُوَيْه"<sup>(١١)</sup>.

(١) المحيط ج ٤، ص ٣٢٢.

(٢) م.ن ج ٥، ص ٣٨٢.

(٣) م.ن ج ٦، ص ٥٧.

(٤) م.ن ج ٨، ص ٢٣٩.

(٥) م.ن ج ٨، ص ٢٦٦ مادة سطر.

(٦) م.ن ج ٦، ص ٣٠.

(٧) م.ن ج ١٠، ص ١٩٢.

(٨) م.ن ج ٦، ص ٣٨.

(٩) م.ن ج ٨، ص ١٧٦.

(١٠) م.ن ج ٤، ص ٤٣٨.

(١١) م.ن ج ١٠، ص ٤٣٢.

ورأى فيه وسيلة لتوضيح معنى الكلمات المتشابهة في الكتابة واللفظ "الذَيْن: معروف، وجمعه ذيون وديان.. والذَيْن: معروف، والجميع الأديان"<sup>(١)</sup> "الذَنْب: الإثم والمعصية والجمع الذنوب، والذَنْب: جمعه أذئاب"<sup>(٢)</sup>.  
سادسها: التصغير.

قد يعجب القارئ من اختياري لموضوع التصغير وطريقة تناول صاحب له دون غيره من المواضع الصرفية الأخرى.

لم يكثر صاحب من الأسماء المصغرة في معجمه، ولم يعمد إلى ذكر تصغير الأسماء التي أوردتها جميعها، فإن عدد الأسماء المصغرة فيه لا تزيد على خمسين اسماً، فقلة ورود الاسم المصغر وإيراد صاحب تصغير اسم دون غيره هما السببان اللذان حرّضاني على البحث فيه وترك ما عداه من موضوعات الصرف. استقرأ الأسماء التي أشار صاحب إلى تصغيرها جعلت الباحث يفكر في الأسباب التي دعت به إلى التوقف عندها على الرغم من أنه لم يشر إلى تصغير معظم الأسماء التي احتواها معجمه، ولما استقرت أمثلة صاحب توخيت الدقة في ما رواه من وراء إيرادها؛ وجدت أنه أراد إظهار القواعد المتعلقة بالتصغير التي قد تخفى على الكثيرين، والقواعد التي حرص صاحب على تبيانها يمكن أن نجملها فيما يلي:

أ- من المعلوم أن الحروف والأفعال لا تصغر قياساً، ولكن صاحب أورد حروفاً مصغرة، ومراده من ذلك أن يُرى أن العرب قد سُمع عنها تصغير بعض الحروف، وإن لم يكن

مباحاً في القياس أمثال الصاد تصغر؛ صَوَيْدَة<sup>(٣)</sup>، والزاي، زَبِيَّة<sup>(٤)</sup>، والذال، ذَوَيْلَة<sup>(٥)</sup>.  
ب- المعهود في التصغير أن يكون في الأسماء المعربة، أما الأسماء المبنية فاستثنت من ذلك، غير أنه أورد أسماءً مبنية صغرتها العرب. ولم يجز توسيع القاعدة لتشمل الأسماء المبنية جميعها، ومن ذلك تصغيرهم ذات، ذَوِيَّة<sup>(٦)</sup>، والذي، اللذِيَا<sup>(٧)</sup>.

ج- الأسماء الثلاثية المؤنثة إذا صُغرت فإنها تلحق بقاء التانيث أمثال هند تصغيرها هُنَيْدَة<sup>(٨)</sup>، والبطن؛ بَطِينَة<sup>(٩)</sup>، والورك؛ وَرَيْكَة<sup>(١٠)</sup>.

د- التصغير وسيلة مثلى لتبيان الحروف المحذوفة من أسماء مخصوصة فالسنة تصغيرها؛ سَنِيهَة<sup>(١١)</sup>، والشاة؛ شَوِيهَة<sup>(١٢)</sup>، والاسم؛ سُمِيَّ<sup>(١٣)</sup>.

(١) المحيط ج ٩، ص ٣٥٩.

(٢) م.ن ج ١٠، ص ٨٦.

(٣) م.ن ج ٨، ص ١٧٠.

(٤) م.ن ج ٩، ص ١١١.

(٥) م.ن ج ٩، ص ١٠١.

(٦) م.ن ج ١٠، ص ١١٦.

(٧) م.ن ج ١٠، ص ١١٧.

(٨) م.ن ج ٣، ص ٤٤٧.

(٩) م.ن ج ٩، ص ١٩٢.

(١٠) م.ن ج ٦، ص ٣٢٢.

(١١) م.ن ج ٣، ص ٤١٥.

(١٢) م.ن ج ٤، ص ٢٧.

(١٣) م.ن ج ٨، ص ٤٠٧.

هـ- إذا كان الحرف الثاني من الاسم حرف لين لا سيما الألف، فإنه يعود إلى أصله أو الحرف الذي انقلب عنه عند التصغير أمثال: الخَافَةُ بمعنى الخريطة تصغيرها حَوَيْفَةٌ<sup>(١)</sup>، والحَافَةُ؛ حَوَيْفَةٌ<sup>(٢)</sup>، والسَاحَةُ؛ سَوَيْحَةٌ<sup>(٣)</sup>.

و- يفك تضعيف الاسم إذا ما صُغِرَ سواء وقع التضعيف في حشو الاسم أو في كسعه، فالشُرُّ يصغر شُرَيْرٌ<sup>(٤)</sup>، والقُدَمُ، قُدَيْدِيْمَةٌ<sup>(٥)</sup>.

ز- يقلب حرف اللين إذا كان ثالثاً إلى ياء عند التصغير، فتصغير الصِنُونُو؛ صَنَيْيٌ<sup>(٦)</sup>، وحَطَوَاتٌ؛ حَطَّيَاتٌ<sup>(٧)</sup>، والحَمَوَجُ؛ حَمَيْيَجٌ<sup>(٨)</sup>.

ح- قد تعود بعض الكلمات إلى أصليين مختلفين - وإن كان للإعلال بالقلب دور في ظهور الأصليين المختلفين -، فإن صاحب يورد الاسم المصغر وفق أصله المختلفين -، أمثال خَالٍ تصغيرها خَوَيْلٌ وخَوَيْلٌ<sup>(٩)</sup>، وتصغر البُرْهَرَهةُ؛ بَرِيهَةٌ إذا أعدت ثلاثية الأصل، وبَرِيْرَهةُ إذا أعدت خماسية<sup>(١٠)</sup>.

ط- يغلب على الاسم الخماسي أن يحذف أحد حروفه عند التصغير فتصغير الكوكَاةُ؛ الرجل القصير كُيْكَاةٌ<sup>(١١)</sup>.

ي- إذا كانت الهمزة حرفاً ثالثاً من الاسم فإنها تقلب إلى الحرف الأصلي الذي قلبت عنه، فالهمزة في ماء قلبت عن هاء؛ لأن تصغيرها؛ مَوِيّهٌ<sup>(١٢)</sup>، وقلبت عن ياء في كلمة سواء لأن تصغيرها سَوِيٌّ<sup>(١٣)</sup>، وكذلك الحاء تصغيرها حَيِيَّةٌ<sup>(١٤)</sup>.

ك- أورد صاحب أفاظا خالفت قواعد القياس.

نحن نعلم أن الأسماء المؤنثة إذا ما صُغِرَت تلتحقها تاء التانيث، لكنه أورد أسماء لم تلتحقها تاء التانيث عند التصغير مع أنه نص على أنها مؤنثة باللفظ الصريح "الحَرْبُ: نقيض السلم تَوْنُثٌ وتصغيرها حَرْيِبٌ"<sup>(١٥)</sup> "القَوْسُ: معروفة وتصغيرها قُوَيْسٌ"<sup>(١٦)</sup>

(١) المحيط ج٤، ص ٤٢٣.

(٢) م-ن ج٣، ص ٢٢٢.

(٣) م-ن ج٣، ص ١٦٨.

(٤) م-ن ج٧، ص ٢٥٨.

(٥) م-ن ج٥، ص ٣٥٧.

(٦) م-ن ج٨، ص ١٩٢.

(٧) م-ن ج٣، ص ١٨٧.

(٨) م-ن ج٢، ص ٤١٩.

(٩) م-ن ج٤، ص ٤١٠.

(١٠) م-ن ج٣، ص ٤٨٣.

(١١) م-ن ج٦، ص ٣٥٤.

(١٢) م-ن ج٤، ص ٨٥.

(١٣) م-ن ج٨، ص ٤١٤.

(١٤) م-ن ج٣، ص ٢٣٧.

(١٥) م-ن ج٣، ص ٨٥.

(١٦) م-ن ج٥، ص ٤٦٩.

"النَّابُ: الناقاة الهرمة، والتصغير نُيَيْبٌ"<sup>(١)</sup> "القَدْرُ: معروفة، مؤنثة، وتصغيرها قُدِيرٌ - بلا هاء"<sup>(٢)</sup>.

نلاحظ أنه لم يعلل عدم إلحاق تاء التانيث بتلك الأسماء على الرغم من أنه نبه على أنها مؤنثة، ولم يوجد حججاً منطقية تسوّغ تصغيرها على غير قياس كما سوّغها أبو البركات الأنباري الذي قال: "قائى كان على ثلاثة أحرف وجب إلحاق تاء التانيث في مصغره، ليدلل على أنها الأصل في مكبره، مثل دار ودويرة ونار ونويرة، وقدر وقديرة، إلا في كلمات يسيرة جاءت على خلاف القياس وهي نحو: قوس وقويس وفرس وفريس وعرس عريس، وحرب وحريب ودرع الحديد ودريع، وناب من الإبل ونُيَيْب، وإنما جلاء تصغيرها بغير هاء لأنها أجريت مجرى المذكر والمؤنث في المعنى؛ لأن القوس في معنى العود، والفرس يطلق على المذكر والمؤنث وهو الأصل، فترك لفظ التصغير على الأصل، والعرس بمعنى التعريس، والحرب في الأصل مصدر وهو مذكر ودرع الحديد في معنى الدرع الذي هو القميص، والناب من الإبل روي فيها معنى الناب الذي هو السن وهو مذكر"<sup>(٣)</sup>.

ل- أسماء خالفت القياس ولم يوجد لها تعليل سوى الشذوذ، فتصغيرها يحفظ ولا يقاس عليه، فَرَجَلٌ تصغر رُؤَيْجَلٌ، ورجال تصغيرها رُجَيْالٌ ورُجَيْلون<sup>(٤)</sup> وتصغير الأصيل أصَيْلال<sup>(٥)</sup>، وتصغير الإنسان أنَيْسانٌ وأنَيْسين<sup>(٦)</sup>.

### المستوى النحوي Syntax:

التداخل بين مستويات التحليل اللغوي يجعل من العسير الفصل بينها لا سيما المستوى الصرفي والنحوي، فإنهما يتقاسمان معظم موضوعات اللغة، ولكن اللغويين دأبوا على تحديد موضوعات خاصة بالصرف، وموضوعات أخرى خاصة بالنحو، ولما حاولنا البحث عن منهج صاحب في تناول المسائل النحوية، وتوضيح مناهج النحويين فيها، واتجاهات المدارس حولها، وجدنا أنه قلما يتوقف عند مسائل النحو، أو يظهر له رأي نحوي، وهذا يدلنا على أنه لم يكن نحويًا - مطلقًا - ولم يكن من همه أن يعطي رأياً، أو يكون مذهباً خاصاً بالنحو كغيره من علماء البصرة والكوفة، وإذا أدلى بدلوه حول رأي نحوي، فإنه يكتفي بالإشارة إلى القاعدة النحوية التي يجب التنبيه عليها ولا سيما الأسماء الممنوعة من الصرف "حم: اسم للسورة لا يُصْرَفُ"<sup>(٧)</sup> "مِصْر: كورة بعينها، لا تصرف"<sup>(٨)</sup>.

والملاحظ أنه كان يبتعد عن تعاور المسائل الخلافية الشائكة التي كانت نتاج التعليقات المتناقضة بين علماء البصرة وعلماء الكوفة، ولا تكاد تتعدى المواقع التي تعرض فيها

(١) المحيط ج ١٠، ص ٤٠٩.

(٢) م.ن ج ٥، ص ٣٤١.

(٣) الأنباري، البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث، تحقق: رمضان عبد التواب، مطبعة دار الكتب، الجمهورية العربية المتحدة، ١٩٧٠، ص ٨٤.

(٤) المحيط ج ٧، ص ٨١.

(٥) م.ن ج ٨، ص ١٨٧.

(٦) م.ن ج ٨، ص ٣٨٨.

(٧) م.ن ج ٣، ص ٢٣.

(٨) م.ن ج ٨، ص ١٤٣.

إلى الخلافات النحوية أصابع اليد، وأول قضية خلافية عرض لها نصب لفظة "عرقاتهم"، فرأى بعضهم أنها تعامل معاملة المفرد، فتكون الفتحة بذلك علامة نصبها، وبعضهم رأوا، ومنهم صاحب أنها جمع مؤنث سالم، فيجب أن تكون علامة نصبها الكسرة، وتأولوا لذلك حججا مستنبطة من لغات العرب ومنهجهم في تخفيف المثل "استأصل الله عرقاتهم: أي أصلهم؛ وهو على بناء سِعْلَاة، وقيل: واحدة عِرْقَاة، وقد فَتَحَتِ التَاءُ تَخْفِيفًا، وهي لغة. قال صاحب الجليل: الذي أَوْجَبَهُ القِيَّاسُ الصَّحِيحُ كَسْرُ التَّاءِ مِنْ عِرْقَاتِهِمْ، لِأَنَّهَا التَّاءُ الزَّائِدَةُ، إِلَّا أَنَّ الخَلِيلَ قَالَ: تَقُولُ: اسْتَأْصَلَ اللهُ عِرْقَاتِهِمْ، كَذَا قَالَ بِنَصْبِ العَيْنِ والرَّاءِ، وَيَنْصِبُونَ التَّاءَ رَوَايَةً عَنْهُمْ، وَلَا يَجْعَلُونَهُ كالتَّاءِ الزَّائِدَةِ فِي جَمْعِ التَّائِيثِ، فَأَمَّا الْأَصْمَعِيُّ وَغَيْرُهُ فَيُرْوَوْنَ اسْتَأْصَلَ اللهُ عِرْقَاتِهِمْ عَلَى لَفْظِ الوَاحِدِ، وَالْعِرْقَاةُ أَصْلُ الشَّيْءِ عَلِيٍّ وَزَنْ سِعْلَاةً. وَفِي الرِّوَايَتَيْنِ جَمِيعًا قَدْ أُقِيمَتِ اللَّامُ مَقَامَ الرَّاءِ؛ كَمَا تَقُولُ العَرَبُ: عَلِقَ مَضِيئَةً وَعِرْقًا مَضِيئَةً<sup>(١)</sup>.

اتسم عرض صاحب للمادة النحوية بالسلاسة والوضوح والنؤي عن الاستفاضة بها، وتعليقاتها، وعدم الإطناب الذي قد يخرج المادة المعجمية عن مسارها فيحيلها إلى قضايا نحوية خالصة كما هي الحال عند الخليل في بعض المواضع<sup>(٢)</sup>، وعند الأزهرى في معظم المواضع<sup>(٣)</sup>.

فمادة صاحب عُرِضَتْ بأسلوب سائغ يقترب من المنحى التعليمي في مواضع كثيرة، ولناخذ على ذلك مثالا حيا يعكس السلاسة والوضوح. قال صاحب في تعريف إذ، وإذا: "إذ: لما مضى، وإذا لما يستقبل لوقتتين من الزمان، وقد يجعل أحدهما بدل صاحبه وتجيء إذ بمعنى إن"<sup>(٤)</sup>. احتوت عبارة صاحب السابقة على ثلاثة أمور:-  
أولها: إعطاء المعنى العام الشائع لإذ، وإذا.  
ثانيها: جواز التبادل بينهما في الاستخدام.  
ثالثها: أن (إذ) قد تخرج عن معناها الشائع وتماثل (إن) في سياقات مخصوصة. والذي سوغ قولنا: إنه يقترب من المنهج التعليمي؛ مقابلته بمن سبقه من المعجميين وبمن عاصره من النحويين، أو لحق به منهم.  
أطنب الخليل<sup>(٥)</sup>، والأزهرى<sup>(٦)</sup> في توضيح كتابة (إذ) إذا ما اتصلت باسم مثلها، وفصلا القول في الأسماء التي تتصل بها لتدل على الظرفية، وعللا عدم اتصالها بغير تلك الأسماء السبعة، وتوقفا عند إعرابها إذا كانت متصلة، أو غير متصلة.  
أما صاحب فاخترزل إسهابهما بقوله: "وإذا أضيفت إلى "إذ" كلمة جعلت غاية للوقت ونوتت وجرت؛ كقولك: يَوْمُئِذٍ وَعَشِيئُذٍ"<sup>(٧)</sup>.

(١) المحيط ج ١، ص ١٦٣.

(٢) العين مادة إذ، ج ٨، ص ٢٠٤.

(٣) التهذيب، عنق ج ١، ص ١٥٢ - ١٥٤، قد ج ٨، ص ٢٦٧ - ٢٦٨، فعل ج ٢، ص ٤٠٥، إذ وإذا ج ١٥، ص ٤٧ - ٥١.

(٤) المحيط ج ١٠، ص ١١٩.

(٥) العين ج ٨، ص ٢٠٥ - ٢٠٦.

(٦) التهذيب ج ١٥، ص ٤٧ - ٤٨.

(٧) المحيط ج ١٠، ص ١١٩.

خالف اللغويون<sup>(١)</sup> صاحب في أن (إذ) تجيء بمعنى (إن) وقالوا: إن (إذا) هي التي تأتي بمعنى (إن).

لم يستقص صاحب الآراء التي قيلت في إعراب (إذ) و (إذا)، ولم ير رأياً في إعرابهما، كما فعل الخليل<sup>(٢)</sup>، والأخفش<sup>(٣)</sup>، والأزهري<sup>(٤)</sup>، وابن جني<sup>(٥)</sup>، وابن مالك<sup>(٦)</sup>.  
لم يُعَنِّ صاحب نفسه في تتبع معاني (إذ) و (إذا) في الشواهد اللغوية، ولم يحاول تفسير تلك المعاني، وتعليلها كما فعل جمهور اللغويين<sup>(٧)</sup>.

اعتدنا في المعاجم<sup>(٨)</sup> أن تلقى اهتماماً ظاهراً في معاني أحرف المباني، وأحرف المعاني، وأثرهما في الاسم، أو الفعل اللذين يليانها، أما معالجة صاحب للحروف بنوعيتها، فإنها حُصرت في ذكر أن حروف المباني من حروف الهجاء، وقد يشير إلى تصغيرها مثل: الحاء؛ حرف هجاء وتصغيرها حَيِّية<sup>(٩)</sup>، والزاي؛ حرف هجاء وتصغيرها زَيِّية<sup>(١٠)</sup>، والصاد؛ حرف هجاء وتصغيره صَوَيْدة<sup>(١١)</sup>، وقد يشير إلى وصف مخرجها كما بيّنا في المستوى الصوتي أنفاً. أما أحرف المعاني فغلب عليه أن يبين معناها الدلالي، ويشير إلى لهجات العرب في نطقها، ومن أمثلة ذلك: "عَسَى: كالظن، تصلح للشك واليقين ويقال: عسى بالكسر - أيضاً"<sup>(١٢)</sup> "لَيْسَ: كلمة جحود، والأصل لا أَيْسَ. ويقولون: لَيْسَكَ: بمعنى غيرك. وبمعنى إلا، وكَيْسَتَ ولسنا بالكسر - ولسنا بالضم"<sup>(١٣)</sup>.

يشير صاحب في مواضع محدودة إلى الأصلين الذين سُبكت منهما حروف المعاني "لِما: من جمع بين "ما" و "لم" وقيل: هو مأخوذ من لمت؛ والآخرة زائدة"<sup>(١٤)</sup>.

ونأيه عن مسائل علم النحو، لم يجعله يضرب إضراباً تاماً عن التنويه إلى أثر الحرف في الاسم الذي يليه، ومن ذلك قوله: "و" إن" و "أن" حرفان ينصبان، وللعراب في

(١) العين ج ٨، ص ٢٠٥، التهذيب ج ١٥، ص ٤٧، الصحابي ص ١٤١، المطالع السعيدة، شرح السيوطي على ألفيته المسماة بالفريدة في النحو والتصريف والخط، تحقق وشرح: طاهر سليمان حمودة، الدار الجامعية، شارع بيومي - الإسكندرية، ١٩٩٩م، ص ٢٢٤.

(٢) العين ج ٨، ص ٢٠٦.

(٣) المطالع السعيدة ص ٣٢٥.

(٤) التهذيب ج ١٥، ص ٤٩.

(٥) انظر المطالع السعيدة ص ٣٢٥.

(٦) م. ص ٣٢٥.

(٧) انظر التهذيب ج ١٥، ص ٤٧ - ٥١، والصحابي، ص ١٤٠ - ١٤١، والمطالع السعيدة ص ٣٢١ - ٣٢٦، والأشباه والنظائر في النحو، السيوطي، تحقيق عبد الإله نبهان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ج ١، ص ٥٠٩.

(٨) العين، التهذيب، المقاييس، تاج العروس، لسان العرب.

(٩) المحيط ج ٣، ص ٢٢٧.

(١٠) م. ج ٩، ص ١١١.

(١١) م. ج ٨، ص ١٧٠.

(١٢) م. ج ٢، ص ١١١.

(١٣) م. ج ٨، ص ٣٨٠.

(١٤) م. ج ١٠، ص ٣١٧.

"إن لغتان: التثقيب والتخفيف، فمن خفف رفع بها، إلا أن ناسا من أهل الحجاز يخففون وينصبون على نية التثقيب؛ ..." (١).

ويُخضع الصاحب الاستعمالات والألفاظ إلى مقاييس الصحة المعروفة من: فصيحة<sup>(٢)</sup>، وغير فصيحة<sup>(٣)</sup>، وجيدة<sup>(٤)</sup>، ورديدة<sup>(٥)</sup>، وشاذة<sup>(٦)</sup>، وشنعاء<sup>(٧)</sup>، ومعروفة<sup>(٨)</sup>، ومنكرة<sup>(٩)</sup>، غير أنه لم يقدها بالمكان غالباً، فهو يقول: ذأى العود، وذوَي البقل، لغة غير فصيحة<sup>(١٠)</sup>، إلا أنه لم ينسب اللغة إلى أهلها كما نسبها الخليل<sup>(١١)</sup> إلى أهل بيشة.

لم نقصد من وراء تركيزنا على إضراب الصاحب عن الخوض في مسائل النحو الخلافة الإنقاص من قدر المحيط، وأنه يعدّ عيباً يشين مؤلفه؛ لأن غرض المعجم توضيح دلالة الألفاظ وفق سياقاتها واقتاراتها اللفظية، وليس همه إظهار مباحث علم النحو، ونثر حجج مدرسته المعروفة؛ لأن مكان تلك القضايا والتعريف بأبعاد علم النحو وجوانبه المختلفة كتب النحو المخصصة التي أوضحت حقائق علم النحو ومكوناته، وكشفت اللثام عن اللبس الذي قد يقع نتيجة الخلافات المذهبية والفلسفية التي أثّرت حوله.

#### المستوى المعجمي Lexicography:-

نحن نعلم أن المعجم كتاب يضم معظم مفردات اللغة مقرونة بشرحها وتفسير معانيها، واستعمالاتها وفق اقتاراتها اللفظية، وسياقاتها الحالية مستعيناً على تبيان دلالتها بشواهد مختلفة.

يرى العلماء المحدثون أن المستوى المعجمي يقوم على أسس هدفها توضيح هجاء الألفاظ، وكتابتها، ونطقها، وتبيان اشتقاقاتها، ودلالاتها، وقد قام معجم المحيط على رسم الكلمة وإظهار أحرفها الصحيحة والمعتلة وحركاتها، فإن ألفاظ الصاحب جميعها جاءت مشكولة معجمة، والشكل والإعجام؛ وسيلتان دقيقتان في تبيان هجاء الألفاظ، والهجاء الملازم للألفاظ جميعها يحل المعضلة الواقعة بين الكتابة والنطق، فالعربية غنية بالألفاظ تخالف كتابتها طريقة نطقها، فنحن نلفظ الميم ممدودة في (الرحمن)، والذال في (ذلك)، والهاء في (هذا) مع أن رسمها يقصرها "الرحمن"<sup>(١٢)</sup>، "هذا"<sup>(١٣)</sup>، "ذلك"<sup>(١٤)</sup>.

(١) المحيط ج ١٠، ص ٤٢٢.

(٢) م.ن ج، لخر ج ٤، ص ٣٢٢.

(٣) م.ن، سون ج ٣، ص ٤١٥.

(٤) م.ن، كفا ج ٦، ص ٣٣٧.

(٥) م.ن، فقر ج ٥، ص ٤٠٠.

(٦) م.ن، عبي ج ٢، ص ١٧٥.

(٧) م.ن، مضغ ج ٤، ص ٢٣٨.

(٨) م.ن، نطح ج ٣، ص ٢٦.

(٩) م.ن، خرج ج ٤، ص ٢٠٧.

(١٠) م.ن، ج ١٠، ص ١١٨.

(١١) م.ن ج ٨، ص ٢٠٦.

(١٢) م.ن ج ٣، ص ٩٥.

(١٣) م.ن ج ٤، ص ٥٣.

(١٤) م.ن ج ١٠، ص ١١٨.

وقد تواجه المعجميين إشكالية نطق الصوت أو الحرف؛ لأن الهجاء لا يعطينا الصورة النطقية الصحيحة لألفاظ بعينها، أدرك صاحب هذه المعضلة وحاول حلها سالكا بذلك وسائل مختلفة منها:-

- وصف كتابة الكلمة إذا خشي اللبس بينها وبين ألفاظ أخرى، ومن ذلك قوله: "الهُدْلُوغُ - بالذال معجمة-: الغليظ الشفه.. الهُدْلُوغَةُ الأحمق - بالذال غير معجمة"<sup>(١)</sup> "الْقَضْمُ بفتحين-: جمع قضيم الصحيفة"<sup>(٢)</sup>.

- بيان ميزان الكلمة صرفياً إذا خشي وقوع الخلط بينها وبين وزن ألفاظ أخرى، أمثال:

"بَرَحَى - على فَعَلَى - يقال للرامي إذا أخطأ"<sup>(٣)</sup> "المَحَاشُ - مَفْعَل"<sup>(٤)</sup>.  
- قياس النظير.

وهي طريقة تقوم على ذكر أن وزن اللفظة مماثل لوزن لفظة أخرى تكون أكثر تداولاً بين الناس، وأشهر وزناً وبنية لديهم، ومن أمثلتها:  
"الحَلَقُ: في الشَّعر، وجمع حالق الرأس حَلَقَةٌ، مثل كاتب وكتَّبة"<sup>(٥)</sup> "الشَّيْثَانُ - على وزن هَيْبَان -: البَعِيدُ النظر، وقيل الخفيف السريع"<sup>(٦)</sup>.

سلوك صاحب الطرق الثلاث لتبيان نطق اللفظة قد لا يكون السبب الوحيد الذي جعله يتكئ عليها، وإنما تحريره الدقة عائد إلى معرفته بوقوع التصحيف، فقد يغفل التسلخ عن بنية اللفظة وميزانها الصرفي، فيخلطون ويلبسون، ولجوء صاحب إلى هذه الطرق تجعله يتخطى الوقوع في مصيدة التصحيف والتحريف وإن لم يأمنها.

أكد اللغويون المحدثون<sup>(٧)</sup> على تتبع المعنى وفق بنيته الصرفية، فرأوا أن يبدأ المعجمي بشرح معنى اللفظة في بنية الفعل على اختلاف أنواعه، فبنى الألفاظ الاسمية على اختلافها، وبعد أن يورد معانيها المختلفة متتبعاً اختلاف بناها ينتقل إلى بنية لفظة أخرى.

لم يلزم صاحب نفسه هذا القيد، فوجدناه تتبع معاني اللفظة وفق بناها الصرفية، ومن ذلك قوله: "الحَصْدُ: جَزْكَ البُرِّ والنبات، والحصيدة، المزرعة إذا حُصِدَتْ، والجميع الحَصَائِدُ.. وحَصْدُ البُرِّ حان حَصَادِهِ. والحصاد: اسم للبُرِّ المحصود"<sup>(٨)</sup>.

والغالب على منهج صاحب تتبع صيغ الكلمة وفق معانيها الحقيقية والمجازية، ووفق التغيرات التي تحدث عليها نتيجة انتقالها من حقل دلالي إلى حقل دلالي آخر،

(١) المحيط ج٤، ص ١٠٣.

(٢) م.ن ج٥، ص ٢٥٤.

(٣) م.ن ج٣، ص ٨٨.

(٤) م.ن ج٣، ص ١٤٥.

(٥) م.ن ج٢، ص ٣٥٤.

(٦) م.ن ج٧، ص ٤٥.

(٧) تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص ٢٣٤، ومحمد الأنطاكي، الوجيز في فقه اللغة ط٣، دار الشروق، دم، ١٩٦٩م، ص ١٦.

(٨) المحيط ج٢، ص ٤٥٢.



والمعجم القويم في رأي المحدثين؛ هو الذي يتتبع ظهور الكلمة تاريخياً Etymology، ولكن تاريخ اللفظة وتغير بناها وفق التغيرات التي تحدث على المجتمع، لم نجد صاحب أباه بها، وإن مواقع تتبعه لها محصورة في إشارته إلى الأفعال التي سقطت من الاستعمال ودرثت في المقال.

فـ (بَذَر) و (بَدَع) <sup>(١)</sup> أميت الماضي والأمر منهما، وإشارته إلى الأسماء التي خفي اشتقاقها مثل: الفأفة <sup>(٢)</sup>.

وقد نستنتج التطور التاريخي الذي لم يقترن بزمن في مواضع أظهر صاحب المعنى المجرد لها، ثم بين المعاني التي استحدثها الاستعمال، وأضافها إلى معنى اللفظة الموضوعية له بالأصل "أصل اللعن: الطرد، ثم يوضع في معنى السب والتعذيب، ومنه قولهم للملوك: أبيت اللعن: أي أبيت ما تستحق له اللعن" <sup>(٣)</sup> "لا أدري على أي منواع هو: أي وجه، وكأنه من النوع: وهو الصنف" <sup>(٤)</sup>.

وينضم إلى هذا النوع ما يحدث على الألفاظ من تغيير في جنس حرفها الأصلي، فأسامة أصله؛ وسامة <sup>(٥)</sup>، وأصل الإرادة؛ الورادة <sup>(٦)</sup>، والتخمة أصلها؛ الوخمة <sup>(٧)</sup>. لم يقتصر صاحب على تتبع معاني الألفاظ المفردة مجردة كانت أم مزيدة، وإنما تجاوزه إلى تتبع معظم معانيها وفق سياقات لغوية دلالية مختلفة، وشرط اللغويون أن تكون تلك الجمل صحيحة صوتياً وصرفياً ونحوياً ودلالياً، فلا يذكرون الفعل إن كان الفاعل مؤنثاً، ولا يوردون الياء إن كان الاسم المنقوص نكرة في حالتي الرفع والجر، ولا يُبقون حرف العلة إن كان الفعل أجوفاً مجزوماً لالتقاء الساكنين.

واتسمت جمل صاحب جميعها بالصحة، ولم تخرج عن نظم مستويات اللغة العربية جميعها. ونحن نعلم أن صاحب رتب معجمه حسب مخارج الأصوات، فهذه الطريقة تعطي إلى جانب المعلومات المعجمية عنصراً من عناصر الدراسة الصوتية التي لا يمكن أن يستغني المعجمي عنها.

### المستوى الدلالي Symanctic:-

دلالة اللفظة قضية شغلت علماءنا القدماء، وما زالت تشغلنا إلى يومنا هذا، وما محاورات وحجج أنصار المعنى وأنصار اللفظ عن قراءتنا ببعيدة، ويعد علم الدلالة قضية

(١) المحيط ج ١٠، ص ٩٦.

(٢) م.ن ج ٦، ص ٤٢.

(٣) م.ن ج ٢، ص ٥٠.

(٤) م.ن ج ٢، ص ١٦٧.

(٥) م.ن ج ٨، ص ٤٠٦.

(٦) م.ن ج ٩، ص ٣٤٧.

(٧) م.ن ج ٤، ص ٤٣٠.

لتعدد مباحثه وجوانبه وأبعاده، فهو يدور حول مشكلة المعنى<sup>(١)</sup>، وتحديدده، وماهيته، والعوامل التي تؤثر في تغييره وتطوره.

تلعب العوامل الخارجية - الدينية والاجتماعية والسياسية والفكرية والاقتصادية- دوراً كبيراً في تغيير معاني الكلم ودلالته، ولا أريد أن أخوض في أثر العوامل الخارجية في تغيير الدلالة وتطورها، فقد كفتني مؤونة البحث فيه مؤلفات كثيرة<sup>(٢)</sup>.  
للعوامل اللغوية دور كبير في تحول المعنى وتطوره وتوسّع مباحثه، ركز صاحب على معظم العوامل اللغوية وأشبعها بحثاً وتفصيلاً، فمن أهمها: - المعرب، والمشتراك اللغوي، والمجاز.  
المعرب:

اتفق العلماء<sup>(٣)</sup> على أن المعرب هو ما استخدمه العرب الفصحاء الذين يحتاج بكلامهم من الكلام الأعجمي لمعان غير موجودة في لغتهم، وانقسم العلماء حول أثر المعرب في اللغة العربية إلى فريقين، إذ بالغ عدد من القدماء في أثر المعرب في توسّع لغة العرب ودلالة ألفاظها، وإن صدروا كتبهم بعبارات لا تتمّ عن ذلك، وأشهرهم: ابن دريد في الجمهرة لا سيما باب ما تكلمت به العرب من الكلام الأعجمي<sup>(٤)</sup>، والثعالبي في فقه اللغة<sup>(٥)</sup>، والجواليقي في المعرب، والخفاجي في شفاء الغليل، والسيوطي في كتبه

(١) عبد الكريم مجاهد، الدلالة اللغوية عند العرب، عمان - دار الضياء، ١٩٨٥، وعبد الحميد محمد أبو سكين، نظرات في دلالة الألفاظ، ١٤٠٤هـ، مطبعة الأمانة، القاهرة، إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ط٥، ١٩٨٤، مكتبة الانجلو المصرية، جون لاينر، علم الدلالة، ترجمة عبد الحليم الماشطة، حليم حسن فالح، كاظم حسين باقر البصرة - جامعة البصرة، ١٩٨٠م، أحمد مختار عمر، علم الدلالة، الكويت، مكتبة دار العروبة، ١٩٨٢م، وبيار غيرو، علم الدلالة، ترجمة انطوان أبو زيد، بيروت، منشورات عويدات، ١٩٨٦، وأحمد نعيم الكراعين، علم الدلالة بين النظر والتطبيق - بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات، ونوال محمد عطية، علم النفس اللغوي، ط١، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ١٩٧٥م، وحلمي خليل، المولد في العربية، ط٢، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت - لبنان. ١٩٨٥م، ومحمود حجازي، اللغة العربية عبر القرون، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ٨ - ١٥.

(٢) الجاحظ، الحيوان ج١، ص ٣٢٢، أبو حاتم الرازي، الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، عارضه بأصوله وعلّق عليه: حسين بن فيض الله الهمداني اليعبري الحرّازي، ط٢، دار الكتاب العربي، مصر - القاهرة، ١٩٥٧م، ج١، ص ١٤٠-١٤١، ١٤٦-١٤٧، وابن فارس الصحابي، ص ٧٨-٧٩، للشريف الرضي: المجازات النبوية، تحقيق: محمود مصطفى، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده مصر، ١٩٨٣م، ص ٣٦-٣٧، و٣٢، والثعالبي، ثمار القلوب في المضام والمنسوب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف القاهرة - مصر، ص ٧٩، والسيوطي في المزهج ج١، ص ٣٠١، ونوري جعفر في كتابه، اللغة والفكر، مكتبة التومي، الرباط. ١٩٧١م، ص ١٣٣ وما بعدها، وعلي زوين، بين التراث وعلم اللغة الحديث، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦م، ص ٨٧، وجاقوب كورك، اللغة في الأدب الحديث، ترجمة ليود يوسف وعزيزي صافونل، دار المأمون للترجمة والنشر بغداد، ١٩٨٩م، ص ١١٣، ومحمود السمران، اللغة والمجتمع رأي ومنهج، ط٢، دار الشرق الأوسط للطباعة والنشر، الإسكندرية، ١٩٦٣م، وأتو جيسرسن، اللغة بين الفرد والمجتمع، مكتبة الانجلو المصرية - مصر، م.م. لويس، اللغة في المجتمع، ترجمة: تمام حسان، وإبراهيم أنيس. دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٥٩م.

(٣) لنظر تعريفه عند: الجواليقي، المعرب من الكلام المعجمي على حروف المعجم، تحقيق: أحمد محمد شاكر، أعيد طبعه بالأوفست في طهران، ١٩٦٦م، ص ٣، والسيوطي في المزهج ج١، ص ٢٦٨، والشهاب الخفاجي، شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، تصحيح وتعليق ومراجعة: محمد عبد المنعم خفاجي، ط١، مكتبة الحرم الحسيني التجارية الكبرى، مصر، ١٩٥٢م، ص ٢٣، والزبيدي تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، وزارة الإرشاد والأبناء، الكويت ١٩٦٥م، ج١، ص ٢٧، وعلي والي، فقه اللغة، ط٢، مطبعة النهضة المصرية، مصر - القاهرة، ١٩٤٤م، ص ١٧٤-١٧٥، ومقال المعرب والأعجمي فرارات مجمع اللغة العربية الملكي، القاهرة، مجلد ١، ج١، ١٩٣٤م، ص ١٩٩-٢٠٢.

(٤) ابن دريد، الجمهرة، طبعة جديدة بالأوفست، ط١، مكتبة المثني، بغداد، ١٣٤٥هـ، ج٣، ص ٤٩٩-٥٠٢.

(٥) الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، ط١، تحقيق: ياسين الأيوبي، المكتبة المصرية، صيدا - بيروت، ١٩٩٩م، ص ٣٣٥ - ٣٤٠.

المختلفة، وأشهرها؛ المهذب<sup>(١)</sup>، وأيدهم في ذلك عدد من المحدثين أمثال: جورجى زيدان في كتابه "اللغة العربية كائن حي"<sup>(٢)</sup>، والبطريك مار أغناطيوس أفرام الأول في مقاله: "الألفاظ السريانية في المعاجم العربية"<sup>(٣)</sup>، وطوبيا العنسي في كتابه "تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية مع ذكر أصلها بحروفه"<sup>(٤)</sup>، وعرقان أبو حمد في كتابه "ألفاظ أجنبية في اللغة العربية"<sup>(٥)</sup>.

وأنصف فريق آخر اللغة العربية، ولم ينكر أثر المعرب في توسعها، غير أنهم لم يغالوا مغالاة الفريق الأول، وأشهرهم؛ ابن قتيبة في "أدب الكاتب"<sup>(٦)</sup>، وتعلب في "الفصح"<sup>(٧)</sup>، وابن فارس في الصحابي<sup>(٨)</sup>، وابن جنى في الخصائص<sup>(٩)</sup>.

وتبعهم من المحدثين؛ عبد الحق فاضل في مقاله "دخيل أم أثيل"<sup>(١٠)</sup>، وكتابه "مغامرات لغوية"<sup>(١١)</sup>، وإبراهيم السامرائي في مقال "التعريب بين ماضيه وحاضره"<sup>(١٢)</sup>، ومقالة "الدخيل في العربية"<sup>(١٣)</sup>، وسليمان أبو غوش في كتابه "عشرة آلاف كلمة إنجليزية من أصل عربي"<sup>(١٤)</sup>.

أقرّ صاحب باثر المعرب في توسع اللغة ودلالاتها، إلا أنه لم يبالغ مبالغة الفريق الأول، إذ لم تتجاوز الألفاظ المعربة عنده مائة لفظة، فلا أحد ينكر الدخيل اللفظي في اللغات، فالصاحب يعتبر أن الإقراض والاستقراض سمة ملازمة للغات الإنسانية، فاللغة الحية تأخذ وتعطي، وترسل وتستقبل ما لم يؤثر ذلك الإقراض في قواعد نظمها، وأساليب فنونها من نثر وشعر، فالإقراض مقتصر على المفردات ولم يتعدّه إلى الخطب، والرسائل، والشعر لا سيما إبان عصر الصحاب.

تشعبت المصادر التي أخذ عنها العرب ألفاظهم المعربة، فالمحيط يدلّ على أن أكثر ألفاظ المعرب مأخوذة من اللغة الفارسية، وليس هذا بغريب؛ لأن بين العرب وبين الفرس علاقات سياسية واقتصادية واجتماعية، كما أن بينهم نزاعات وحروباً دامية، فذكر المحيط ثمانياً وعشرين لفظة فارسية مشيراً إليها باللفظ الصريح، واللافت للذهن أنه أورد ألفاظاً تعود إلى أصول فارسية لم ينبه على أنها فارسية، بل استخدم عبارات عامة غامضة لا تدلّ على أصلية اللفظ، كعبارة "لفظة معربة أو أعجمية"، ومن الألفاظ التي

(١) المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب، تحقيق: التهامي الراحي الهاشمي، طبع تحت إشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة.

(٢) جورجى زيدان، اللغة العربية كائن حي، دار الهلال، القاهرة، ص ٣٣-٤٧، و ١٠٧-١١٦.

(٣) مجلة المجمع العلمي العربي، مجلد ٢، ١٩٤٨م، ج ١٢، ص ١٦١.

(٤) دار العرب للبيستاتي، القاهرة، ١٩٦٥م.

(٥) دار المشرق للترجمة والطباعة والنشر، شفا عمرو، ١٩٨٣م.

(٦) ابن قتيبة، أدب الكاتب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط ٤، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٩٦٣، ص ٣٨٣.

(٧) تعلب، الفصح، تحقيق ودراسة: عاطف منكور، دار المعارف، مصر - القاهرة.

(٨) الصحابي، باب اللغات المنمومة، ص ٥٤ - ٥٥.

(٩) الخصائص، ج ١، ص ٣٦٨ - ٣٧٠.

(١٠) أعداد مختلفة من مجلة اللسان العربي، من سنة ١٩٧٠م، وما بعدها.

(١١) عبد الحق فاضل، مغامرات لغوية، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ص ٩، وما بعدها.

(١٢) مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد ٩، ١٩٧٨م، ج ١، ص ٩٤ - ١٠٥.

(١٣) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، ١٩٦٥م، مجلد ٤٠، ج ٣، ص ٦٠٨ - ٦١٤.

(١٤) ط ١، حقوق الطبع والتأليف محفوظة للمؤلف، الكويت، ١٩٧٧م.

نسبها إلى الفرس: "الكَرْبِجُ: فارسي معرّب وجمعه كَرَابِجٌ: صاحب الحانوت" (١) "الجُومُ: فارسية؛ وهم الدعاة أمرهم واحد" (٢).

ومن الألفاظ الفارسية (٣) التي لم يصرّح أنها فارسية: السَراويلُ والجَاموس (٤)

وقد تلا اللغة الفارسية في عدد ألفاظها المستعارة، لغة أهل السواد، فلغة السروم، وهناك لغات لم يورد لها سوى لفظة معرّبة واحدة أمثال: اللغة الإفريقية، والسند، والقبط، والعبرانية.

اهتمام صاحب المعرّب لم يماثل اهتمامه المعطى للأبواب اللغوية الأخرى، إذ لم يسر على أسلوب مميز له حينما استقصى المعرّب وبيّن دلالاته، إذ وجدناه في مواضع بيّن معنى اللفظة المعرّبة، وحدد لغتها الأم التي أخذت منها أمثال: "الترمس: الحزجر الرومي وهو الباقي" (٥) "النجاشي: كلمة حبشية، يقولون للملك نجاشي؛ كما يقول كسرى وقيصر" (٦).

وهناك مواضع حدّد اللغة الأم للفظه إلا أنه لم يبيّن دلالتها. "النرمق: فارسية معرّبة" (٧) "السمند: فارسية" (٨).

وهناك مواضع أخرى يوضّح دلالة الألفاظ المعرّبة، لكنه يغفل اسم لغتها الأم "النخ من كلام العجم: بساط طويل، وجمعه نخاخ" (٩).

وفي مواضع أخرى أهمل صاحب لغة اللفظة المعرّبة ودلالاتها كليهما "الطراز: دخيل معرّب" (١٠). ولحرص صاحب على صحة ألفاظ معجمه، نبّه على عدم عربية بعض الألفاظ كي يتحاشاها الناس في استعمالاتهم، فقد تكون تلك الألفاظ معرّبة أو مولدة، وليست من أفواه العرب الأقحاح - مع أنه لم يُشر إلى أنها معرّبة، "يقال: سهسأه أدخل معه وسهسأه أذهب معنا: إذا لم يكن معه شيء، وليس بعربي صحيح" (١١) "الدهنج: حصي أخضر تحك به الفصوص، وليست بعربية محضة" (١٢).

حيرة بعثها صاحب في الأنفس، حينما أكد عروبة ألفاظ أجمع معظم اللغويين على عجمتها، وأن العربية أخذتها من لغات أعجمية، فحوّرت بناءها، وأبدلت مواقع أحرفها، وحذفت بعض حروفها، وزادت أخرى.

(١) المحيط ج٦، ص ٣٥٩.

(٢) م. ن ج٧، ص ٢٠٦.

(٣) انظر لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ١٩٥٥م، مادة سرل ج١١، ص ٣٣٤ ومادة جس ج٦، ص ٤٣.

(٤) المحيط ج٨، ص ٣٠٤، وانظر ج٧، ص ١٩.

(٥) م. ن ج٨، ص ٤٣١.

(٦) م. ن ج٦، ص ٤٣٣.

(٧) م. ن ج٦، ص ١٠٩.

(٨) م. ن ج٨، ص ٤٣٠.

(٩) م. ن ج٤، ص ١٧٩.

(١٠) م. ن ج٩، ص ٢٧.

(١١) م. ن ج٣، ص ٤١٥.

(١٢) م. ن ج٤، ص ١٠٧.

وموقف صاحب هذا يضطر الفؤاد إلى التأمل والتفكير، فالصاحب يرجع إلى أصول فارسية تجعلنا نتوقع منه تعصبا للغة، وتأكيدا لما قاله العرب أنفسهم، فما السبب الذي دعاه إلى أن يقول غير ما قالوا، ويجتهد في رأي مع أن مخالفه من العلماء كثر!

فهو لم يقل بأعجمية كلمة الفردوس "الفردوس": جنة ذات كروم، وكرم مُفَرَّدَسٌ: معرّش<sup>(١)</sup>، واستبرق "الاستبرق": بُرّة حمراء كأنها قطع الأوتار، و [هي أيضا]، ثياب غليظة<sup>(٢)</sup> والقسطاس<sup>(٣)</sup>، والمشكاة<sup>(٤)</sup>، والدينار<sup>(٥)</sup>، وغيرها<sup>(٦)</sup>.

كما قال معظم اللغويين لا سيما الفريق الذي آيد وقوع المعرب في القرآن الكريم، فرأوا أن استبرق<sup>(٧)</sup> معرب عن الفارسية، والقسطاس<sup>(٨)</sup> معرب عن الرومية، والدينار<sup>(٩)</sup> معرب عن اللغة الفارسية والفردوس<sup>(١٠)</sup> معرب عن الرومية، والمشكاة<sup>(١١)</sup> معرب عن الحبشية، والدرهم<sup>(١٢)</sup> عن الفارسية. فهل كان صاحب في موقفه هذا من منكري وقوع المعرب في القرآن؟ وهل كان صدى لأستاذه ابن فارس الذي أنكر وقوعه<sup>(١٣)</sup>؟

الإجابة عن هذين السؤالين تكاد تكون عسيرة، ولا نملك يقينها، فالصاحب لم يتناول هذه القضية بالعرض أو النقد، ولم يبين رأيه فيها أثناء نثره لتلك الكلمات التي ذكرناها آنفا، وقد حاولت معرفة الإجابة عن هذين التساولين، لعلني أجد ضالتي وذلك بلن أحصر أعلام الأنبياء والرسول، وأتبين موقفه منها.

(١) المحيط ج٨، ص ٤٢٨.

(٢) م.ن ج٦، ص ١١٤.

(٣) م.ن ج٥، ص ٢٨١.

(٤) م.ن ج٦، ص ٢٨٩.

(٥) م.ن ج٩، ص ٢٨٩.

(٦) م.ن مادة طه ج٤، ص ٤١، هين، ج٤، ص ٤٩، الجحيم ج٢، ص ٤١٧.

(٧) الجمهرة ج٣، ص ١٥٠٠، الزينة، ج١، ص ١٣٦، الجواليقي في المعرب ص ٢٥١، ابن الجوزي، فنون الأفتان في عيون علوم القرآن، تحقيق: حسن ضياء الدين غنزي، ط١، دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان، ١٩٨٧م، ص ٣٤٧، السيوطي في المذهب ص ١٢٥، الشهاب الخفاجي، شفاء الغليل ص ١٥٦.

(٨) الجمهرة ج٢، ص ٢٥٨، الثعالبي، فقه اللغة، ص ٣٤٠، الجواليقي المعرب ص ١٣٩، ابن الجوزي، فنون الأفتان ص ٣٤٥، أبو حيان الأتلسي، البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد بن عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض وآخرين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٩٩٣م، ج٢، ص ٥٢٢، الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، ج٢، ص ٣٠ - ٣١، ولسان العرب ابن منظور، ج٤، ص ٢٩٢، والسيوطي، المذهب ص ٨٨ - ٨٩، وشفاء الغليل، ص ١٢٤.

(٩) الجمهرة ج٣، ص ٥٠٢، المعرب، ص ٨٤، فنون الأفتان ص ٣٤٥، الخفاجي، شفاء الغليل ص ٨٣، السيوطي، المذهب ص ٨.

(١٠) ابن تقيّة، أنب الكاتب ص ٣٨٤، أبو حاتم، الزينة ج١، ص ١٣٧، الجواليقي، المعرب، ص ٣٠٣، الثعالبي فقه اللغة ص ٣٤٠.

(١١) الفخر الرازي، التفسير الكبير دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان ج ٢٤، ص ٢٢٢-٢٣٨، ابن الجوزي، فنون الأفتان ص ٣٥١، السيوطي، المذهب ص ١٤٤.

(١٢) الجواليقي، المعرب، ص ١٨٤، ابن دريد، الجمهرة ج٣، ص ٣٦٨، وابن منظور، لسان العرب، قدم له العلامة الشيخ عبد الله العلايلي، إعداد وتصنيف: يوسف خياط، نديم مرعشلي، دار لسان العرب - بيروت، ج١، ص ٩٧٥.

(١٣) ابن فارس، الصحابي، ص ٥٧ - ٦٢.

الملاحظ أن صاحب لم يابه بذكر أسماء الأنبياء والتعريف بهم معتمداً على شهرتهم ومعرفة الناس بهم، فلم يذكر سوى "اليسعُ" اسم نبي<sup>(١)</sup> "وهرون: اسم الرجل، وهو معرّب من هاران"<sup>(٢)</sup> فنهج صاحب قد ضيق السبل، وأفضى إلى تساؤل آخر، هل كان صاحب ينكر وقوع المعرّب في الألفاظ ويؤيد وقوعه في الأعلام؟

فهو يرى أن هارون معرّب عن هاران، ولكننا لا نستطيع الجزم أن صاحب كان يؤيد وقوع الأعلام المعرّبة في القرآن؛ لأنه لم يكرر رأيه هذا مرة أخرى، ولم يقل إن هارون اسم رسول، بل قال إنه رجل، ولا نستطيع أن نجزم أن أحمد محمد شاعر<sup>(٣)</sup> في موقفه من المعرّب في القرآن قد تأثر بالصاحب، والذي يزيد سماء الإجابة سحبا؛ أن صاحب لم ينكر الألفاظ التي قال غيره بأعجميتها في القرآن فحسب، وإنما أورد ألفاظاً عديدة عدّها اللغويون معرّبة، إلا أن صاحب لم يعدها كذلك، فالمحيط عدّ كلمة السرو<sup>(٤)</sup>، والناطور<sup>(٥)</sup> عربيتين، مع أن الخليل<sup>(٦)</sup> عدّ الأولى فارسية، والثانية سوادية.

اتفق العلماء على عدم اجتماع الصاد والجيم<sup>(٧)</sup> في كلمة عربية، غير أنه أورد منها فعلاً ثنائياً مضاعفاً "وجصص الجرو: فتح عينيه"<sup>(٨)</sup>. واسماً ثنائياً مضاعفاً "الجصص: معروف"<sup>(٩)</sup>، واسماً مضاعفاً رباعياً "ومكان جصاص: أبيض مستو"<sup>(١٠)</sup>، واسماً ثلاثياً "الجراصية: الضخم من كل شيء"<sup>(١١)</sup>، وفعلاً ثلاثياً "صلج الفضة: سكبها"<sup>(١٢)</sup>. ونهجه في إيراد ألفاظ اجتمعت بها الجيم والصاد مشابه لنهج الخليل، والأزهري، إلا أن ألفاظهما قليلة إذا ما قورنت بالصاحب.

وإذا عدنا أراجنا إلى حرف الهاء وطالعنا الثلاثي والرباعي من تقلبيات الهاء والجيم والصاد، فإننا نجد أن الخليل أهملها جميعاً، ولم يذكر الأزهري فيها سوى تقليب ثلاثي؛ الصيهج<sup>(١٣)</sup>، وقد ماثله صاحب في هذا التقليل من الثلاثي<sup>(١٤)</sup>، لكن صاحب أورد ألفاظاً عديدة من باب الرباعي<sup>(١٥)</sup> محتوية على الجيم والصاد، أمثال: الصهرجة، والصهريج، والصلاهج، والسنهاج والسهانج.

(١) المحيط ج ٢، ص ١١٤.

(٢) م. ج ٣، ص ٤٧٦.

(٣) أحمد محمد شاعر، مقدمة المعرب ص ١١ - ١٢.

(٤) المحيط ج ١، ص ٩٢، وج ٨، ص ٣٦٨.

(٥) م. ج ٩، ص ١٥٩.

(٦) العين ج ١، ص ٨٦، وج ٧، ص ٤١٣.

(٧) الجواليقي، المعرب، ص ١١.

(٨) المحيط ج ٦، ص ٣٨٦.

(٩) م. ج ٦، ص ٣٨٦.

(١٠) م. ج ٦، ص ٣٨٦.

(١١) م. ج ٦، ص ٤٤٤.

(١٢) م. ج ٦، ص ٤٤٤.

(١٣) التهذيب ج ٦، ص ٣٣.

(١٤) المحيط ج ٣، ص ٣٦٧.

(١٥) م. ج ٤، ص ١١٤.

مع أن موقف الصاحب من المعرب يخالف موقف معظم اللغويين، إلا أنه لا يخولنا أن نقول: إنه ينكر وقوع المعرب في اللغة العربية، فقد نسب ألفاظاً غير قليلة إلى لغاتها الأمهات، ونوه بأن عدداً من الألفاظ أعجمية أو معربة، عدا أنه اعتمد على المعرب في تبيان دلالة اللفظ، كما سيظهر لنا في الفصل الآتي.

"الأرطاة: شجر تسميه العجم سَنَجْد" (١) "الفدْفُد: الذي يسمى الشيراز" (٢).

ولا يعني أن نهجه قد أدى إلى الإفهام، وإنما أدى في مواضع عديدة إلى الإبهام والإبهام "الضومران والضيمران الشاهسفرم" (٣) "الزليل: الفالودج" (٤).

تعامل الصاحب مع المعرب بهذه الطريقة له دلالة واضحة؛ إن المعرب لم يكن خطراً يهدد نسج اللغة العربية، وقوام نظمها، معضلة تستدعي الباحثين إيجاد الحلول، لكي تضمحل ومن ثم تزول، فالفارق بيننا وبين عصره جلي، فقد صار الدخيل يفتح الأبواب، ويدخل الديار دونما استئذان، ولا سيما المصطلحات العلمية والتقنية والإعلامية، ولذلك فإن على مجامعنا اللغوية تدارك هذا الخطر وتحاشيه.

### المشترك اللغوي:-

قسم اللغويون (٥) الكلام إلى أربعة أجناس.

أولها: ما اختلف لفظه واختلف معناه، وذا أكثر الكلام مثل: رجل وامرأة، وأرض وسماء، واليوم والليلة..

ثانيها: ما اتفق لفظه واختلف معناه "المشترك اللفظي"، مثل: العِصْمَة: المنع، والعِصْمَة: القلادة (٦) الدُّعْبُوبُ: النشيط، وحبّة سوداء تؤكل وقيل هي بقلة تقرش وتؤكل، والطريق المذلل، والضعيف من الرجال، والأحمق (٧).

ثالثها: ما اختلف لفظه واتفق معناه "الترادف": فالليل والنهار يطلق عليهما العَصْرَان (٨)، والجَدِيدَان (٩)، والصَّرْفَان (١٠)، وأطلق العرب على الغداة والعشي: الفَرْتَان (١١)، والكُرْتَان (١٢)، والرَدْفَان (١٣)، والأبْرَدَان (١٤).

(١) المحيط ج ٩، ص ٢١٨.

(٢) م.ن ج ٩، ص ٢٦٥.

(٣) م.ن ج ٨، ص ٢٠.

(٤) م.ن ج ٩، ص ١٢.

(٥) نكرها سيويه في الكتاب ج ١، ص ٢٤. وقطرب في أضداده، مجلة اسلاميكا، تحقيق هانز كوقلر، مجلد ٥، سنة ١٩٣١. ص ٢٤٣-٢٤٤، والمبرد فيما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد، تحقيق عبد العزيز الميمني الراجكوتي الأثري، المطبعة السلفية ومكنتها، القاهرة، ١٣٥٠هـ، ص ٢-٥، ابن الأنباري، الأضداد، تحقيق: أبو الفضل ابراهيم، دائرة المطبوعات والنشر، الكويت ١٩٦٠م، ١-٢ و ٦، ابن فارس في الصحابي ٩٦-٩٧ و ٢٠١، وابن سيده، المخصص، جزء ١٣، ص ٢٥٨.

(٦) المحيط، ج ١، ص ٣٤٨.

(٧) م.ن ج ١، ص ٤٣٣.

(٨) م.ن ج ١، ص ٣٢٦.

(٩) م.ن ج ١، ص ٣٩٢.

(١٠) م.ن ج ٨، ص ١٢٩.

(١١) م.ن ج ٥، ص ٢٠٦.

(١٢) م.ن ج ٦، ص ١٣٨.

(١٣) م.ن ج ٩، ص ٢٠٩.

(١٤) م.ن ج ٩، ص ٢٩٦.

رابعها: ما اتفق لفظه وتضاد معناه "الأضداد": أفرح بمعنى سرّ وعم<sup>(١)</sup>، والجُناب تعني الغُرباء والقُرباء<sup>(٢)</sup>.

وقد اصطلح اللغويون المحدثون على جمع الأجناس الثلاثة الأخيرة تحت اسم واحد عنونوه بالمشترك اللغوي. والجنس الأول من أجناس الكلام جلي لا يحتاج إلى تبيان أو تتبع ظهور، لأنه الأصل وما عداه فرع عنه، فمعظم ألفاظ اللغة عائدة إليه ومشتقة منه. أما الأجناس الثلاثة الباقية فإنها تحتاج إلى تتبع ظهور وتبويه إلى أهم الأسباب التي أدت إلى ظهورها وجعلتها جنساً لغوياً يفرض نفسه على البسيطة اللغوية. أ. الترادف.

يعد الترادف من أهم العوامل التي لها أثر في التوسع الدلالي. لم يعرّج صاحب على تعريف الترادف ونشأته وإنما اقتصر قوله في مادة ردف على: "الردف: ما تبع شيئاً، وهو الترادف، والجميع الردافي"<sup>(٣)</sup>، وأجمع العلماء<sup>(٤)</sup> على أنه: الألفاظ المفردة التي تدل على معنى واحد، أو دلالة واحدة أو ما اختلف لفظه وانفق معناه.

يعد كتاب "ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه"<sup>(٥)</sup> للأصمعي من أوائل الكتب التي أخذت من الترادف موضوعاً للبحث، وتبع الأصمعي في حركة التأليف الرماني في كتابه "الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى" ثم ابن مالك في كتابه "الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة".

وقع الترادف في مصادر الاحتجاج جميعها، فنحن نجد آيات عديدة تضمنت معنى واحداً على اختلاف ألفاظها مثل: (أقسم وحلف) في قوله تعالى: "وأقسموا بالله جهد أيمانهم"<sup>(٦)</sup>.

فهو وسيلة مثلى لتوضيح مشكل القرآن والحديث والحوشي والغريب من الشعر الجاهلي<sup>(٧)</sup>، ولهذا قال سيبويه<sup>(٨)</sup> والشافعي<sup>(٩)</sup>، وقطرب<sup>(١٠)</sup>، والأصمعي<sup>(١١)</sup>، وأبو زيد

(١) المحيط ج٣، ص ٨٣.

(٢) م-ن ج٧، ص ١٢٨.

(٣) المحيط ج٩، ص ٢٨٩.

(٤) الرماني، الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى: تحقيق فتح الله صالح المصري، طبعة ٢، دار الوفاق للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ١٩٨٨/ مقدمة المحقق من ص ٩ - ١٠. وابن فارس في الصحابي ٩٦ - ٩٧. وابن مالك الطائي، الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة، تحقيق محمد حسن عواد، طبعة ١، دار الجيل - بيروت، ودار عمار - عمان، ١٩٩١، مقدمة المحقق، ص ٨٧، الفخر الرازي، المحصول، جزء ١، ص ٢٥٣. السيوطي، المزهرة، ج ١، ص ٤٠٢، إميل بديع يعقوب، فقه اللغة وخصائصها، ص ١٧٣ - ١٧٤. ومحمد السيد علي بلاسي، مقال: الترادف والمشارك اللفظي والتضاد، وأثر كل في نمو العربية، مجلة اللسان العربي، عدد ٣٣، سنة ١٩٨٩، ص ١٠٥، حلمي خليل، مقدمة الدراسة فقه اللغة، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، سنة ١٩٩٣م، ص ١٦٧.

(٥) الأصمعي، ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه، تحقيق: ماجد حسن الذهبي، ط ١، دار الفكر - دمشق، ١٩٨٦.

(٦) سورة الأنعام، آية ١٠٩.

(٧) حفني ناصف، مميزات لغات العرب، ص ٤٣.

(٨) سيبويه، الكتاب، ج ١، ص ٢٤.

(٩) الشافعي، الرسالة، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، ط ١، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر، ١٩٤٠، ص ٥٢.

(١٠) الأضداد، ص ٢٤٣.

(١١) ذكره ابن سيده في المخصص، ج ١٣، ص ٢٥٩ - ٢٦٠.



الأنصاري<sup>(١)</sup>، وابن خالويه<sup>(٢)</sup>، وأبو علي الفارسي<sup>(٣)</sup>، والرماني<sup>(٤)</sup>، وابن جنبي<sup>(٥)</sup>، وابن فارس<sup>(٦)</sup>، والأمدي<sup>(٧)</sup>، وابن مالك<sup>(٨)</sup>، وغيرهم<sup>(٩)</sup> من الفقهاء واللغويين:-  
إن للترادف أثرا لا يخفى على ذي نهية في سعة العربية وتطور دلالاتها. وما قصة واصل بن عطاء حينما اتكا على الترادف لإخفاء لثغه لحرف الراء عنا بمنأى<sup>(١٠)</sup>.

واستقصاؤنا لأمثلة الترادف في المحيط تعطينا صورة جلية أن صاحب كان يقول في أثر الترادف في تغيير الدلالة وتوسعها، وليس دوره مقتصر على توسع الألفاظ وإنما يطوق أثره السياقات اللغوية؛ إذ استعمل العرب بوساطته للدلالة على معنى واحد عدة سياقات أو جمل. وللترادف دور في تعدد أسماء الداهية فهي القلمس<sup>(١١)</sup>، والصرماء<sup>(١٢)</sup>، والمصمئيلة<sup>(١٣)</sup>، والزفير<sup>(١٤)</sup>، والزنبيل<sup>(١٥)</sup>، والطامة<sup>(١٦)</sup>، والفطير<sup>(١٧)</sup>، وبنات طبل<sup>(١٨)</sup>، والربداء<sup>(١٩)</sup>، والدؤلول<sup>(٢٠)</sup>، والزمر<sup>(٢١)</sup>، الذنبيل<sup>(٢٢)</sup>، وغيرها.

(١) السيوطي، المزهري، ج١، ص ٤١٣.

(٢) ذكره ابن فارس، الصحابي، ص ٤٣-٤٤، والسيوطي في المزهري، ج١، ص ٤٠٧.

(٣) ابن سيده، المخصص، ج١٣، ص ٢٥٨-٢٥٩.

(٤) الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى.

(٥) ابن جنبي، الخصائص، ج١، ص ٣٧٣ - ٣٧٤.

(٦) ابن فارس، الصحابي، ص ٤٠ - ٤١.

(٧) الأمدي، الإحكام في أصول الأحكام، تعليق: عبد الرزاق عفيفي، تصحيح: عبد الله غديان، وعلي الحمد الصالح، ط١، مؤسسة النور للطباعة والتجليد - الرياض، ١٣٧٨هـ، ج١، ص ٢٣ - ٢٥.

(٨) الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة.

(٩) الفخر الرازي، المحصول، ج١، ص ٢٥٣ - ٢٦٠، السيوطي في المزهري، ج١، ص ٤٠٢ - ٤١٣. الفيروز أبادي في كتابه "الروض المسلوب فيما له اسمان من الألف" وترقيق الأصل لتصنيف العسل" ذكرهما السيوطي في المزهري، ج١، ص ٤٠٧، حفني ناصف، مميزات لغة العرب، ص ٤٤، إليازجي، تجمة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد، ط٣، مكتبة لبنان - لبنان. دت.

(١٠) حفني ناصف، مميزات لغة العرب، ص ٤٣.

(١١) المحيط، ج٦، ص ٨٩.

(١٢) م.ن ج٨، ص ١٤١.

(١٣) م.ن ج٨، ص ١٥٢.

(١٤) م.ن ج٨، ص ٤٣.

(١٥) م.ن ج٩، ص ٥٩.

(١٦) م.ن ج٩، ص ١٤٣.

(١٧) م.ن ج٩، ص ١٦٤.

(١٨) م.ن، ج٩، ص ١٨١.

(١٩) م.ن ج٩، ص ٢٩٩.

(٢٠) م.ن ج٩، ص ٣٥٥.

(٢١) م.ن ج١٠، ص ٧٨.

(٢٢) م.ن ج١٠، ص ٨٢.

ومن أمثلة دوره في تعدد استعمالات العرب لمن جاءوا بجماعتهم وجاء القوم بقليتهم<sup>(١)</sup>، وجاء القوم بأوقتهم<sup>(٢)</sup>، وجاءوا على بكره أبيهم<sup>(٣)</sup>، وجاء القوم بشوكتهم<sup>(٤)</sup>، وجاء القوم أجفلة<sup>(٥)</sup>، وجاءوا بأصيبتهم<sup>(٦)</sup>.

أعاد الصاحب حاله حال اللغويين والفقهاء ظاهرة الترادف إلى أسباب عديدة:-

## ١. اختلاف لغات القبائل:

نص الصاحب على دور اختلاف اللغات في وجود ظاهرة الترادف ويعد أهم عامل أدى إلى نشأتها ثم ازدهارها، فالقدح الضخم فمعل في لغة هذيل<sup>(٧)</sup>، والجوز في لغة الشحر الخسف<sup>(٨)</sup>.

ولاختلاف اللغات دور في تغيير حركة اللفظة نفسها كذلك، فيصبح للفظه بنيان صرفيتان مختلفتان. ويغلب على الصاحب أن لا ينسب الألفاظ التي تتطوي تحت هذا القسم إلى القبائل العربية أو إلى بنياتها اللغوية "الهلك: الهلاك، والهلك: مثله"<sup>(٩)</sup>، "الهزل: نقيض الجد، يهزل في كلامه، فهو هازل، والهزل لغة"<sup>(١٠)</sup>.

وجوز بعضهم وقوع الترادف في البيئة اللغوية الواحدة على أيدي الشعراء والأدباء، غير أن دوره في توسع الدلالة قليل إذا ما قورن بسالفه<sup>(١١)</sup>.

## ٢. المجاز:

المجاز اللغوي والكناية سلم بأثرهما القدماء والمحدثون، إذ عايش القدماء دورهما في توسع الدلالة، وها نحن نلمس دورهما المتجدد في توسعها، فقد استند عليهما حذاق اللغة وشعرائها وسجاعها، فوعوا معطياتها وأبدعوا حينما استنفدوا ثمارهما، فهما وسيلتان تتيحان استعمال المهجور والمولد.

(١) المحيط ج٦، ص ٢١.

(٢) م-ن ج٦، ص ٧٠.

(٣) م-ن ج٦، ص ٢٥٨.

(٤) م-ن ج٦، ص ٢٩١.

(٥) م-ن ج٧، ص ١١٢.

(٦) م-ن ج٨، ص ١٨٧.

(٧) م-ن ج٢، ص ١٦٠.

(٨) م-ن ج٤، ص ٢٦٧.

(٩) م-ن، ج٢، ص ٣٥٨.

(١٠) م-ن ج٢، ص ٤٢٣.

(١١) ابن جني، الخصائص، ج١، ص ٣٧٣ - ٣٧٤، وواقفه الأمدي، الأحكام، ج١، ص ٢٤. والفخر الرازي في المحصول ج١، ص ٢٥٥.

فاق الصاحب غيره في تتبع معاني اللفظة التي أحدثها المجاز على الاستعمال. ودأب على سوقها في معجمه، قالت العرب في الرجل الشجاع: إنه لرابط الجأش<sup>(١)</sup>، وثبت الجنان<sup>(٢)</sup>، وملائك<sup>(٣)</sup>، وأبسل نفسه للموت<sup>(٤)</sup>، وما يشقُّ غباره<sup>(٥)</sup>، وإنه لرجل حواسِّ عواسِّ<sup>(٦)</sup>، وإنه لرجل نهيك<sup>(٧)</sup>، وهو رفيع الفؤاد ورفيع الأمر<sup>(٨)</sup>، ورجل خطر<sup>(٩)</sup>.

### ٣. إنابة الصفة عن الموصوف.

زخرت لغتنا العربية بألفاظ عديدة تدور في مجملها حول محور واحد أو حقل دلالي واحد، فكانت العرب تنسب الأدوات إلى صناعاتها، وتنسبها إلى البلاد التي استوردتها منها، وكان لكل نوع من تلك الأدوات أو الآلات، لا سيما الأسلحة اسم يغاير أحدها الآخر.

وللعرب مطاياهم المختلفة وكل نوع من تلك المطايا له أقسامه، فنحن لا نعرف من ابلهم سوى الناقة والجمال، أما هم فسموا كلاً منها اسماً خاصاً به، وهذا الاسم يتحدد وفق تغير العمر واللون والسمن والهزال والطول والقصر، وإذا ما كانت الناقة حلوب أم غير حلوب والناقة الولود والحائل، وإذا كانت من ذوات الأصواف الكثيفة أو أن صوفها قد جُز، وإذا كانت أكلولاً أو غير أكلول، فهم يسمون الناقة القصيرة جَرَّوَةً<sup>(١٠)</sup>، والناقة عظيمة السنم الشطوط<sup>(١١)</sup>، أما الناقة الطويلة القوائم فسيناد<sup>(١٢)</sup>، والناقة الصبور مصماد<sup>(١٣)</sup>، والناقة الحائل أصوص<sup>(١٤)</sup>، وقليلة اللبن صمررد<sup>(١٥)</sup>، والمفتقرة إلى الوسم سمط<sup>(١٦)</sup>، والتي تأخذ الكلاً بمقدم فيها نسوق<sup>(١٧)</sup>، والناقة الضخمة برقسة<sup>(١٨)</sup>، والناقة الفارهة مِرزَاقَة<sup>(١٩)</sup>، والتي

(١) المحيط، ج ٧، ص ١٤٠.

(٢) م. بن ج ٩، ص ٤٢٢.

(٣) م. بن ج ١٠، ص ١٧٣.

(٤) م. بن ج ٨، ص ٣٣١.

(٥) م. بن ج ٥، ص ٧٦.

(٦) م. بن ج ٣، ص ١٦٦.

(٧) م. بن ج ٣، ص ٣٥٩.

(٨) م. بن ج ١، ص ٣٩٦.

(٩) م. بن ج ٤، ص ٢٨٥.

(١٠) م. بن ج ٧، ص ١٧٦.

(١١) م. بن ج ٧، ص ٢٥١.

(١٢) م. بن ج ٨، ص ٢٨٥.

(١٣) م. بن ج ٨، ص ١١٩.

(١٤) م. بن ج ٨، ص ٢١٥.

(١٥) م. بن ج ٨، ص ٢٢٢.

(١٦) م. بن ج ٨، ص ٢٧٨.

(١٧) م. بن ج ٨، ص ٣٤١.

(١٨) م. بن ج ٨، ص ٤٢٨.

(١٩) م. بن ج ٩، ص ٤٩.

تشرب من إزاء الحوض أزيّة<sup>(١)</sup>، والناقة الحمراء والصهباء رادنية<sup>(٢)</sup>، والمهزول من الإبل بارد<sup>(٣)</sup>.

وإذا أردت أن تتبع أسماء الإبل التي احتوى عليها المحيط والتي كانت في الأصل صفات عليها وليست أسماء لها لوصلت إلى المئات، ولكن هذا غييض من فييض.

فبعد أن تطورت وسائل النقل واستغنى العرب عن ركوبتهم، وبعد أن استحدث العلم آلات حرب جديدة، وطرحوا أسلحتهم فإن تلك الأسماء التي كانت بالأصل صفات نسيها الخلف وبقي يحفظها من ثانيا مؤلفات السلف دون أن يعرف دلالتها الدقيقة.

#### ٤. اختلاف المبنى مع اتفاق المعنى.

تأثرت بنى كثيرة في المحيط تحتوي على معنى واحد وقد يعود اختلاف المبنى إلى اختلاف اللغات وإلى الإعلال على اختلاف أنواعه فضلا عن ميل الإنسان إلى تخفيف الجهد النطقي ومن أمثلة ذلك قوله: "ضح: من ضحيت الأضحية، والأضحية والضحية، والجميع - الضحايا والأضاحي - وهي الشاة التي يضحى بها أي تذبح يوم الأضحى. والأضحة: الأضحية"<sup>(٤)</sup>. "والفقرة والفقارة: لغتان في الظهر"<sup>(٥)</sup>.

#### ٥. فك التضعيف:

يؤدي فك التضعيف في ألفاظ مخصوصة إلى الترادف، إذ إن إبدال أحد الحرفين المتماثلين بحرف آخر لا يماثله في كلمات محدودة يؤدي إلى إيجاد كلمة جديدة تحتوي على نفس المعنى وقد تخالفها في المبنى، وفك التضعيف يلجأ إليه المتكلم لتخفيف الجهد النطقي، والذي يؤكد هذا الغرض إبدال أحد الأحرف الصحيحة المضعفة الشديدة أو الانفجارية بحرف احتكاكي رخو أو صائت فأشهد مبدلة من أشد<sup>(٦)</sup> في بعض اللغات، وحندق مبدلة من حدق<sup>(٧)</sup>، والهدم مأخوذة من الهد<sup>(٨)</sup>، ودينار من دينار<sup>(٩)</sup>.

#### ٦. مد المقصور وقصر الممدود.

مع أن اللغويين جوزوا قصر الممدود ومنعوا مد المقصور - إلا في ضرورة الشعر - لأن في قصر الممدود إرجاعاً إلى الأصل وتخفيفاً في النطق، غير أن هنالك ألفاظاً سماعية مدها العرب وقصروها عينها، وقد يكون لاختلاف اللغات دور كبير في تناقل هذه الألفاظ، فمد اللفظة وقصرها عينها أو قصر اللفظة ومدتها عينها يسهم في زيادة عدد ألفاظ اللغة التي تختلف في المبنى وتحتوي على نفس المعنى.

(١) المحيط ج ٩، ص ١١٥.

(٢) م ن ج ٩، ص ٢٨٧.

(٣) م ن ج ٩، ص ٢٩٨.

(٤) م ن، ج ٣، ص ١٥٣.

(٥) م ن ج ٥، ص ٤٠٠.

(٦) م ن ج ٧، ص ٢٥٣.

(٧) م ن ج ٣، ص ٢٤٩.

(٨) م ن ج ٣، ص ٣١٦.

(٩) م ن ج ٩، ص ٢٨٩.

فمنها: الّهجاء بمعنى الحرب<sup>(١)</sup>، والعواء: النجم<sup>(٢)</sup>، والقلبي بمعنى الرّماد<sup>(٣)</sup>، وسواء وسوى بمعنى الوسط<sup>(٤)</sup>.

#### ٧. القلب المكاني.

القلب المكاني الذي يحدث على أحرف الكلمة دون أن يغير في معناها شيئاً يسهم في زيادة الألفاظ التي تنطوي تحت مفهوم الترادف، وقد زخرت العربية بأمثلة منها القلحزة والقلحزة؛ مشية القصير<sup>(٥)</sup>، اضمحلّ وامضحلّ<sup>(٦)</sup>، وبهلّ في معنى بله<sup>(٧)</sup>.

#### ٨. الإبدال اللغوي.

للإبدال أثر في ظهور الترادف فإذا لم تُرجع ظهور الإبدال إلى الأسباب الصوتية التي أشرنا إليها سابقاً ولم نطبق عليه مقياسي ابن جني في معرفة الأصل من المبدل أو الفرغ، فإن الإبدال سيأتي بعد اختلاف اللغات والمجاز في إسهامه بنشوء الترادف وتوسعه وقد تزيد أمثلة الإبدال على أمثلة الترادف التي تعود إلى عامل اختلاف اللغات:

فهم يقولون لمن تغير لونه التّوّع<sup>(٨)</sup>، وانتقّع لونه<sup>(٩)</sup>، وامتقّع لونه<sup>(١٠)</sup>، وأبتقّع لونه<sup>(١١)</sup>، وانصاح للأمر وانصاع له<sup>(١٢)</sup>.

المرجح أن العوامل الأخيرة التي أشرنا إليها تعود في معظمها إلى غرض واحد هو تخفيف الجهد النطقي وإضراب المتكلم عن التثقل فيبدل الأحرف الاحتكاكية بالأحرف الانفجارية (الرخوة بالشديدة) والصائتة بالصحيحة، ويقصرون الممدود، ويثرون المبنى ليصلوا إلى أخفها نطقاً، وأعاد المحدثون<sup>(١٣)</sup> القلب والإبدال إلى عامل واحد أسموه التطور الصوتي.

٩. أضاف حفني ناصف<sup>(١٤)</sup> وغيره من المحدثين عاملاً آخر لظهور الترادف؛ محاولة المعجميين حصر ألفاظ اللغة العربية، وتمييز صحيحها العربي من المعرب الأعجمي

(١) المحيط، ج ٤، ص ٢٣.

(٢) م.ن ج ٢، ص ١٨٦.

(٣) م.ن ج ٦، ص ٢١.

(٤) م.ن ج ٨، ص ٤١٤.

(٥) م.ن ج ٣، ص ٢٤٦.

(٦) م.ن ج ٣، ص ٢٦٧.

(٧) م.ن ج ٣، ص ٤٩١.

(٨) م.ن ج ١، ص ١٨١.

(٩) م.ن ج ١، ص ١٨٧.

(١٠) م.ن ج ١، ص ٢٠٦.

(١١) م.ن ج ١، ص ١٩٦.

(١٢) م.ن ج ٣، ص ١٦٠.

(١٣) ذكر هذا السبب إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ن، ص ١٨٤ - ١٩٠. وفتح الله صالح علي المصري محقق كتاب الرماني الألفاظ المترادفة ص ٣١، رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية.

(١٤) ذكرها حفني ناصف، مميزات لغات العرب، ص ٤٢، وقابل بـ (علي وافي في فقه اللغة ١١٠ - ١١١). وفتح الله صالح علي المصري محقق كتاب الرماني، الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى ص ٣٠. أحمد أمين، مقال: أسباب تضخم المعجمات العربية، مجلة مجمع القاهرة، ١٩٥٧، ص ٣٧.

والمولد المحدث خوفاً عليها من الاندثار أو الانصهار بألفاظ لغات الأمم الأخرى ومبانيها، مما اضطرهم إلى ذكر الألفاظ والسياقات جميعها التي تحمل معنى واحداً على اختلاف لغاتها ورواياتها وأسانيدها، وهذا القول صوابه ظاهر إذ عنيت به المعجمات الموسوعية أمثال: التهذيب واللسان والتاج، أما معجم المحيط فابتعد عن التكرار ونأى عن الإطناب وكان يذكر أشهر التراكيب والبنى دون أن يتتبع نطق اللفظة في البيئات اللغوية المختلفة غالباً، وقلما يشير إلى مرادف اللفظة أو التركيب كما فعله الأزهرى.

لم ينكر صاحب وقوع الترادف في العربية كما أنكره أستاذه ابن فارس في أحد أبواب كتابه الصحابي<sup>(١)</sup> إذ يعد الترادف من أهم السبل التي لجأ إليها الصحابي في تبين دلالة الكلم كما سنبينه في الباب الآتي. فنحن نعلم أن علماء اللغة انقسموا إلى فريقين، فريق أيد وقوع الترادف وأثره في توسع اللغة والدلالة ويضم هذا الفريق جمهور اللغويين<sup>(٢)</sup> والفقهاء وفريق آخر أنكر<sup>(٣)</sup> وقوع الترادف في اللغات، وحثهم في إنكاره قول الأمدى: "أن الأصل عند تعدد الأسماء تعدد المسميات واختصاص كل اسم بمسمى الآخر وبيانه.. أنه يلزم في اتحاد المسمى تعطيل فائدة أحد اللفظين لحصولها باللفظ الآخر.. أن المؤونة في حفظ الاسم الواحد أخف من حفظ الاسمين، والأصل إنما هو التزام أعظم المشتقين لتحصيل أعظم الفائدتين.."<sup>(٤)</sup>.

ظهر فريق توفيقى بين منكري الترادف ومؤيديه، ووضع شروطاً إذا ما طبقت، فإن أعداد الألفاظ المترادفة ستتضاءل بالضرورة:

أولها: اتحاد المعنى بين الكلمتين أو اللفظتين في البيئة اللغوية الواحدة لدى أغلب سكانها<sup>(٥)</sup>.

ثانيها: ظهور اللفظين المترادفين في بيئة لغوية واحدة، دون استعارته من بيئة لغوية أخرى، قال الأصفهاني: "و ينبغي أن يحمل كلام من منع على منعه في لغة واحدة، فاما في لغتين، فلا ينكره عاقل"<sup>(٦)</sup>.

ثالثها: اتحاد العنصر زمنياً، فلا يجوز أن نقول بوجود الترادف بين الألفاظ الجاهلية والألفاظ الحديثة مثلاً، فكلمة الإتاوة في الجاهلية لا يجوز أن نقول: إنها مرادفة

(١) باب كيف تقع الأسماء على المسميات، ص ٩٦.

(٢) سيبويه، الكتاب، ج ١، ص ٢٤، والشافعي، الرسالة، ص ٥٢، قطرب، الأضداد، ص ٢٤٣، والأصمعي ذكره ابن سيده في المخصص، ج ١٣، ص ٢٥٩ - ٢٦٠، ابن جنى في الخصائص، ج ٢، ص ٣١٢.

(٣) ابن الأعرابي ذكره الأباري في الأضداد، ص ٧، والسيوطي في المزهري، ج ١، ص ٣٩٩، وأبو هلال العسكري، الفروق في اللغة، تحقق: لجنة إحياء التراث العربي، دار الأفاق، بيروت - لبنان، ١٩٨١م، ص ١٦ و ١٩، وابن فارس، الصحابي، ص ٩٦ - ٩٧، وابن درستويه، تصحيح الفصح، تحقق: عبد الله الجبوري، ط ١، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٥م، ج ١، ص ١٦٥ - ١٦٦، وحفني ناصف، مميزات لغات العرب، ص ٤٠ - ٤١، وشفيق جبيري مقالة (الترادف)، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، مجلد ١٧، ج ١٠٩، ١٩٤٢م، ص ٤١١.

(٤) الأمدى، الإحكام ج ١، ص ٢٣.

(٥) إبراهيم أنيس، اللهجات العربية، ص ١٨٧.

(٦) ذكره السيوطي في المزهري ج ١، ص ٤٠٥.

لكلمة الخراج الإسلامية، وكذلك المكس الجاهلية، لا تكون مرادفة للضريبة الإسلامية، أو الضريبة الجمركية الحالية<sup>(١)</sup>.

رابعها: ألا تكون إحدى اللفظتين مبدلة من الأخرى، مثال ذلك:

تَحَنَّتَ الرجلُ وَتَحَنَّفَ<sup>(٢)</sup>، وَتَلَعَذَمَ وَتَلَعَّثَمَ<sup>(٣)</sup>.

### ب. المشترك اللفظي.

لم أعر على تعريف مصطلح المشترك اللفظي في المحيط، ولم يتناوله صاحب بالعرض والنقد، ولا يعني هذا القول أن يفرد صاحب فصلاً يخصصه للحديث عن المشترك اللفظي وعوامل ظهوره، ولكن الإشارة إلى مضمونه وأسباب ظهوره تفي الموضوع حقه وتجعلنا نتبين رؤيته التي تبناها.

اصطاح العلماء<sup>(٤)</sup> على أن المشترك اللفظي هو: ما اتفق لفظه واختلف معناه، أو هو الصورة اللفظية الواحدة التي لها أكثر من معنى أو دلالة. أو هو المعاني الكثيرة التي تنطوي تحت لفظة واحدة وهو نقيض الترادف، ومن أمثلته العَيْسَنُ<sup>(٥)</sup> فالعين الناظرة، والفؤارة، والسحابة من يمين القبلة؛ ونقرة الركبة والمال الحاضر، وصيخد الشمس؛ والشمس نفسها، والدينار، ومصدر الفعل عِنْتَه، والجاسوس، والميل في الميزان، ولب الشيء وخياره، ونفس الشيء.

ولكلمة الضرب مثلاً خمسة أوجه: "الضرب بالسوط والعصا، والضرب من المتاع، والضرب من الرجال: وهو الخفيف اللحم. قال طرفة:  
أنا الرجل الضرب الذي تعرفونه خشاش كراس الحية المتوقد  
والضرب من المطر، وهو المطر الضعيف، يقال أصابنا ضرب من المطر،  
وضربتنا السماء"<sup>(٦)</sup>.

ظاهرة المشترك اللفظي تنبّه إليها اللغويون قبل غيرها من الظواهر، فصنفوا فيها مصنفات خاصة تعود إلى النصف الأول من القرن الثالث الهجري، إذ تنسب ريادتها إلى أبي العميل الأعرابي (ت ٢٤٠هـ) في كتابه: "ما اتفق لفظه واختلف معناه" ومعاصره اليزيدي في كتابه "ما اتفق لفظه واختلف معناه"<sup>(٧)</sup>، وتبعهما المبرد في كتابه: "ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد"<sup>(٨)</sup>، وأظن أن هؤلاء المؤلفين هم الذين أفردوا للمشارك اللفظي مؤلفاً بعينه.

(١) الجاحظ، الحيوان، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ج١، ص ٣٢٧.

(٢) المحيط ج٣، ص ٧٥.

(٣) م. ج٢، ص ٢٦٨.

(٤) ابن فارس، الصحابي ص ٩٦ - ٢٠١. وقطرب، الأضداد ص ٢٤٣. والأمدى، الإحكام ج١، ص ١٩. وابن سيده، المخصص

ج١٣، ص ٢٥٨ - ٢٥٩. والفخر الرازي، المصنوع ج١، ص ٢٦١.

(٥) المحيط ج٢، ص ١٦٠.

(٦) أبو العميل الأعرابي، ما اتفق لفظه واختلف معناه، تحقيق: محمود شاكر سعيد، ط١، نادي جازان الأدبي جدة - السعودية ١٩٩١،

ص ٣٠.

(٧) هو إبراهيم بن أبي محمد يحيى اليزيدي: عبد الرحمن بن سليمان سنة ١٩٨٧م.

(٨) تحقيق: عبد العزيز الميفي الراجكوتي الأثري، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، ١٣٥٠هـ.

وأفرد لها بعض اللغويين أبواباً في كتبهم كما أشار إليها معظمهم في ثنايا كتبهم<sup>(١)</sup>.

### \* عوامل ظهور المشترك اللفظي.

ضمّ المحيط بين دفتيه أمثلة جمّة من المشترك اللفظي، وإذا أنعمنا النظر فيها فإننا نجد أن صاحب مائت معظم اللغويين والفقهاء في العوامل التي أدت إلى نشوء ظاهرة المشترك اللفظي في اللغة.

#### (١) اختلاف اللغات.

قد تضع القبيلة لفظاً لمعنى ما وتضع قبيلة أخرى اللفظ نفسه لمعنى آخر ثم يشيع اللفظان بمعنييهما المختلفين وهذا هو الأصل لظهوره. وهذا ما قال به أبو علي الفارسي: "وأما القسم الثالث وهو اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين فينبغي أن لا يكون قصداً في الوضع ولا أصلاً ولكنه من لغات تداخلت.." <sup>(٢)</sup> ومن أمثلة المشترك اللفظي التي ردها صاحب إلى اختلاف اللغات.

الشارح: الحافظ كالناطور بلغة اليمن.

والحدق: سواد العين، والحدق: شجر في لغة هذيل<sup>(٣)</sup>.

#### (٢) التحول من الحقيقة إلى المجاز.

يُعدّ المجاز من أهم العوامل التي لها دور في وجود المشترك اللفظي لا سيما استعمالته على أيدي الشعراء والكتاب الحذاق بالإضافة إلى العوامل الاجتماعية والاقتصادية والفكرية التي تجعل للمجاز دوراً كبيراً في نقل المعاني الحسية إلى معانٍ معنوية ومجردة.

وقد يكون المجاز لعلاقة المشابهة (الاستعارات المكنية أو التصريحية) أو لغير المشابهة (المجاز المرسل)، أطلق العرب على كل دود يتفقاً عن ذباب أو بعوض همجاً. وأطلقوا على رذالة الناس همجاً تشبيهاً لهم بالدود؛ وأطلقوا الورد على الأسد الذي يُقَدِّمُ على أقرانه وشُبَّهوا<sup>(٤)</sup> الرجل الجريء بالأسد فسموه وِرْدًا<sup>(٥)</sup>.

واستعمل العرب لفظة الدهر على الأبد الممدود، وأطلقوها على النازلة أيضاً<sup>(٦)</sup>، ولا يُعقل أن يطلقوا هذا الاسم على الزمن الممدود وعلى النازلة لعلاقة المشابهة بينهما، وإنما أطلقوه عليهما لأن النازلة تحلّ في الدهر، فالعلاقة بينهما حالية، أن النازلة حالة في الأبد وواقعة فيه. وكما أطلق العرب لفظة كأس على الإناء الذي يُشرب منه وعلى

(١) الخليل بن أحمد، ذكره السيوطي في المزهري ج ١، ص ٣٧٦، وسيبويه، الكتاب ج ١، ص ٢٤، والشافعي، الرسالة ص ٥٢، والأصمعي وأبو زيد الأنصاري ذكرهما السيوطي في المزهري ج ١، ص ٣٨١، ٣٨٢، والرازي، المحصول ج ١، ص ٢٦١ - ٢٨٤، والأمدي، الأحكام ج ١، ص ١٩ - ٢٣.

(٢) المخصص، ابن سيده ج ٣، ص ٢٥٩، والأخبار في أصداد ص ٤٥، الرازي في المحصول ج ١، ص ٢٦٧، والأمدي في الأحكام ج ١، ص ١٩.

(٣) المحيط ج ٢، ص ٤٤٩.

(٤) م. ن ج ٢، ص ٨٣.

(٥) م. ن ج ٣، ص ٣٨٦.

(٦) م. ن ج ٦، ص ٣٤٩.



الشراب نفسه<sup>(١)</sup> والعلاقة بين الكأس وبين الشراب غير المشابهة، فإن الكأس محل للشراب فالعلاقة بينهما محلية.

### ٣) تماثل الصفة بين الألفاظ المشتركة.

نحن نعلم أن الصفة إذا دارت على الألسن سدّت عن الموصوف، فصفة<sup>(٢)</sup> القوة والشدة سبّبت التماثل بين الأسد القوي وبين الرجل الغليظ الشديد الكاسر في لفظة الهيصم<sup>(٣)</sup>.

وصفة المبالغة والزيادة في الفعل جعلت التماثل واقعا بين القهقهة وبين الإسراع في الحاجة وبين الإكثار في العطاء في لفظة الهزُّر<sup>(٤)</sup> وقد تتماثل الألفاظ المشتركة في اللون فتكون صفة اللون مسببة لوقوعه في ألفاظ بعينها، فالأسحم يطلق على الليل، والسحاب الأسود والقرن الأسود، والدم<sup>(٥)</sup>، وعلى النقيض من ذلك فقد تماثلت أسماء في البنية لأنها متفقة في لونها الأبيض البراق، روي أن لفظة المها تطلق على البلور وعلى اللؤلؤ وعلى الدرّ وعلى أنثى بقر الوحش<sup>(٦)</sup>.

### ٤) تحوّل اللفظة من حقل دلالي إلى حقل دلالي آخر.

وضعت الألفاظ في الأصل لمعان حقيقية ولكن كثرة الاستعمال وتطوّر العلوم والأعمال جعل اللفظة تكتسب معاني أخرى غير المعنى الذي وضعت له بالأصل فكثير من الألفاظ في علم معين تحمل دلالات مغايرة عن الدلالات التي اكتسبتها حينما انتقلت إلى علم آخر.

فالقهنبان في عالم الإنس تعني الرجل الطويل السمين ولكنها عندما انتقلت إلى عالم الحيوان أصبحت تدل على الطيبي الضخم القرنين والطويلهما<sup>(٧)</sup>، والجئة في عالم النبات؛ المراعي ذات النبات الطويل المرتفع وعندما انتقلت إلى عالم الحيوان اكتسبت معنى جديدا إذ أصبحت تدل على الغنم ما بين الستين والسبعين رأسا<sup>(٨)</sup>.

ومن الكلمات التي ظهر عليها تغيّر دلالتها وفق تحوّلها من علم إلى علم ومن حقل إلى حقل كلمة الصّرف<sup>(٩)</sup> فهي فيما يخص الزمن والدهر حوادثه، وإذا انتقلت إلى علم اللغة أصبح معناها تتوين الكلم، وإذا انتقلنا إلى علم الفقه فإننا سنجد أنها اكتسبت معنى التطوع والتوبة، وفي علم المعاملات المالية حملت معنى الكيل أو الوزن وفي علم المعاملات الاجتماعية دلت على الحيلة والحنكة وحسن التصرف.

(١) المحيط ج٣، ص ٤٤٠.

(٢) م.ن ج٦، ص ٢٩٧.

(٣) م.ن ج٣، ص ٤٠٩.

(٤) م.ن ج٣، ص ٤٢٢.

(٥) م.ن ج٢، ص ٤٩٨.

(٦) م.ن ج٤، ص ٨٦.

(٧) م.ن ج٤، ص ١٠٧.

(٨) م.ن ج٤، ص ١٨٣.

(٩) م.ن ج٨، ص ١٢٨.

٥) استعارة ألفاظ من لغات أخرى تماثل أحرفها أحرف كلمات عربية لكنها ذات دلالة مختلفة.

قلنا إن صاحب أورد ألفاظا معربة عديدة في معجمه وعندما أنعمنا النظر في مبانيها ومعانيها وجدنا أن عدداً غير قليل منها ماثلت أبنيتهأ أبنية اللغة العربية وخالفتهأ في الدلالة، وهذا ليس بغريب لأن العرب حوروا الألفاظ الأعجمية ليسهل عليهم نطقها ولكي تماثل أشهر أبنيتهم، إذ ماثلت لفظة صرم الدخيلة التي تعني الجلد بناءً اللفظة العربية صرم التي تدل على القطع والعَدَق<sup>(١)</sup>.

واللفظة الرومية ترمس التي تدل على الجرجر تماثل اللفظة العربية ترمس التي تعني الباقتى.

والسِمَسَار<sup>(٢)</sup> الفارسية تعني العالم بالأرض وقد حملت العربية المعنى ذاته إلا أن لها بالعربية دلالات أخرى فهي الرسول، والحادق، والحافظ.

رأى بعض المحدثين<sup>(٣)</sup> أن للإبدال أثراً في نشوء المشترك اللفظي ولكن معرفة مخارج الحروف وهيئة خروجها وكثرة الاستعمال ومعرفة أصل اللفظة وفرعها عوامل تساعد الباحث في معرفة اللفظة المبدلة واللفظة المبدل منها فلا أظن أن يخفى على المتمعن معرفة أن السين مبدلة من الزاي في لزب ولسب وتزهوك وتسهبوك واللسوق واللزوق. وإن الحاء مبدلة من العين في بعثر وبعثر، وعصد وحصد، ونعم ونحم. وقد بينا هذه الأسس جلية في المستوى الصوتي كما أشير.

٦) غياب النبر والتنغيم.

قد يؤدي غياب النبر والتنغيم في الكتابة العربية إلى إيجاد مشترك لفظي بين ألفاظ لا تُعرف دلالتها إلا بوساطة نبرها وطريقة تنغيمها في النطق، ولما كانت الكتابة العربية خالية من الإشارات الدالة على النبر والتنغيم لجأ صاحب إلى ذكر معاني اللفظة المختلفة وحاول إيضاحها بوساطة إيرادها ضمن سياقات أو جمل ومن ذلك قوله: "هَهْ: تذكرة في حال. وتحذير في أخرى.. وهَاهْ: وعيد. وحكاية للضحك، وتكون في معنى أه من التوجع. وتَهَوَه هاهمة.. ومن قال ها فحكى ذلك قال: هاهيت وإذا قال لك ها قلت: ما أهاء أي ما أخذها ويقال هات. فنقول: ما أهاتي أي ما أعطي"<sup>(٤)</sup>.

لم يقصر صاحب تتبعه المشترك اللفظي في الأسماء فقط، وإنما أدرك أن المشترك اللفظي قد يقع في الأفعال أيضاً فإن في العربية أفعالا عديدة محتوية على معان متغايرة، ولا سيما إن اتصلت تلك الأفعال بألفاظ مختلفة فلا يخفى على أي ناظر أن الأفعال تكتسب معاني متغايرة إذا ما اختلفت الألفاظ المتصلة بها. فالمعنى الخاص يتحدد وفق اللفظ المقترن بالفعل فمن تلك الأفعال: الفعل (قضى)<sup>(٥)</sup> فإذا اقترن بلفظة القاضي أو الحاكم كان معناه حكم "قَضَى القاضي قَضَاءً"، وإذا اتصل بلفظة العهد أصبح معناه أوصى

(١) المحيط ج ٨، ص ١٢٩.

(٢) م ج ٨، ص ٢٢١.

(٣) رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، ص ٣٣١ - ٣٣٢، إبراهيم أنيس في اللهجات ص ١٩٦ - ١٩٧.

(٤) المحيط ج ٤، ص ٩١ - ٩٣.

(٥) م ج ٥، ص ٤٦٢.

في "قَضَى إليه عَهْدًا"، وإذا اتصل بلفظة الموت وحرف الجر (عليه) صار معناه غلبه "قَضَى عليه الموت: أي غلبه"، واتصاله بلفظة السقاء يضم إليه معنى جديداً هو فسد وبلى "وقَضَى السقاء: طال تركه في مكان ففسد وبلى" وإذا كانت لفظة الثوب متصلة به دل على أنه قدم وأخلق "وقضى الثوب: إذا أخلق". وقد حمل الفعل دلالات جديدة في الآيات القرآنية فعندما اتصل بالضمير "هُنَّ" الراجع إلى السموات دل على أن الله صنعها "فقضاهنَّ سبع سموات في يومين"، وفي آية أخرى تضمن معنى أعلم عندما اتصل بحرف الجر إلى لفظة بني إسرائيل "وقضينا إلى بني إسرائيل أي أعلمناهم" وأشرنا سابقاً إلى أن همز الفعل قد يؤدي إلى تغيير المعنى بالإضافة إلى الألفاظ التي يقترن بها، فالفعل المهموز قضى إذا اتصل بالثياب دل على طولها وهي ندية "وقضيت الثياب قضا - مهموز: إذا طويت وفيها ندوة ثم نُشرت وقد تهاقتت وعفنت" وإذا اتصل بالعين تضمّن معنى قرحت "وقضيت عينه قضا: أي قرحت، ورجل قضى العين"، وإذا كان المفعول به يدل على الطعام كان معناه أكل "وقضيت الشيء أقضاه: أكلته"، وإذا بُني الفعل نفسه للمجهول واتصل بلفظة قضاء أو أمر أضحي معناه فرغ "وقضى قضاؤك: أي فرغ من أمرك"، والمزيد من الفعل نفسه يحمل بالضرورة معاني جديدة فانقضى الشيء وتقضّى: فني "والانقضاء: فناء الشيء وذهابه، وكذلك النقضي".

مما سبق نتبين أن صاحب آيد وقوع المشترك اللفظي في اللغة، وموقفه هذا مماثل لموقف جمهور اللغويين. والفقهاء<sup>(١)</sup> وحجتهم في تأييد وقوعه ما قاله الرازي في المحصول: "أن الألفاظ متناهية والمعاني غير متناهية والمتناهي إذا وزع على غير المتناهي: لزم الاشتراك. وإنما قلنا: "إن الألفاظ متناهية" لأنها مركبة من الحروف المتناهية. والمركب من المتناهي متناهٍ وإنما قلنا: "إن المعاني غير متناهية لأن الأعداد أحد أنواع المعاني وهي غير متناهية. وأما المتناهي إذا وزع على غير المتناهي - حصل الاشتراك - فهو معلوم بالضرورة"<sup>(٢)</sup>.

ولم يروا أن عالماً أنكر المشترك سوى ابن درستويه في تصحيح الفصيح<sup>(٣)</sup>.

وندره منكري المشترك تعود إلى أنهم قد قطفوا ثماره وجنوا فوائده، فقد أسهم في إيجاد قواف جديدة وفنون بديعية منها: الجنس التام والتورية التي اتكا عليها المجير المضطهد الذي يضمّر خلاف ما يظهر، وضرب ابن دريد<sup>(٤)</sup> أمثلة عديدة في كتابه "الملاحن".

(١) سيبويه الكتاب، ج ١، ص ٢٤، الشافعي، الرسالة ص ٥٢، الأصمعي وأبو زيد الأنصاري، ذكرهما السبوطي في المزهو ج ١، ص ٣٨١ - ٣٨٢، وثعلب في قصيدة له تتبع فيها معاني الخال المختلفة، انظر، توفيق محمد شاهين، المشترك اللغوي نظرية وتطبيقاً، ط ١، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٨٠، ص ٢٧٢ - ٢٧٤، وابن منظور، لسان العرب، مطبعة مكتب تحقيق التراث، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٩٩٣، ج ٤، ص ٢٦٨ - ٢٦٩، وابن فارس في قصيدته العينية، انظر ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ١، ص ٤١٥.

(٢) الرازي، المحصول، ج ١، ص ٢٦٢.

(٣) ابن درستويه، تصحيح الفصيح.

(٤) ابن دريد، الملاحن، صححه وعلق عليه: أبو اسحاق اطفيس الجزائري، المطبعة السلفية، القاهرة - مصر، ص ٤٧، ص ١٣.

وللمشترك دور كبير في ظهور علوم لغوية جديدة ألفت حولها مصنفات بعينها منها: المداخل<sup>(١)</sup>، والمشجر<sup>(٢)</sup>، والمسلسل<sup>(٣)</sup>.

### ج) الأضداد:

قال صاحب في مادة ضد<sup>(٤)</sup> أن ضد الشيء الذي يخالفه ويقال: ضدّ وضديد، فالصاحب في هذه العبارة قد عرف الضدّ لغوياً غير أنه لم يقف على معناه اصطلاحاً، واصطلاح العلماء على أن الأضداد هو: ما اتفق لفظه وتضاد معناه، أو هو اللفظ الواحد ذو المعاني المتضادة، أو ما تضاد معناه واتفق لفظه<sup>(٥)</sup> مثل: والحصب<sup>(٦)</sup> صغار الحصى وكبارها، وعَسَّعَسَ<sup>(٧)</sup> الليل؛ أقبل وأدبر. ولم ينكر صاحب ما ذهب إليه القدماء أن الأضداد نوع من المشترك اللفظي الذي يقع في الألفاظ المفردة، رأى الأقدمون<sup>(٨)</sup> أن الأضداد نوع من الاشتراك؛ لأنهما متماثلان في الأساس الذي انبنى عليه تعريفهما وهو: "ما اتفق لفظه واختلف معناه" إلا أن، الأضداد تباين المشترك في اشتراطها الضدية في المعنيين الذين حملتهما اللفظة نفسها.

الأضداد ظاهرة لغوية حظيت بإيراد أمثلة كثيرة عليها في المحيط، وقد دلتنا غزارة تلك الأمثلة على أن صاحب يعدّ الأضداد سنة من سنن العرب في كلامها يلجأ إليها العربي متى يشاء وكيفما يشاء، ومما يؤكد هذا المعل أن لم يردف ألفاظ الأضداد بعبارات تدل على أنها مسببة عن عوامل أخرى من ذلك: الكدح<sup>(٩)</sup>؛ عمل الإنسان من خير أو شر، والعقوق<sup>(١٠)</sup> الحائل والحامل جميعاً.

ونظرت هذه تماثل نظرة أستاذه ابن فارس في باب "الأسماء كيف تقع على المسميات"<sup>(١١)</sup> وجمهور اللغويين<sup>(١٢)</sup>.

(١) أبو الطيب اللغوي، شجر الدر في تداخل الكلام بالمعاني المختلفة تحقق: محمد عبد الجواد دار المعارف - مصر، مقدمة المحقق ص (١٥)، وأبو عمر المطرز (علام ثعلب، المداخلات) مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، آب سنة ١٩٢٩م، ج٨، مجلد ٩، ص ٤٤٩.

(٢) أبو الطيب اللغوي، شجر الدر في تداخل الكلام بالمعاني المختلفة، تحقق: محمد عبد الجواد، دار المعارف، مصر، ١٩٥٧م.

(٣) محمد بن يوسف التميمي، المسلسل في غريب لغة العرب، تحقق: محمد عبد الجواد، مكتبة الخانجي، مصر، ص ٣٤ - ٣٦.

(٤) المحيط ج٧، ص ٤٢٨.

(٥) ابن فارس، الصحابي، ص ٢٠١.

(٦) المحيط ج٢، ص ٤٦٦.

(٧) المحيط ج١، ص ٨ ونكره قطرب، الأضداد ٢٦٦، ثلاث كتب في الأضداد ص (٧-٨، ٤٧-٤٨ و ١٦٧، ٢٣٩). وابن الأنباري الأضداد ٣٢ - ٣٤ والمنشئ الأضداد ٤٢.

(٨) قطرب، الأضداد ٢٤٢، أوغست هافز، ثلاثة كتب في الأضداد (الأصمعي ٢٤ - ٢٧ والمسجستاني ٣٩ - ١٤٠ وابن السكيت ١٨٠ - ١٨٢)، وابن سيده في المخصص ج١٣، ص ٢٥٩ - ٢٦٠، وابن الأنباري الأضداد ص ٤٦ - ٥٠، والمقدمة ص ٤ - ٦، والفخر الرازي في المحصول ج١، ص ٢٦٦ - ٢٨٤، والأمدي في الأحكام ج١، ص ١٩ - ٢٣.

(٩) المحيط ج٢، ص ٣٧٥.

(١٠) م-ن ج١، ص ٦٩.

(١١) ابن فارس، الصحابي، ص ٩٧ - ٩٨.

(١٢) أبو عبيد الغريب المصنف، تحقق: مد مختار العبيدي، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات بيت الحكمة تونس، ج٢، ص ٦٢٢ - ٦٣٤.

ولم يرجع الصاحب أمثلة الأضداد جميعها انها من سنن كلام العرب، وإنما رأى أن هناك عوامل مختلفة ساعدت على نشوء الأضداد:-

### (١) اختلاف اللغات:

اعتبر معظم اللغويين <sup>(١)</sup> أن ظاهرة الأضداد تعود في معظم ألفاظها الى اختلاف اللغات، فلا يعقل أن تضع القبيلة نفسها للفظ الواحد معنيين متضادين تتداولها في نثرها وشعرها لأن وضعها لها يؤدي إلى الإلباس والإبهام وبذلك يقول ابن الانباري: "إذا وقع الحرف على معنيين متضادين فحال أن يكون العربي أوقعه عليها بمساواة منه بينهما، ولكن أحد المعنيين لحي من العرب والمعنى الآخر لحي غيره. ثم سمع بعضهم لغة بعض فأخذ هؤلاء عن هؤلاء ..." <sup>(٢)</sup>.

فَلَمَّقَ الشَّيْءَ؛ كَتَبَهُ، وَلَمَّقَ عَنِ قَيْسِ مَحَى <sup>(٣)</sup>، وَالسَّاجِدُ فِي لُغَةِ طَيْيٍّ؛ الْمُنْتَصِبُ، وَفِي سَائِرِ لُغَاتِ الْعَرَبِ، الْمُنْحَنِي <sup>(٤)</sup>.

### (٢) احتمال الصيغ الصرفية للمعنيين المتضادين

تعاور علم الصرف وأبنيته المختلفة تزيل اللثام عن معان متضادة وقعت في ألفاظ متماثلة في البنية أو متقاربة فيها، فإدراك علم الصرف يحل معضلة ألفاظ عديدة لا سيما الأفعال؛ فمن الألفاظ المتماثلة في البنية والمختلفة في المعنى صيغة اسم الفاعل التي تدل على اسم المفعول كذلك مثل: مُتَصَدِّقٌ تدل على المُعْطِي والسائل <sup>(٥)</sup>، "وفي وصية أبي بكر لعمر رضي الله عنهما: "عليك بالرائب من الأمور. وإياك والرائب منها" قال: الرائب الأول: الأمر الحق الذي لا شبهة فيه كالرائب من الألبان، والثاني: هو الأمر الذي فيه شبهة فيريبك" <sup>(٦)</sup>.

أما الألفاظ التي تضادت في المعنى وتقاربت في المبني فإنها غير قليلة في اللغة، إذ تضادت بنينا (فعل) المجردة و (أفعل) المزيدة بالهمزة، فسفرت الحرب، وَكَلَّتْ، أما أسفرت فاشتدت <sup>(٧)</sup>، وثلثت الشيء هدمته. وأنثلته؛ أصلحته <sup>(٨)</sup>، تتضاد (فعل) و (افتعل) مددته، أعطيته وامتدته طلبت عطاءه <sup>(٩)</sup>.

(١) منهم قطرب، الأضداد ٢٤٥، أبو عبيد القاسم بن سلام، الغريب المصنف ج ٢ ص ٦٢٣، الصاحب، المحيط ج ٥، ص ٤٣٨. ابن فارس، الصحابي ص ٥١، بن الانباري، الأضداد ص ١١-١٢، الفخر الرازي، المحصول ج ١، ص ٢٦٧، الأمدي، الإحكام ج ١، ص ١٩.

(٢) بن الانباري، الأضداد ص ١١.

(٣) المحيط ج ٥، ص ٤٣٨.

(٤) م. ن. ج ٧، ص ٦.

(٥) م. ن. ج ٥، ص ٢٥٨.

(٦) م. ن. ج ١٠، ص ٢٦٤.

(٧) م. ن. ج ٨، ص ٢٥٤.

(٨) م. ن. ج ١٠، ص ١٢٧.

(٩) م. ن. ج ٩، ص ٣٨٣.

وتتضاد (فعل) و (تفعل) المزيدة في الفاظ مخصوصة، فلِثْمٌ<sup>(١)</sup>، ارتكب الإثم، وتَأْتَمُّ: خرج منه، وهذا القول ينسحب على مبان عديدة في المزيد، إذ وقع التضاد بين (أفعل) و بين (فعل)، وكَدَيْتُ العين، أخرجت منها القذى، وأقذيتها، ألقيت فيها القذى<sup>(٢)</sup>، وأفرع<sup>(٣)</sup> صعد، وفرع هبط ووقع التضاد بين (أفعل) و بين (تفعل)، وأَهْجَدَ<sup>(٤)</sup> القوم، نلموا وتهجدوا؛ استيقظوا.

ويقع بين (انفعل) و (افتعل) فبعت الشيء في معنى بعته واشتريته، فبعته مأخوذة من الفعل اتباع ومعنى اشتريته مشتق من الفعل اتباع ولتسكين المتحرك وتحريك الساكن أثر جلي في وقوع<sup>(٥)</sup> التضاد المعنوي، فرجل سُخْرَةٌ: يسخر بالناس، ورجل سُخْرَةٌ؛ يسخر منه، والضْحَكَةُ: الشيء يضحك منه، والضْحَكَةُ: الرجل<sup>(٦)</sup> الكثير الضحك<sup>(٧)</sup>، عدا الإدغام الذي يؤدي إلى الأضداد في الفاظ نادرة، ورجل سُبَّيَّةٌ؛ يسب الناس، ورجل سُبَّيَّةٌ؛ يسبه الناس<sup>(٨)</sup>.

### ٣) تخصيص المعنى العام بغرض التوسيع في اللفظ والدلالة

الغرض من الأضداد التوسع الدلالي، وقد سلك العرب لتحقيقه تخصيص المعاني العامة، فنحن نعلم أن لكل لفظة معنى عاما، فتعمل إحدى القبائل أو أحد الأحياء على تخصيص ذلك المعنى العام وتعمل قبيلة أخرى على تخصيصه كذلك ولكنها في تخصيصها له تستعمله استعمالا مضادا للمعنى الخاص الذي استخدمته القبيلة الأخرى. أدرك أسلافنا<sup>(٩)</sup> الحقيقة تلك فأرجعوا عددا كبيرا من الأضداد إلى هذا السبب.

أودع صاحب معجمه ألفاظا تعود إلى هذا السبب وإن لم يشر إلى ذلك، وقيل إن الحَصْبَاءَ<sup>(١٠)</sup> تطلق على صغار الحصى وكباره، والذي ساعدتهم على تخصيص هذين المعنيين أن معناه العام الحجر، فخصه حي لصغار الحجر وخصه حي أكبرها، ومعنى الكَرْدَحَةَ<sup>(١١)</sup> العام؛ العَدْوُ، فخصه بعضهم للعدو السريع، وخصه آخرون للعدو البطيء وتداخل المعنيين المختصان فأحدثاه الأضداد لتلك اللفظة وهذا ينسحب على ألفاظ كثيرة<sup>(١٢)</sup>.

(١) المحيط ج ١٠، ص ١٩٥.

(٢) م بن ج ٥، ص ٤٩٦.

(٣) م بن ج ٢، ص ٢٠٤.

(٤) م بن ج ٢، ص ٣٧٠ - ٣٧١.

(٥) م بن ج ٢، ص ١٧٧.

(٦) م بن ج ٤، ص ٢٦١.

(٧) م بن ج ٢، ص ٣٧١.

(٨) م بن ج ٨، ص ٢٥٤.

(٩) الأتباري، الأضداد ص ٨ - ٩.

(١٠) المحيط ج ٢، ص ٤٦٦.

(١١) م بن ج ٣، ص ٢٥٢.

(١٢) مادة قرأ ج ٦، ص ١٠، مادة قور ج ٦، ص ١٠.

## (٤) المجاز:

قد يستغرب المرء من أن للمجاز دورا في ظهور الأضداد لأن المجاز يهدف إلى المبالغة والزيادة في المعنى، أما أن يهدف إلى نفي الشيء وإثبات ضده فهذا أمر مخالف إلى ما يرمي إليه المجاز، ونقول: إن الاستغراب حق مباح للباحثين لكننا نقصد أن المجاز يغلب عليه أن يوجد المعنى الأفضل والأعلى والأكمل في اللفظة التي وقع عليها الأضداد فالأمة<sup>(١)</sup> لفظة تطلق على الجماعة إلا أن الخطباء والفصحاء أطلقوها على الفرد المتفرد في الذكاء والحكمة والعلم فكانه أمة بأكملها. وفي ذلك يقول أبو علي الفارسي: " .. أو تكون كل لفظة تستعمل بمعنى ثم تستعار لشيء فتكثر وتغلب فتصير بمنزلة الأصل .."<sup>(٢)</sup> إن معنى لفظة عماعم؛ الجماعات فأحدث لبيد تغييرا جذريا على معنى اللفظة إذ أصبحت تعني في شعره التفريق "والعماعم: الجماعات، الواحد عمّ.. والقوم عماعم: متفرقون أيضا، قال لبيد:

وَأَجْعَلُ أَقْوَامًا عَمَوًا عَمَاعِمًا"<sup>(٣)</sup>.

وكَيْتَ عَفْرَيْنَ لَفْظَةً تَسْتَعْمَلُ لِلْمَدْحِ وَالذَّمِّ<sup>(٤)</sup>، وعندما دققنا النظر في معانيها اللغوية وجدنا أن أحد معانيها الأسد، وأن معناها الآخر دابة مثل الحرباء تتحدى الراكب ويضرب بذنبه وقيل دويبة تحت التراب، فمن أراد المدح شبه الممدوح بليث عفرين وهو الأسد، أما من أراد الذم فإنه يشبهه المذموم بليث عفرين الدويبة.

## (٥) الدوافع النفسية والاجتماعية:

اعتنى المحدثون<sup>(٥)</sup> بدور الدوافع النفسية والاجتماعية وأثرها في نشوء ظاهرة الأضداد، وفصلوا القول في جوانبها المختلفة تفصيلا مطنبا.

للدوافع النفسية والاجتماعية دواع غير قليلة منها:

(أ) التفاضل إذ قالوا للصحراء مفازة<sup>(٦)</sup>، وللدبغ سليما<sup>(٧)</sup>.

(ب) الخوف من الحسد كقولهم للفرس الجميلة والفرس القبيحة شوهاء<sup>(٨)</sup>.

وقولهم لغزيرة اللين من الإبل النكد (أي قليلة)<sup>(٩)</sup>.

(١) الأثباري، الأضداد، ص ٩.

(٢) ذكره ابن سيده في المخصص ج ١٣، ص ٢٥٩.

(٣) المحيط ج ١، ص ١٠٤.

(٤) المحيط ج ٢، ص ٣٠، التهذيب ج ٢، ص ٣٥٢.

(٥) ذكره رمضان عبد التوب، فصول في فقه العربية، ص ٣٤٥ - ٣٥١، وإبراهيم السامرائي، التطور اللغوي التاريخي، ط ٣، دار

الأندلس، بيروت-لبنان، ١٩٧٨، ص ١٠٧ - ١٠٨.

(٦) قطرب، الأضداد ص ٢٤٨، (الأصمعي الأضداد ص ٣٨، أبو حاتم الأضداد ص ١١٤، ابن السكيت الأضداد ص ١١٤٧

الصنعاني ص ٢٢٣، وابن الأثباري الأضداد ص ١٠٥.

(٧) قطرب، ص ٢٥٨، والأصمعي ص ٣٨، أبو حاتم ص ٩٩، ابن السكيت ص ١٩، الصنعاني ص ٢٤١، الأثباري ص ١٠٤.

(٨) المحيط ج ٦، ص ٢١٦.

(٩) الأثباري، الأضداد ص ٢٨٤.

(ج) التهكم كقولهم للثوب الخُلُق قسبياً<sup>(١)</sup>.

ويندر أن يؤدي الهمز إلى الضدية في معنى اللفظة فلم يورد المحيط سوى لفظة أدى همزها إلى ضدية معنى اللفظة نفسها. فأموأق العين، مؤخرها ومأقيها، مقاديمها<sup>(٢)</sup>

قلنا إن معظم اللغويين والفقهاء أيدوا وقوع الأضداد في اللغة ولم ينكره سوى ابن درستويه مؤلف كتاب "إبطال الأضداد"<sup>(٣)</sup> الذي ذهب إلى أن الأضداد يؤدي إلى الالتباس والتعمية لا إلى الإيضاح والتبيين.

والحق أن الألفاظ التي وقع فيها أضداد في العربية قليلة، ولا ريب أنها ستقل إذا ما طبقنا الشروط التالية:

(١) استخدام اللفظ في معنييه المتضادين في البيئة اللغوية الواحدة.

(٢) اتحاد العصر في استخدام هاتين الكلمتين.

(٣) ألا يكون المعنى الآخر ناتجا عن المجاز أو التغير الصوتي أو العامل التصريفي أو الدوافع النفسية والاجتماعية.

الاشتراك والأضداد ظاهرتان لغويتان عامتان لا تكاد تخلو منها أي لغة إنسانية، والاشتراك والأضداد ظاهرة لفظية أي توجد في الألفاظ المفردة، لكنها في الجمل والتراكيب تفقد صفة الاشتراك أو الضدية. فللسياق دور كبير في تحديد معنى كل لفظة بعينها، فلا يمكن أن يكون للفظ ما في سياق ما أزيد من معنى واحد، وهذه الحجة رد بها الأنباري على من أنكر الأضداد، وقال إنها تؤدي إلى الإبهام<sup>(٤)</sup> والتعمية.

### المجاز:

يعد المجاز أهم عامل معنوي من عوامل التوسع الدلالي في اللغات، وقد بينا أثره في نشوء الترادف والمشارك اللفظي والأضداد وغيرها، وهو وسيلة إبداع الأديب والشاعر على حد سواء. وقد أقر علماؤنا الأسبقون<sup>(٥)</sup> للمجاز أهميته، وأنه السبب السذي

(١) قطرب الأضداد ٢٥٣، ابن الأنباري ص ٣٦٣.

(٢) المحيط ج ٦، ص ٥٦.

(٣) السيوطي، المزهج ج ١، ص ٣٩٦.

(٤) ابن الأنباري، الأضداد ص ١ - ٣.

(٥) الشافعي، الرسالة ص ٥١ - ٥٢، أحمد بن حنبل، ذكره ابن تيمية في كتاب الإيمان، تحقيق ومراجعة: هاشم محمد الشاذلي، دار الحديث، القاهرة، ص ٦٥، سيبويه، الكتاب ج ١، ص ٢١٢، والرماني، في رسالة الحدود في النحو: تحت عنوان رسائل في النحو واللغة، تحقق: مصطفى جواد، ويوسف يعقوب مسكوني دار الجمهورية، بغداد، ١٩٦٩م، ص ٤٠، والصاحب في المحيط وأبو هلال العسكري في الصنائع، تحقق: علي محمد الجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر ط ١، ١٩٥٢، ص ٩٥ - ٩٦، والباقلاني في إعجاز القرآن، تحقق السيد أحمد صقر، ط ٣، دار المعارف، مصر - القاهرة، ١٩٧١م ص ٣١، وابن حزم الأندلسي، في الأحكام في أصول الأحكام، مراجعة وتحقيق: لجنة بإشراف الناشر ط ٢، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٢م، ج ١، ص ٤٨، وعبد القاهر الجرجاني، في دلائل الإعجاز في علم المعاني، صحح الأصل: محمد عبده ومحمد محمود التركي الشنيطي تعليق وتصحيح الطبع، السيد محمد رشيد رضا، مكتبة القاهرة، مصر ١٩٦١م: ص ٤٥ - ٥٠، وأسرار البلاغة: تحقق: السيد محمد رشيد رضا، ط ٦، مكتبة القاهرة - مصر ١٩٠٩م، ص ٣١٢، والغزالي في المنحول من تعليقات الأصول، تحقق: محمد حسن هيتو، ط ٢، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٠م، ص ٧٤ - ٧٦، والشريف الرضي في المجازات النبوية، تحقق: محمود مصطفى، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر ١٩٣٨. السكاكي في المفتاح ص ٣٥٩ وما بعدها وغيرهم.



جعل القرآن معجزة أجمت أفواه فصحاء العرب وبلغاءها، وبوساطته جعلت ترجمة<sup>(١)</sup> القرآن إلى لغات أخرى متعذرة بل محالة. لأن المجاز قد غلب على لغة العرب. فإذا أردنا تفسير أي من القرآن فإن جزالة تركيبه ونسج ألفاظه وفنية تصويره ستخبو إذا ما أريد ترجمته؛ لأن الغرض من الترجمة تبيان المعاني لا الصور الفنية، وبذلك يقول ابن فارس: ".. ألا ترى أنك لو أردت أن تنقل قوله - جل ثناؤه.. - وأما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء" (الأنفال/ ٥٨)، لم تستطع أن تأتي بهذه الألفاظ مؤدية عن المعنى الذي أودعته حتى تبسط مجموعها، وتصل مقطوعها، وتظهر مستورها فنقول: "إن كان بينك وبين قوم هدنة وعهد فخفت منهم خيانة ونقضا فأعلمهم أنك قد نقضت ما شرطته لهم وأذنهم بالحرب لتكون أنت وهم في العلم بالنقض على استواء.."<sup>(٢)</sup>.

ويؤكد ما ذهب إليه ابن فارس إن المجاز أبلغ من الحقيقة، وأن نقل أي القرآن وأشعار العرب وأدبهم وترجمتها من المحال قول الجاحظ في الحيوان<sup>(٣)</sup>.

ولما بحثنا عن لفظتي الحقيقة والمجاز في المحيط وجدنا أن صاحب لم يشر إلى معناهما الاصطلاحي، وإنما أماء إلى معناهما الحقيقي فقال: "وَحَقُّ الشَّيْءِ وَجِبُّ" "وَبَلَّغَتْ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ: أَي يَقِينُ شَأْنَهُ"<sup>(٤)</sup> "وَجَزَّتْ الطَّرِيقَ جَوَازًا وَمَجَازًا وَجَوُوزًا. وَالْمَجَازُ: الْمَصْدَرُ، وَالْمَوْضِعُ وَكَذَلِكَ الْمَجَازَةُ"<sup>(٥)</sup>.

نحن نعلم أن معنى الحقيقة هو الكلام الذي وضع للمعنى بالأصل دون أن يحور باستعارة ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تقديم ولا تأخير.

أما المجاز فذكر اللغويون والبلاغيون والفقهاء<sup>(٦)</sup> تعريفات كثيرة له، ويمكن أن تجمل في فكرتين رئيسيتين؛ أن المجاز هو استخدام اللفظة لغير ما وضعت له في الأصل كتخصيص العام أو تعميم الخاص<sup>(٧)</sup> والفكرة الثانية<sup>(٨)</sup> إن المجاز مقيد بقريضة لفظية أو سياقية أو حالية تدل على معنى الأصل الذي أخذ منه والذي وضع له في اللغة. ولا يعني عدم توقف صاحب عند معنى المجاز اصطلاحيا أنه أغفل أهمية المجاز ودوره في سعة لغة العرب، بل على النقيض من ذلك فإن معجم المحيط يعد أكثر معجما من معاجم مدرسة العين اهتمام بالمجاز وتتبع المعاني المجازية التي تكتسبها اللفظة إذا ما اتصلت بلفظة أخرى أو إذا ما وضعت في سياق خاص، وأقر ذلك حسين نصار في معجمه: "ومن

(١) ابن فارس، في كتابه الصحابي ص ٤١، ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن، تحق: السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية. عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر ص ١٦.

(٢) ابن فارس الصحابي، باب القول على أن لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها ص ٤١.

(٣) الجاحظ، الحيوان تحق وشرح: عبد السلام هارون ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان ١٩٦٩، ج ٥، ص ٤٢٦.

(٤) المحيط ج ٢، ص ٢٨٦.

(٥) م. ج ٧، ص ١٥٠.

(٦) سيبويه، الكتاب ج ١، ص ٢١٢، وأبو عبيدة في مجاز القرآن ٨ - ١٦، الجاحظ في الحيوان ج ٥، ص ٢٣، ٢٤، و ٤٢٥، و ٤٢٦، والزماني، في رسالة الحدود في النحو ص ٤٠، وأبو هلال العسكري في الصناعيتين ٩٥ - ٩٦، والثعالبي في فقه اللغة ٣٩٧ - ٣٩٩، والسكاكي في مفتاح العلوم ٣٥٩، وما بعدها، والسيوطي في المزهري ج ١، ص ٣٥٥ - ٢٦٨، والزبيدي في تاج المروس ج ١، ص ٢٣ - ٢٥.

(٧) ابن فارس، الصحابي ١٩٦ - ١٩٨.

(٨) ذكرها عبد القاهر الجرجاني في أسرار البلاغة ص ٣١٦.

الظواهر الهامة في الكتاب أيضا عنايته الكبيرة بالعبارات المجازية، وقد رأينا آثار هذه العناية فيما وصفنا من مواد..<sup>(١)</sup>

ولنتبين اهتمام صاحب بالمجاز وعنايته الكبيرة به نتتبع أسلوبه في تناول المادة دلاليا: يغلب على صاحب أن يبدأ المادة بذكر معنى الكلمة الذي وضعت له بالأصل؛ أي المعنى الحقيقي، ومثال ذلك مادة شفة "الشفة: حذف منها الهاء، وتصغيرها شُفِيهَةٌ"<sup>(٢)</sup>

ثم يذكر معنى أشهر بناء صرفي مفرد غير متصل بكلمات قبله أو بعده "المشكافهة: المواجهة من فيك إلى فيه"، ثم ينتقل إلى معاني أبنية المادة المختلفة إذا ما اتصلت بالفاظ مفردة أخرى، وهذا السبك بين اللفظتين يدل على الصفات غالبا، ونهج صاحب ببيان معاني اللفظة إذا ما انتقلت من حقل دلالي إلى حقل دلالي آخر، وهذا يعني أن معنى هذه البنية المشتقة من المادة الأصلية لو اتصلت بهذا الاسم يكون معناها كذا، وإذا اتصلت هذه البنية أيضا باسم آخر يكون معناها كذا، "وماء مَشْفُوه: مطلوب يكثر عليه الناس، وطعام مَشْفُوه: قليل ورجل سُفَاهِي - بالضم - عظيم الشفة، وخفيف الشفة: أي قليل السؤال" وبعد أن ينتهي من تتبع اللفظة وفق اقتتراناتها اللفظية المفردة ينتقل إلى رصد معانيها، المجازية - التي استعيرت من المعنى الأصلي - إذا ما استخدمت في إطار جملة أو سياق، ويظهر ذلك من تتبعه المعاني المجازية الفرعية التي استخدمها الناس في مداولاتهم واستخداماتهم لها في نتاجهم الأدبي "وما كلمته ببنت شفة: أي كلمة. وشفه عنك ما عندنا شُفَاهًا: أي شغل عنك". وأسلوبه في تتبع معاني المادة سواء أكانت حقيقية أم مجازية يتجلى في أمثلة معجمه جميعها، ويغلب عليه أن يبدأ بذكر المعنى الأصلي ثم ينتقل إلى إيراد المعاني المجازية المتفرعة عن المعنى الأصلي أو الحقيقي، وظهر ذلك في مادة شفه وسنؤكد في مادة (هَزَمُ)<sup>(٣)</sup> إذ بدأها بتبيان المعنى الأصلي للتقليب "الهَزْمُ: غمزك الشيء؛ تهزمه بيديك فينهزم في جوفه" ولما دأب العرب على جعل الصفة تنوب عن الموصوف وتكتسب ما اكتسبه الاسم بالأصل أخذ صاحب على عاتقه تتبع هذا التطور والتنبيه على المعاني المجازية التي اكتسبتها اللفظة وفق اقتتراناتها ووفق انتقالها من حقل دلالي إلى حقل دلالي آخر.

"وغيث هَزَمٌ مُنْهَزِمٌ: لا يستمسك؛ كأنه منهزم عن مائه. وكذلك هزم السحاب والرعد: صوته، وفرس هَزَمٌ: له صوت، وأنه لهزام الصوت، وفرس هَزِيمٌ: كثير الجري شديد الصهيل"، والمعاني الجديدة لا تستحدث في الاقتترانات اللفظية الجديدة فقط، وإنما تكون أوسع وأكثر عددا إذا ما وضعت في تراكيب وسياقات لغوية عديدة، ولا سيما أن كثرة دوران تلك المعاني المجازية على السنة الأدباء والجمهور تحيلها إلى معانٍ حقيقية<sup>(٤)</sup> تصبح من سمت اللغة الطبيعي أن يستحدث منها معاني فرعية ومجازية جديدة "وأصابتهم هازمة من هوازم الدهر: أي دامية كاسرة، وهزمت عليك: أي عطفت.. وتهزم البناء: تهدم"، وإذا كان لما يزيد في المبنى أي للأسماء الرباعية أو الخماسية معانٍ حقيقية مغايرة

(١) المعجم العربي ج ١، ص ٢٨٤.

(٢) المحيط ج ٣، ص ٣٩٤.

(٣) م بن ج ٣، ص ٢٤٩.

(٤) انظر ابن جنبي، الخصائص ج ٢، ص ٤٤٩.

وقف عليها، عدا أنه يكشف عن المعاني المجازية المشتقة من المعنى الحقيقي "الاهْتِزَامُ: الذبح" "واهْتِزَمُوا شاتكم: أي اذبحوها ما دامت سميحة قبل أن تهزل".

وإذا انفرد اسم وكان في الأصل صفة ذكره منفردا ثم دلل على الاسم الذي اشتق منه بالأصل فهو يقول: "الهزيم: الكثير من الماء" "الهزائم: البئر الميهية" وكلها مأخوذة من "هزمت البئر: حفرتها"، ثم يذكر المعاني الأصلية التي قد تكون في بداية استعمالها صفة "الهزمة: كل مطمئن من الأرض، والجميع الهزوم. والأهزم أيضا" "الهزْمُ: المسلن من المعزى والغنم المهازيل الواحدة هزمة"، ثم يعود إلى أسلوبه العام ويذكر أشهر استخدام مجازي لهذه البنية بوصفه صفة لا اسما "وقوس هزمة: كبيرة"، وقد يحتوي التقليل عنه أكثر من معنى أصلي. ودأب الصاحب في ذلك أن يبدأ بأشهرها ثم يستكنه أشهر معانيه المجازية المشتقة من المعنى الأصلي، وبعد أن ينتهي من ذكرها يعود إلى ذكر المعنى الأصلي الآخر الذي يكون أقل شهرة من المعنى الأول ثم يأتي بتراكيبه المجازية، وإذا كان له معنى ثالث أصلي ذكره وذكر معانيه الفرعية كذلك، وهكذا دواليك، ومن ذلك تقليب (هَفَّتْ) (١).

قلنا إن المعاني المجازية إذا كثر دورانها على أفواه الشعراء وأصبحت العامة تتداولها صارت بمثابة المعاني الحقيقية يشق منها معان مجازية جديدة.

ولما كان الصاحب مدركا لهذه الحقيقة اللغوية لم يرغب عنه الإشارة إلى المعاني الأصلية التي اشتقت منها المعاني المجازية التي أصبحت فيما بعد معاني حقيقية مشتقا منها معان مجازية مستحدثة، فالسبب (٢)، الستم وأصله القطع، والسفة (٣)؛ نقيض اللحم، وأصله الاضطراب والمنازعة، والشقاشق (٤)؛ الخطباء الفصحاء، وأصل الشقشقة جارة لصوت.

نحن نعلم أن الانتقال من الحقيقة إلى المجاز ليست عملية اعتباطية بل مقرونة بوجود التشابه بين المعنى الحقيقي المعنى المجازي بالإضافة إلى وجود قرينة لفظية أو حالية تدل على المعنى الأصلي الذي اشتق منه المعنى المجازي، فإذا انسلخ المعنى المجازي عن المعنى الحقيقي انسلاخا تاما فإن هذا لا يعد مجازا ولا مهارة في استغلال معطيات اللغة؛ لذا دلل الصاحب على هذا التلازم بلفظة "استعير" أو "تشبيها ومشابهة" كقوله: "والتعفيل: إصلاحها، ويستعار فيقال: هو يعفيل العمل: إذا كان رقيقاً" (٥).

"العيدان من النخل: الطوال - بلغة نجد - والواحدة: عيدانة. ويقال للرجل الطويل: عيدان تشبيهاً به" (٦).

لم تقتصر أمثلة المحيط على ضرب واحد من المجاز، وإنما تناولتها جميعها سواء أكان المجاز لغويا أم مرسلا أم كناية. والمجاز اللغوي يقسم إلى ثلاثة أقسام بحسب غياب

(١) المحيط ج ٣، ص ٤٥٩.

(٢) م. ن ج ٨، ص ٢٥٤.

(٣) م. ن ج ٣، ص ٤١٦.

(٤) م. ن ج ٥، ص ١٨٢.

(٥) م. ن ج ٢، ص ٥٢.

(٦) م. ن ج ٢، ص ١٢٢.

أحد ركني التشبيه وهي: الاستعارة التصريحية، والاستعارة المكنية والاستعارة التمثيلية ومن أمثلة القسم الأول: امرأة صَيْدَانَةٌ<sup>(١)</sup> ويقال لسينة الخلق ولكثيرة الكلام.

ومن أمثلة الضرب الثاني قولهم: ضرب الدهر<sup>(٢)</sup> وصامت الريح وسكن الماء<sup>(٣)</sup>، أما أمثلة الاستعارة التمثيلية التي تماثل الاستعارة التصريحية في أن المتكلم يصرح في المشبه به ويحذف المشبه - إلا أن المشبه به في الاستعارة التمثيلية يكون جملة وقرينته حالية دائما، ويغلب عليها أن ترد في الأمثال والحكم. فقد قال العرب في اغتنام البخيل "خذ من الرضفة ما عليها"<sup>(٤)</sup> ويقال لشديد الطمع والجشع "أطمع من أشعب"<sup>(٥)</sup>.

ويقع المجاز لغير المشابهة ونعني بذلك "المجاز المرسل" ويرتبط المعنى المجازي فيه بالمعنى الحقيقي بعلاقات عديدة، أطلق العرب على الحلق والدعاء الثهات، فالعلاقة بينهما سببية لأن الدعاء مسبب عن الحلق<sup>(٦)</sup>، ويسمون الأستر والأسير سَلَمًا<sup>(٧)</sup> والعلاقة بينهما محلية، ويطلقون لفظة اليد على الأصابع أو الرسغ لأنها جزء منها<sup>(٨)</sup>.

أما الكناية فاستوعب المحيط أقسامها الثلاثة؛ فالكناية تكون كناية عن صفة كقولهم لمن أراد أن يزيل عزة إنسان، أذل فلان ناصية فلان<sup>(٩)</sup>، ويقال للغريب؛ ابن أرض<sup>(١٠)</sup> وتكون الكناية عن موصوف في أقوال كثيرة منها، ويقولون: لقبته بالضمير يريدون لقبته عند غروب الشمس<sup>(١١)</sup>، وتكون الكناية عن نسبة، فالعرب تكني بالثياب عن الأبدان والأنفس فيقولون: ثياب بني عوف طهاري نقيه، يريدون أبدانهم<sup>(١٢)</sup>، وفلان نقي الثوب أي بريء من العيب<sup>(١٣)</sup> مع أن المجاز من أهم عوامل التوسع الدلالي في اللغة إلا أن هنالك ألفاظا مجازية حدد العرب استعمالها وخصصوا المقام الذي يقال فيه فالصَّرام<sup>(١٤)</sup>؛ لا يطلق على الحطب كله، وإنما خصص لما التهاب سريعا. ويقال للناقة الملساء، دُلَّاص<sup>(١٥)</sup>؛

(١) المحيط ج ٨، ص ١١٥.

(٢) م.ن ج ٨، ص ١٠.

(٣) م.ن ج ٨، ص ٢٠٧.

(٤) م.ن ج ٨، ص ٧.

(٥) م.ن ج ١، ص ٢٩٥.

(٦) م.ن ج ٣، ص ٤٥٥.

(٧) م.ن ج ٨، ص ٣٣٣.

(٨) م.ن ج ٩، ص ٣٩٩.

(٩) م.ن ج ٨، ص ١٩٢.

(١٠) م.ن ج ٨، ص ٤١.

(١١) م.ن ج ٨، ص ٢٠.

(١٢) م.ن ج ١٠، ص ١٩٠.

(١٣) م.ن ج ١٠، ص ١٩٠.

(١٤) م.ن ج ٨، ص ١٦.

(١٥) م.ن ج ٨، ص ١١٤.

ولا يقال للقوس صرفة إلا إذا كانت لا تصيب سهامها ووسمت بشكامة سوداء<sup>(١)</sup>؛ ولا يوصف المطر إنه بدري إلا إذا سبق وقته<sup>(٢)</sup>.

لم يكن مفهوم المجاز عند الصاحب واضحا، فقلما أشار إلى الاستعارات والمجاز المرسل والكناية باللفظ الصريح، وإنما استتجناها من معرفتنا المسبقة بالمجاز والكنايمة وأضربهما المختلفة.

ولا أظن أن مفهوم المجاز كان واضحا ومحددا عنده إذ إن مفهومه اتسم بالاتساع والتشعب عند اللغويين الذين سبقوه<sup>(٣)</sup> والذين عاصروه<sup>(٤)</sup> واللاحقين به.

وقد بقي مفهوم المجاز تائها متسعا إلى أن جاء القرن الخامس، الذي بينت فيه علوم البيان وقيد فيه مفهوم المجاز وأنواعه، وهي المجاز اللغوي "الاستعارة بأنواعها المختلفة" والمجاز العقلي والمجاز المرسل على يد عبد القاهر الجرجاني وذلك في كتابيه "أسرار البلاغة" و"دلائل الإعجاز".

ولم ينكر الصاحب وقوع المجاز في اللغة والقرآن كما أنكره علماء كثيرون<sup>(٥)</sup> ولا سيما وقوعه في القرآن. وإنما رأى الصاحب فيه وسيلة فضلى في توسع اللغة ودلالة ألفاظها وهذا جلي في نهجه الذي سلكه في تتبع المعاني المجازية التي استحدثت وفقا لاقتناناتها اللفظية، ووفقا لاستخداماتها السياقية واستعمالاتها التركيبية، ونحن نقف موقف ابن الأثير<sup>(٦)</sup> الذي شدد النكير على من بالغ في أثر المجاز وعلى من أنكر وقوعه؛ لأن في اللغة حقيقة وفيها مجازا، ولكن مذهب المبالغين في إنكاره ومذهب كلاهما مذهب فاسد.

(١) المحيط ج ٨، ص ١٢٩.

(٢) المحيط ج ٩، ص ٣٠٣.

(٣) أبو عبيدة، مجاز القرآن، ط ١، تعليق: محمد فؤاد سزكين، محمد سامي أمين الخاتمي، مصر، ١٩٥٤م، ص ٨-١٢. والجاحظ، الحيوان ج ٥، ص ٤٢٥ - ٤٢٦، ابن كتيبة في كتابه تأويل مشكل القرآن.

(٤) ابن جنبي، الخصائص، ج ٢، ص ٤٤٤ - ٤٤٥، وابن فارس، الصاحبي، ص ١٩٨ - ٢٠٤.

(٥) استوفت تتبع منكري المجاز في اللغة والقرآن ومؤيديه مؤلفات عديدة منها المنحول، الغزالي ص ٧٥، الإيمان لابن تيمية تحق ومراجعة: هاشم محمد الشاذلي دار الحديث - القاهرة ص ٦٥، والمزهر ج ١، ٣٦٤ - ٣٦٥، الشنقيطي، منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز، الناشر، حسن محمد محمود، الرياض ١٣٧٦هـ ص ٥، عبد العظيم المطعني والمجاز في اللغة والقرآن، ط ١، مطبعة حسان المطعني القاهرة، ج ٢، ص ٦٢٢ - ٦٢٣، وتجد هذه الأسماء في مقال مع مؤيدي المجاز ومنكريه، للدكتور حميد آدم تويني مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، مجلد ٩، العدد ٢٧ - ٢٨، ١٩٨٥م، ص ٨٧ - ٨٨.

(٦) المثل السائر، ص ١٠٦.

الباب الرابع:

" أساليب الصاحب في تبيان دلالة

الكلم وتأثره وتأثيره "

## الفصل الأول

### أساليب الصحاح في تبيان دلالة الكلم

المعجم الوسيلة الفضلى التي ابتكرها الإنسان لتوضيح دلالة ما يلبس عليه من ألفاظ وتراكيب، فهو الملجأ الأمثل لتزويد التائه والضال من الباحثين والمطلعين في مكنون دلالة الألفاظ واستكناه معاني السياق، واستكشاف شرح مفاهيم قد تغيب عن معظم الحذاق والفظنين. وقد عرّفوا المعجم أنه "كتاب يضم أكبر عدد من مفردات اللغة مقرونة بشرحها وتفسير معانيها على أن تكون المواد مرتبة ترتيباً خاصاً، إما على حروف الهجاء أو الموضوع، والمعجم الكامل هو الذي يضم كل كلمة في اللغة مصحوبة بشرح معناها واشتقاقها وطريقة نطقها وشواهد تبيّن مواضع استعمالها"<sup>(١)</sup>.

إن العلاقة بين اللغة والمعجم علاقة وثيقة لا تنفك أبداً، إذ إنه المصدر الأثيل للغة ومعينها الذي تنهل منه الألفاظ، وينبوعها الذي لا ينضب في إروائها معاني الكلم ودلالاته، ونحن نعلم أن المعجم يقوم على مرتكزات ثلاثة:-

أولها: ألفاظ اللغة سواء كانت مفردة أم مركبة.

ثانيها: النظام الذي يتبعه مؤلف المعجم في تبويب مواد كتابه.

ثالثها: شرح دلالة الألفاظ مفردة ومركبة.

وقد أنشأ المعجم لأغراض عديدة منها:

حراسة القرآن الكريم من أن يقع فيه خطأ في النطق أو الفهم، وحراسة اللغة العربية من أن يقتحمها دخيل أو معرّب فيطمس هويتها ومميزاتها، وصيانة التراث العربي من الضياع في غياهب النسيان بموت علمائه ومفكره.

رأينا أن شرح معنى الألفاظ والتراكيب أهم مقومات المعاجم ومرتكزاتها وقد اتكأ الصحاح في تبيان دلالة الكلم على وسيلتين رئيسيتين انبجست منهما طرق عديدة:

أولاهما: الكلمة.

فقد عبر الصحاح بوساطتها عن معاني ألفاظ وتراكيب كثيرة، إذ عبّر عن لفظة المَكاشِحة بالمكاشفة<sup>(٢)</sup>، وعن الهدّي بالعروس<sup>(٣)</sup> ووضح معنى تركيب حجّ علينا بقدم<sup>(٤)</sup>،

(١) أحمد عبد الغفور عطار، الصحاح ومدارس المعجمات العربية، ط٢، بيروت، ١٩٦٧، ص ٤٩.

(٢) المحيط ج٢، ص ٣٧٠.

(٣) م٤ ج٤، ص ٤٣.

(٤) م٢ ج٢، ص ٢٩١.

ومعنى الغريب من الكلام بكلمة الغامض<sup>(١)</sup>، ومعنى تركيب عَفَّتْ كلامه عَفْتًا، بكلمة لُكْنُهُ وكَسْرُهُ<sup>(٢)</sup> وقد تكون الكلمة اسما ظاهرا كقوله: النَعْتُ؛ الوَصْفُ<sup>(٣)</sup> والعَيْدُ، الحَرِيصُ<sup>(٤)</sup>، والعَصَابُ؛ الغَزَالُ<sup>(٥)</sup>؛ وقد تكون الكلمة فعلا - إلا أن النوع الأول أشيع في المحيط - كقوله: لَعَطَهُ بِسَهْمٍ، حَسَاهُ<sup>(٦)</sup>، وَأَبْعَطُهُ؛ أَبْعَدُهُ<sup>(٧)</sup>؛ وتتابعَت الأشياء، تَوَالَتْ<sup>(٨)</sup>.

### ثانيهما: العبارة.

اتكأ الصاحب على العبارة كرسيلتها الكلمة اتكأء ظاهرا في تبيان دلالة الألفاظ والتراكيب، فقد فسّر الصاحب معنى لفظة "العُسرة" بعبارة قلة ذات اليد<sup>(٩)</sup>، والطلّاع، ما طلعت عليه الشمس<sup>(١٠)</sup>، والأزْعَبُ، الضرب الجيد على الأوتار<sup>(١١)</sup>.

وأظهر معنى تركيب هَرَوْلَ الرجل هَرَوْلَةً بقوله: وهو بين المشي والعدو<sup>(١٢)</sup>، وعَكِيدَ الضَبِّ، سمن<sup>(١٣)</sup>.

وقد تكون العبارة المفسّر بوساطتها اسمية، إذ وضع الصاحب معنى العباهلة بقوله: الملوك الذين أمروا على ملكهم لا يمنعون عن المراد<sup>(١٤)</sup>، وذكر أن معنى الجبهة، مستوى ما بين الحاجبين إلى الناصية<sup>(١٥)</sup>.

كما أن العبارة قد تكون فعلية إلا أن اتكأءه على الجملة الاسمية أكثر. فقد قال في شرح معنى الإحصار "أن يحصر الحاج عن بلوغ المناسك مرض أو نحوه"<sup>(١٦)</sup> "تار خامدة: خدمت خمودا: سكن لهبها وبقي جمرها"<sup>(١٧)</sup>.

سلك الصاحب في شرح معاني التراكيب والألفاظ بوساطة الكلمة والعبارة طرقا عديدة تجعل من مواد معجمه مصدرا صافيا نقيًا من الشوائب نجملها في ما يلي:

(١) المحيط ج ٥، ص ٧٣.

(٢) م. ن ج ١، ص ٤٤٥.

(٣) م. ن ج ١، ص ٤٤٤.

(٤) م. ن ج ١، ص ٤٣١.

(٥) م. ن ج ١، ص ٣٤٤.

(٦) م. ن ج ١، ص ٤٠٦.

(٧) م. ن ج ١، ص ٤١١.

(٨) م. ن ج ١، ص ٤٤٨.

(٩) م. ن ج ١، ص ٣٥٦.

(١٠) م. ن ج ١، ص ٤٠٤.

(١١) م. ن ج ١، ص ٣٩٤.

(١٢) م. ن ج ٣، ص ٤٧٤.

(١٣) م. ن ج ١، ص ٢١٢.

(١٤) م. ن ج ٢، ص ١٩٦.

(١٥) م. ن ج ٣، ص ٣٨٣.

(١٦) م. ن ج ٢، ص ٤٥٤.

(١٧) م. ن ج ٤، ص ٣٠٨.



## ١- الدلالة الصرفية:

استنفد صاحب معطيات علم الصرف استفاداً تاماً فلم يدع منفذاً يمكن أن يُنكَأ عليه في تبيان دلالة إلا وأتاه، وتخطى أعواره.

فقد وجدنا أنه لم يبين معاني الزيادة بالتفصيل وأقصد بذلك أنه لم يقل إن معنى الفعل المجرد كذا، وإذا زدناه بحروف ما يصبح معناه كذا، وإنما كان يورد بنية الفعل مزيدة، ويشرح معناها المكتسب دون أن يشير إلى معناه المجرد معتمداً على معرفة الجمهور بالمعاني التي تكسبها أحرف الزيادة إلى الفعل المجرد، فزيادة الهزمة على الفعل تفيد غالباً الصيرورة "وأَصْهَرَ: صار فيهم صِهْرًا"<sup>(١)</sup>، والدخول في الزمان والمكان "وأضحى: بلغ وقت الضحى"<sup>(٢)</sup>، "وبصَّرتُ وأبصرت: أتيت البصرة"<sup>(٣)</sup>، والمبالغة والتكثير مثل أسهب في النطق؛ أكثر<sup>(٤)</sup>، وأزَهفَ الخبر، زَادَ فيه وكذب<sup>(٥)</sup>، وأنَّ زيادة الألف تفيد المشاركة غالباً مثل: قاتل فلان فلاناً<sup>(٦)</sup>، والتعدية مثل: دابرت فلاناً، عاديته<sup>(٧)</sup>.

وأنَّ تضعيف عين الفعل تفيد المبالغة غالباً مثل: زوَّرتُ الشيء، عَوَّجْتُه<sup>(٨)</sup>، وهَدَّبْتُ الشيء، قطعته<sup>(٩)</sup>، والإزالة مثل رُقِهتُ عن فلان<sup>(١٠)</sup>، وحَلَّأتُ الأديم<sup>(١١)</sup> وأن انفعال تفيد المطاوعة مثل: خَنَفْتَهُ فَاخْتَنَقُ<sup>(١٢)</sup>.

ولا أريد أن أطنب في ذكر معاني أحرف الزيادة لأنني ذكرت معظم المعاني التي تفيدها إذا اتصلت بالفعل المجرد في المستوى الصرفي، ولكنَّ غرضي من الإشارة إليها هنا تبيان اعتماد صاحب عليها في دلالة الكلم إذ كان يُجزئ التعريف والتوضيح متكئاً على دلالة البنى الصرفية المعروفة للفعل، ولم يقصر اعتماده في تبيان دلالة الألفاظ على بنى الأفعال بل تعداها إلى بنى الأسماء، فقد كان يعتمد على المشتقات بوصفها ركيزة دلالية تغني دلالة بنيتها عن تفصيل القول في معناها، إذ جعل صاحب من اسم الفاعل مجرداً ومزيداً وسيلة لتبيان دلالة اللفظة<sup>(١٣)</sup> وشرح معناها مثل:

"النَّصرُ عونُ المظلوم.. والنصير: الناصر"، "المُسَايعُ: اللاحق والمتابع"<sup>(١٤)</sup>.

(١) المحيط ج٣، ص ٤٠٦.

(٢) م.ن ج٣، ص ١٥٣.

(٣) م.ن ج٨، ص ١٣٧.

(٤) م.ن ج٣، ص ٤١٥.

(٥) م.ن ج٣، ص ٤٢٦.

(٦) م.ن ج٥، ص ٣٦٤.

(٧) م.ن ج٩، ص ٣٠١.

(٨) م.ن ج٩، ص ٨١.

(٩) م.ن ج٣، ص ٤٧٠.

(١٠) م.ن ج٣، ص ٤٧٨.

(١١) م.ن ج٣، ص ٢٠٧.

(١٢) م.ن ج٤، ص ١٩٧.

(١٣) م.ن ج٨، ص ١٢٦.

(١٤) م.ن ج٢، ص ٩٩.

كما أنه استند على اسم المفعول مجردا كان أم مزيدا في توضيح معنى اللفظة، "المَثْبُور: الممنوع من الخير، وقيل الملعون" (١)، "والمَوْضَع: المكسر المقطع" (٢)، وكذلك اعتمد على بنى الصفة المشبهة المختلفة ليدل بها على من اتصف بتلك الصفة أو ذلك الفعل "وَالرَّجُلُ: رفع الصوت الطرب، وحَادِرُ رَجُلٍ" (٣)، "وَالكَسْحُ: نقل في إحدى الرَجْلَيْنِ، ورجل كَسْحَانِ، ورجال كَسْحَانِ، ورجل أكَسَحَ" (٤).

ولم يدع صاحب اسما من الأسماء المشتقة (٥) إلا واستند عليه في تبيين معنى الألفاظ "القول: الكلام.. ورجل نقواله: أي منطيق والقوال والقواله: الكثير القول" (٦) "الهدر: كثرة الكلام، هَذَرَ، يَهْذِرُ، وَيَهْدِرُ، ورجل هَذَرَ كثير الكلام، ومِهْدَارٌ وهذِرِيَانٌ وهِيْدَارَةٌ ومهذارة" (٧).

وقد رأينا في الفصل السابق أن صاحب لم يلزم نفسه الإشارة إلى جمع الكثرة باللفظ الصريح، وإنما كان يتكئ على دلالة بناء الدالة عليه.

"وبصائر اللّم: طرائقها على الجسد" (٨)، فضلا على أن صاحب كان يدل على الجمع بضمير الشأن هُم وهُنَّ (٩)، وألفاظ تحمل في طياتها دلالة الجماعة والكثرة مثل: قوم، ونساء، ورجال كما أشير.

وهذا القول ينطبق على جمع القلة الذي كان يسبقه بكلمة "العدد" (١٠) أو بوضع عدد قبل بناءه، لا سيما العدد ثلاثة (١١).

تبين لنا في الفصل السابق أن صاحب قلما يشير إلى المصدر باللفظ الصريح، وإنما كان يعول على بناء للدلالة عليه، وقد غلب عليه أن يورد المصدر (١٢) بعد الفعل الماضي والفعل المضارع.

وليس هذا القول مناطا بالمصدر الصريح فقط، وإنما لجأ إليه صاحب في أنواع المصادر جميعها (١٣).

(١) المحيط ج ١٠، ص ١٤١.

(٢) م. بن ج ٢، ص ١٠٣.

(٣) م. بن ج ٧، ص ٢٣.

(٤) م. بن ج ٢، ص ٣٧٣.

(٥) م. بن ج ٢، ص ١٢٦.

(٦) م. بن ج ٦، ص ٢٢.

(٧) م. بن ج ٣، ص ٤٦٧.

(٨) م. بن ج ٨، ص ١٣٦.

(٩) م. بن ج ٦، ص ٤٠٩.

(١٠) م. بن ج ٥، ص ٣٧٤، ص ٣٨٢.

(١١) م. بن ج ٤، ص ٢٠٧، م. بن ج ٤، ص ٢٧٢.

(١٢) م. بن ج ٣، ص ٢٢٦ وانظر ج ٣، ٤٣٩.

(١٣) مادة وضع ج ٢، ص ١٠٤، ومادة صنع، ج ٢، ص ١٠٥، رعو ج ٢، ص ١٤٠.

## ٢- السياق:-

"لكل مقام مقال" عبارة أورتها لنا الأجداد ورددناها مرارا وتكرارا. ويعود طول عمر هذه العبارة إلى دقة ما تضمنته من أفكار ومعان يفرضها الموقف والمقام، لأن من سمات اللغة العربية تعدد معنى اللفظة وتباين دلالاتها، وأن تحديد المعنى وتطويقه لا يكون إلا إذا وضع في تركيب خاص أو قيل في مقام مخصوص؛ لأن اللفظة إذا ما وضعت في سياق ما فإنها لا تحمل إلا معنى واحدا ولا تملك إلا قيمة حضورية واحدة، وقد قسم اللغويون<sup>(١)</sup> السياق إلى ثلاثة أقسام:

## أ- السياق اللغوي.

دأب المعجميون في تفسير معاني الكلم على اللغة نفسها، فهم يفسرون اللغة باللغة. وعنوا بالسياق اللغوي؛ أنه اعتماد المعجميين في تبيان دلالة اللفظ وشرح معناه على مصادر الاستشهاد المختلفة، والصاحب من هؤلاء المعجميين الذين عولوا في شرح موادهم وإضفاء صبغة الصحة عليها، إذ استشهد في توضيح معنى الألفاظ على الآيات القرآنية "الترمّل: التلطف في الثياب، ومنه "يا أيها المزمل"<sup>(٢)</sup>.

وأحال شرح معان كثيرة على الأحاديث النبوية "يقال: شربها إلى أصبارها، وقيل أعلاه وفي الحديث "سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى صُبْرُ الْجَنَّةِ" أي أعلاها"<sup>(٣)</sup>.

واستعان بأشعار العرب في إضاءة دياجي معاني الألفاظ "والمُعْتَمِرُ: الحزين، قال: إذا الحَمَامَةُ ناحتَ ظَلَّتْ مُعْتَمِرًا على فِضَالَةٍ تَبْكِينِي وَأَبْكِيهَا"<sup>(٤)</sup>

وأعاد شرح معاني ألفاظ عديدة إلى أمثال العرب وأقوالهم "وعِثْرُ كُلِّ شَيْءٍ: نصابه وأصله، وفي المثل "عادت لعِثْرِهَا لَمَيْس"<sup>(٥)</sup>.

وقد وظف الصاحب أقوال مشاهير العرب وأعرابهم في شرح معاني التقلبات المختلفة "تَحْمِيحُ الْعَيْنَيْنِ: غُورُهُمَا،.. وهو من قول عمر بن الخطاب لرجل: "مالي أراك مُحَمَّجًا"<sup>(٦)</sup> "وَالْعُظْمَةُ: مُسْتَغْلَظُ الذَّرَاعِ، وقيل لأعرابي: كيف كان مُطْرُتُكُمْ أَسَلْتِ أُمَّ عَظْمَتِ؟ فقال: ما بلغت الضرائر، والمعنى: أبلغت أسلة الذراع - وهي مُسْتَدَقُّهَا - أم عظمتها، والضرائر: جمع ضرة الإبهام"<sup>(٧)</sup>.

سلك الصاحب سبلا مختلفة في تبيان معاني الألفاظ والتراكيب معتمدا على الشواهد من مصادرها المختلفة، ولا أريد أن أطنب القول في وصفها وتوضيحها؛ لأنه قد سبق تفصيل القول عن تلك السبل أثناء مناقشتنا لشواهد المحيط، وإنما أردنا من ذكرها

(١) حلمي خليل، مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د.ت، ١٥٢-١٥٦.

ومحمد أحمد أبو الفرج، المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، دار النهضة للطباعة والنشر، ١٩٦٦، ١١٦-١٢٣.

(٢) المحيط ج٩، ص ٦٢.

(٣) م.ن ج٨، ص ١٣٥.

(٤) م.ن ج٢، ص ٤٣.

(٥) م.ن ج١، ص ٤٤٠.

(٦) م.ن ج٢، ص ٤١٨.

(٧) م.ن ج١، ص ٤٥٧.

تسليط الضوء على إدراك صاحب لأهمية السياق اللغوي في تفسير المعنى وتبيان دلالاته عند العرب.

#### ب- السياق الاجتماعي أو سياق الحال:

ربط اللغويون بين اللغة والمجتمع وقالوا: إن اللغة فكرة اجتماعية، وقد تداول معظم من تناول اللغة وتعريفها بالعرض والنقد تعريف ابن جني لها، وإثمه يرى أنها نشاط اجتماعي فكري فقد قال: "أما حدّها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"<sup>(١)</sup>.

فكلمة أصوات توحي أن اللغة ظاهرة فردية وجماعية في آن واحد لأنّ الصوت يستطيع أن يخرج الفرد والجماعة، وقد قال ابن جني: إنها أصوات ولم يقل إنها حروف وبذلك تكون التأوهات والتأفات (الأصوات الانفعالية اللاإرادية جزءاً من بنيان اللغة)، وقد ربط ابن جني اللغة بالفكر، وذلك بعبارته "يعبر بها" و "أغراض" وقد ربط ابن جني كذلك بين اللغة والمجتمع، واعتبر اللغة ظاهرة اجتماعية لا سيما إذا كانت تلك اللغة تعبر عن فكر اجتماعي، وهذا المضمون نجده في قوله "يعبر بها كل قوم" ولم يقل "يعبر كل فرد".

ولم يمنع موقف ابن فارس التوقيفي من أن يقول إن اللغة ظاهرة اجتماعية تؤخذ اعتياداً وتلقناً وسماعاً؛ وذلك في قوله "تؤخذ اللغة اعتياداً كالصبي العربي يسمع أبويه وغيرهما. فهو يأخذ اللغة عنهم على مرّ الأوقات، وتؤخذ تلقناً من ملقن وتؤخذ سماعاً من الرواة الثقات ذوي الصدق والأمانة.." <sup>(٢)</sup>.

وإذا انتقلنا إلى علماء اللغة الغربيين فإنهم نظروا إلى اللغة بوصفها حدثاً اجتماعياً فقد قال مالنوفسكي<sup>(٣)</sup>: "إنّ اللغة حدث اجتماعي ينفعل بالتقاليد والظروف البيئية" وعدّ دايفد كريستل<sup>(٤)</sup> أن اللغة تقوم بوظائف اجتماعية وجدت من أجلها.

كان صاحب على يقين أنّ معنى تراكيب وألفاظ بعينها لا يمكن أن يوصل معناها إلى المتلقين إذا لم ينقلهم إلى المقام الذي قيلت فيه أو الظرف الاجتماعي الذي عبّر عنه بها؛ لأنّ لكل أمة ظروفها الاجتماعية واعتقاداتها المميزة لها عن الأمم الأخرى.

فعندما تناول مادة (صَدَى<sup>(٥)</sup>) ذكر أنها تأتي بمعنى اسم طير، ولكنّ هذا الطير لم يكن معروفاً في عصره، فاضطره ذلك إلى نقل الصورة الاعتقادية الاجتماعية لدى العرب القدماء فقال: "والصدي: .. طائر تزعم العرب أنه يخرج من رأس المقتول فيصيح: وافلانه إذا لم يُطلب بثاره".

(١) الخصائص ج ١، ص ٣٤.

(٢) الصاحب ص ٦٢.

(٣) أوتوجبرسن، اللغة بين الفرد والمجتمع. ترجمة وتعليق: عبد الرحمن محمد، مكتبة الانجلو المصرية، مصر، القاهرة، ص ١٤.

(٤) دايفد كريستل، التعريف بعلم اللغة، ترجمة وتعليق: حلمي خليل، ط ٢، دار نشر الثقافة، ودار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٣م، ص ٨١.

(٥) المحيط، ج ٨، ص ١٦٨.

وبيّن أن العرب كانت تلجأ في تثبيت رجالهم المقاتلين إلى إلقاء صخرة بينهم تسمى الزور فيقولون: لا نفر حتى نفر الصخرة<sup>(١)</sup>.

ويرينا أنه لا يمكن توضيح معنى اللدم إن اتصل بالهدم إلا بعودتنا إلى مراسيم العهد والاتفاق في البيئة العربية القديمة "اللدم واللدم: الجرمة بين القرابات. والعرب تقول إذا أرادوا توكيد العهد عند المحالفة: "هَدمُ الهَدمِ اللدمُ اللدمُ" أي بيتنا مع بيتكم وحرمتنا مع حرمتكم. وسُمي اللدم لأنها تلدم القرابة أي تصلح وتصل"<sup>(٢)</sup>.

نحن نلاحظ دور المجاز المؤثر في إظهار مثل هذه التراكيب والأمثال، ولذلك عنى الصاحب عناية كبيرة في تبيان معاني التراكيب التي لعب المجاز دورا كبيرا في إكسابها معاني جديدة مغايرة لمعانيها الحقيقية.

فالتسع لغة يقال لكل ما ضرب بموخره<sup>(٣)</sup> من أفاع وعقارب، لكن السياق والمجاز أكسبها معاني جديدة فيقولون: لسعه بلسانه، أي قرصه، ولسع في الأرض؛ ذهب، وألسع بين القوم: أكل وأغرى.

معنى العسن<sup>(٤)</sup> في اللغة؛ الشحم ولذلك قالت العرب عسنت الإبل، وأعسنت الناقة. غير أن المجاز أكسبها معاني جديدة مثل أعسنت الأرض؛ نبتت، وهو على أعسان أبيه، أي على أخلاقه، وتعسنت الطريق؛ دلت دلالة، وهو عسن مال، إزاؤه.

ولا تخلو مادة من مواد المحيط إلا وأتى الصاحب فيها على المعاني الحقيقية ومعانيها المجازية التي اكتسبتها في سياق مخصوص.

### ج - السياق السببي:

نقصد بالسياق السببي تعليل وقوع الأسماء على المسميات وتعليل استخدام صيغة ما دون أخرى، ومعجم المحيط غني بالأمثلة التي تبين أسباب العرب وتعليلاتهم في إطلاق أسمائهم، وكناهم على رجالهم، ومدنهم، ومشاربهم، وحيواناتهم، وطرق سفرهم ووسيلتهم فيه.

وقد تكون الأسباب اجتماعية أو نفسية أو لوقوع حادثة استدعت إطلاق ذلك اللقب فقد قيل إنهم أطلقوا المسيح على عيسى ابن مريم، لسياحته في الأرض طلبا للعبادة<sup>(٥)</sup>، وأنهم سموا هاشم بن عبد المطلب بهذا الاسم لأنه أول من هشم الثريد إلى قومه<sup>(٦)</sup>.

واختلفت الأسباب التي جعلت العرب يطلقون لقب بكة على مكة فقيل: "سميت مكة بكّة: لأنها تبك أعناق الجبارة الظلمة، وقيل سميت لأن الناس يبك بعضهم بعضا في الطواف"<sup>(٧)</sup> وكان من أحد أسماء الخمر، القهوة لأن الشارب يقهى الطعام ويعافه إذا ما

(١) المحيط ج ٩، ص ٢٨٢.

(٢) م ج ٩، ص ٣١٩ - ٣٢٠.

(٣) م ج ١، ص ٣٦٥.

(٤) م ج ١، ص ٣٦٩ - ٣٧٠.

(٥) م ج ٢، ص ١٦٨.

(٦) م ج ٢، ص ٤١٩.

(٧) م ج ٢، ص ١٥١.

؛ لأنه يحوس الغنم<sup>(٢)</sup>، وسميت الدجاجة بهذا الاسم لإقبالها  
على المسطح المائي لاتساعه وانبساطه<sup>(٤)</sup>، وسموا السفن  
هن<sup>(٥)</sup>، وقيل إن شهر شوال سمي بهذا الاسم "لأنه وافق  
١) وسميت الجنّ جنا لاستنارها<sup>(٧)</sup>.

ضدّ يُظهر حسنه الضدّ...

ج معناه الضدّ

، ومنهم صاحب في إظهار معنى دلالة اللفظة وتوضيحها  
عن نعلم أن البياض نقيض السواد، والنهار نقيض الليل،  
والأمام نقيض الخلف، وقد استعمل صاحب في تبيان معنى الكلمة ثلاثة ألفاظ هي نقيض  
وخلاف و ضد. فقال إن بعد؛ نقيض قبل<sup>(٨)</sup>، والرّفة نقيض الدّلة<sup>(٩)</sup>، والحقّ نقيض  
الباطل<sup>(١٠)</sup>، أما استخدامه لكلمة (خلاف) فقد ظهرت في مواضع عديدة منها، النهي خلاف  
الأمر<sup>(١١)</sup>، والشرق خلاف الغرب<sup>(١٢)</sup>، والصدق خلاف الكذب<sup>(١٣)</sup>.  
ولم تقلّ مواضع استعمال ضد عنهما فقال: الخلف ضدّ قدام<sup>(١٤)</sup>، والوحشة ضدّ الأنسة<sup>(١٥)</sup>،  
والحفظ ضدّ النسيان<sup>(١٦)</sup>.

هنالك عبارات محدودة لجأ إليها صاحب لتبيان دلالة الكلم وتفيد ضدّ المعنى  
المراد توضيحه ولم يستخدم ألفاظ ضد وخلاف ونقيض، وإنما استخدم الفعل الجامد ليس  
أو لا النافية "و قيل المصمت الذي ليس بأجوف والذي لا يجوع ولا يعطش في  
الحرب"<sup>(١٧)</sup> "البرم: الذي لا يدخل مع القوم في الميسر"<sup>(١٨)</sup>.

- 
- (١) المحيط ج ٤، ص ١٨.  
(٢) مـن ج ٣، ص ١٦٧.  
(٣) مـن ج ٦، ص ٣٩٤.  
(٤) مـن ج ٣، ص ٩١.  
(٥) مـن ج ٣، ص ٤٨١.  
(٦) مـن ج ٧، ص ٣٨١.  
(٧) مـن ج ٦، ص ٤٠٩.  
(٨) مـن ج ١، ص ٤٣٢.  
(٩) مـن ج ٢، ص ٢٨.  
(١٠) مـن ج ٢، ص ٢٨٦.  
(١١) مـن ج ٤، ص ٦٩.  
(١٢) مـن ج ٥، ص ٢٣٤.  
(١٣) مـن ج ٥، ص ٢٥٧.  
(١٤) مـن ج ٤، ص ٣٤٥.  
(١٥) مـن ج ٣، ص ١٤٩.  
(١٦) مـن ج ٣، ص ٦٦.  
(١٧) مـن ج ٨، ص ١١٩.  
(١٨) مـن ج ١٠، ص ٢٤٢.

وقد وجّه لهذه الطريقة نقد، وذلك أنّ فيها غموضاً وأنّ المعنى الذي تعطيه معنى عاماً وليس محدداً، وقد يكون هذا النقد حرياً بالنظر إذا كان المعجم معجماً ثنائياً أي أنّ المؤلف فيه يوضح دلالة اللفظة. إلى أبناء أمة أخرى ذوي لغة مغايرة للغة<sup>(١)</sup>.

#### ٤ - المشترك اللفظي:

بيّنا في الفصل السابق معنى المشترك اللفظي وأسباب ظهوره وموقف العلماء منه، وقد تبين لنا أنّ جمهور اللغويين والفقهاء قد أقرّوا بوقوعه في اللغة وأنهم اتفقوا على تعريف له وهو؛ ما اتفق لفظه واختلف معناه.

اعتمد صاحب على المشترك في تبيان شرح المعنى والدلالة في مواضع كثيرة في معجمه ومن أمثلة ذلك كلمة العصر، فالعَصْرُ، الدهر، والعَصْرُ: المطر؛ والعَصْرُ شجرة كبيرة، والعَصْرُ العطية<sup>(٢)</sup>.

وذكر معاني عديدة للحال<sup>(٣)</sup>، فالحَالُ: الوقت الذي أنت فيه. والتراب اللين. والحماة والمرأة أيضاً. والدَّرَاجَة التي يتعلم عليها الصبي المشي. والكساء الذي يحتشى فيه. وللغة السِّنن معانٍ احتوتها<sup>(٤)</sup> فالسِّنن: القصد، والمذهب والطريق، وأول القوم، والإبل السريعة.

وقد سمى بعض العلماء<sup>(٥)</sup> اعتماد المعجميين في شرح معاني الكلم على المشترك اللفظي بالتفسير بالمغايرة.

#### ٥ - الحقول الدلالية:

تبين لنا أنّ معظم ألفاظ اللغة العربية تحمل غير معنى ودلالة، لكن تلك المعاني تزول ولا يتبقى منها سوى معنى واحد، إذا ما وضعت في سياق جملة فإنّ اللفظة في السياق لا يكون لها إلا معنى واحد أو قيمة حضورية واحدة، وتعدد المعنى جليّ في الألفاظ المشتركة اللفظي والأضداد والترادف، وقد اصطاح المحدثون على إطلاق اسم الحقل الدلالي على جميع الألفاظ التي تعود في معظم دلالاتها إلى معنى عام واحد فقالوا: إنّ الحقل الدلالي "مجموعة من مفردات اللغة تربطها علاقات دلالية وتشترك جميعاً في التعبير عن معنى عام يعد قاسماً مشتركاً بينها جميعاً مثل الكلمات الدالة على الألوان والكلمات الدالة على الآلات الزراعية، والكلمات الدالة على النبات، أو الكلمات الدالة على الأفكار والتصورات"<sup>(٦)</sup>.

(١) حلمي خليل، مقدمة الدراسة التراث المعجمي العربي، ص ١٤٨.

(٢) المحيط ج١، ص ٣٢٦.

(٣) م ن ج ٢، ص ٢١١.

(٤) م ن ج ٨، ص ٢٤٨.

(٥) حلمي خليل مقدمة لدراسة التراث المعجمي المصري ص ١٤٨، ومحمد أبو الفرج، المعجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، ص ١٠٥.

(٦) فريد عوض حيدر، علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، نشر مكتبة النهضة المصرية ١٩٩٩م، ص ١٧٤-١٧٥، وقابل بـ أحمد مختار عمر، علم الدلالة، نشر عالم الكتب، ط٢، ١٩٨٨، مصر. القاهرة، ص ٧٩.

ومصطلح الحقول الدلالية semantic Fields مصطلح غربي حديث أرخت لظهوره مؤلفات<sup>(١)</sup> لا بأس بها.

أدرك علماؤنا غنى لغتهم في ظاهرة الحقل الدلالي وألفوا فيها كتباً كثيرة نسبت لأكابر اللغويين والنحويين، وأطلقوا عليها اسم معاجم المعاني، ومنها كتاب النحل والعسل للأصمعي، وكتاب الحشرات لأبي خيرة الأعرابي، ومنها كتب الخيل لأبي عبيدة وأبي عمرو الشيباني والأصمعي، ومنها كتب خلق الإنسان لأبي مالك عمرو بن كركرة وقطرب، والمفضل بن سلمة، وأبي عبيدة، والأصمعي، وأبي زيد الأنصاري، وابن قتيبة، وأبي اسحاق الزجاج<sup>(٢)</sup>.

قسم بعض اللغويين كتبهم إلى مواضيع وجعلوا لكل موضوع منها باباً بعينه ومن تلك الكتب "الألفاظ" لابن السكيت<sup>(٣)</sup>، و"متخير الألفاظ" لابن فارس<sup>(٤)</sup>، ونجعة الرائد وشرعة الوارد، "في المترادف والمتوارد" لابراهيم اليازجي<sup>(٥)</sup>.

معرفة الصاحب باحتواء اللفظة على غير معنى جعلته يتتبع معاني الألفاظ على اختلاف حقولها الدلالية ولا تتسنى معرفة دلالة اللفظة في حقلها إلا إذا اتصلت بألفاظ تحدد الحقل ذاته، فإن معنى اللفظة يتحدد وفقاً لاقتراناتها اللفظية، والمحيط عمل على استقصاء تلك المعاني المتعددة وتبيانها وفقاً لاقترانها، ثم وضعها في حقلها الدلالي المخصص لها.

تتبع الصاحب معاني تقاليبه سواء أكانت اسماً أم فعلاً، وذكر معانيها وفق اقتراناتها اللفظية أو حقلها الدلالي الموجودة فيه وهذه سمة لمنهجه، ويظهر ذلك في معظم مواد معجمه منها: تقليب متع<sup>(٦)</sup> تعود معظم معاني متع إلى معنيين حقيقيين هما: الارتفاع والاستمتاع، وانبثق منهما معان فرعية عديدة وعينت حقولها الدلالية باقتران متع بالألفاظ مختلفة، وقد تكون تلك الألفاظ فعلاً أو اسماً أو حرفاً مثل، أمتعت عنه؛ استغنيت، وامتعت به؛ ذهب، والمايع من الأشياء؛ البالغ في الجودة، ولكن إذا اقترن هذا الاسم بأسماء أخرى حدد الحقل الذي سيضم إليه، فميزان مائع؛ راجح، ورجل مائع؛ ظريف، ونبذ مائع؛ شديد الحمرة، ونخل مائع؛ طويل، وابن مائع؛ كعب الحبر.

واللغة العربية لغة اشتقاقية حيث يشتق من مجردها بنى عديدة، وقد تحمل البنية نفسها معاني غير قليلة يمكن ضم كل معنى منها إلى حقل دلالي منفصل عن الحقل الآخر

(١) كلود جرمان، علم الدلالة، ترجمة نور الهدى لوشن: نشر جامعة جار يونس؛ بنغازي، الطبعة ١، ١٩٩٧، ص ٥٤ وما يليها، وفريد حيدر، علم الدلالة، ص ١٧٢ وما يليها، وأحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص ٧٩ وما يليها.

(٢) لمن أراد الاستزادة في موضوع معاجم المعاني فعليه قراءة المعجم العربي، حسين نصار، ج ١، ٣١-١٣٧، الصحاح ومدارس المعجمات العربية، أحمد عطار، ٤٥-٤٦.

(٣) ابن السكيت، تهذيب الألفاظ، طبع وضبط وجمع: الأب لويس سيفو اليسوعي، الطبعة الكاثوليكية للأباء اليسوعيين بيروت - لبنان، ١٨٩٥م.

(٤) ابن فارس، متغير الألفاظ، تحقيق: هلال ناجي، المكتب العام لتنسيق التعريب في الوطن العربي، الرباط - المملكة المغربية.

(٥) ابراهيم اليازجي، نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد، ط ٣، مكتبة لبنان، لبنان - بيروت، ١٩٨٥م.

(٦) المحيط ج ١، ص ٤٥٠.



وفق اقتراناتها اللفظية، ولناخذ تقليب الكاف والفاء من المضاعف الثنائي<sup>(١)</sup> مثالا يوضح نهج صاحب واتكائه على الحقل الدلالي في تبيان المعنى وتوضيحه.

فالكفّ إذا اتصلت باليد يكون معناها جزءاً منها ونضمها إلى حقل خلق الإنسان، ولكنها إذا تثبتت واقرنت بكلمة ذو "ذو الكفين" اكتسبت معنىً جديداً هو اسم صنم لدوس، فتوضع هذه اللفظة في حقل أصنام العرب في الجاهلية، أما إذا اقرنت بكلمة الخضيب "الكفّ الخضيب" فإن معناها سيصبح كفّ الثريا، ولذلك توضع في حقل النجوم، أمّا اقترانها بكلمة الأمر وحرف الجر عن، فمعناها الرفض والإحجام "الكف عن الأمر" ولذلك توضع في حقل الإحجام والنفور.

وإذا انتقلنا إلى اسم مشتق هو الكُفّة، فإننا نجد أنها قد احتوت على غير معنى يمكن تحديدها وفق اقتراناتها اللفظية وإنّ معانيها التي حملتها جعلتها تُضمّ إلى غيره حقل دلالي، فاقتران الكفة بكلمة اللثة "كفة اللثة" اكتسبت معنى يؤهلها أن توضع بالحقل الدلالي الخاص بخلق الإنسان "ما انحدر منها على أصول الثغر".

أما اقترانها بكلمة الميزان "كُفّة الميزان" فإنها تعني "كفه" وتوضع ههنا في الحقل الدلالي الخاص بالمكاييل، واقتران الكفة بالسحاب جعلها تحمل معنى جديداً - يخولها أن تضمّ إلى الحقل الدلالي الخاص بالسحاب وأنواعه، لأن كفة السحاب؛ نواصيه، وتوضع كلمة الكفة في الحقل الدلالي المعين للصيد وأدواته إن اقرنت بالصياد "كفة الصياد"، ويمكن أن نضع الكفة في حقل أدوات الزينة إذا اقرنت بالوشم، كفة الوشم: "الدّارة في نقش الوشم على اليد"، وقد تتنى لفظة الكفة وتقرن بالسيف فتصبح من ألفاظ الحقل الدلالي الدال على الأسلحة "وكفافة السيف".

وتدل لفظة "الكفة" على أنواع اللقاء إذا اقرنت بلفظة "لكفة" وتقول: لقيته كفة لكفة: أي لقيته مفاجأة". وتوضع لفظة الكفة في الحقل الدلالي الدال على الألبسة إذا اقرنت بلفظة ثوب "كفاف الثوب: نواحيه".

اكتسب اسم الفاعل من هذا التقليل معاني غير قليلة يمكن أن تضم إلى غير حقل دلالي، وقد يكون لها غير معنى في الحقل الدلالي نفسه، إذ احتوت على ثلاثة معان يمكن وضعها جميعها في الحقل الدلالي الدال على الحيوانات "والكاف: البعير إذا كُفت أسنانه وكُلت من الهرم وكُفت الناقة: سقطت أسنانها فهي كفوف وكافة وكاف. ونعجة كافة: مُسنة".

الملاحظ أنّ معاني تلك التراكيب الموضوعية في حقل واحد بينها تقارب وتمائل، لأنها تعود إلى معنيين رئيسيين هما: سقوط الأسنان والهرم، ونحن نعلم أن الهرم مسبب لسقوط الأسنان غالباً.

وإذا اتصلت لفظة الكاف بالناس دلت على نوع من أنواع الاجتماع، فتوضع لذلك في الحقل الدال على أنواع الاجتماع والاتفاق "ويقولون: الناس كافة: كلهم؛ معناه داخل في الكفاة" أما اسم المفعول من التقليل نفسه فيمكن أن يوضع في ثلاثة حقول دلالية، أولها: - الحقل الدال على الأمراض "المكفوف: الذاهب البصر"، ثانيها: الحقل الدال على أسس علم العروض وعلله "وهو في علل العروض: مفاعيل كف نونه"، ثالثها، الحقل الدلالي الدال

(١) المحيط ج٦، ص ١٤٥-١٤٧.

على درجات الامتلاء والتعبئة "وَكَفَّفَتِ الْإِنَاءَ: ملأته فأفرطته" وقوله - صلى الله عليه وسلم: "إن بيننا وبينكم عيبة مكفوفة": أي صدورا مملوءة من الود".

وحملت صيغة (فعال) عدة معان يمكن أن توضع في غير حقل دلالي فقد نضعها تارة في الحقل الدلالي الدال على الطلب "ويقولون: دعني كُفَّاف: أي كفّ عني واكفف عنك" وقد نضعها تارة إلى الحقل الدلالي الدال على أنواع الطعام "وكفّاف الشيء... وهو من المعيشة: القوت".

وتضم تارة أخرى إلى الحقل الدلالي الخاص في الفقر "وهم في كفف من العيش وكفّاف: أي في ضيق".

قد تحمل اللفظة معنى عاما واحدا لكنها لا توضع في حقل دلالي واحد، لأن تحديد معناها يتحدد وفق اقتراناتها اللفظية، فكلمة الكفّة تدل غالبا على الجانب أو الطرف غير أننا لا نستطيع أن نضعها في حقل دلالي واحد وإنما نضطر إلى وضعها في غير حقل دلالي، فهي تضم إلى الحقل الدلالي المخصص للسحاب إذا اتصلت بها، فكفّة السحاب، أطرافه.

ويمكن أن تضم إلى الحقل المخصص للنبات إذا اقترنت بلفظة الغضا، فكفّة الغضا؛ أطرافه وقد تكون ضمن ألفاظ الحقل الدلالي المخصص لأقسام الليل وتدرجاته إذا اقترنت بلفظة الليل "فكفّة الليل؛ جانبه، وتوضع أحيانا في الحقل الدلالي الموضوع لأنواع الرمل وأجزائه إن اقترنت بلفظة الرمل، فكفّة الرمل؛ جانبه، وتكون أحد الألفاظ الدالة على مراتب القبيلة وأقسامها إذا اتصلت بها، "وكففت قبيلة فلان: أي مررت في كفتهم أي ناحيتهم ولم أخالطهم".

وتصير من ألفاظ الحقل الخاص باماكن الطهي عند العرب إذا قصد بها "الكفّة: مثل العلاة؛ وهي حجر يجعل حوله أخشاء وطين ثم يطبخ فيه الأقط".

أما الأفعال المشتقة من مجرد التقليل فإنها ما تلت الأسماء في احتوائها على أكثر من معنى ووضعها في غير حقل دلالي وفق اقتراناتها اللفظية، فالفعل استكفّ يمكن وضعه في الحقل الدال على الطلب الحقيقي والحقل الدال على الطلب المجازي "واستكفّ السائل: بسط كفه بطلب" واستكففت الشيء: استوضحته؛ وهو أن تضع يدك على حاجبيك فتتنظر إلى الشيء لكي تستبينه..".

ويمكن وضعها في الحقل الدال على النبات وتجمع ثماره "استكفّ طلع النخل"، وتوضع في الحقل الدلالي المخصص للنظر وتدرجاته إذا اتصلت بكلمة القوم "واستكفّ القوم: أهدقوا بالشيء".

وقد نبهنا في الفصل الفائت على أثر انتقال اللفظة من حقل دلالي إلى حقل دلالي آخر في نشوء ظاهرة المشترك اللفظي، وضربنا لذلك أمثلة حية تماثل ما ذكرناه عن تقليل الكاف والفاء من المضاعف الثنائي، ولذلك ساكتفي بما أشرت إليه في ذلك الفصل وفي هذا الفصل تجنبنا للإطناب.

واختلف المحدثون في تسمية الاعتماد على الحقل الدلالي في تفسير المادة، إذ سماها حلمي خليل<sup>(١)</sup> التفسير بالتلازم وسماها محمد أحمد أبو الفرج<sup>(٢)</sup> التفسير بالمصاحبة.

#### ٦- المماثل والرديف والشبيه.

أيقن الصاحب أن هنالك ألفاظاً غريبة لا يمكن توضيح دلالتها إلا إذا قابلها بشيء دلالته معروفة لدى العلماء والعامّة، وقد اتكأ الصاحب على ثلاثة مقاييس اعتمد عليها في توضيح الغامض والمبهم من الأسماء والألفاظ والتراكيب:-  
أولاهما: مقياس المماثلة.

ارتكز الصاحب على مقياس المماثلة في تبيان دلالة الألفاظ الغريبة والحوشية والموغلة في الإبهام والإيهام، فاتخذ من مثلها المعروف وسيلة لكشف معناها وشرحه، وأمثلة ذلك كثيرة. فمعنى لفظة الإهناف<sup>(٣)</sup> غير متيسر لمعظم المطلعين، ولا يمكن أن يوضح الصاحب دلالتها إذا قال إنها نوع من البكاء؛ لأن البكاء درجات، وإن أضاف إليها لفظة شديد فإن معناها يظل مغيباً عنا، ولكنه عندما استصفي مقياس المماثلة وهو على علم أن العامة يعلمون معنى الإجهاش فانكأ عليها ليبين معنى الإهناف "قالإهناف: مثل الإجهاش".

وهذا القول ينطبق على القَراهِيدُ، فالقَراهِيدُ<sup>(٤)</sup> كلمة حوشية مُلبسة لا يتسنى فهم معناها، فقد تكون هذه اللفظة اختصت بها قبيلة من العرب دون القبائل الأخرى، فاضطر الصاحب إلى أن يجد مثلاً حياً يعرفه الناس لكي يوضح بوساطته معنى القَراهِيد، فوجد أن معناها مماثل لمعنى لفظة القَراهِيد المتداولة بين الناس "القَراهِيد: مثل القَراهِيد وهي أولاد الوعول".

لا أظن أن أحداً منا يعرف معنى كلمة أوقاش<sup>(٥)</sup>، أما إذا ارتبط معنى هذه اللفظة بمعنى لفظة أوباش، وأن معناهما متماثل أدركنا معنى كلمة أوقاش بوساطة مقياس المماثلة "أوقاش من الناس: مثل أوباش" ويمكن أن نقابل ما قلناه في شأن تلك الألفاظ وتبيين معناها بوساطة مقياس المماثلة على الألفاظ التالية:- فحثوت له مثل قسمت له<sup>(٦)</sup>، واعتلن مثل اشتهر<sup>(٧)</sup>، والعرمة مثل المستناه<sup>(٨)</sup>، وأدهضت الناقة مثل أجهضت<sup>(٩)</sup>.

(١) مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي، ص ١٥١.

(٢) المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، ص ١١٠.

(٣) المحيط ج ٤، ص ٥.

(٤) م.ن ج ٤، ص ١٠٥.

(٥) م.ن ج ٥، ص ٤٥٨.

(٦) م.ن ج ٣، ص ١٩٢.

(٧) م.ن ج ٢، ص ٥٠.

(٨) م.ن ج ٢، ص ٤٦.

(٩) م.ن ج ٣، ص ٤٠٠.

## ثانيها: مقياس المرادفة.

أجمع علماء اللغة والفقهاء إلا من شذ منهم على وقوع الترادف في اللغة، وبيّننا أنهم عنوا بالترادف، ما اختلف لفظه واتفق معناه.

وجد صاحب في الترادف وسيلة يستطيع بوساطتها توضيح معاني ألفاظ أشكل فهمها والتبس مضمونها، وأدرك أن هنالك ألفاظاً لا يمكن أن توضح بوساطة مقياس المماثلة بسبب عدم وجود المثل في البيئة اللغوية، فرأى أن في الترادف وسيلة مشابهة لمقياس المماثلة يمكن بوساطته توضيح معاني ألفاظ حوشية وغريبة لا سيما أن عدداً من العلماء كانوا يستخدمون رديف اللفظة في مؤلفاتهم دون حرج.

لفظة فلع<sup>(١)</sup> من الألفاظ التي لا يسهل فهم معناها على الناس وإنما تعدّ غريبة على جُلهم، فرأى صاحب من رديفها وسيلة يزيل بها غرابتها فقال: "فَلَعُ رَأْسَهُ فُلَعًا: شَقَهُ" لأن معنى الشق متداول بين الناس.

وإذا انتقلنا إلى لفظة الخُفْدُود<sup>(٢)</sup> فإن الحيرة في معرفة معناها ستقع في الأنفس ولا يستطيع صاحب إزالة الحيرة في هذه اللفظة الحوشية إلا بوساطة مقياس الرديف فقال "الخُفْدُود: الخُفَّاش" ونحن نعلم أن معنى لفظة الخفّاش معروفة لدى العامة والخاصة.

يوضح صاحب دلالة ألفاظ غير متممة بالحوشية والغريبة بوساطة الترادف ومن أمثلة ذلك: أن معنى الهرب؛ الفرار<sup>(٣)</sup>، ومعنى المهر؛ الصّدّاق<sup>(٤)</sup>، ومعنى الخشية؛ الخوف<sup>(٥)</sup>.

## ثالثها: مقياس المشابهة.

لم يستطيع صاحب تبيان دلالة ألفاظ بدوية وحوشية وغريبة بالاعتماد على مقياس المماثلة لانعدام وجود المثل في بيئته التي يعرف ألفاظها جيداً، عدا أن مقياس الترادف لا يمكن أن يعطي تلك الألفاظ دلالتها التي وضعت من أجلها في الأصل، فاضطر صاحب ذلك إلى البحث عن وسيلة جديدة يستطيع أن يوضح معنى الألفاظ ويشرح دلالتها إذا ما سلكتها، وقد كان ذلك المقياس مقياس المشابهة، وفيه لجأ إلى شرح معنى الألفاظ بوساطة مقابلتها بشبيه لها معروف لدى الناس وموجود في بيئتهم.

لفظة الخنتر<sup>(٦)</sup> لفظة حوشية لا يعرف معناها معظم الخاصة والعامة، وقد قال صاحب أن الخنتر كالغدر، ولم يقل أن الخنتر مثل الغدر، ولهذا دلالة فقد يكون الخنتر أشد قساوة من الغدر وأعلى درجة لا سيما أن الخاء أقوى جرساً من الغين.

وقال العيبة شبه الخريطة من الأدم<sup>(٧)</sup> ولم يقل مثل الخريطة لأن العيبة أصغر من الخريطة غالباً، وأنها مصنوعة من الأدم وليست من القماش.

(١) المحيط ج ٢، ص ٥١.

(٢) م.ن ج ٤، ص ٣٠٦.

(٣) م.ن ج ٣، ص ٤٧٩.

(٤) م.ن ج ٣، ص ٤٨٥.

(٥) م.ن ج ٤، ص ٣٧٥.

(٦) م.ن ج ٤، ص ٣١.

(٧) م.ن ج ٢، ص ١٧٦.

ومعنى لفظة العرناس مغيب عن الأذهان، فوجد أن لفظة الحمام يمكن بواسطتها الوصول إلى معنى العرناس فقال "العرناس: طائر كالحمامة لا يُشعر به حتى يطير من تحت القدم" (١).

استخدم الصاحب للدلالة على المشابهة لفظة شبه "الخدال: الذي في زهر الرمان شبه الزعفران" (٢) "الرَّهْلُ: شبه ورم" (٣).

وكاف التشبيه أيضا في أمثلة كثيرة منها: السَّحْقُ كالبُعْدُ (٤)، والقَرَّةُ في الجسد كالقَلْحُ في الأسنان (٥)، والكهف كالمغارة في الجبل (٦).

#### ٧- الوصف الدقيق:

هنالك ألفاظ لا يمكن توضيح معانيها بواسطة مقياس المماثلة ومقياس الرديف ومقياس المشابهة؛ لأنها تستدعي عبارات طوال لتوضيحها، فلجأ الصاحب إلى وصف معنى تلك الألفاظ وصفا دقيقا باللفظ.

فالصَّبْعُ (٧) كلمة لا تَسْتَطِيعُ المماثلة أو المشابهة شرح معناها. لكن وصفها الدقيق يستطيع أن ينقل دلالتها "الصَّبْعُ: أن تأخذ الإناء فتقابل بين إبهاميك أو سبابتيك ثم تُسِيل ما فيه. وأن تجعل شيئا في شيء ضيق الرأس فيصبح صعبا".

ويغلب على الوصف الدقيق أن يأتي لتبيين معنى جزء من كل، فلم يفسر الصاحب الصفع بالضرب وذلك؛ لأنه نوع من أنواع الضرب وليس الضرب كله وفي ذلك يقول: "الصَّفْعُ: أن يضرب مُجمع كفه قفا آخر، ورجل مَصْفَعَانِي: يفعل به ذلك" (٨).

وكذلك العميد فلم يقل أنها الجلوس لأنها نوع منه وإنما قال: "العميد: الذي لا يستطيع الجلوس من مرضه حتى يعمد بوسائد" (٩).

وقد يلجأ الصاحب إلى الوصف الدقيق إذا خشي اللبس بين متماثلين، فقد وصف التَّلْعَةَ وصفا دقيقا كي يظن القارئ أنها الهضبة فقال: "إن التَّلْعَةَ، أرض مرتفعة غليظة يتردد السيل فيها إلى بطن الوادي" (١٠)، ولم يقل إن الخيف السهل لوجود فارق بينهما (١١)، لذا وصف الخيف وصفا دقيقا بقوله: "الخَيْفُ: ما ارتفع عن موضع السيل، وانحدر من غلط الجبل ووسط الوادي".

(١) المحيط ج ٢، ص ٢٥١.

(٢) م. ن ج ٣، ص ٦٧.

(٣) م. ن ج ٣، ص ٤٧٤.

(٤) م. ن ج ٢، ص ٣٣٤.

(٥) م. ن ج ٣، ص ٣٤٢.

(٦) م. ن ج ٣، ص ٣٨.

(٧) م. ن ج ١، ص ٣٤١.

(٨) م. ن ج ١، ص ٣٤١.

(٩) م. ن ج ١، ص ٤٣٥.

(١٠) م. ن ج ١، ص ٤٤٣.

(١١) م. ن ج ٤، ص ٤٢٣.

ويصف الألفاظ بالدقة كي لا يخلط القارئ بينها وبين نقيضها، فوصف العتبة وصفا دقيقا كي لا يظن القارئ أن العتبة والأسكفة ذاتا معنى واحد "العتبة أعلى الباب مقابلا للأسكفة"<sup>(١)</sup> وتستدعي صاحب الألفاظ الحوشية لكي يصفها وصفا دقيقا، "العنقرُ: أول ما ينبت من أصول القصب ونحوه وهو غُضٌّ رَخَصٌ، الواحدة عُنْقُرَةٌ"<sup>(٢)</sup> وينسحب هذا القول على السفيفة "السُفَيْفَةُ: خشبية عريضة طويلة توضع ويُلفَ عليها البوارى فوق السطوح"<sup>(٣)</sup>.

ويعتمد على الوصف الدقيق في تحديد مصطلحات العلوم، فبوساطته وضّح معنى رياح الهَيْفِ والْحَمِيمِ "الهَيْفُ: ريح باردة تجيء من قبل مَهَبِ الجنوب وهي أيضا ريح ذات سموم تعطش المال"<sup>(٤)</sup> "الْحَمِيمُ: المطر بين الخريف والصيف"<sup>(٥)</sup>.

ويكثر اعتماده عليه في وصف القيام بعملية ما ومن ثم إتمامها، وهذا بين في توضيحه عملية الصل والغنائم. "والصَلُّ: يقال صَلَّلْنَا الحَبَّ؛ وهو أن يعمد إلى حب قد اختلط بالتراب فيصب فيه ماء فينزل كل على حياله"<sup>(٦)</sup> "والغَمَائِمُ: حبل وكساء يعصبون به خلف عنق الناقة لئلا تبصر الولد ثم يدس الولد تحتها فتشمه وتحسبه قد نتجت فترأمه وتدر عليه"<sup>(٧)</sup>.

#### ٨- الانتقال من الخاص إلى العام.

وجد صاحب في بعض أبواب علم البلاغة سبلا قويمة في توضيح دلالة الكلم، وكان أظهر علمين اتكا عليهما في تفسير المعنى هما: الانتقال من الخاص إلى العام والانتقال من العام إلى الخاص، أما الانتقال من الخاص إلى العام فإن مظاهر الاعتماد عليه جلية في تقاليد المحيط. فدلالة لفظة النَّصْعُ<sup>(٨)</sup> الخاصة، هي اللون الأبيض لا سيما إذا اقترنت بلفظة الثوب أو الأديم، ولكن هذه اللفظة تطورت مع الزمن وأصبحت تدل على كل لون ساطع بالغ حتى أن العرب اشتقت من معناه العام معنى مجازيا يدل على السطوع والقوة "الحق ناصع".

وللَّسَعِ<sup>(٩)</sup> معنى خاص هو اللسع من العقرب أو الأفعى لكنه مع دوران استعماله على الألسنة اكتسب معنى عاما، فقد صار يدل على كل لسع من قبل حيوان يضرب بمؤخره. وقد وضعت لفظة العِلسِ<sup>(١٠)</sup> في الأصل للدلالة على الشرب ثم توسّع معناها لتدلّ على الأكل والشرب كليهما.

(١) المحيط ج ١، ص ٤٤٥.

(٢) م-ن ج ٢، ص ٢١١.

(٣) م-ن ج ٥، ص ٢٩٣.

(٤) م-ن ج ٤، ص ٧٣.

(٥) م-ن ج ٢، ص ٣٢٥.

(٦) م-ن ج ٨، ص ٨٨.

(٧) م-ن ج ٤، ص ٥٢٢.

(٨) م-ن ج ١، ص ٣٣٥.

(٩) م-ن ج ١، ص ٣٦٥.

(١٠) م-ن ج ١، ص ٣٦٦.

وضعت كلمة الطعام في الأصل لتدل على البُرِّ ثم توسعت دلالتها لتشمل كل ما يسد الجوع والرمق<sup>(١)</sup> واستخدموا للدلالة على اللبن الخالص بلا رغبة لفظة المحض<sup>(٢)</sup>. لكن هذه اللفظة ثم صارت تدل على كل ما لم يشبه شيء، سواء أكان مأكلاً أم مشرباً أم فضة أم ذهباً.

وهذه الأمثلة غِيَصٌ من فَيْضٍ.

#### ٩ - الانتقال من العام إلى الخاص:

أشرنا إلى أن الصاحب اعتمد على الانتقال من العام إلى الخاص في شرح معنى عدد لا بأس به من تقاليبه وبنبه في مواضع عديدة على معنى اللفظة العام ثم يبين المعنى الخاص الذي اكتسبته تلك اللفظة في بيئة خاصة، فهو يقول إن المعازف<sup>(٣)</sup>؛ الملاهي لكنها اختصت عند أهل اليمن بنوع من الطنابير، ومعنى العنط<sup>(٤)</sup> العام؛ طول العنق، لكنها إذا اتصلت بالمرأة أصبحت تدل على طول العنق مع حسن القوام.

ينوه الصاحب إلى المعنى العام للتقليب ومن ثم يتتبع معانيه الخاصة إذا اتصل بالإنسان أو النبات أو الحيوان أو أحد مكونات الأرض وتضاريسها.

فإن معنى عطف العام؛ الميل والثني، ولكن لعطف معانٍ خاصة عديدة. فإذا ارتبطت بالرحمة فإنها<sup>(٥)</sup> تدل على صلة القربى "وعطف على ذي رحمة وتعطف عليه" أما إذا انتقلت إلى عالم الحيوان فإن لها معاني خاصة "دابة لينة العطف: أي إذا عطف رأسها وناقاة عطوف: يعطفها صاحبها على بؤ فترامه، والجميع العطف، وناقاة عاطف: أي تربض وتعطف عنقها".

أما إذا بحثنا عن معانيها الخاصة في عالم النبات فإنها تعني نوعاً من الشجر مثل العوسج، وتطلق على القضبان التي يتعلق بها العنب؛ لأن تعلق العنب بها يؤدي إلى ميل تلك القضبان وانحنائها.

وقد تكون من إحدى أدوات الزينة "والعطفة من خرز النساء: ما تتعلقها تتعطف بها مودة أزواجها عليها".

وما يقال في مادة عطف ينسحب على مادة معط<sup>(٦)</sup>، إذ ذكر معناها العام، ودل على ذلك بمثال توضيحي "المعط: المد، معطت السيف من الغمد وامتعطته" ويذكر علاقة معنى هذه المادة إذا اقترنت بالفوس خاصة "ومعط في القوس. وهو طويل معط: أي ممدد".

(١) المحيط ج ١، ص ٤١٢.

(٢) م.ن ج ٢، ص ٤٥١.

(٣) م.ن ج ١، ص ٣٩١.

(٤) م.ن ج ٧، ص ٤٠٧.

(٥) م.ن ج ١، ص ٤٠٨-٤٠٩.

(٦) م.ن ج ١، ص ٤١٤.

ثم يوضح الدلالة الخاصة التي اكتسبتها اللفظة حينما اتصلت بلفظة الشعر "والأمعط والمعط الذي تمرط شعره"، وارتباط معط بلفظة الذنب يدل على صفة اتصف بها وهي الخبث، والفعل من معط إذا ارتبط بالناقة دل على رمي الناقة لولدها.

وقد صور العرب دلالة معط العامة إذا ما اتصلت بالأرض والرمل لتكشف عن صفتين اتسمتا بها "وأرض معطاء: لا نبت فيها وكذلك الرمال المعط".

إن المعنى العام للفظه اللوح<sup>(١)</sup> هو كل صفيحة من الخشب، أما إذا اتصلت هذه اللفظة بالإنسان فإنها تكتسب معنى خاصاً يدل على عظامه، لكنها إذا اقترنت بلفظة الرجل أو القوم اختصت بأن تكون صفة له لما امتازوا به من الطول.

#### ١٠ - المقايسة:

ونقصد بها قياس أمر مجهول أو غريب أو غير متداول على أمر معلوم ومعروف ومتداول بين الناس، ووسائل صاحب في ذلك استخدام ألفاظ تدل على الحجم مثل: دون، وفوق، وأعظم، وأصغر، وأشد.

فقد اعتمد في شرح معنى لفظة الصرد على معرفة الناس بالعصفور، فالناس جميعهم يعرفون أن العصفور طائر صغير ولكنهم لا يعرفون ما هو الصرد، فقرب لهم معنى الصرد بقياسه على العصفور فقال: "الصرد طائر فوق العصفور"<sup>(٢)</sup>.

معظم العرب يعرفون طير القطا وقد تداولوه في أشعارهم، لكن بيئة الصاحب لم تتداول لفظتي السمامة والسمام ولم تعرف معنهما، فدل على معنيهما بوساطة معرفتهم الأثيلة والعميقة بطير القطا فقال: إنهما تدلان على طير دون القطا وأصغر منه<sup>(٣)</sup>.

وبنى على معرفة الناس بالزئير تفسير معنى النهيم أنه صوت فوق الزئير<sup>(٤)</sup>. وعلى معرفتهم بالقتاد والحبارى والحلج وضح دلالة ألفاظ الحلة والجرج والجله، فالجلة، شجرة أصغر من القتاد ماء الجرج، طائر أعظم من الحبارى<sup>(٥)</sup>، والجله أشد من الحلج في ذهاب الشعر من مقدمة الرأس<sup>(٦)</sup>.

ومما يعجب له أن الصاحب اتكا على طريقة المقايسة في شرح معنى ألفاظ ليست بالعربية والحوشية! فهل كانت هي الوسيلة الفضلى في توضيح معنى العراف أنسه دون الكاهن<sup>(٧)</sup>، وأن البهاق: بياض دون البرص<sup>(٨)</sup>؟

(١) المحيط ج٣، ص ٢١٢.

(٢) م٨ ج٨، ص ١١٠.

(٣) م٨ ج٨، ص ٢٥٩.

(٤) م٢ ج٢، ص ٣١٦.

(٥) م٣ ج٣، ص ٢٦١.

(٦) م٣ ج٣، ص ٣٧١.

(٧) م٢ ج٢، ص ٢٢.

(٨) م٣ ج٣، ص ٣٤٩.



## ١١- الحروف التفسيرية:

أكثر صاحب من استخدام الحروف التفسيرية في شرح الألفاظ، لا سيما (أن) و (أي)، وقد غلب استخدامها في توضيح معاني الألفاظ والتراكيب المتسمة بالحوشية والغرابية، فهو يوضح معنى لفظة الكَيْفُ "والكَيْفُ: مصدر كَيْفَ يَكْفِي: وهو أن يكون إحدى العينين زرقاء والأخرى سوداء، والجمع خوف"<sup>(١)</sup>.

وفسر معنى تركيب مات عَبَطَةٌ بوساطة (أي) "ومات عبطة أي شابا صحيحا"<sup>(٢)</sup>.

ونلاحظ أن صاحب اتكا على الحروف التفسيرية للتفريق بين الألفاظ التي يشك العامة أن فيها تماثلاً، فقد تستخدم الهَضْرُ بدل الكسر، لكن صاحب بين بوساطة (أن التفسيرية) أن بينهما اختلافاً "الهَضْرُ: أن تأخذ برأس شيء منكسره إليك من غير بينونة"<sup>(٣)</sup>.

ويغلب أن يستخدم (أي) في تفسير التراكيب<sup>(٤)</sup>.

## ١٢- الاعتماد على ما سبق ذكره.

أثناء مطالعة معجم المحيط فاجأنا صاحب في إضراجه عن شرح معاني عدد لا بأس به من التراكيب والألفاظ؛ لأنه قد سبق وأن شرحها في تقاليد متقدمة؛ وهذا النهج يضطر القارئ إلى أن يرجع لقراءة تلك التقاليد المتقدمة على التقلب المحتوي ألفاظ وتراكيب لم يشرحها.

فهو يقول في تقليب عَنَتَ<sup>(٥)</sup> "العَانِتُ من النساء كالعانس" وهذا القول يضطر القارئ الرجوع إلى تقليب عنس<sup>(٦)</sup> ليعرف ما معنى العانت الذي قال فيه "وَعَنَسَتِ المرأة عنوساً، وَعَنَسَتْ أيضاً صار نصفاً ولم تنزوج بعد".

(١) المحيط ج٤، ص ٤٢٣.

(٢) م.ن ج١، ص ٤١٠.

(٣) م.ن ج٣، ص ٤٠٦.

(٤) م.ن ج١، ص ٤٠٦.

(٥) م.ن ج١، ص ٤٤٤.

(٦) م.ن ج١، ص ٣٦٨.

ويقول في تغليب ظعن<sup>(١)</sup> الظعان، النسع، ولمعرفة الظعان والتسع معا نرجع إلى تغليب نسع المتقدم على ظعن الذي قال فيه: "النسع: سير يُضفر وتُشدّ به الرحال"<sup>(٢)</sup>.

وشرح معنى تركيب تفرقوا ذعارير بمعنى شعارير<sup>(٣)</sup>، وتغليب شعر متقدم على تغليب ذعر، ولما عدنا إلى شعارير وجدنا أن معناها، متفرقين من قولهم "ذهبوا شعارير: أي متفرقين"<sup>(٤)</sup>. ونظائر هذا النهج ليست بالقليلة في المحيط.

### ١٣ - الاعتماد على ما سيأتي ذكره.

أحال صاحب الباحث لمعرفة معنى الألفاظ والتراكيب إلى تغليب لم يأت عليها ولم يشرحها بعد. فهو يقول في تغليب نسع<sup>(٥)</sup> "النشوع: الوجور ونشعث الصبي نشوعاً وأنشعته" وهذا الأسلوب يحتم على الباحث الانتقال إلى تغليب وجر ليبين معنى الوجور التي لها علاقة بالطفل "الوجر: أن يؤجر ماء أو دواء في حلق الصبي. وهو الوجور والوجور"<sup>(٦)</sup>.

وفي أن معنى لمق الطريق؛ لقمها<sup>(٧)</sup> وعندما طالعنا تغليب لقم وجدنا أنها تدل على "لقم الطريق: مستقيمة ومنفرجة"<sup>(٨)</sup>، وشرح معنى تركيب: عاصت الإبل عياصاً "وعاصت الإبل عياصاً. واعتاصت: حالت" وهي عوص وعيص أيضاً، يُحمل على العيط<sup>(٩)</sup>، نلاحظ أن صاحب في شرحه أحال على تغليبين، تغليب عيط<sup>(١٠)</sup>، وتغليب حال<sup>(١١)</sup>، ووضح أن معنى اعتياط الناقة عدم حملها لعدة سنوات من غير عفر، وكرر المعنى ذاته في تغليب حول. ونظائر هذه الطريقة غير قليلة في المحيط.

### ١٤ - المشهور والمعروف.

للأدب والمعاملات أثر واضح في شيوع معاني ألفاظ كثيرة، فاستوتت العامة والخاصة في فهم معانيها وتداولها، ولما رأى صاحب هذه الحقيقة ظاهرة للعيان لم يشرح معنى ألفاظ عديدة في المحيط معتمداً على شهرتها وتداولها بين الناس، وقد سار في إضرابه عن شرح تلك الألفاظ الشائعة في طريقين: أولهما: أنه لا يشرح معاني الألفاظ المعروفة باللفظ الصريح، وإنما يتركها بلا توضيح مكثفياً بإيرادها ضمن تركيب لغوي، ومشيراً إلى تصرّفها وجمعها.

(١) المحيط ج ١، ص ٤٥٥.

(٢) م. ن ج ١، ص ٣٦٧.

(٣) م. ن ج ١، ص ٤٦٢.

(٤) م. ن ج ١، ص ٢٨٣.

(٥) م. ن ج ١، ص ٢٨٩.

(٦) م. ن ج ٧، ص ١٧٣.

(٧) م. ن ج ٥، ص ٤٣٨.

(٨) م. ن ج ٥، ص ٤٣٨.

(٩) م. ن ج ٢، ص ١٠٩.

(١٠) م. ن ج ٢، ص ١٢١.

(١١) م. ن ج ٣، ص ٢١٠.

فلم يذكر أن معنى العزوبة<sup>(١)</sup>، عدم الزواج أو التأخر فيه وإنما قال "رجل عَزَبَ وامرأة عَزَبَ وعَزْبَةٌ أيضاً وقد عَزَبَ عَزُوبَةً".

ولم يبين أن النخل شجر طويل ذو أنواع مختلفة ويكثر في الصحراء وإنما اكتفى بالإشارة إلى جمعها نَخْلًا ونَخِيلًا ونَخْلَانًا<sup>(٢)</sup>.

ولم يشر إلى أن معنى النخافة<sup>(٣)</sup> نقيض السمنة أو أنها فوق الهزال وإنما ذكر فعلها ومصدرها والصفة المشبهة منها "تَحَفَّ الرجل نخافة فهو نَحِيفٌ".

تناول لفظة البخل ولم يقل إن معناها الإمساك الشديد أو أنها ضد الكرم، بل اكتفى بالإشارة إلى أن فيها لغتين، البُخْلُ والبَخْلُ: لغتان<sup>(٤)</sup>.

ثانيهما: ألفاظ لم يشرح دلالتها وإنما اكتفى بإردافها بعبارة (معروف)

فهو يقول: القُبْحُ معروف<sup>(٥)</sup>، والضَّحْكُ معروف<sup>(٦)</sup>، والخَشْبُ معروف<sup>(٧)</sup>، والكَرْزُقُ معروف<sup>(٨)</sup>، والشَيْبُ معروف<sup>(٩)</sup>.

وهذا غِيْضٌ من قِيْضٍ لأن مواضع الألفاظ التي أشار إلى أن معانيها معروفة كثيرة في المحيط.

#### ١٥ - المعرب.

فسر صاحب معاني ألفاظ محدودة بوساطة المعرب ولا أعلم لماذا اتكأ صاحب على المعرب في تبيان دلالة الألفاظ؟ لا سيما أن معظم دلالة تلك الألفاظ غير معروفة!

انقسمت الألفاظ المعربة التي اعتمد عليها إلى قسمين:

أولهما: أن لمعاني تلك الألفاظ المعربة صورة معنوية في أذهاننا وإن لم تكن واضحة تماما مثل: الفَيْحَةُ<sup>(١٠)</sup>؛ السُّكَّرُجَةُ "لأنها تفيخ كما تفيخ العجينة"، وتفسير كلمة كَيْع<sup>(١١)</sup> بكلمة كَيْحٍ الأعجمية، وأن معنى الزَّرْنِيْقِ<sup>(١٢)</sup>، الزَّرْنِيْحِ بالفارسية.

(١) المحيط ج ١، ص ٣٩٣.

(٢) م.ن ج ٤، ص ٣٤٤.

(٣) م.ن ج ٣، ص ١٢٤.

(٤) م.ن ج ٤، ص ٣٥٣.

(٥) م.ن ج ٢، ص ٣٦٤.

(٦) م.ن ج ٢، ص ٣٧١.

(٧) م.ن ج ٤، ص ٢٢٧.

(٨) م.ن ج ٥، ص ٣٠٣.

(٩) م.ن ج ٧، ص ٣٩٣.

(١٠) م.ن ج ٤، ص ٤٢١.

(١١) م.ن ج ٢، ص ١٨٨.

(١٢) م.ن ج ٦، ص ٩١.

ثانيهما: أن معظم الألفاظ المعربة التي اعتمد عليها مبهمة الدلالة فهو يقول: إن معنى الهَيْضَة؛ البَجْدَقُ<sup>(١)</sup>، وأن معنى الأَرْطَاة؛ سَنَجْدُ<sup>(٢)</sup>، ومعنى الحَاطُوم؛ جَوَارِشَسْن<sup>(٣)</sup>، والقَدْفُدُ؛ الشِيرَازُ<sup>(٤)</sup>.

قلت إن الألفاظ المعربة التي اعتمد عليها صاحب في شرح دلالة الألفاظ العربية قليلة بل محدودة، ولكنني لا أعلم ما المسوغ الذي دعا صاحب إلى الاعتماد عليها في شرح معاني مواده؟ فهل لهذا دلالة؟ فهل من المحتمل أن تكون الألفاظ الأعجمية قد طغت على الألفاظ العربية وحلت محلها في الأدب والتداول بين العامة والخاصة! قد يكون هذا الأمر ليس ببعيد على أمة تشاحت عليها أمم نوو السنة وطباع مختلفة ولكنني لا أعرف المسوغ يقينا.

### مأخذ على منهج صاحب في شرح الدلالة:-

مع أن معظم دلالات ألفاظ المحيط واضحة وأن صاحب سلك طرقا مثلى في تبيان معاني الكلم. غير أن ذلك لم يمنع من وقوع صاحب في عثرات منهجية تجعلنا نسدد عليه مأخذ محدودة:

أ- إنه اتكا على العموم في توضيح معاني الألفاظ، ويغلب نهجه هذا في تحديد الأماكن والتضاريس.

فهو يقول إن السَّلَع، موضع<sup>(٥)</sup> ونَاعِطُ؛ اسم جبل<sup>(٦)</sup>.

ب- شرح بعض معاني الألفاظ بألفاظ حوشية وغريبة من العسير فهمها فمنها شرح معنى الكَسَاح؛ بالظَّلَاع<sup>(٧)</sup> وأن معنى كَلْبُوث؛ قَدَم<sup>(٨)</sup>، ومعنى الشَّفَارِقُ؛ الشَّفَارِج<sup>(٩)</sup> والجَرْم؛ نَقِيض الصَّرْد<sup>(١٠)</sup>.

ج- عدم شرح صاحب لألفاظ غير قليلة وإرداف بعضها بلفظة معروفة قد تكون دلالة تلك الألفاظ معروفة لدى العامة والخاصة في عصره وما زال معنى معظمها معروفا لدينا، غير أن هذا النهج لا ينسجم وعجلة الزمن التي تتحرك للأمام دائما،

(١) المحيط ج ٤، ص ٣٠.

(٢) م ن ج ٩، ص ٢٠٨.

(٣) م ن ج ٣، ص ٣٠.

(٤) م ن ج ٩، ص ٢٦٥.

(٥) م ن ج ١، ص ٣٦٥.

(٦) م ن ج ١، ص ٤٠٧.

(٧) م ن ج ٢، ص ٣٧٤.

(٨) م ن ج ٤، ص ١٣٩.

(٩) م ن ج ٥، ص ٧٦.

(١٠) م ن ج ٧، ص ٩٩.

وأن المعروف قد يصبح مغموراً لتبادل المواقع بين الأهم والمهم، فمن المؤكد أن يشرح صاحب معاني الألفاظ جميعها لأن وظيفة المعجم هي إزالة اللبس وتبيان معاني الألفاظ والتراكيب جميعها سواء كانت مشهورة أم مغمورة، حاضرة أم غابرة لأن المشهور قد يصبح مغموراً، والحاضر قد يصبح غابراً، فالصاحب يقول إن معنى الرزة من الحديد معروفة<sup>(١)</sup>. ولا أظن أن دلالة اللفظة في زماننا هي الدلالة نفسها في زمن صاحب، ويقول إن الطنفسة<sup>(٢)</sup> معروفة ولا أظن أن أحدا منا يعرف ما هي الطنفسة.

د- اعتماده على المعرب في تبيان دلالة الألفاظ العربية غير أن معظمها مبهمة الدلالة وقد أشير إلى ذلك آنفاً.

هـ- يوضح صاحب معاني ألفاظ وتراكيب في تقليب ما باستخدام البنى الصرفية للتقليب نفسه، وطريقته هذه تؤدي إلى اللبس والغموض، وأمثلة هذا الأسلوب كثيرة في المحيط، فمنها شرحه لتقليب حرك "حرك الشيء يحرك حركاً وحركةً، وتحرك مثله، وما به جراك"<sup>(٣)</sup> وتفسير معنى حجم "والحجم: فعل الحاجم والحجام"<sup>(٤)</sup> وتبين معنى رغب "رغب فلان رغبة ورغب فهو رغب، ويقال اللهم إليك الرغب، والرغبة: ما يرغب فيه والتجمع: الرغائب"<sup>(٥)</sup>.

و- يورد ألفاظاً مشتقة من التقليب المتناول في سياق جملة دون أن يشرح معناها فهو يقول في مادة حجل "حجلة العروس دون أن يبين معنى حجلة في هذا التركيب، وإنما يكفي بذكر جمعها "وحجلة العروس؟ جمعها: وحجال وحجل" وذكر في مادة سحج<sup>(٦)</sup> قولاً عن العرب دون أن يبين دلالة سحج فيه "وبنوا بيوتهم على سحج واحد" وينقل في مادة رثد<sup>(٨)</sup> عبارة متداولة بين العرب إلا أنه لم يبين معنى مُرْتَثِدًا في تلك العبارة "وتركت فلانا مرتثداً".

ز- يحيل صاحب معنى بعض الألفاظ التقاليد وتراكيبها إلى تقاليد قبلها على الرغم من أنه لم يكن قد شرح معنى الألفاظ والتراكيب المشابهة لها في التقاليد السابقة. فهو يقول في تقليب تعب<sup>(٩)</sup> "وأتعب العظم المَجْبُور مثل أعنت" ولكننا حينما عدنا إلى تقليب عنت<sup>(١٠)</sup> لم نعثر فيه على تفسير عنت العظم وإنما وجدنا "وعنيت العظم المَجْبُور وأعنته كذا" وأحال في أحد تراكيب تقليب وعى<sup>(١١)</sup> إلى تقليب وعب<sup>(١٢)</sup>.

(١) المحيط ج ٩، ص ١٠.

(٢) م ن ج ٨، ص ٤٢٧.

(٣) م ن ج ٢، ص ٣٧٧.

(٤) م ن ج ٢، ص ٤١٦.

(٥) م ن ج ٥، ص ٧٥.

(٦) م ن ج ٢، ص ٤٠٣.

(٧) م ن ج ٢، ص ٣٩٣.

(٨) م ن ج ٩، ص ٢٨١.

(٩) م ن ج ١، ص ٤٤٧.

(١٠) م ن ج ١، ص ٤٤٣.

(١١) م ن ج ٢، ص ١٨٥.

(١٢) م ن ج ٢، ص ١٧٦.

"أَوْعَيْتَ جَدَعَ أَنْفَهُ بِمَعْنَى أَوْعَيْتَ"، غير أنه لم يورد تركيباً أو معنى يماثل أو يشابه معنى تركيب أَوْعَيْتَ، جَدَعَ أَنْفَهُ فِي تَقْلِيْبِ وَعَيْبَ.

وبحليل الصاحب معنى التراكيب في تَقْلِيْبِ مَا إِلَى تَقَالِيْبِ لَمْ يَشْرَحْ دَلَالَةَ أَلْفَاظِهَا وَتَرَاكِيْبِهَا بَعْدَ، فَمَعْ أَنَّهُ يَبِيْنُ دَلَالَةَ الْفِعْلِ جَدَعَ جَدَّاً يَجْتُو فِي تَقْلِيْبِ جَدَّاً<sup>(١)</sup>، إِلَّا أَنَّهُ أَحَالَ إِلَيْهِ مَعْنَى الْفِعْلِ جَدَّاً - يَجْدُو<sup>(٢)</sup> "جَدَّاً يَجْدُو مِثْلَ جَدَّاً يَجْتُو، فَهُوَ جَدَّاً".

ح- أخطاء تاريخية:

وقع الصاحب في خطاين تاريخيين: أحدهما، قوله إن المقوقس عظيم الهند<sup>(٣)</sup>. ونحن نعلم أن المقوقس عظيم القبط في مصر قبل دخول مصر الإسلام. ثانيهما: قوله: إن أفلديس: كتاب<sup>(٤)</sup> والكل يعلم أن أفلديس من أشهر علماء اليونان، عدا أنه أخطأ في كتابة اسمه فقد كتبها (أفلديس) ولم يكتب أوقلديس وهذا عائد إلى أخطاء النساخ غالباً.

ط- التصحيف.

مع أن الصاحب لجأ إلى وصف كتابة عدد لا بأس به من الألفاظ، ووضّح وزن ألفاظ غير قليلة بالانكفاء على الميزان الصرفي وعلى وزن أسماء مشهورة إلا أنه لم يأمن الوقوع في مصيدة التصحيف التي لم ينبج منها أحد وإن كان الصاحب قد هدف إلى التخلص منها في سلوك تلك الوسائل التي أشرنا إليها عندما تناولنا المستوى المعجمي في المحيط فذكر الصاحب في تَقْلِيْبِ حَبْلٍ<sup>(٥)</sup> (أو الحَبْلُ) وفي قول أبي ذؤيب: تبادر أولى السابقات إلى الحبل.. حبل عرفة" ومن المؤكد أن كلمة حبل وقع فيها تصحيف لأن المعلوم لدى العامة والخاصة جبل عرفة وليس حبل عرفة.

وبين الصاحب في تَقْلِيْبِ فَصَحَ<sup>(٦)</sup> أن العرب تقول فصح اللين ولا يقال أفصح لكن الصحيح المتفق عليه عند العلماء فَصَحَ اللَّيْنُ بِالضَّمِّ فَمَنْ الْمَرْجَحُ إِذْنُ أَنَّهُ وَقَعَ تَصْحِيفٌ فِي الْفِعْلِ فَصَحَ، وَذَكَرَ فِي مَادَّةِ هَمَرَ أَنَّ مَعْنَى الْهَمَارِ<sup>(٧)</sup> النَّمَامُ، فَلَا يَدُّ أَنْ يَكُونَ قَدْ وَقَعَ فِي كَلِمَةِ هَمَارٍ تَصْحِيفٌ لِأَنَّ النَّمَامَ هُوَ الْهَمَارُ.

نبه المحقق في حواش عديدة على وقوع التصحيف في المخطوطات التي اعتمد عليها في تحقيق المحيط لكنه صحح تلك الألفاظ المصحقة بالانكفاء على المعاجم المشهورة أمثال: معجم العين والتهذيب والمحكم واللسان والقاموس والتاج.

ففي متن تَقْلِيْبِ حَسَبَ وَرَدَ تَرْكِيْبُ تَحَسَّبْتَ الْخَيْرَ<sup>(٨)</sup>، وَلَكِنْ الْمَحْقُقُ ذَكَرَ فِي الْحَاشِيَةِ السَّابِعَةِ وَالثَّمَانِيْنَ أَنَّ نَسْجَ التَّرْكِيبِ كَانَتْ فِي أَصُولِ الْمَحِيْطِ أَوْ مَخْطُوْطَاتِهِ تَحَسَّبْتَ الْخَيْرَ.

(١) المحيط ج ٧، ص ١٦٨.

(٢) م.ن ج ٧، ص ١٦٤.

(٣) م.ن ج ٥، ص ١٩١.

(٤) م.ن ج ٦، ص ٨٥.

(٥) م.ن ج ٢، ص ١١٠.

(٦) م.ن ج ٢، ص ٤٦٣.

(٧) م.ن ج ٢، ص ٤٨٦.

(٨) م.ن ج ٢، ص ٤٩٤.

وذكر في المتن مفازة **فِيَهَق** <sup>(١)</sup> لكن المحقق أشار إلى أن **فِيَهَق** كانت في المخطوطات **الفهيق** <sup>(٢)</sup>.

وقرأنا في متن مادة **هَزَج** <sup>(٣)</sup> "الهَزَجُ: صوت مطرب" أما المحقق فذكر أنها كانت في المخطوطات، صوت **مَطْرَد** <sup>(٤)</sup>.

(١) المحيط ج٣، ص ٣٤٧.  
 (٢) م٠ن ج٣، ص ٣٤٧ حاشية المحقق رقم (٤٩).  
 (٣) م٠ن ج٣، ص ٣٦٨.  
 (٤) م٠ن ج٣، ص ٣٦٨، حاشية المحقق رقم (١٦).

الفصل الثاني: تأثر الصاحب بن عباد بمن سبقه من المعجميين،  
وأثره في من تلاه منهم.

ينقسم هذا الفصل إلى قسمين رئيسيين:

أولهما: تأثر الصاحب بمن سبقه من المعجميين، وأثره في من تلاه منهم.  
ثانيهما: سمات منهج الصاحب في المحيط.



## تأثر الصاحب بمن سبقه من المعجميين:

معجم المحيط الحلقة الرابعة من مدرسة العين، ولم يسر بعده على خطى هذه المدرسة من المعجميين سوى ابن سيده الأندلسي في معجمه "المحكم والمحيط الأعظم"، ولما كان المحيط الحلقة الرابعة في مدرسة العين، فلا بد أن يكون قد تأثر بمن سبقه من روادها.

نحن نعلم أن رائد مدرسة العين هو الخليل بن أحمد الفراهيدي في معجمه العين، وتلاه في الأندلس أبو علي القالي في معجمه البارع وتبعهما الأزهرى في تهذيب اللغة.

أكدت معظم الروايات أن أبا علي القالي توفي قبل أن ينتهي من تأليف البارع، عدا أنه ألقه في الأندلس، فليس من اليسير على الصاحب أن يتسنى له الاطلاع عليه لبعده الدار، ولعدم اكتمال تأليفه، فضلاً عن أن البارع كان صورة ثانية لمعجم العين "أن البارع ما هو إلا كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي"<sup>(١)</sup>، ولذلك ساقصر القول على تأثير معجم العين ومعجم التهذيب في معجم المحيط.

### أ- معجم العين:

أكدت خطبة المحيط ومعظم مواده أن الصاحب قد اطلع على العين، وأخذ منه مادة كبيرة، إذ تبين لنا أثر العين في المحيط حينما حللنا مقدمته، وبيّنا أن الأسس التي قام عليها المحيط مماثلة للأسس التي بُني عليها العين، وأن المحيط اقتفى العين في ترتيب مواده، واتخذ من نظام التقليل وسيلة في ضبط مواد اللغة وحصرها، ولما توقفنا عند مصادر المحيط ظهر لنا أن العين كان أهم مصادره، ولا أريد أن أكرر ما قلته في الباب الأول والفصل الأول من الباب الثاني، ولكنني سأكتفي بالإشارة إلى أهم المظاهر الجلية لهذا التأثير:-

**أولها:** عرض الصاحب في خطبة كتابه للقضايا التي عرضها الخليل في كتابه جميعها، لكنّ الفارق بينهما أن الخليل فصل والصاحب أجمل.

**ثانيها:** أن الصاحب سار على منهج الخليل في ترتيب الحروف حسب مخارجها، وبدأ بما أوله عين مع أن هنالك عبارات لكليهما تفيد أنهما يعرفان أن الهمزة والهاء متقدمتان على العين مخرجاً، وعللاً لبدئهما بالعين عللاً صوتية ولغوية أشير إليها في الفصل الأول من الباب الأول.

**ثالثها:** أن الصاحب قسم كل حرف وسمّاه كتاباً ستة أبواب هي: الثنائي المضاعف، والثلاثي الصحيح، والثلاثي المعتل، واللفيف، والرباعي، والخماسي، وهو في هذا التقسيم سائر على منهج الخليل.

**رابعها:** أن الصاحب طبق نظام التقليل الذي ابتدعه الخليل في حصر المواد خير تطبيق.

**خامسها:** إشارة الصاحب الدائمة إلى إهمال الخليل لبعض التقليل مما يدل على أن المحيط احتوى على مادة العين جميعها، مضافاً إليها مواد جديدة، وكان الصاحب ينبّه على أنها مهملة عند الخليل.

(١) أبو علي القالي، البارع، مقدمة المحقق، ص ٦٤.

سادسها: اقتدى صاحب الخليل في عدم إعطائه القراءات القرآنية واختلافها أهمية بالغة، فإن الخليل لم يجعل القراءات القرآنية من مصادر كتابه الأساسية.

سابعها: ماثل صاحب الخليل في إيراد المعنى المشهور والمتفق عليه في تفسير ألفاظ أي القرآن، فقلما كانا يشيران إلى اختلاف المفسرين في ألفاظ أي القرآن.

ثامنها: شابه صاحب الخليل في عدم الاهتمام بعلم القرآن والحديث وأقسام كل منهما.

تاسعها: دأب صاحب - حاله حال الخليل - على تتبع المعاني التي تفيدها أحرف الزيادة في معظم المواد، ولم يقيدا نفسيهما بالإتيان بمجرد المعرفة به.

عاشرها: أخذ صاحب طرقا غير قليلة من وسائل الخليل في شرح الدلالة لا سيما السياق اللغوي وضدية المعنى، وإرداف اللفظة بكلمة معروف، والمقايسة.

تأثر صاحب بالخليل حقيقة واقعة لا ريب فيها، فقد استتزف معظم ما أودعه الخليل في معجمه مادةً ومنهجاً، لكن هذه الحقيقة لا تعني أن صاحب كان مقلداً ومتبعاً فقط، ولم يكن مجدداً، فالموازنة بين معجم المحيط ومعجم العين تبين أن صاحب قد خالف الخليل في ترتيب مواد كتابه، وغيابه في عرض المادة واستكناه معانيها الحقيقية والمجازية. ومظاهر التفرد غير قليلة:

أولها: ترتيبه اللفيف.

لما وجد صاحب أن في الترتيب الصوتي ونظام التقلبات صعوبة على من يريد أن يستخرج معنى لفظ لا سيما في باب اللفيف، فإنه لم يلزم نفسه نظام التقلبات، وإنما ابتكر نهجاً جديداً يقوم على جعل كل المواد التي تبدأ بفاء مغايرة للفاء الأخرى في قسم خاص بها، فقد يقسم صاحب باب اللفيف إلى أربعة أقسام، وقد يقسمه إلى ثلاثة أقسام، وقد يجعله قسماً واحداً وفق وفرة الألفاظ التي يمكن ضمها في قسم خاص بها؛ ونقصه بالقسم فاء الألفاظ، فهو يجعل للألفاظ التي تبدأ بالحرف الصحيح قسماً، ويجعل للألفاظ التي تبدأ بالواو قسماً، وللألفاظ التي تبدأ بالألف قسماً، وللألفاظ التي تبدأ بالياء يخصص لها قسماً كذلك.

فمن الحروف التي جعل باب لفيفها أربعة أقسام حرف الهاء "ما أوله الهاء، ما أوله الياء، ما أوله الألف، وما أوله الواو"<sup>(١)</sup>. والقاف "ما أوله القاف، ما أوله الواو، ما أوله الألف، ما أوله الياء"<sup>(٢)</sup>، وحرف الكاف<sup>(٣)</sup>، والجيم<sup>(٤)</sup>، والصاد<sup>(٥)</sup>.

ومن الأحرف التي جعلها في ثلاثة أقسام، حرف الحاء "ما أوله الحاء، وما أوله الواو، وما أوله الألف"<sup>(٦)</sup>، وحرف الخاء<sup>(٧)</sup>، وحرف الغين<sup>(٨)</sup>، وحرف الشين<sup>(٩)</sup>.

(١) المحيط ج٤، ص ٩١-٩٩.

(٢) م ن ج٦، ص ٦٥-٧١.

(٣) م ن ج٦، ص ٣٥٣-٣٥٦.

(٤) م ن ج٧، ص ٢١١-٢١٥.

(٥) م ن ج٨، ص ٢١٣-٢١٨.

(٦) م ن ج٣، ص ٢٣٧-٢٤٢.

(٧) م ن ج٤، ص ٤٣٥-٤٣٨.

(٨) م ن ج٥، ص ١٤٩-١٥٠.

(٩) م ن ج٧، ص ٢١٣-٢١٨.

انفرد حرف الظاء في احتوائه على قسم واحد، وهو قسم الحرف الصحيح، أي ما أوله الظاء<sup>(١)</sup>، ولم يجعل الصاحب أحد الحروف في قسمين؛ لأن معظم الألفاظ التي تحتوي على حرف أصلي تقسم وفق تقسيمه إلى أربعة أقسام أو ثلاثة أقسام.

قلنا إن المشقة التي يحدثها نظام التقلبات في ذهن الباحث، هي التي جعلت الصاحب يضرب عن إيراد التقلبات في باب الليف، ومما يؤكد هذه الرؤية أن الصاحب لم يشأ تخطي منهج الخليل، وأن الذي دعاه إلى ذلك وعورة مسلكه في باب الليف؛ أنه انتهج طريقة الخليل في باب الليف من حرف العين، والتزم نظام التقلبات فيه. فقد بدأ بالألفاظ التي فاؤها واو وعينها عين (وعى)<sup>(٢)</sup>، وبعد أن انتهى من ذكرها وشرحها جميعها انتقل إلى الألفاظ التي تكون فاؤها عينا وعينها واو (عوى)<sup>(٣)</sup>؛ ومن ثم انتقل إلى الألفاظ التي فاؤها ألف وعينها عين (اعى)<sup>(٤)</sup>، ولما انتهى منها شرع في شرح الألفاظ التي فاؤها عين وعينها ألف (عاو، عاي)<sup>(٥)</sup>، وأنهى الباب بالألفاظ التي فاؤها عين وعينها ياء (عيي)<sup>(٦)</sup> رادفا إياها بالألفاظ التي فاؤها ياء وعينها عين (يح)<sup>(٧)</sup>.

ثانياً: امتاز الصاحب بتتبع معاني ألفاظ التقلب وتراكيبه الحقيقية والمجازية وفق اقتراحاتها اللفظية وحقلها الدلالي:

تتبع الخليل معاني الألفاظ الحقيقية والمجازية وفق اقتراحاتها، لكن هذا التتبع إذا وازناه بتتبع الصاحب، فإننا نجد أن الصاحب كان أكثر تحرياً وأشد دقة في تتبع معاني اللفظة الحقيقية والمجازية وفق اقتراحاتها اللفظية، ولا تخل مادة من مواد المعجم إلا وتظهر تميزه في هذا المجال.

وليكن تقلب "ظهر"<sup>(٨)</sup> مثالا حيا يبيد الحقيقة العلمية الواقعة:-

اتفق الخليل والصاحب في معظم الألفاظ الحقيقية والمجازية ومعظم التراكيب في تقلب ظهر، لكن تتبع الصاحب لمعاني ظهر الحقيقية والمجازية كان أوسع وأظهر إذ أضاف ألفاظاً وتراكيب ذوات اقتراحات لفظية مختلفة، فقد تتبع معنى ظهر حينما ترتبط بالألفاظ مخصوصة، وتضم إلى حقول دلالية معهودة، فقال إن لفظة ظهر إذا اتصلت بلفظة رجل فإنها تعني "ورجل مظهر: شديد الظهر"، أما إذا اقترنت بلفظة الشيخ فإنها تحمل معنى مضادا لرجل مظهر "وشَيْخٌ ظهير: يشتكى ظهْرَهُ".

وإذا اقترنت ظهر بلفظة القدر فإنها تحدد صفته "وقدر ظهر ظهور: أي قديمة"، وقد تلتقي الظهر مع الأقران واقتراحهما يحمل لظهر وللأقران معنى جديداً. "وأقران الظهر والذين يجيئون من ورائك ويعينونك. وأقران الظهور أيضا".

(١) المحيط ج ١٠، ص ٥٠.

(٢) م.ن ج ٢، ص ١٨٥.

(٣) م.ن ج ٢، ص ١٨٦.

(٤) م.ن ج ٢، ص ١٨٧.

(٥) م.ن ج ٢، ص ١٨٧-١٨٨.

(٦) م.ن ج ٢، ص ١٨٧-١٨٨.

(٧) م.ن ج ٢، ص ١٨٧-١٨٨.

(٨) م.ن ج ٣، ص ٤٦٣، وقابل بالعين ج ٤، ص ٣٧.

واتصال ظهر بلفظة الصراع ينقلها من معناها المعروف إلى معنى يدل على نوع من أنواع القتال: "والظهارية من أخذ الصراع: أن تصرعه على الظهر".

وتحدد الألفاظ المقترنة بظهر معنى ظهيرة، فإنها قد تقترن بالمتاع والبيت، والرجل والشيء والناس: "ويقال لمتاع البيت: ظهيرة وأهرة. وقيل: هي مؤخر البيت الذي يكون عليه الأتصاد. وكذلك هيئة الرجل، وخيار الشيء وكثرته، وكذلك: الظهر من الناس خيارهم".

التأمل في الاقتربات اللفظية التي كانت مباني ظهر المختلفة قسيمها الرئيس، يمكن أن توضع في غير حقل دلالي، وسأورد الحقول الدلالية التي تضم لها مرتبة وفق ترتيب ذكرها السالف:-

حقل مراتب القوة، وحقل أنواع الداء، وحقل أدوات الطهي، وحقل درجات الصداقة، وحقل مراتب القتال وأنواعه، وحقل متاع البيت، وحقل أقسام البيت، وحقل هينات الرجال وأجسامهم، وحقل الكثرة، وحقل خيار الناس وساداتهم.

ولم يكتفِ صاحب بإيراد الألفاظ المقترنة بالألفاظ الأخرى مفردة لتكون صفة لها، وإنما تعداها إلى تتبع معاني ظهر المجازية حينما تسبك في تركيب خاص، ولكل من تلك التراكيب حقلها الدلالي الخاص بها، فهناك تراكيب توضع في الحقل الدلالي الدال على الزمن "وأنا بين الظهرايين: أي منذ شهر أو نحوه، ولقيته بين الظهرانيين: أي في اليومين وأنا ظاهرا: أي كل يوم".

وتراكيب تضم إلى الحقل الدلالي الدال على الترك وأنواعه: "وأظهرت الشيء: جعلته وراء ظهري، وظهرت به وأظهرت به: بمعنى".

وخصص للحقل الدال على أنواع الشرب وأوقاته تركيبا "وشرب الفرس ظاهرا: أي كل يوم نصف النهار، وكذلك الإبل".

وللحقل الدال على مراتب القرابة تركيبا "هو ابن عمه ظهرا: أي دنيا".

وللحقل الدال على مراتب العطاء تركيبا "وأصبت من فلان مطر ظهرا: أي خيرا كثيرا".

وضم للحقل الدلالي الدال على أنواع السيل تركيبا "سال الوادي ظهرا: أي من قرب".

وضم إلى أضرب السرقة تركيبا "ولص عادي ظهر: أي عدا في ظهر فسرقه".

ولم يقصر صاحب اهتمامه على ألفاظ الحاضرة وتراكيبها، وإنما استقصى الألفاظ البدوية وتراكيبها، فقال: إن معنى الظهيرة؛ السلحفاة، وأنهم يقولون: "ذلك على ظهر العسن: أي أنه ظاهر واضح كقولهم: على رأس الثمام".

وتتبع تأويل الشعراء واستعمالاتهم المغايرة لبنى التقليل المختلفة، ولا يعني انفراد شاعر بمعنى التركيب وسبكه مصفوح عن ذكره لندرته فهو يقول:

"ويقولون: ظهر عنه العار: أي زال وذهب وعلى ذا فسر:

وتلك شكاة ظهرك عارها.....".

فأرجو أن أكون مصيبة في رؤيتي؛ أنّ الصاحب كان متفرداً ومتميزاً في استقصائه معاني ألفاظ التقليل وتراكيبه الحقيقية والمجازية وفق اقتراناتها اللفظية وحقلها الدلالي المضمومة إليه.

**ثالثها:** إنّ الصاحب لم يُعطِ بحوث النحو وقضاياها الاهتمام الذي أعطاه له الخليل، إذ لم يتوقف عند أجناس الكلام ولم يعرّفها كما فعل الخليل الذي عرّف الفعل<sup>(١)</sup> والحرف<sup>(٢)</sup> والاسم إذ قال فيه:

"الاسم: أصل تأسيسه: السُّمُو، وألف الاسم زائدة ونقصانه الواو، فإذا صغرت قلت سُمِّيَ وسميت وأسميت وتسميت بكذا"<sup>(٣)</sup>.

أما الصاحب فلم يتوقف عند تعريف أجناس الكلام وتبيان حدّها، وإنّ شابه الخليل في توضيح معنى الاسم وإظهار الحرف المحذوف منه بوساطة التصغير والتصريف. "والاسم: علامة للشيء يُعرف به، وأصل تأسيسه: سموة، وسميت وأسميت، وتسمي بكذا، وتصغيره سُمِّيَ. ويقال - أيضاً - سَمَّ وسمِّ وسمُّ واسم"<sup>(٤)</sup>.

دأب الخليل على ذكر حروف المعاني ودلالاتها وعملها في الأسماء التي تليها، فقد ذكر أنّ (عَسَى) فعل ناقص وجامد ونقيد الترجي مثل (لَعَلَّ)<sup>(٥)</sup>، وأنّ الفعل المضارع والأمر واسم الفاعل منها قد أميتت. وبين أنّ حبذا مأخوذة من حَبَّ وذاء، وإذا اتصلتا وأصبحنا حرفاً واحداً رفع الاسم الذي يليها مثل: حبذا زيد<sup>(٦)</sup>.

ونبه على أنّ خَلَا<sup>(٧)</sup> تأتي فعلاً وحرف جر إذا لم تسبق بما، أمّا إن سبقتها (ما) فإنها فعل لا غير، وقد تأتي بمعنى (إلا).

أما الصاحب فلم يشغل نفسه في عمل حروف المعاني في الأسماء التي تليها عدا (خلا)<sup>(٨)</sup> التي نبه على أنها تأتي فعلاً، وتأتي حرف جر، وتستعمل استعمال (إلا)، ولكنه لم يذكر أنها إذا سبقت (بما) تكون فعلاً لا غير.

وقد كان اهتمام الصاحب منصباً على تبيان دلالة الحروف "عَسَى: كالظن، تصلح للشك واليقين، ويقال: عسي - بالكسر - أيضاً. ويقال: أعس أن يفعل، وبالعسي، كما يقال: أجر وبالحرى"<sup>(٩)</sup>.

وتبيان الأصلين اللذين سبكت منهما "وحبذا هو: حَبَّ ضمّ إليه ذا"<sup>(١٠)</sup>.

(١) العين ج ٢، ص ١٤٥.

(٢) م.ن ج ٣، ص ٢١١.

(٣) م.ن ج ٧، ص ٣١٨.

(٤) المحيط ج ٨، ص ٤٠٧.

(٥) العين ج ٢، ص ٢٠٠ - ٢٠١.

(٦) م.ن ج ٣، ص ٣٢.

(٧) م.ن ج ٤، ص ٣٠٨.

(٨) المحيط ج ٤، ص ٤١٦.

(٩) م.ن ج ٢، ص ١١١ - ١١٢.

(١٠) م.ن ج ٢، ص ٣٢٢.

أفاض الخليل في عرض المادة النحوية واسترسل في تبيان قضاياها وأوجهها، حتى أنه في مواضع غير قليلة يخرج المادة المعجمية عن مسارها ويحيلها إلى قضايا نحوية خالصة، من ذلك مناقشته لمعنى (إذا) وقضاياها المختلفة من كتابة ووقف واتصال، ومتى يكون الكلام المتصل بها صلة، ومتى يكون خبراً، وتحديد الألفاظ السبعة التي تتصل بها لتدل على الزمن<sup>(١)</sup>.

وإطنابه في عرض المادة النحوية يظهر جلياً في مناقشته لمعاني وأعمال حروف كثيرة منها: (ما)<sup>(٢)</sup>، و(لا)<sup>(٣)</sup>، و(إلا)<sup>(٤)</sup>.

لكن صاحب لم يفض في عرض المادة النحوية، ولم يتعرض لقضاياها المختلفة، وإنما كان يقصر القول على معاني الحروف ومواقع استعمالها مجملة، فإن (إذا) التي أطنب الخليل في شرحها ومتعلقاتها لم يذكر صاحب في شأنها غير أنها تستبدل المواقع في الاستعمالات مع (إذ)، وبيّن رسمها الكتابي حينما تتصل وحينما يوقف عليها<sup>(٥)</sup>.

وعندما تناول (ما) ذكر أنها تأتي للنفي والشرط ولغير العاقل "وما: حرف يكون جوداً وجزاءً، واسماً يجري في غير الأدميين"<sup>(٦)</sup>.

عنى الخليل بالتعليقات النحوية عناية بالغة، وليس هذا بغريب على من ترعرع في البصرة ونهل من معين مناطقتها وفلاسفتها، فقد آذاه عقله بتأثير ثقافته المنطقية التي لقفها منذ نعومة أظفاره إلى استنتاج العلل النحوية التي جوزت استعمال (ذا) وأنكرت استعمال (ذاك)، وهذا يظهر جلياً في مواضع كثيرة في العين لا سيما توقفه عندما أنكر اتصال (الآن)<sup>(٧)</sup> ب (إذا) مستنبطاً لهذا المنع عللاً ليست بالقليلة.

ولفظة عِرْقَاتِهِمْ<sup>(٨)</sup>، وذات صباح وذات يوم<sup>(٩)</sup>، وإدغام فعل الأمر من (أن) عندما تؤمر به أنثى.

أما صاحب فلم يعن بالتعليقات النحوية ولم يجهد نفسه في استنتاجها أو نقلها عمّن سواه من النحويين وعلماء الكلام، إذ إنه لم يتناول قضية اتصال (الآن) بـ (إذا)، ولم يبين إدغام فعل الأمر للمؤنث من الفعل (أن)، ولم يعلل جواز استخدام ذا صباح وذات صباح، وإنما نبّه على جواز تأنيث (ذات) وتذكيرها (ذا) إذا اتصلت بكلمة صباح في الاستعمال، فقال: "ولقيته ذا صباح وذات صباح"<sup>(١٠)</sup>.

(١) العين ج ٨، ص ٢٠٤ - ٢٠٥.

(٢) م-ن ج ٨، ص ٤٣٤.

(٣) م-ن ج ٨، ص ٣٤٩ - ٣٥٠.

(٤) م-ن ج ٨، ص ٣٢٥ - ٣٥٢.

(٥) المحيط ج ١٠، ص ١١٩.

(٦) م-ن ج ١٠، ص ٤٥٥.

(٧) العين ج ٨، ص ٢٠٥ - ٢٠٦.

(٨) م-ن ج ١، ص ١٥٢.

(٩) م-ن ج ٨، ص ٢٠٨.

(١٠) المحيط ج ١٠، ص ١١٦.

الموضع الوحيد الذي أدلى صاحب بدلوه فيه، وأعطى رأيا نحويا مغايرا للعلماء سبقوه؛ هو قضية نصب عرفاتهم<sup>(١)</sup>، فهو يرى أن كلمة عرفاتهم يجب أن تكون علامة نصبها الكسرة وليست الفتحة؛ لأنّ التاء فيها زائدة.

لم يزوج صاحب نفسه في القضايا الصرفية المتفرعة عن تناول أحد التقاليد، فعندما ناقش الخليل معنى كلمة الحق<sup>(٢)</sup> تطرق إلى البنية الصرفية فاعيل حينما تدل على معنى مفعول، وبنية مفعول حينما يقصد بها بنية فاعيل "حقّ الشيء يحقّ حقا أي وجب وجوبا، وتقول: يحقّ عليك أن تفعل كذا، وأنت حقيقّ على أن تفعله، وحقيقّ فاعيل في موضع مفعول، وقول الله عز وجل: "حقيق على أن لا أقول" معناه محقوق. كما تقول: واجب وكلّ مفعول ردّ إلى فاعيل فمذكره ومؤنثه بغير الهاء، وتقول للمرأة، أنت حقيقة لذلك، وأنت محقوقة".

أما صاحب فأقصر القول على مناقشة بنية فاعيل التي تأتي بمعنى مفعول بقوله: "حقّ الشيء: وجب: يحقّ وتحقّ، وهو حقيقّ ومحقوق"<sup>(٣)</sup>.

رابعها: سار صاحب على خطى الخليل ونقل معظم مادة كتابه، لكنه لم ينقل مادة العين كما هي دون تحوير أو تغيير، فقد حورّر معظم مواد الخليل ووضعها في بوتقة مغايرة للعين، وخصوصيته الأسلوبية تظهر في اجتزائه مادة الخليل وصوغها صياغة مغايرة، واجتزاء صاحب أمارات غير قليلة منها:

أ- إجمال أقوال الخليل وشرحه لمعاني الألفاظ والتراكيب.

دأب صاحب على اختزال شرح الخليل للمعنى، وإجمالها في ألفاظ محدودة غير مخلّة بدقّة اللفظ والتراكيب وتبيان معانيها.

قال الخليل في مادة عدل "العدل: المرضي من الناس قوله وحكمه"<sup>(٤)</sup> أما صاحب فأجمل معناها بقوله: "العدل: أي مرضي"<sup>(٥)</sup>.

ب- عهدنا في أسلوب صاحب عدم تكرار اللفظة التي تحتوي على أكثر من معنى، وإنما يجتزئ ذلك بواو العطف، أما الخليل فيغلب عليه أن يكرر اللفظة عند إيراد كلى معنى من معانيها.

بيّن الخليل معاني لفظة القرن - وهي من ألفاظ المشترك اللفظي - وقد كررها سبع مرات، وكان تكرارها مماثلا لعدد معانيها التي ذكرها متتالية وليست منفصلة، فقال: "قرن النور معروف، وموضعه من رأس الإنسان قرن أيضا، ولكلّ رأس قرنان، والقرن في

(١) المحيط ج١، ص ١٦٣.

(٢) العين ج٣، ص ٦.

(٣) المحيط ج٢، ص ٢٨٦.

(٤) العين ج٢، ص ٣٨.

(٥) المحيط ج٢، ص ٢٨٦.

السَّن: اللدة، والقرن، الأمة، وقرن بعد قرن، ويقال: عمر كل قرن سِتُونَ سنة، والقرن: عقلة الشاة والبقرة، وهو شيء تراه قد خرج من شعرها. والقرن: جبل صغير منفرد<sup>(١)</sup>.

أما صاحب فإنه لم يذكرها سوى مرة واحدة في بداية التقلب. على الرغم من أنه زاد على المعاني التي ذكرها الخليل للفظ (القرن) إلا أنه لم يكررها، بل اكتفى بوضع واو العطف بوصفها فاصلاً بين تلك المعاني المتتالية التي أوردتها للفظ قرن حين قال: "القرن: قرن الثور، والمثل في السن، واللدة؛ وأمة من الناس؛ قرن بعد قرن، والجميع القرون، وعقلة الشاة والبقرة وهو ما يخرج من ثقلها. وجبل صغير منفرد، وطلق من جري الخيل، ومصدر قولك: قرنت الشيء أقرنه قرناً: إذا شدته إلى شيء وقرنته إليه، وحرف رابية مشرفة على وهدة صغيرة. وحد ظبة السيف والسنان ونحوه. ودفعة من العرق، عصرنا الفرس قرناً أو قرنين، وجمعه قرون<sup>(٢)</sup>. ويظهر هذا النهج في ألفاظ كثيرة منها الحرف<sup>(٣)</sup> والخال<sup>(٤)</sup>.

ج- اعتمد صاحب على كلمة "معروف" للدلالة على المعنى.

أغفل صاحب عبارات الخليل التي اتكا عليها في تبيان الألفاظ والتراكيب، واستبدل بها صاحب كلمة "معروف" ولا سيما الألفاظ والتراكيب التي شاعت معانيها واستخدامها على الألسن، إذ شرح الخليل معنى الكرم "الكرم: شرف الرجل، رجل كريم وقوم كرم وكرام، نحو أديم وأدم، وعمود وعمد<sup>(٥)</sup>".

أما صاحب فقد اجتزأ قوله بوساطة كلمة معروف فقال: "الكرم: معروف، كريم وكرام وكرم. ورجل كرام، وكرام - مخفف<sup>(٦)</sup>".

ولا يعني هذا القول أن الخليل لم يتكى على كلمة معروف في شرح معاني الألفاظ الشائعة والمتداولة في زمانه، غير أن اتكاء صاحب عليها كان أظهر وأكثر.

#### خامسها: الشواهد.

عهدنا في معاجمنا العربية الإتيان بالشواهد المختلفة لتبيان معاني الألفاظ وصحتها مائل صاحب الخليل في ذلك، غير أنه لم ينقل شواهد الخليل ولم يودعها محيطه، وإنما كان تعامله معها يتجلى في أمور أهمها:

١- اجتزأ صاحب معظم شواهد الخليل على اختلاف أنواعها.

إذ اجتزأ عددا لا بأس به من الآيات القرآنية التي استشهد بها الخليل، وإن غلب عليه الاجتزاء الطفيف فيها، استشهد الخليل بمادة هَجَرَ بالآية القرآنية "إن قومي اتخذوا

(١) العين ج ٥، ص ١٤٠ - ١٤١.

(٢) المحيط ج ٥، ص ٣٨٧.

(٣) العين ج ٣، ص ٢١٠.

(٤) م ن ج ٤، ص ٣٠٤.

(٥) م ن ج ٥، ص ٣٦٨.

(٦) المحيط ج ٦، ص ٢٦١.



هذا القرآن مَهْجُوراً<sup>(١)</sup>، واستشهد صاحب الآلية نفسها إلا أنه لم يورد قوله تعالى "إن قومي" وإنما ذكر: "اتخذوا هذا القرآن مهجوراً"<sup>(٢)</sup>.

واجتزأ صاحب الأحاديث النبوية أيضاً؛ قال الخليل في مادة قَرَنَ: "لا قِرَان ولا تفتيش في أكل التمر"<sup>(٣)</sup>، أما صاحب فاكتفى بذكر "لا قِرَان ولا تفتيش"<sup>(٤)</sup>.

وهذا الاجتزاء يظهر في الشعر كذلك، فقد اجتزأ بيت سلامة بن جندل الذي استشهد به في تَقْلِيْبِ ظَنَبٍ، فقد أورده الخليل كاملاً "الظنوب: مسمار يكون في جَبَّة السنان حيث يُركب في عالية الرمح، والجميع الظنائب، قال سلامة: إذا ما أتانا صارخ فزع كانت إجابتنا قرع الظنائب"<sup>(٥)</sup>.

أما صاحب فأغفل ذكر صدره واكتفى بإيراد عجزه "كان الصراخ له قرع الظنائب"<sup>(٦)</sup>.

ولا يعني أن الخليل لم يستشهد بأبيات مجزوءة، فقد وجدت مواضع عديدة استشهد فيها بأبيات شعرية ومجزوءة، منها تَقْلِيْبِ "هَمَزٌ" الذي قال فيه "والهَمَاز والهَمْزة: من يهمز أخاه في قفاه من خلفه بعيب، واللَمْزة: في الاستقبال. قال: وإن تغيبت كنت الهَامِزُ اللَّمْزة.."<sup>(٧)</sup>.

ومنها تَقْلِيْبِ خَوْلٍ<sup>(٨)</sup>، وَقَزٍ<sup>(٩)</sup>، وَقَطَفٍ<sup>(١٠)</sup>.

٢- استشهد صاحب بشواهد لم يوردها الخليل.

ومواضع ذلك في المحيط كثيرة، استشهد صاحب في تَقْلِيْبِ قَطَفٍ بمجزوء شعري "والقَطَف: الخدش، من قوله: ..

كَمَشَنَّ وَجُوهَا حُرَّةً لَمْ تُقَطَفِ ..."<sup>(١١)</sup>.

ولما عدت إلى تَقْلِيْبِ قَطَفٍ<sup>(١٢)</sup> وجدت أن الخليل استشهد بمجزوء بيت شعري آخر، واستشهد صاحب في تَقْلِيْبِ (قَزٍ)<sup>(١٣)</sup> بمجزوء شعري لم نجده عند الخليل في التَقْلِيْبِ نفسه<sup>(١٤)</sup>.

(١) العين ج ٣، ص ٣٨٧. سورة الفرقان، آية ٣٠.

(٢) المحيط ج ٣، ص ٣٧٢.

(٣) العين ج ٥، ص ١٤٢.

(٤) المحيط ج ٥، ص ٣٨٩.

(٥) العين ج ٨، ص ١٦٥.

(٦) المحيط ج ١٠، ص ٣٤.

(٧) العين ج ٤، ص ١٧.

(٨) م.ن ج ٤، ص ٣٠٥.

(٩) م.ن ج ٥، ص ١٣.

(١٠) م.ن ج ٥، ص ١٠٦.

(١١) المحيط ج ٥، ص ٣٣١.

(١٢) العين ج ٥، ص ١٠٦.

(١٣) المحيط ج ٥، ص ١٩٢.

(١٤) العين ج ٥، ص ١٣.

وانفراده لم يقتصر على الشواهد الشعرية وإن كثر فيها، إذ أورد صاحب في تقليب هَجْرَ<sup>(١)</sup> أمثالا لم نجدها عند الخليل<sup>(٢)</sup> في التقليب نفسه.

وعلى النقيض من ذلك فقد خلت تقاليد عديدة من الشواهد في المحيط. مع أن لها شواهد في العين، فتقاليد جَع<sup>(٣)</sup>، وَسَع<sup>(٤)</sup>، وَحَرَى<sup>(٥)</sup>، وَحَرَفَ<sup>(٦)</sup> وغيرها لم يورد لها شواهد في المحيط، أما العين فقد أورد في التقليب الأول شاهدين، وفي الثاني ستة شواهد، وفي الثالث شاهدين، وفي الرابع شاهدين كذلك.

٣- ذكر صاحب شواهد مختلفة في تقاليد غير قليلة خلت منها تقاليد الخليل نفسها.

فلم يذكر الخليل شواهد في تقاليد حَوَّص<sup>(٧)</sup>، وَلَقَّص<sup>(٨)</sup>، أما صاحب فقد أتى بشواهد مختلفة على صحة المواد التي خلت منها في العين، إذ استشهد في مادة حَوَّص<sup>(٩)</sup> بمثل عربي، وقول من أقوال العرب، ومجزوء بيت شعري لامرئ القيس. وفي مادة لَقَّص<sup>(١٠)</sup> بمجزوء بيت شعري.

٤- الموازنة بين شواهد صاحب وشواهد الخليل تبين أن شواهد الخليل كانت أزيد، أورد صاحب في تقليب عَقَمَ<sup>(١١)</sup> شاهدين، أما الخليل<sup>(١٢)</sup> فاستشهد بسبعة شواهد.

وذكر الخليل سبعة شواهد في تقليب خَوْلَ<sup>(١٣)</sup>، أما صاحب فلم يورد سوى شاهد واحد<sup>(١٤)</sup>.

سادسها: أضاف صاحب ألفاظا وتراكيب لم نعثر عليها في العين.

امتاز المحيط على العين بوفرة ألفاظه وتراكيبه. أبدت لنا المقابلة بين ألفاظ الخليل وتراكيبه وألفاظ صاحب وتراكيبه، أن صاحب قد أودع معجمه ألفاظا وتراكيب لم تكن موجودة في العين؛ فقلما نجد تقريبا في المحيط لم تزد ألفاظه وتراكيبه على ألفاظ تقاليد

(١) المحيط ج٣، ص ٣٧٣.

(٢) العين ج٣، ص ٣٨٦.

(٣) المحيط ج١، ص ٧٣، وانظر العين ج١، ص ٦٨.

(٤) المحيط ج١، ص ٧٦، وانظر العين ج١، ص ٧١.

(٥) م.ن ج٣، ص ٢٥٦، وانظر المحيط ج٣، ص ١٩٤-١٩٥.

(٦) العين ج٣، ص ٢١٠، وانظر المحيط ج٣، ص ٨٢.

(٧) م.ن ج٣، ص ٢٦٩.

(٨) م.ن ج٥، ص ٦٤.

(٩) المحيط ج٣، ص ١٥٩.

(١٠) م.ن ج١، ص ٢٠١.

(١١) م.ن ج١، ص ٢٠١.

(١٢) العين ج١، ص ١٨٥.

(١٣) م.ن ج٤، ص ٣٠٤-٣٠٥.

(١٤) المحيط ج٤، ص ٤٠٢.

العين وتراكيبه، ومن أمثلة ذلك تقلب مادة (حَفَّ) <sup>(١)</sup>، فقد أورد صاحب ألفاظا لم يذكرها الخليل في التقلب نفسه "الحَفَافُ: الجماعات، والحَلَقُ المستديرة، والحَفَفُ: القوت القليل كالكَفِّ لا فضل فيه، والحاجة وشدة العيش وهو من الرجال: القصير المقتر الخلق،.. والحَفَافَةُ: حفاة التبن والقت وهو بقيتهما، الحَفِيفُ: الياس من الكلاء، والحَفُ: سمكة بيضاء شاقة، ويقال للديك والدجاجة إذا زجرتها: حَفَّ حَفًّا".

أما التراكيب التي استخلصها من مصادره عدا العين في التقلب نفسه فهي "وما بقي من شعره إلا حَفَافٌ: وهو أن يبقى منه كالطُرَّة حول رأسه،.. وأتانا فلان على حَفَفٍ ذلك: أي إبانه وحينه،.. وإنه لحاف العينين: خبيثهما،.. و"حاله حافٍ ولا راف" الحاف: الذي يضمه، والراف الذي يطعمه. ومنه قول المرأة: "من حَقْنَا أو رَفْنَا فليترك" وسقاء حَقَانٌ ماء: أي ملآن وقريب من حفافه".

عدا أنه أضاف تقاليد لم يحفل بها معجم العين منها:

تقلب جَعَشَ <sup>(٢)</sup>، وتقلب دَمَحَ <sup>(٣)</sup>، وتقلب جَزَنَ <sup>(٤)</sup>، وتقلب سَكَمَ <sup>(٥)</sup>.

(١) المحيط ج١، ص ٢١٢.

(٢) م١ ج١، ص ٢٣٦.

(٣) م١ ج٣، ص ٤٨.

(٤) م١ ج٧، ص ٢٨.

(٥) م١ ج٦، ص ١٩٦.

## ب- معجم تهذيب اللغة.

نحن نعلم أنّ الأزهرى نهل من العين مادة غزيرة، واستقى من مصادر أخرى ذكرها في مقدمته مادة ثرة، وأخذ بوساطة السماع عن الشيوخ<sup>(١)</sup> الأفاذاً أصفى ألفاظ اللغة، ونهل مادة صافية المنبع من أفواه الأعراب وأهل البادية<sup>(٢)</sup> حينما وقع في أسر القرامطة.

أثر العين في المحيط حقيقة جلية لا ريب فيها، أما أثر التهذيب في المحيط فهي قضية إشكالية ومسالكها وعرة، واستنباط وقوعها ليس بالأمر الهين.

قد يقال: إن أثر التهذيب في المحيط أمر مسلم به، إذ ألف الأزهرى معجمه بعد أن ودّع السبعين من عمره<sup>(٣)</sup> أي بعد سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة، وكان عمره صاحب آنذاك ستة وعشرين عاماً، فعمره صاحب لا يمنع من أن يكون قد اطلع على معجم التهذيب، وتلمذ للأزهرى، عدا أن الأزهرى والصاحب زادا على العين تقاليد متماثلة ذات ألفاظ وتراكيب متشابهة أمثال: عَشَّ<sup>(٤)</sup>، وَبَعَكَ<sup>(٥)</sup>، وَجَعَشَ<sup>(٦)</sup>، وَحَكَّشَ<sup>(٧)</sup>.

فضلاً عن إضافتهما ألفاظاً وتراكيباً في تقاليد مخصوصة<sup>(٨)</sup>.

غير أنني أقول: إنَّ الصاحب لم ير التهذيب ولم يتأثر به، وذلك لأسباب كثيرة من أظهرها:

أنَّ كتب التراجم لم تذكر الأزهرى ضمن شيوخ الصاحب، ولم يحدّد السنة التي ألف فيها المحيط، ولم يورد الصاحب اسم الأزهرى في سلسلة أسانيده (إن وجدت)، ولم ينقل الصاحب كل ما زاده الأزهرى على مادة العين من ألفاظ<sup>(٩)</sup>، وتراكيب<sup>(١٠)</sup>، وتقاليد<sup>(١١)</sup>، وامتاز الأزهرى بأسلوب فيه تفرد وإبداع، لم نلاحظه في معجم الصاحب، والأسلوب الذي انفرد به الأزهرى تتبع مرادفات اللفظة والتراكيب وفق استعمالات العرب على اختلاف قبائلها، إذ أورد مرادفات لفظة (مُتَدَقِّح) في تركيب (فلان مُتَدَقِّح) للشر فقال: "فلان مُتَدَقِّح للشر، ومُتَفَقِّح، ومُتَنَقِّح، ومُنَقِّد، ومُنَزِّم، ومُنَسِّب، ومُنَحِّق، ومُنَلِّق بمعنى واحد"<sup>(١٢)</sup>.

(١) التهذيب ج ١، ص ٧.

(٢) م.ن ج ١، ص ٧.

(٣) م.ن ج ١، ص ٧.

(٤) المحيط ج ١، ص ١٣٢، التهذيب ج ١، ص ١٧١.

(٥) المحيط ج ١، ص ٢٣٣، التهذيب ج ١، ص ٣٢٧.

(٦) المحيط ج ١، ص ٢٣٦، التهذيب ج ١، ص ٣٣٣.

(٧) المحيط ج ٢، ص ٣٧١، التهذيب ج ٤، ص ٩٧.

(٨) قع المحيط ج ١، ص ٧٠، التهذيب ج ١، ص ٦٢-٦٣، وانظر (وكم) المحيط ج ٦، ص ٣٥٠، والتهذيب ج ١٠، ص ٤١٢.

(٩) بعك التهذيب ج ١، ص ٣٢٧، وجعش ج ١، ص ٣٣٣.

(١٠) حكش التهذيب ج ٤، ص ٨٧، وقع ج ١، ص ٦٤.

(١١) معج التهذيب ج ١، ص ٢٤٩، عفن ج ١، ص ٢٥٢، كمن ج ١، ص ٣١٧، عش ج ١، ص ٤٤١.

(١٢) م.ن ج ٤، ص ٣٦.

وتقول العرب فيمن انكسر عن القوم ورجع، نَفَاطًا عَنْهُمْ نَفَاطُوا. وَتَبَازَخَ عَنْهُمْ تَبَازَخًا<sup>(١)</sup>. أما صاحب فاكتفى بذكر معنى التركيب المحتوي على إحدى ألفاظ التقليل المتناول دون أن يشير إلى رديفه عند القبائل، إذ اكتفى بذكر معنى تَدَقَّحْتُ لفلان بقوله: تَجَرَّمْتُ وَتَجَبَّيْتُ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَذْنِبْهُ، ولم يذكر مرادفاته<sup>(٢)</sup>.

وشرح معنى نَفَاطًا عن القوم بقوله: "وَنَفَاطَاتٌ تَفَاطُوا: وهو أن تهم بالقوم وتتكسر"<sup>(٣)</sup> عدا أن الأزهرى تتبع تدرجات المعنى وتحوّله من حال إلى حال فقال: إنَّ أَخْفَ الْمَطَرِ؛ الطَّلُّ، ويليه الرِّذَاذُ فَالْبَغْشُ<sup>(٤)</sup>.

أما صاحب فلم يورد إلا معنى اللفظة المشتقة من التقليل المتناول فقط، فنبه في تقليل (طَلَّ) أن معنى الطل؛ المطر الضعيف القطر الدائم<sup>(٥)</sup>.

وامتاز التهذيب بوفرة الشواهد وغزارتها على اختلاف أنواعها، أما المحيط فامتاز بقلتها وندرتها أحياناً، إذ استشهد الأزهرى في تقليل (ظَهَرَ)<sup>(٦)</sup> بتسعة وثلاثين شاهداً - وإن كرر بعضها -، أما صاحب فلم يورد فيه<sup>(٧)</sup> سوى شاهدين.

وقد خلت تقاليد غير قليلة في المحيط من الشواهد، لكن شواهد التقاليد عينها كانت غزيرة في التهذيب، إذ خلت تقاليد دَعَّ<sup>(٨)</sup>، وَعَضَّه<sup>(٩)</sup>، وَخَسَّعَ<sup>(١٠)</sup> من الشواهد في المحيط، لكن عدد شواهدهما في التهذيب على التوالي، سبعة عشر شاهداً في تقليل دَعَّ<sup>(١١)</sup>، وثمانية شواهد في تقليل عَضَّه<sup>(١٢)</sup>، وخمسة شواهد في تقليل خَسَّعَ<sup>(١٣)</sup>.

لم يتماثل الأزهرى والصاحب ولم يتشابهوا في القضايا اللغوية التي عرضا لها في مقدمة معجميهما، فقد خصص الأزهرى مقدمة التهذيب للحديث عن نفسه وثقافته، ووقعه في أسر القرامطة، وشيوخه، وطبقات العلماء الذين نهل منهم مادة معجمه، وعن ميراث معجمه التي سيستنتجها القارئ من مطالعته له.. الخ.

أما الصاحب فلم يعرض لقضية واحدة من تلك القضايا، وإنما اختصر القضايا اللغوية التي عرضها الخليل في مقدمة العين كما تبين لنا حينما حللنا مقدمة المحيط سابقاً.

(١) التهذيب ج ١٤، ص ٣٦.

(٢) المحيط ج ٢، ص ٣٤٣.

(٣) م.ن ج ٩، ص ٢٢٥.

(٤) التهذيب ج ١٣، ص ٢٩٤.

(٥) المحيط ج ٩، ص ١٣١.

(٦) التهذيب ج ٦، ص ٢٤٤-٢٥٧.

(٧) المحيط ج ٣، ص ٤٦٣-٤٦٦.

(٨) م.ن ج ١، ص ٨٥.

(٩) م.ن ج ١، ص ١٠٩.

(١٠) م.ن ج ١، ص ١٢٠.

(١١) التهذيب ج ١، ص ٩٢-٩٥.

(١٢) م.ن ج ١، ص ١٣٠-١٣٢.

(١٣) م.ن ج ١، ص ١٥١-١٥٢.

قلنا إنّ الأزهرى نهل مادته من مصادر كثيرة، ومن أفواه علماء فحول وأفواه أعراب أقحاح، مما أدى إلى اتسامه بالترار، فقد كان الأزهرى يهتم بذكر سلسلة أسانيد العلماء الذين أخذ عنهم معنى اللفظة عينها أو معنى التركيب نفسه، لذلك نجد أنّ الألفاظ والتركيب يكررن<sup>(١)</sup> مرارا عديدة وفق أسانيد العلماء الذين أدلوا دلوهم حول تلك الألفاظ أو التراكيب، وهذا النهج مغاير لنهج الصاحب الذي أهمل إيراد سلسلة أسانيد العلماء الذين أخذ عنهم، ولم يكرّر معنى اللفظة أو التركيب أكثر من مرة، بل كان يكتفي بذكر أشهر معاني تلك الألفاظ والتركيب دون أن يستقصي آراء اللغويين التي أثرت حول معنى تلك الألفاظ والتركيب.

إنّ التهذيب كتاب محتو على جميع العلوم الشرعية<sup>(٢)</sup>، واللغوية<sup>(٣)</sup>، والأدبية<sup>(٤)</sup>، والعلمية<sup>(٥)</sup>، فهو موسوعة لا معجم، أما الصاحب فلم يبذل جهداً في استقصاء نشوء العلوم ومصطلحاتها وتطورها واختلافات العلماء حولها؛ لأنّ غرضه الأول هو توضيح المعنى المعجمي وليس نقل العلوم المختلفة ومصطلحاتها.

إنعام النظر بالمعطيات السابقة تكشف اللثام عن حقيقة واقعة؛ أنّ الصاحب لم يرّ معجم التهذيب، ولم يتأثر به، ولم يأخذ عنه مادة واحدة، بالإضافة إلى أنّ معجم المحيط ومعجم التهذيب لم يتماثلا إلا في المنهج الصوتي، وفي وضع مواد الحرف المتناول في ستة أبواب، ولم يماثل الصاحب الأزهرى في ترتيب باب الليف - فقد كان ترتيب الأزهرى مماثلاً فيه لترتيب الخليل.

بيّنا أنّ الصاحب أخذ عن الخارزنجي مادة غزيرة في ألفاظها وتراكيبها، ومادة ثرة في معانيها المضافة إلى ما كتبه الخليل، وإلى ما كتبه الأزهرى لا سيما الأبواب المهملة في العين، ولا أستطيع أن أرصد مواقع الاختلاف بين التكملة وبين المحيط لفقداننا كتاب التكملة، ولا أريد أن أفرد حديثاً عن تأثر الصاحب بالخارزنجي تجنباً للإعادة والتكرار، فقد أشرت إلى أثر التكملة في المحيط حينما تناولت كتاب التكملة بوصفه مصدراً أساسياً من مصادر معجم المحيط في اللغة.

(١) معظم مواد كتاب التهذيب.

(٢) التهذيب ج٢، ص ٢٤٣، وج٥، ص ١٣-١٤، وج٩، ص ٢٧٢، وج٢، ص ٢١٠، وج٤، ص ١٩، وج٤، ص ١٤، وج١٥، ص ٥٦٠، ج١، ص ٢٥٩، ج١٠، ص ٥٨، ج١، ص ٤١٣، وج١٥، ص ١٢.

(٣) م.ج٢، ص ١٧٧، ج٨، ص ٦٨، ج١، ص ١٥٢-١٥٤، وج١١، ص ١٤٢، وج٥، ص ١٩٩، ج١٢، ص ١٠٤.

(٤) م.ج١١، ص ٣٦، ج٥، ص ٧٥، ج٧، ص ٥١٠، وج٤، ص ٤٢٧.

(٥) م.ج٢، ص ٢٥، ج٢، ص ١١٥، ج٧، ص ٥٤٥-٥٤٦، ج١٠، ص ٥٣٧-٥٣٨، ج١، ص ٢٥٧، وج٩، ص ١٨١، وج١، ص ٧٨، وج٥، ص ٢٤٦، وج٣، ص ٣٥-٣٦.

## أثر المحيط في المؤلفات اللغوية والمعجمية:

معجم المحيط استمرار للحركة اللغوية المعجمية التي بدأت في أواخر القرن الثاني وازدهرت في القرن الرابع، وقد أخذ الصاحب مادته من كتب لغوية ومعجمية أشرنا إلى مؤلفيها في حديثنا عن مصادره، وقد تبين لنا أنّ المحيط احتوى على مواد عديدة نقلها من كتب أئمة اللغة ومشاهيرها، وقد سلطنا الضوء على تأثير معجمي العين والتكملة في المحيط وحاولنا إبراز ذلك التأثير لا سيما اتباعه لهما ترتيب المواد وفق المنهج الصوتي وترتيب ألفاظ كل حرف في ستة أبواب.

والتساؤل الذي يفرض نفسه في الدراسات اللغوية، هل أفاد اللغويون والمعجميون الذين أتوا بعد القرن الرابع من منهج المحيط لا سيما باب اللفيف، ومن مادته الغزيرة التي زادت على مادة معجمي العين والتهذيب؟

لا ريب أنّ لكتب الصاحب بن عباد وعلمه أثراً في كتب من عاصره ومن تلاه من اللغويين والمعجميين، فقد اسند ابن فارس معظم مادة كتابه الشهير (الصاحبي) الذي كان أول كتاب وُسم باسم فقه اللغة وسنن العرب في كلامها - إلى كافي الكفاة الصاحب ابن عباد، وأكد على منزلته العلمية، ويّين أنّ ما يقبله الصاحب من علم وأدب فهو العلم القويم ذو المنزلة العليا بين أئمة العلم والأدب، وأنّ ما يرفضه الصاحب من علم وأدب ولم يعطه صفة الديمومة، فهو مردول ومأبى عنه عند أئمة العلماء، وفي ذلك يقول: "هذا الكتاب الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها" وإنما عنوانته بهذا الاسم لأني لما ألفت أودعته خزانة الصاحب الجليل (كافي الكفاة - عمّر الله عرّاص العلم والأدب والخير والعدل بطول علمه - تجملاً بذلك وتحسناً. إذ كان ما يقبله كافي الكفاة من علم وأدب مرضياً مقبولاً، وما يردله أو ينفيه منفيّاً مردولاً، ولأنّ أحسن ما في كتابنا هذا مأخوذ عنه ومفاد منه"<sup>(١)</sup>.

وإنما كان علم الصاحب ورايه فيه يحظيان على إجلال وتقدير أئمة اللغة أمثال: ابن فارس، وأبي سعيد السيرافي، وأبي بكر بن مقسم، وأبي بكر بن كامل، فلا بدّ أن يكون معجمه المحيط من أوائل الكتب التي لقيت ذلك الإجلال والإكبار، ولا غرو في ذلك، فإنّ معظم كتب التراجم كانت تنسب الصاحب للمحيط، فنقول: هو صاحب المحيط في اللغة.

### أ- فقه اللغة وسر العربية

وكان الثعالبي من أوائل اللغويين الذين أدركوا ما امتازت به مادة المحيط من إضافات وزيادات لا سيما الألفاظ والتراكيب المأخوذة عن كلام أهل البادية ذوي الطبع الصافي الذي لم تكثره مستحدثات الحضارة ومخترعاتها.

أسند الثعالبي مواد ليست بالقليلة إليه، ومن أمثالها قوله في باب التقسيم: "سمعت أبا بكر الخوارزمي يقول: سمعت الصاحب يقول في المذاكرة: أعرابي فُحَّ ورُسْتاقِي

(١) ابن فارس، الصاحبي، ص ٢٩، وقابل بما كتبه القاضي الجرجاني في مقمته كتابه، تهذيب التاريخ، انظر أعيان الشيعة ج ١١،

كَحْ" (١) وقال في فصل تفصيل حجارة مختلفة الكيفية "الكُدْبَة: الحجر تستره الأرض، ويبرزه الحَفْر (عن الصحاب)" (٢)، وغيرهما من المواد (٣).

أفاد المعجميون المتأخرون من معجم المحيط إفادة كبيرة، وكان من أهم مصادرهم بل إنه كان أهم مصادر بعضها.

على الرغم من أن منهج ترتيب مواد المحيط كان وفق المنهج الصوتي ووفق مخارج الحروف، إلا أن المعاجم التي نهلت من مادة المحيط وكان ركيزه من ركانزها وموردا من أهم مصادرها لم تتخذ من المنهج الصوتي طريقة في ترتيب موادها، وإنما سارت معظم المعاجم التي أخذت من المحيط مادة على منهج الصحاح الذي رتب موادها وفق الحرف الأخير من اللفظة، أي ما أتفق على تسميته: ترتيب مواد المعجم وفق القافية.

ب- العُباب:

نبه الصاغانى في مقدمة كتابه العُباب أن المحيط أول معجم اتكا عليه وأنه من أجل المعاجم التي اعتمد عليها، فهو يقول في الفصل الثاني من خطبة كتابه المخصص لذكر مصادر كتابه من المؤلفات اللغوية والمعجمية: "والمحيط: لابن عباد، .. وكتاب العين: للخليل، .. والتهذيب: للأزهري، .. والمجمل: لابن فارس، .. وكتاب المقاييس، ..، والجمهرة: لابن دريد، .. وكتاب الجيم" (٤).

والذي دعانا إلى قول ما ذهبنا إليه في رفعة منزلة المحيط عند الصاغانى تقدمته للمحيط في الذكر على العين والمجمل والمقاييس والتهذيب والجيم والجمهرة، كما أنه ذكر اسم الصحاب ضمن اللغويين الذين طالع كتبهم ونهل منها في الفصل الأول من خطبة العُباب (٥).

نقل الصاغانى مواد لغوية عديدة من المحيط لا يسمح المقام لحصرها، وإنما سأكتفي في ذكر أمثلة منها لتعطي صورة حية عن تأثير المحيط في العُباب، فقد نقل الصاغانى من المحيط "وقال ابن عباد: أنه لَرُوسُ سوء: أي رجل سوء" (٦)، وأن معنى عَزَفَ البعير؛ أن حنجرته نزت عند الموت (٧).

### ج- التكملة والذيل والصلة.

مع أن المحيط من أهم مصادر العُباب إلا أنه لم يكن أهم مصادر التكملة للصاغانى، بل كان أحد مصادره التي أخذ منها مادته، ونحن نعلم أن الغرض من تأليف التكملة والذيل والصلة هو تكملة ما فات الجوهرى صاحب الصحاح "وسميته كتاب التكملة

(١) فقه اللغة وأسرار العربية، الثعالبي، تحق ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ط ٢، ١٩٩٩م، ص ٩٧-٩٨، وقابل

مادة قَح وكَح في المحيط ج ١، ص ٢٨٩ و ٢٩٠.

(٢) م-ن ص ٣٢٧، وقابل بالمحيط ج ٦، ص ٣٠٥.

(٣) م-ن ص ٣٩٢، وقابل بالمحيط ج ١٠، ص ٢٦ و ٥١، فقه اللغة ص ٣٢٦، وقال بالمحيط ج ٨، ص ٢٣٤.

(٤) الصاغانى: العباب الزاخر واللباب الفاخر، تحق محمد حسن آل ياسين، ط ١، ١٩٨٧م، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة،

العراق - بغداد، ج ١، ص ٢٦-٣٠.

(٥) م-ن ج ١، ص ٢٣.

(٦) الصاغانى ص ١٩٩، المحيط ج ٨، ص ٣٧٦.

(٧) العباب ص ٤٣٤، المحيط ج ١، ص ٣٩١.



والذيل والصلة غير مدّع استيفاء ما أهمله واستيعاب ما أغفله، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها<sup>(١)</sup>.

وقد أورد الصّاغاني اسم المحيط ضمن المصادر النحوية واللغوية والمعجمية التي أفاد منها في خاتمة كتابة التكملة والذيل والصلة<sup>(٢)</sup>.

وأفاد معجم القاموس المحيط للفيروزآبادي ألفاظاً غير قليلة<sup>(٣)</sup> من المحيط.

#### د- تاج العروس.

ماثل تاج العروس العُباب في أنّ المحيط كان من أهمّ مصدر اتكا عليه مؤلفه.

مطالعة كتاب التاج توقع الباحث في حيرة وتعجب في أن واحد، إذ إنّ الزبيدي لم يُشر في خطبة معجمه إلى أنّ المحيط كان من مصادره حينما ذكر مصادره التي اعتمد عليها في تأليف معجمه، لكنّ قراءة مواد التاج تثبت غير ذلك، فقد وجدنا مواد كثيرة وعديدة أخذها الزبيدي عن صاحب ونقلها من المحيط، وأنّ من معاني الحبطة "الحبّطة بالفتح: بقية الماء في الحوض عن ابن عباد"<sup>(٤)</sup> وأنّ معنى العرّاص "وقيل العرّاص من السحاب: الكثير اللعان عن ابن عباد"<sup>(٥)</sup>.

وعثرت على عبارات في التاج تفيد أنّ الزبيدي قرأ كتاب المحيط ونقل عنه، فقد قال في شرح لفظة الفاعوس أنّه رآها عند ابن عباد تعني؛ القدم من الدواب .. ثم رأيت ابن عباد قال: الفاعوس من كلّ شيء من الدواب: القدم الثقيل المسن<sup>(٦)</sup> فكلمة رأيت ذات دلالة تُبدي أنّ الزبيدي رأى هذه اللفظة في المحيط ولم ينقلها من غيره.

لا أعرف تعليلاً لعدم ذكر الزبيدي المحيط ضمن مصادره التي نبّه عليها في خطبة معجمه، فلعله قد نقل ما رواه عن ابن عباد من كتابي العُباب والتكملة للصّاغاني إلا أنّ هذا الرأي ظني وليس قطعياً، ويبقى معجم المحيط حلقة من حلقات التراث اللغوي والمعجمي التي أفادت منها المؤلفات اللغوية والمعجمية وستستفيد منه المعاجم المستقبلية بوصفه وثيقة لغوية حوت ألفاظاً امتازت بأنها من أعلى مراتب الألفاظ والتراكيب صحّة وفصاحة.

(١) الصّاغاني، التكملة والذيل والصلة، تحقق: عبد العليم الطحاوي، وعبد الحميد حسن، القاهرة، مطبعة دار الكتب ج١، ص ٦٤.

(٢) م.ن ج١، ص ٨.

(٣) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، دار الحديث - القاهرة، ج١، ص ٣٥٩، وقابل بالمحيط ج١٠، ص ١١٤. الزبيدي، تاج العروس،

تحقيق: عبد السلام محمد هارون، التراث العربي، الكويت، ١٩٧٠م، ج١٩، ص ١٩٤.

(٤) للتاج ج١٩، ص ١٩٤.

(٥) م.ن ج١٨، ص ٣٠.

(٦) التاج ج١٦، ص ٣٢٩.

## سمات منهج الصاحب في المحيط:

معجم المحيط من المعاجم القديمة المؤلفة في عصر الازدهار العلمي، ومن المعاجم التي حفظت لنا إرثاً لفظياً غزيراً، وعكست نتاج أمة تطور فكرها ووسائلها التعبيرية عن مآثر علمها. والمنهج العلمي القويم يقتضي أن نخضع معجم المحيط إلى مقاييس النقد العلمي ونتوخى الدقة في انصافه، وفي اظهار عيوبه إذا ما قابلنا بين نهجه في شرح مواده وبين المآخذ التي صوبها المحدثون نحو معاجمنا القديمة.

لم أجد مقالاً<sup>(١)</sup> عرض لإرثنا المعجمي إلا وتوقف عند الصعوبة التي يواجهها الباحث في استخراج معنى لفظة من معاجم مدرسة العين؛ لأن مواده مرتبة حسب مخارج الحروف، وهذا يتطلب من المستخرج أن يكون عارفاً بالصوتيات وأن أبوابها قائمة على أساس صرفي ونعني بذلك؛ الجذرية أو الفعل المجرد، وذا المبدأ يتطلب من المطالع أن يكون عارفاً بالصرف، كما يتوجب على القارئ معرفة نظام التقلبات الذي ابتكره رائد المدرسة ليحصر بوساطته مستعمل العربية ومهلها، ونحن نعلم أن المحيط من معاجم مدرسة العين، وإن هذا المآخذ متهم به؛ لأن الصاحب رتب معجمه وفق مخارج الحروف، وقسم أبوابه وفق مجرد المادة، وحصر ألفاظه وفق تقلباتها المختلفة، ولم تقتصر الشكوى من صعوبة استخراج معنى اللفظة من معاجم مدرسة العين على المحدثين، وإنما شكا من تلك المعضلة وأهوالها الأقدمون، وقد تكون صعوبة استخراج اللفظة وفق الترتيب الصوتي أهم أسباب قيام مدرسة الألفباء التي أشار رائدها ابن دريد في مقدمة معجمه إلى أنه يريد أن يسهل على الباحث استخراج معنى اللفظة من المعجم ويبدد العثرات التي يلاقيها أثناء بحثه عن معاني الألفاظ في العين آنذاك، وفي ذلك يقول: "وَقَدْ أَلَفَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ الْفَرُهَوْدِيُّ رِضْوَانَ اللَّهِ عَلَيْهِ (كِتَابُ الْعَيْنِ) فَاتَّعَبَ مِنْ تَصَدَّى لِعَايَتِهِ وَعَنَى مِنْ سَمَا إِلَى نَهَايَتِهِ، فَالْمَنْصَفُ لَهُ بِالْغَلْبِ مُعْتَرَفٌ، وَالْمَعَانِدُ مُتَكَلِّفٌ، وَكُلٌّ مِنْ بَعْدِهِ لَهُ تَبَعٌ أَقْرَبُ بِذَلِكَ أَمْ جَدُّهُ، وَلَكِنَّهُ رَحِمَهُ اللَّهُ أَلَفَ كِتَابًا مُشْكَلاً لِنَقُوبِ فَهْمِهِ وَذِكَاةِ فِطْنَتِهِ وَحِدَّةِ أَذْهَانِ أَهْلِ دَهْرِهِ.. وَأَمَلْنَا هَذَا الْكِتَابَ وَالنَّقْصَ فِي النَّاسِ فَاشِ وَالْعَجْزَ لَهُمْ شَامِلٌ إِلَّا خِصَائِصَ كِدْرَارِيِّ النُّجُومِ فِي أَطْرَافِ الْأَقْفُ، فَسَهَّلْنَا وَعَرَّهْ وَوَطَّأْنَا شَاوَهُ وَأَجْرَيْنَاهُ عَلَى تَأْلِيفِ الْحُرُوفِ الْمَعْجَمَةِ إِذْ كَانَتْ بِالْقُلُوبِ أَعْبِقُ وَفِي الْأَسْمَاعِ أَنْفَذَ وَكَانَ عِلْمُ الْعَامَّةِ بِهَا كَعِلْمِ الْخَاصَّةِ وَطَالِبُهَا مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ بَعِيدًا مِنَ الْحَيْرَةِ مُشْفِئًا عَلَى الْمُرَادِ"<sup>(٢)</sup>.

ووجدنا صدى تلك الصعوبة في مقدمة لسان العرب، فمع أن ابن منظور أقرّ للأزهري وابن سيده بالفطنة والتميز، إلا أنه أثار ويلات المعاناة التي تقابل المرید لمعرفة معاني الألفاظ من معجميهما فقال: "و لم أجد في كتب اللغة أجمل من تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري ولا أكمل من المحكم لأبي الحسن علي بن اسماعيل بن سيده الأندلسي رحمهما الله وهما من أمهات كتب اللغة على التحقيق وما عداهما بالنسبة إليهما ثنيتا للطريق غير أن كلا منهما مطلب عسر المهلك ومنهل وعر المسلك وكان

(١) د. حسين نصار، مقال: نحو معجم جديد، الفكر العربي، ج ١، ١٩٧٩، ص ١٨، ١٩، وفؤاد حنا ترزي مقال: المعاجم العربية وضرورة تهذيبها وتطويرها، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، م ٤٧، ١٩٧٢م، ص ٣٩٠، ٣٩١، وحسين نصار، المعجم العربي ج ١، ص ٣٠٥-٣٠٦، ومحمد كامل حسين، مقال: أخطاء اللغويين، مجلة مجمع القاهرة، ١٩٦٧، ج ٢، ص ١٠٥.

(٢) جمهرة اللغة، ابن دريد، مكتبة المشي - بغداد، طبعة جديدة بالأوفست، ج ١، ص ٣.

واضعه شرع للناس مورداً عذباً وجلاهما عنه وارتاد لهم مرعىً مريعاً منعهم منه وقد أحرّ وقدم وقصد أن يُعرب فأعجم، فرّق الذهن بين الثنائي والمضاعف والمقلوب وبدد الفكر باللفيف والمعتل والرباعي والخماسي فضاع المطلوب فأهمل الناس أمرهما وانصرفوا عنهما وكادت البلاد لعدم الإقبال عليهما أن تخلو منهما وليس لذلك سبب إلا سوء الترتيب وتخليط التفصيل والتبويب<sup>(١)</sup>.

لم أعر على مؤلف أو مقال تعرض لنهج صاحب ونقد ترتيبه لمواده واتباعه نظام التقليبات وتقسيمه لأبواب كتابه وفق مقياس المجرد أو الجذر سواء أكان قديماً أم حديثاً، فيبدو أن القدماء لم يُخضعوا المحيط إلى دراساتهم ولم يتوقفوا عند هناته وإضاءاته، ولكنّ السبب الذي جعلني أخضع المحيط إلى ما قاله اللغويون في شأن العين والتهذيب والمحكم؛ اتباع صاحب خطوات الخليل نهجاً وأسلوباً.

قد يحق لهم أن يأخذوا على صاحب سيره على منهج الخليل في ترتيب مواده وفق مخارج الحروف؛ لأنه تتلمذ على يدي ابن فارس صاحب المجمل والمقاييس، الذي رتب معجميه وفق نظام الألفباء؛ لأنّ سلوكه طريقة ابن فارس ستجعله يتخلص من صعوبة استخراج معنى اللفظة، فالمنهج الألفبائي تعرفه العامة والخاصة كما نصّ على ذلك ابن دريد، وتخلصه من بونقة قيد فكرة التقليبات لحصر ألفاظ العرب جميعها، أما نقدم مدرسة العين في ترتيبها لأبواب موادها وفق الجذر أو المجرد، فإنه قول مردود، فلا أظن أن هنالك مقياساً أضبط من الجذرية لوضع ألفاظ العربية في أبواب محددة، ولا يعني ذلك أننا لا نأخذ عليهم خلطهم بين الثنائي والثلاثي المضاعف، وبين الثلاثي الصحيح والثلاثي المعتل، وبين الثلاثي المعتل واللفيف، وبين الثلاثي الصحيح والرباعي، وبين الرباعي وبين الخماسي، وقد يُقال: إن ترتيب الألفاظ وفق فائها منهج طبق وجنينا ثملره، ويقصدون بذلك معجم الرائد لكن هذا المعجم لم يذع صيته ولم يتوسع الناس في استخدامه.

ونقول: - إن كلّ العلوم تبحث دوماً عن قوانين تضبط فروعها، وإنّ اللغة تستجمع ألفاظها لتستكشف قانوناً يضبط شاردها وواردها. ويكون الحكم في صحة بنيتها ونسجها، وأنّ الفروع تعود بالضرورة إلى أصول اشتقت منها وترجع إليها، فالأصل في ألفاظ العربية أن تكون ثنائية أو ثلاثية أو رباعية أو خماسية، وما عدا ذلك فإمّا أن يكون مزيداً إما معرباً عن الأعاجم.

ردّ اللغويون المحدثون<sup>(٢)</sup> ضخامة معاجمنا إلى تتبعها نطق القبائل للفظه عينها، ولا يرون ضرورة لذلك.

حفل معجم المحيط بذكر اللغات المختلفة للفظه نفسها، وقد يشير أحياناً إلى أنها لغات باللفظ الصريح، وفي مواضع عديدة لا يشير إليها باللفظ الصريح معولاً في معرفتها على كتابة اللفظة ورسمها، إذ كان يورد عدة صور كتابية ونطقية للفظه عينها؛ وقد بينا نهجه هذا أثناء حديثنا عن موقفه من اللغات.

(١) لسان العرب، ابن منظور، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والبناء والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ج ١، ص ٢-٣.  
(٢) فؤاد حنا ترزي، مقال: المعاجم العربية وضرورة تهذيبها وتطويرها، ص ٣٨٩، وكامل حسين، مقال أخطاء اللغويين، ص ١٠٥، وأحمد أمين، مقال: أسباب تضخم المعجمات العربية، مجلة مجمع القاهرة، ص ١٩٥٧م، ص ٢٧.

لا أعرف لماذا ينفرد المحدثون من ذكر لغات القبائل ولا سيما إن أسندها المعجمي إلى قبيلتها، ونحن نعلم أنّ القرآن الكريم نزل على سبعة أحرف، والمسلم به أنّ المقصود بالحرف؛ اللغة، وتبين لنا كذلك أنّ ألفاظا من اللغات اليمانية والشمالية احتوى عليها القرآن الكريم، واستعان اللغويون والمفسرون بفضل معرفتها في تفسير أي عديده منه.

يعدّ صاحب مقلا في إيراد اللغات المختلفة إذا ما قابلناه بالأزهرى، والذي ساعد على ذلك اقتصار صاحب على ذكر اللغات الفصيحة التي تُعدّ من أعلى مراتب الصحة والفصاحة غالبا، كما بيّنا حينما تناولنا موقفه من لغات العرب .

بالإضافة إلى أنّ ذكر اللغات المختلفة للفظه عينها تخفف القيود على الكاتب والأديب، وتفسح أمامه وسائل التعبير، وتخفف قيد القافية وقيد القياس والوقوع في الخطأ النحوي.

تبرّم المحدثون<sup>(١)</sup> من تتبع المعجميين اللفظة وفق اقتراناتها اللفظية واستخداماتها المجازية، فهم يزعمون أنّ على المعجمي ذكر المعنى الحقيقي الشائع للفظه، وأن ينأى عن ذكر المعاني الجديدة التي أحدثها المجاز.

والصاحب من المعجميين الذين عنوا بالمجاز عناية كبيرة، وبذلوا في استقصاء المعاني المحدثه بوساطته جهدا كبيرا، وفاق صاحب غيره من المعجميين في استقصاء المعاني المجازية، ولا أظن أنّ تتبع المعاني المجازية عيب يقدح به؛ لأننا حينما نبحت عن معنى لفظه نريد المعنى الذي أحدثه المجاز في معنى التركيب المراد، فقد استخدم القرآن الكريم والأحاديث النبوية وأشعار العرب وأمثالهم الألفاظ عينها، لكنّ معاني تلك الألفاظ تتغاير وفق ورودها واستعمالها على اختلاف شواهدا.

أخذ المحدثون<sup>(٢)</sup> على المعاجم القديمة عدم تصريحهم باللغة الأصلية التي عربّ العرب عنها بعض الألفاظ.

اعتاد صاحب أن يذكر اللغة الأصلية التي عربّ العرب بعض ألفاظها التي استخدموها وسبكوها في نسج لغتهم، وأكد أنّ العرب أخذوا عن الفارسية<sup>(٣)</sup> ألفاظا عديدة، وأخذوا عن أهل السواد<sup>(٤)</sup> والروم<sup>(٥)</sup> والحبشة، وأخذوا ألفاظا نادرة عن العبرانية والقبطية والإفريقية.

ولكننا وجدنا مواضع قليلة لم يذكر صاحب لغتها الأصلية، وإنما كان يكتفي بالإملاء إلى أن اللفظة أعجمية<sup>(٦)</sup> غير مستقص لغتها الأصلية.

وقد سلطنا الضوء على ذا المآخذ حينما ناقشنا المعرب في المحيط.

وأخذ المحدثون<sup>(٧)</sup> على الأقدمين تصحيحهم الألفاظ وتحريفها، فإنّ محقق المحيط أشار إلى وقوع صاحب في التصحيف، واستنتج تصحيحه بوساطة مقابلة ألفاظ المحيط بغيره من المعجمات الأمّات منها: العين والتهديب والمحكم واللسان والتاج، ومن أمثلة

(١) أحمد أمين: مقال أسباب تضخم العربية، ص ٣٨، وحسين نصار: مقال: نحو معجم جديد، ص ٢٠.

(٢) عيسى فتوح، مقال نظرة في معاجمنا العربية، اللسان العربي، ج(١-٢)، ١٩٧٨م، ص ١٦١ - ١٦٢.

(٣) المحيط ج٧، ص ٢٠٦.

(٤) م.ن ج٧، ص ٢٥٩.

(٥) م.ن ج٨، ص ٢٥٥.

(٦) م.ن ج٤، ص ١٧١.

(٧) أحمد أمين، ص ٣٧-٣٩، مقال حسين نصار، ص ٢٠.

الألفاظ المصحقة في المحيط قوله في تقلاب حصر: "الحَصِيرُ: سفينة من بُردى.."<sup>(١)</sup>، ولم يؤيد المحقق صاحب في تصحيح معنى لفظة الحَصِير؛ لأنه قال سَفِينَةٌ ولم يقل سَكِينَةٌ، واعتمد في تصويبها على المحكم واللسان.

ولا ريب أن وقوع التصحيف في ألفاظ ليست بالقليلة عائد إلى أخطاء النساخ ولا سيما التصحيف الذي صححه المحقق في المتن وأشار إليه في الحاشية، فلا يعقل أن يقول صاحب تحسبت الخير بمعنى تحسسته<sup>(٢)</sup>، وأن معنى السَّمْسِم؛ حَبُّ دهن الحَلِّ<sup>(٣)</sup>، فقد أشار المحقق إلى أنه وجد في أصول المحيط أن صاحب ذكر تحسبت الخير بمعنى تحسسته وأن معنى السَّمْسِم؛ حَبُّ دهن الحَلِّ، وقد صوبهما في متن المحيط إلى تحسبت الخير وإلى أن السَّمْسِم؛ حَبُّ دهن الخَلِّ معتمداً في تصحيح تصحيف صاحب على المعجمات المشهورة، وأظن أن صواب قولي ظاهر، فليس للحل حب، بالإضافة إلى أن الألفاظ التي وقع عليها تصحيف في المحيط قليلة إذا ما قوبلت بغزارة مادته، عدا أن صاحب لم يكن اللغوي الوحيد الذي اتهم بالتصحيف، إذ اتهم به جهابذة اللغة وأكابر المعجميين.

أجملت القول في المآخذ التي يمكن أن تصوب نحو نهج صاحب في المحيط؛ لأنني قد فصلت القول فيها حينما أردفت كل موضوع بمآخذه الخاصة به.

لم يكن المحيط صورة ثانية ونسخة مكررة للمعاجم السابقة عليه، فإنه انفرد بميزات غايرت ما عداه من المعاجم، وسمات امتاز بها عما سواه. والمنهج العلمي يقتضي أن نكون موضوعيين في عرضنا لمادة المحيط ونقدنا لها، فليس من العدل أن نخص المآخذ عليه بالعرض ونتحى عن البحث في مقومات المحيط المميزة له ولمؤلفه، فإن لكل عمل قوامه الذي يضمن له الديمومة والبقاء، ويفرض نفسه على أذهان المفكرين وأقلام العلماء، والمحيط عمل علمي ذو سمات قويم، مائل أشهر معاجم اللغة وأرسخها في الفكر اللغوي، فهو معجم حري بأن نستكشف فيه تلك المميزات، ونسبر أغوار عمق ضبطها ونضدها ولا سيما أنه باين المعجمات الأمات بسمات غلبت عليه وأهلته لأن يكون وثيقة علمية تعكس التطور الفكري المعجمي واللغوي في العصر الذهبي للحضارة الإسلامية.

أولها: ظهور شخصية مؤلفه.

لم يكن صاحب مجرد ناسخ لأقوال سابقيه، ومورداً لأرائهم اللغوية والنحوية والصرفية، فقد زاد صاحب على من تقدمه مادة ثرة، وتظهر شخصيته واضحة من تعليقاته التي يردفها بمعاني الألفاظ التي أوردها في التقلاب عادة بـ "قلت" أو "قال" أو "قال صاحب الجليل"، ولعلّ التعبيرين الأخيرين مما غير النساخ أو الكتاب.

وتتسم تعليقاته الموضوعية والنقد البناء الموائم لنسج العربية وسمتها، ولبروز شخصية صاحب العلمية واللغوية والنقدية أمارات كثيرة في المحيط من أبينها:-

(١) المحيط، ج ٢، ص ٤٥٤.

(٢) م-ج ٨، ص ٢٥٩.

(٣) م-ج ٢، ص ٤٩٤.

## ١- استدرآكاته على المعجميين الذين تقدموا عليه.

مقابلة مواد المحيط مع مواد العين والتهذيب تبدي أن الصاحب قد أضاف ألفاظاً وتراكيب لم يكن صاحب العين والتهذيب قد أورداها في معجميهما، فمادة المحيط غزيرة بألفاظها وغنية بتراكيبها، فهي تزخر بألفاظ لم تُقرأ من غيره وتراكيب لم يجدها القارئ مسبوكة إلا في طياته.

إذ أضاف عليهما في تَقْلِيْب (عَقْر) الألفاظ والتراكيب التالية "العَاقِر من الرمل: ما لا ينبت شيئاً، العَقْر: الأظعمة، عَقْرُ البرق مخرجه، العقار: بعض متاع اليهودج إذا كان أحمر، واسم رجل، وما رأيت كاللوم عقرة، اعتقرت الطير: لم أجزها، تعقر العشب: طال وانثى، وعقرني عن كذا: حبسني"<sup>(١)</sup>.

وزاد عليهما في تَقْلِيْب (خَضَع) "الخَيْضَعَةُ: الجَلْبَةُ، الخَضِيعَةُ: صوت السيل، الخضوع: المرأة التي لخواصرها صوت، وخضعة السياط: صوت وقعها، والخضيعتان: لحمتان مجوفتان في بطن الفرس يُسمع الصوت منهما، والخَضَعُ: قصر العنق وانثاؤه، ومنه: صقر مختضع، واختضع الفحل الناقة: سائها، ورجل خضعة: يخضع لكل أحد"<sup>(٢)</sup>.

وقد لا تتعدى استدرآكاته عليهما اللفظة واللفظتين<sup>(٣)</sup>، كما أنه أضاف إليهما تَقْلِيْب عديدة منها: سَخَج<sup>(٤)</sup>، وَحَيْب<sup>(٥)</sup>، وَتَيْد<sup>(٦)</sup>، وغيرها كثير. وقد نبهنا على استدرآكاته وإضافاته وانفراده بألفاظ وتراكيب خاصة حينما ناقشنا مصادر المحيط في الفصل الأول من الباب الثاني، وحينما قابلنا بينه وبين الخليل والأزهري في طيات هذا الفصل.

## ٢- نقد الصاحب للغويين المعروفين الذين نقل عنهم.

نهل الصاحب من المصنفات اللغوية مادة غزيرة ساهمت في غنى المحيط وتفردته، لكن الصاحب لم يتردد في نقد ما رواه اللغوي المشهور وكتبه في مصنّفه، فلم يرَ أن الشهرة تغفر للعالم زلته وتزيّن خطاه، فقد شك في صحة ألفاظ منسوبة إلى الليث، وأبي عمرو الشيباني، وأبي عبيد، وابن قتيبة، وابن دريد، فقد بيّن أن الثقات من اللغويين أنكروا قول الليث؛ إن من مسميات الأعراب للعشب العُهْعُه<sup>(٧)</sup>، ونوّه إلى أن بعض اللغويين ذكروا أن اسمه الخُخُخُ.

ولم يؤيد أبا عمر وأبا عبيد في قولهما إن الألف في كلمة أسعت الإبل فساعت منقلبة عن واو، وإنما رأى الصاحب أنها منقلبة عن ياء مدلا على مذهبه بقول العرب مسياع<sup>(٨)</sup> وأخذ على ابن قتيبة عدم تفسيره معنى البعكوك التي انفرد بذكرها<sup>(٩)</sup>.

(١) المحيط ج١، ص ١٥٨-١٦٠.

(٢) م١ ج١، ص ١٢٠ - ١٢١.

(٣) م١ ج٥، ص ٤٦١، وانظر ج٦، ص ٢٩٢، وانظر ج٨، ص ٥٤.

(٤) م١ ج٤، ص ٢٠٣.

(٥) م١ ج٨، ص ٥٤.

(٦) م١ ج٩، ص ٣٣٤.

(٧) م١ ج٢، ص ٤٨٩.

(٨) م١ ج٢، ص ١١٣.

(٩) م١ ج١، ص ٢٣٣.

ولم يعد انفراد ابن دريد في إيراد كلمة الغبس ونسبها إلى لغة اليمن زيادة في العلم ودقة في استقصاء الألفاظ ومعانيها، وإنما قال: "وذكر ابن دريد: أن البغس السواد، ونسبه إلى أنه لغة يمانية، وادّعى عن أبي مالك الاحتجاج فيه ببيت شعر ولم يذكره، وإنما أعرف الغبسة في اللون - بتقديم الغين -"<sup>(١)</sup>.

مع أن صاحب نقل عن الخارزنجي مواد كثيرة، لكن نقله لم يمنعه من أن يكون موضوعياً في نقده له، فقد قال بعدم صحة ألفاظ غير قليلة أخذها من مؤلفه، فلم يُحَقِّقْ ما قاله صاحب التكملة في معاني القعز والقعز والحطنطى "أهمله الخليل، وحكى الخارزنجي: القَعَزُ: ملء الإناء والشرب عباء، قال: ولا أحقه"<sup>(٢)</sup> .. مهمل عنده، وحكى الخارزنجي: القَعَزُ: دبيب النملة وتقاربها، قال: ولا أحقه"<sup>(٣)</sup> "الخارزنجي: حطنطى . على حبنظر - يعتر به الرجل إذا نُسب إلى الحمق، قال: ولا أحقه"<sup>(٤)</sup>.

اللافت للفؤاد أنه أورد ألفاظاً عديدة شك في صحتها، وكان يعقبها بعبارة ردها كثيراً في صفحات معجمه، وأعني عبارة (لا أحقه) أو (ولست أحقه) أو (وليس بشيء)، ولا يشترط أن يسند الألفاظ إلى لغويين بعينهم، وإنما كان يوردها مقطوعة عن سلسلة سندها، ومن أقواله المنتثرة "المحظار: ضرب من الذباب، ولا أحقه"<sup>(٥)</sup> "ذكر الخارزنجي أنه سمع: لصوز: في معنى لصوص: وليس بشيء"<sup>(٦)</sup>.

### ٣- استقصاء صاحب الألفاظ انفراد بها عالم دون غيره من العلماء.

عمد صاحب إلى إغناء معجمه بالألفاظ انفراد بذكرها عالم دون غيره من العلماء، وخص في استقصائه العلماء الثقات ذوي الباع الطويل والقدم الراسخة في اللغة. والألفاظ المغايرة في مضامينها عامة الألفاظ، إذ حرص على ذكر الألفاظ المتضمنة معنيين متضادين، فقد أسند إلى أبي زيد لفظتي العقوق، والقعود "أبو زيد: العقوق: الحائل والحامل جميعاً"<sup>(٧)</sup> "لا يقال مع القيام إلا القعود، قال أبو زيد: قعد: قامَ وجلسَ جميعاً"<sup>(٨)</sup>.

وأسند للأصمعي استعمال المضاد للفظة ليث عقرين "قال الأصمعي: ليث عقرين.. ويقال: هو ليث عقرين، في المدح والذم معاً"<sup>(٩)</sup>.

ويستوقف صاحب التراكيب النادرة الواردة عن إحدى القبائل التي ذكرها عالم معروف سمعها من العرب، فقد سمع للحياني العرب تقول: "للحياني: ما أنت من الأحد: أي من الناس"<sup>(١٠)</sup>.

(١) المحيط ج ٥، ص ٢٨.

(٢) م بن ج ١، ص ١٤٢.

(٣) م بن ج ١، ص ١٤٢.

(٤) م بن ج ٢، ص ٢٧.

(٥) م بن ج ٣، ص ٦٠.

(٦) م بن ج ٨، ص ١٠٥.

(٧) م بن ج ٨، ص ٦٩.

(٨) م بن ج ١، ص ٤٧.

(٩) م بن ج ٢، ص ٢٩.

(١٠) م بن ج ٣، ص ١٨٣.

ولم يسمع من غير الكسائي قول العرب: أوقفت الدابة<sup>(١)</sup>. وشغف الصاحب بإيراد الألفاظ الغربية والنادرة مُسنداً إياها إلى العلماء الذين سمعوها وذكروها في مؤلفاتهم، إذ أسند إلى النضر لفظة الحوث التي تعني؛ عرق الكبد<sup>(٢)</sup>، وأسند لليزدي لفظة العَبْهَلَة والعَبْهَال التي تعني؛ المُعَاتَبَة<sup>(٣)</sup>، ونسب إلى أبي زيد لفظة الودح؛ الاستقرار<sup>(٤)</sup>.

ولا أستطيع - في هذا المقام - حصر الألفاظ التي يمكن ردها إلى اللغويين الذين أوردوا ألفاظاً تعد من نوادر العربية من أمثال: ابن الأعرابي<sup>(٥)</sup>، والفرّاء<sup>(٦)</sup>، والجاحظ<sup>(٧)</sup>، وأبي تراب<sup>(٨)</sup>، وأبي حاتم صاحب الأصبعي<sup>(٩)</sup>، وأبي سعيد<sup>(١٠)</sup>، والخارزنجي<sup>(١١)</sup>.  
٤- الضبط والتقيد.

من الميزات العلمية الدقيقة التي اتسم بها المحيط؛ ضبطه لألفاظه بوساطة الحركات أو الحروف أو بوزن ألفاظه أو بنظيرها في العربية.

تظهر عناية الصاحب في هذا الجانب بضبط جميع ألفاظ معجمه بالحركات والتسكين، ولكن شيوخ وقوع العلماء المبرزين بالتصنيف والتحرير جعل الصاحب يبتكر وسائل لغوية تضمن لألفاظ معجمه الصحة والفصاحة، فقد خشي أن يقع تصنيف بين الألفاظ المختلفة المعاني التي لا يفرق بين معنييهما سوى تسكين أحد حروفها في معنى وتحريكه في معنى آخر، وقد يستعمل عبارة (الجزم) أو (التخفيف) لتدلا على تسكين الحرف، وفي ذلك يقول: "الهُدْبُ - جزم - ضرب من الحلب، هُدْبُ الحالب يَكْهَدُ هُدْباً، والهدب: أغصان الأرتطى ونحوه مما لا ورق له"<sup>(١٢)</sup>.

"الوسط - مخفف - : موضع للشيء، والوسط من الشيء: أعدلته وأفضله وهو أيضاً - : اسم لكلّ ماله طرفان"<sup>(١٣)</sup>.

وحدد حركة أحرف عدد لا بأس به من الألفاظ كي لا يخلطون بين فتح أحد حروفها أو ضمّها أو كسرهما، وليتجنب تحريف معاني الألفاظ بسبب خلط المطالعين لها نبه على الحركة الملازمة لها، ومن ذلك قوله: "وهذا كلام لا غور له بضم الغين - : أي

(١) المحيط ج٦، ص ٤٦.

(٢) م.ن ج٢، ص ١٩٢.

(٣) م.ن ج٢، ص ١٩٦.

(٤) م.ن ج٢، ص ١٨٢.

(٥) م.ن ج٣، ص ٨٢.

(٦) م.ن ج٢، ص ١٧٦.

(٧) م.ن ج١، ص ٤٢٨.

(٨) م.ن ج٢، ص ٣١.

(٩) م.ن ج٦، ص ١٨٦.

(١٠) م.ن ج١، ص ٣٠٠.

(١١) م.ن ج١، ص ٦٦.

(١٢) م.ن ج٢، ص ٤٤٩.

(١٣) م.ن ج٨، ص ٣٥٢.



هو باطل لا نفع فيه" (١) "القَضَمُ بفتحَيْن: جمع قضيم: الصحيفة" (٢) "وما حملته على ذلك إلا خشية فلان: أي مخافة بكسر الخاء" (٣).

أما ضبطه بالحروف فهو كثير لا سيما المواضع التي يخشى فيها من حدوث التصحيف والتحريف، ويظهر ذلك في أقوال عديدة له: "ورأيت عجينة من الناس ومتعجنة بتقديم التاء على العين جماعة" (٤) "اليأفوخ: مقدّم الرأس، مهموز، ورجل مأفوخ: مشجّوج اليأفوخ، وأفخته: أصبت يافوخه" (٥) "جهمزت المتاع بعضه على بعض بالزاي - وضعت بعضه فوق بعض" (٦).

وتكثر إشاراته للحروف تجنبا للوقوع في التصحيف حينما يخشى الخلط بين الأحرف المتماثلة في الرسم المختلفة في النقط "الهدلوع - بالدال معجمة - الغليظ الشفه، الهدلوعة: الأحمق - بالدال غير معجمة" (٧) "الضَيْهْدُ: الطويل، والصاد فيه أعرف" (٨).

ولا تقتصر إشارته إلى تلك الأحرف إذا كانت معانيها مختلفة، فقد كرر تنبيهه على الحروف في الألفاظ المتفقة في المعنى مرارا فقال: "العَيْهَبُ: البليد من الرجال. ويقال بالغين معجمة" (٩) "الشَّلْعَفُ: المضطرب الخلق. ويقال بالسین [أيضا]" (١٠) ويلاحظ المرء أنه اضطر هنا إلى هذه التقييدات؛ ليميز بين معاني الألفاظ المتشابهة بالحروف والحركات.

ولا يكفي بضبط اللفظة بالحركة والحرف، فهناك ألفاظ كثيرة في العربية لا يمكن أن تحلّ معضلة نطقها بالكتابة وضبطها بالحركات وتقييدها بالحروف، لذا لجأ صاحب إلى طريقة مغايرة مفادها إنه اتكأ على الميزان الصرفي؛ أي أنه حينما كان يورد اللفظة يدلل على نطقها بوزنها الصرفي بوصفه ركيزة مثلي لكتابة الحرف ونطقه "برحي - على فعلى - يقال للرامي إذا أخطأ" (١١) "الترْقُوة - على فَعْلُوة - عظم وصل بين ثغرة النحر والعاتق من الجانبين" (١٢).

ولكي يتحاشى صاحب الوقوع في التصحيف لجأ إلى وسيلة جديدة مبنية على سابقتها ونعني بذلك الاعتماد على النظير؛ أي أنه كان يبين وزن اللفظة المراد توضيح

(١) المحيط ج ٥، ص ١٢٥.

(٢) م ن ج ٥، ص ٢٥٤.

(٣) م ن ج ٤، ص ٣٧٥.

(٤) م ن ج ١، ص ٢٦٣.

(٥) م ن ج ٤، ص ٤٢١.

(٦) م ن ج ٤، ص ١١٦.

(٧) م ن ج ٤، ص ١٠٣.

(٨) م ن ج ٣، ص ٣٩٩.

(٩) م ن ج ٢، ص ١٩٧.

(١٠) م ن ج ٢، ص ٢٣٨.

(١١) م ن ج ٣، ص ٨٨.

(١٢) م ن ج ٥، ص ٣٦٣.

معناها وكتابتها بتبيان أنها مماثلة لوزن وكتابة كلمة مشهورة ومتداولة بين العامة والخاصة "والشيطان - على وزن هيبان - البعيد النظر"<sup>(١)</sup>.

وحاصل القول أنّ صاحب يتحرى الدقة في نطق الكلمة وكتابتها وحركة أحرفها ووزنها وتبيان نظيرها دفعا للوقوع في التصحيف والتحريف، وتوضيحا لمعنى اللفظ ومضمونه وكيفية استعماله، وهو منهج علمي دقيق.

٥- الدقة في تحديد المقام الذي يُقال به المقال.

المحيط معجم سلط الضوء على الألفاظ والتراكيب التي تُقال في مقام ولا تُقال في مقام آخر، فإنّ العرب إن تمثّوا تقوية أواصر القربى والمودة قالوا، ليتنسا في بُردة أخماس<sup>(٢)</sup>، وعلى النقيض من ذلك قولهم في الوعيد: لأجعلنّ نومك توثابا<sup>(٣)</sup>. كما أنه حصر الاستعمالات التي تستخدم فيها تراكيب وألفاظ دون غيرها، وقد قال إنّ العرب تقول: وقع الشيء في يدي وسقط في يدي، ولكنها لا تقول سقط الربيع بالأرض، بل تقول وقع الربيع بالأرض لا غير<sup>(٤)</sup>، ولا يقال للبن الخائز عكي إذا لم يكن من لبن الإبل<sup>(٥)</sup>، ولا يجوز أن تقول عنزة عذقة إذا كانت حسنة الشعر، وإنما العذق تتصف به النعجة إذا كانت ذات صوف حسن<sup>(٦)</sup>، ولا يوصف البعير بالقلوع بل توصف به الناقة إذا كانت ضخمة ثقيلة<sup>(٧)</sup>، ولا يجوز استخدام اختشع متصلة بالبصر وإنما يقال خشع البصر<sup>(٨)</sup>، ولم يستخدم العرب المبني للمعلوم من الجذر قطع إلا للبن والماء إذا ذهب وغارا<sup>(٩)</sup>، وما عدا ذلك فإنهم استخدموا الفعل المبني للمجهول قطع.

نستنتج أنّ صاحب حرص على تحديد المقال المراد أن يُقال في مقام ما. وحرص كذلك على تبيين اللفظة الملائمة للاقتران باللفظة المتقدمة عليها، فالمحيط صورة بُدي السياقات اللغوية التي قالتها العرب في ظروف اجتماعية وحالية مختلفة محددة الألفاظ والتراكيب الموائمة لكلّ صنف من أصناف الكائنات الحية.

٦- الموضوعية وعدم التحرّج.

لم يرَ صاحب في عدم معرفته اليقين في قضايا لغوية مختلفة عيبا يشينه، ولا في عدم ذكر رأيٍ قطعي يبين آراء اللغويين المتقدمين عليه قدحا يثّم به.

تردد صاحب في أصلية حروف بعض الكلم ومزيدها، فقد وضع بعض كليمات في بابين مختلفين؛ لأنه لم يرَ الدليل القاطع على أصلية حرف وزيادة حرف آخر في الكلمة عينها. عدّ صاحب النون في كلمة سلطان مزيدة فأوردها في باب الثلاثي الصحيح

(١) المحيط ج٧، ص ٤٥.

(٢) م٠ن ج٩، ص ٢٩٧.

(٣) م٠ن ج١٠، ص ١٩٢.

(٤) م٠ن ج٢، ص ٨٦.

(٥) م٠ن ج٢، ص ٨٩.

(٦) م٠ن ج١، ص ١٥٧.

(٧) م٠ن ج١، ص ١٨١.

(٨) م٠ن ج١، ص ١٨٢.

(٩) م٠ن ج١، ص ١٤٣.

من السين<sup>(١)</sup> ولكنه عاد وذكرها في باب الرباعي من السين، فهو في وضعه لها في الرباعي يرى أنّ النون أصلية<sup>(٢)</sup>.

وذا الموقف كرره في مادة شطن حينما وضعها تارة في باب الثلاثي الصحيح من السين ووضعها تارة أخرى في باب الثلاثي المعتل من السين<sup>(٣)</sup>، فالنون في المرة الأولى أصلية وفي المرة الثانية زائدة.

خالف صاحب الخليل والأزهري اللذين ذهبا إلى أنّ النون زائدة في كليهما، فقد وضع الخليل كلمة الشيطان في باب شطن<sup>(٤)</sup>، ولم يكررها في المعتل من السين، وفعل فعله الأزهري الذي قال: "وقال الليث: الشيطان فيعال من شطن أي بعد.. وقال غيره: الشيطان: فعلان، من شاط يشيط إذا هلك واحترق مثل هيمان وغيمان، من هام وغام. قلت: والأول أكبر..."<sup>(٥)</sup> أما رايه في أنّ النون زائدة في سلطان فقوله: "واشتقاق السلطان من السليط، وقال: والسليط ما يُضاء به، ومن هذا قيل للزيت: السليط"<sup>(٦)</sup>.

ولم يتخرج صاحب من عبارة (لا أدري)، ولم يعدّها هفوة تنقص من قدره العلمي يقول العرب للعنز إذا استعصت عند الحلب: حطج، وقد مرّ في السدال، وحكاه الخارزنجي: حطج، بتقديم الجيم، ولا أدري أيهما أصح<sup>(٧)</sup>.

وقد تقدم بنا إشارته لعدم معرفته الأصل الاشتقاقي للفظه النقيب التي تعني؛ لسان الميزان<sup>(٨)</sup>، ولفظة الأيسق التي تعني؛ القلائد<sup>(٩)</sup>.

والصاحب في دقته العلمية، وفي عدم إقحام نفسه في قضايا لم يدرك يقينها، يُعدّ عالماً موضوعياً، يرمي من كل ما أورده من إشارات نقدية، وعبارات ظنية إحقاق الحق، وخدمة اللغة، وتصفيتها من كل شائب، قد يشوّه جمال نظمها، ورصانة تركيبها.

٧- التنبيه على التصحيف:

احتوى المحيط ألفاظاً وتراكيب فريدة منقولة عن مؤلفات أمّات أقر لمؤلفها بالثبوت والثقة، ولمّا أدرك صاحب أنّ التصحيف معضلة عانت منها اللغة العربية وأصبحت منقصة يرمي بها أكابر العلماء، عمد إلى التنبيه على وقوع التصحيف في ألفاظ غير قليلة من معجمه، ولم يردّ كثرة ألفاظه التي نقلها عن الخارزنجي مانعاً يحول بين النقل عنه وبين الإشارة إلى التصحيف الذي وقع فيه، ومن ذلك قوله: "الحزْمِلُ؛ الخسيصة من النساء،

(١) المحيط ج٨، ص ٢٦٨.

(٢) م-ن ج٨، ص ٤٢٥.

(٣) م-ن ج٧، ص ٢٩٣ و ٣٥٩.

(٤) العين ج٦، ص ٢٢٦.

(٥) التهذيب ج١١، ص ٣١٢.

(٦) م-ن ج١٢، ص ٣٢٥.

(٧) المحيط ج٢، ص ٣٩٥.

(٨) م-ن ج٥، ص ٤٤٨.

(٩) م-ن ج٥، ص ٤٧٦.

والجميع حزاميل، وأظنه تصحيفاً<sup>(١)</sup> "وحكى الخارزنجي: الزائرة: الشحمة التي تكون حول الداعضة من الدابة السمينة، وهو تصحيف عندي، لأنه هو الزائرة بالراء دون الزاي"<sup>(٢)</sup>.

### ثانيها: الالتفات

عودنا الشاعر أن يستقرئ خوافي النفس ويستكنه بواعث جذبها، ويستظهر غوامض نبيضاها، والصاحب من الشعراء الذين عرفوا أن الباحث يفضل أن يستلذ بالمعلومة التي يأخذها من بواطن الكتب، فرأى في الالتفات وسيلة فضلى لجذب القارئ وجعله باحثاً ومشاركاً في استظهار المعنى وشرحه؛ لأن الالتفات فن بلاغي يحدث وقعا في النفس وأثرا في الفكر: فيحرك المشاعر ويبعث على التفكير والتأمل، فهو يأخذ بتلابيب المتتبع يقف به عنده؛ لأن في صيغة الالتفات حركة انتقالية بين ما قبلها وما بعدها. وقد عرفه وتوقف عند أثره جلّ اللغويين والبلاغيين في ثنايا كتبهم<sup>(٣)</sup>.

نحن نعلم أن للالتفات أنماطا غير قليلة سخر الصاحب منها نمطا واحدا لخدمة غرضه، هو الانتقال من المتكلم إلى المخاطب، فقد كان يورد التركيب المراد تفسيره في صيغة المتكلم، ويبين معنى ذلك التركيب وتفسيره بصيغة المخاطب، ومن أمثلة ذلك قوله: "أجزأت الخاتم في أصبعي: أي أدخلته فيه.."<sup>(٤)</sup>.

ويعدّ الصاحب متفردا في هذا النهج، إذ لم يماثله أي معجمي من المتقدمين عليه أو اللاحقين به، ولم يستخدمه الصاحب في باب دون باب، أو جزء دون جزء، وإنما اشتمل عليه المعجم كله، فالصاحب الشاعر قد أدرك كينونة النفس البشرية وعوامل جذبها وشحذها على نيل العلم والمعرفة بمتعة وأنس.

### ثالثها: إهمال سلسلة السند.

اعتبر العلماء تتبع سلسلة السند التي أوردت معنى لفظة في آية أو في حديث أو في شعر من أظهر الدلائل العلمية على صحة اللفظة، وأنها مأخوذة من أفواه العرب الصرحاء، ولما كان الأمر كذلك وجدنا أن المعجمات قد حفلت بذكر سلسلة السند التي تعاورت معنى اللفظة واستدلّت على صحتها بشواهد مختلفة، فاللغويون قد لا يتفقون على معنى معين للفظة عينها، فاختلاف الرأي في ضبط المعنى ظاهرة شائعة في العربية تنقلها أقلام المعجميين، لكنّ الصاحب لم يماثل أكابر المعجميين أمثال: ابن دريد، والأزهري، وابن فارس.

وقد نبهنا على أن إهمال سلسلة السند كانت عائقا في استنتاج أسماء العلماء الذين أخذ عنهم، والمصادر التي نقل منها مادته، وإذا ما أورد سلسلة سند فإن رجالها لا

(١) المحيط ج٢، ص ٢٧٦.

(٢) م-ن ج٩، ص ٨٣.

(٣) المثل السائر، ابن الأثير، ١٩٦٠م، ج٢، ص ١٧١. تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، دار الستراش، ط٢، ١٩٧٣م، ص ٨٩ و ص ٢٩٠. الكامل في اللغة والأدب، المبرّد، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، مطبعة نهضة مصر - القاهرة، ج٣، ص ٢٢ - ٢٣.

(٤) المحيط ج٧، ص ١٥٢.

يتجاوزون الاثني عشر طحمة الفتنة: جولة الناس عندها: قال أبو تراب عن الأصمعي: الطحوم: الدفوع، والطحم: الدفع، وكذلك طحمة السيل<sup>(١)</sup>.

ويغلب أن يكون أحد رجالات السند الخارزنجي مع أن هنالك تباعدا زمنيا بين الخارزنجي والمروزي عنه، فقد وضع سلسلة مكونة من الخارزنجي وأبي عبيدة ونحن نعلم أن أبا عبيدة توفي في العقد الأول من القرن الثاني<sup>(٢)</sup>، والخارزنجي توفي ٣٤٦هـ. وهذا القول ينسحب على السلسلة المكونة من الخارزنجي والنضر بن شميل "أهمله الخليل وحكى الخارزنجي عن أبي عبيدة: الأعبان: الفتى من الذناب، والدؤبان: المئس منها"<sup>(٣)</sup> "وحكى الخارزنجي عن النضر: الرطع: الزكام أو نحوه"<sup>(٤)</sup>. ولا يعني افتقاد المحيط من سلسلة سند اللغويين أنه لم يتناول الخلافات التي ذكرت حول معنى لفظة ما أو تركيب ما، فقد بين أن بعض اللغويين يقول: إن معنى العازب؛ الكلاً البعيد المطلب<sup>(٥)</sup>، وقال بعضهم إنها تعني؛ الذي لم يرع قط. وانقسم اللغويون في معنى لفظة الأطلع إلى قسمين، فمنهم من يرى أن معناها؛ دقة الشفة، ومنهم من يرى أنه الذاهب الأسنان<sup>(٦)</sup>.

ورأى بعضهم أن سبب تسمية الخمر بالشمول؛ لأنها تشملهم بريها، ولكن بعضهم رأى أنها سميت بذلك لأنها تطير في الرأس فتسكر<sup>(٧)</sup>.

وإذا كان من النادر أن يذكر صاحب سلسلة السند فإنه من النادر كذلك أن ينسب الرأي اللغوي الخلافي إلى صاحبه، فإنني لم أجد صاحب ينسب الآراء اللغوية إلى أصحابها إلا قليلا ومنها "قال أبو سعيد: يقال للجمل يعمل اسم له من العمل كما يقال للناقاة بعمله، وامتنع الخليل منه قال:

إذ لا زال على اقتاد ناحية، صهباء بعمله أو يعمل جمل"<sup>(٨)</sup>.

"قال الفراء: بنو دبير يقولون: ما أعوج بكلامه عؤوجا بمعنى ما أعيج عيوجا"<sup>(٩)</sup>.

لم يكن صاحب المعجمي المنفرد في إهمال سلسلة السند وأنه لا يذكرها إلا نادر، فقد ماثل صنيعه بعض المعجميين ومن أشهرهم. صاحب ديوان الأدب<sup>(١٠)</sup> أبو ابراهيم اسحاق بن ابراهيم الفارابي (ت ٣٥٠).

(١) المحيط ج ٢، ص ٣١.

(٢) اختلف في سنة وفاة أبي عبيدة بين ٢٠٧هـ - ٢١٣هـ.

(٣) المحيط ج ١، ص ٤٦٧.

(٤) م. ج ١، ص ٤٠١.

(٥) م. ج ١، ص ٣٩٣.

(٦) م. ج ١، ص ٤٠٣.

(٧) م. ج ٧، ص ٣٤٠.

(٨) م. ج ١، ص ٦٠.

(٩) م. ج ٢، ص ٩٣.

(١٠) ديوان الأدب، الفارابي، تحقيق: أحمد مختار عمر، ابراهيم أنيس، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٩٧٤م، ج ١، ص ٢٤، مقدمة المحقق.

## رابعها: قلة الشواهد.

بعد المحيط مقلداً في شواهد على اختلافها إذا قارناه بالمعجمات الأخرى، ولكننا إذا استقصينا شواهد على اختلافها فإنها ليست بالقليلة، وإنما الأمر الوحيد الذي يضطرننا أن نقول بقلة شواهد؛ مقارنة بالعين والتهذيب واللسان والتاج وغيرها. ولتبيان الفارق العددي بين شواهد المحيط وشواهد المعجمات ذات الشهرة والتداول، نأخذ بعض التقلبات ذاكرين عدد الشواهد فيها.

فقد استشهد الخليل<sup>(١)</sup> في مادة عَم بتسعة شواهد، أما صاحب<sup>(٢)</sup> فقد استشهد على التقلبات نفسه بشاهدين فقط.

وحوى التهذيب<sup>(٣)</sup> تسعة وثلاثين شاهداً في مادة ظهر، ولكننا لم نجد في المحيط<sup>(٤)</sup> سوى شاهدين، وتضمنت مادة قرن في اللسان<sup>(٥)</sup> أربعة وخمسين شاهداً، وتضمنت المادة نفسها في المحيط<sup>(٦)</sup> خمسة شواهد.

واحتوت مادة قلب في التاج<sup>(٧)</sup> على سبعة وعشرين شاهداً، واقتصرت المحيط<sup>(٨)</sup> على شاهدين اثنين للمادة نفسها.

لا تتجاوز شواهد المحيط في التقلبات نفسه أحد عشر شاهداً، إذ يعد تقلب سمر<sup>(٩)</sup> من أغزر التقلبات شواهد في المحيط؛ لاحتوائه على هذا العدد.

وتبدي المقارنة بين تلك المعاجم أمراً آخر يؤكد تقليل صاحب لشواهد أنه لا يورد لمعنى اللفظة نفسه سوى شاهد واحد، أما المعجمات الأخرى فتذكر للمعنى الواحد عدداً لا بأس به من الشواهد.

ويغلب أن تكون شواهد المحيط مبتورة<sup>(١٠)</sup> على اختلاف أنواعها، فضلاً على إحالته معاني عديدة على أبيات شعرية<sup>(١١)</sup> لم يوردها سواء أكانت تلك الأبيات لشعراء معروفين أم لشعراء مجهولين.

## خامسها: عدم التكرار.

يختلف معجم المحيط عن المعجمات التي عاصرتة، فالصاحب لم يكن مشغولاً بتتبع أقوال اللغويين وأرائهم المختلفة حول معنى لفظ ما وتركيب ما، فقد كان يعتمد على شرح واحد للفظ وتفسير واحد للتركيب غير متتبع الأقوال الكثيرة المنققة والمختلفة التي

(١) العين ج ١، ص ١٨٥.

(٢) المحيط ج ١، ص ٢٠١.

(٣) التهذيب ج ٦، ص ٢٤٤ - ٢٥٧.

(٤) المحيط ج ٢، ص ٤٦٠ - ٤٦٦.

(٥) اللسان ج ١٧، ص ٢٠٩ - ٢٢١.

(٦) المحيط ج ٥، ص ٣٨٧.

(٧) التاج ج ٤، ص ٦٩ - ٧٩.

(٨) المحيط ج ٥، ص ٤٣٤ - ٤٣٦.

(٩) م ج ٨، ص ٣١٩.

(١٠) م ج ١، ص ٣٩٧، ج ١، ص ٢٧٦، وقابل ديوان الأدب ج ١، ص ٢٤ مقدمة المحقق.

(١١) م ج ٣، ص ٣٥٦، ج ٥، ص ٣٦٩.

أدلى بها اللغويون، وقد أشير إلى هذه السمة عند الموازنة بين منهج صاحب ومنهج الأزهري في معجميهما.

لا تعدّ صفة التكرار محمودة في المعاجم إلا أنّ إهمال آراء اللغويين ونظراتهم في تفسير معنى اللفظة والتركيب غير محمود كذلك، وقد يكون مسوّغ صاحب في عدم تتبّع آراء اللغويين وإيرادها في معجمه؛ أنّ المعاجم السابقة قد استقصتها وأغنت موادها بها. فاقترصر المحيط على أصحّها وأشيعها وأكثرها ملائمة مع نسج العربية وقوامها، كما أنّ الباحث عن معنى لفظة ما أو تركيب ما في شاهد لا يهمله أن يجمع آراء اللغويين لا سيما المتشابهة منها، وإنما همّة استنتاج معنى اللفظة وتفسير التركيب؛ ليتسنى له إدراك مرمى الشاهد.

إنّ المواضع التي يعدّ فيها صاحب مكرراً لقليلة، فهو يكرر بعض الشواهد نفسها بغرض إثبات صحة عدد من معاني الألفاظ المختلفة والتراكيب الكثيرة، وتبيان معانيها، إذ كرر الآية القرآنية (مكأء وتصدية) في موضعين<sup>(١)</sup> ليفسّر لفظة مكأء ولفظة تصدية. وكرر الحديث النبوي (أفطر الحاجم والمحجوم) ليشرح معنى أفطر وحجم<sup>(٢)</sup>. ويكرر المعنى نفسه للألفاظ التي طرأ عليها إبدال وقلب، وقد يكررها أيضاً إذا كانت الألفاظ المختلفة من قبيل الترادف والمجاز.

يعدّ صاحب مختصراً في عرض مادة معجمه إذا ما قوبلت مواده بمواد المعاجم المشهورة وقد أسهمت مظاهر منهجية على اتصافه بذلك، أهمها: قصر مقدمته، وإهماله سلسلة السند، وعدم تتبّع آراء اللغويين، وتقليل الشواهد واجتزأؤها والإحالة إليها في مواضع غير قليلة، وعدم تكرار تفسير ألفاظ تقاليبيه، وشرح تراكيبها. وهذا جليّ في السمات التي أشير إليها آنفاً.  
سادسها: المجاز.

يعدّ معجم المحيط من المعاجم التي اعتنت عناية كبيرة بالمجاز، فقد تتبّع المعاني المجازية التي تكتسبها اللفظة إذا ما اتصلت بلفظة أخرى، أو إذا ما وضعت في سياق خاص. فهو يفوق معاجم المدرسة اهتماماً بالمجاز، وأثره في نشوء ظواهر لغوية أثيرت حولها مناظرات، وألقت لتبيان خصائصها مؤلفات، ونعني بذلك الترادف، والمشارك اللفظي، والأضداد، والمسلسل، والمداخل، والمشجر.

وقد فطن صاحب إلى دور المجاز في نشوء ظاهرة الحقل الدلالي، فإنّ استعمال اللفظة مجازياً حينما تقترن بلفظة أخرى يؤهلها أن توضع في أكثر من حقل دلالي فللمجاز أثر ظاهر في تنقل اللفظة من حقل دلالي إلى حقل دلالي آخر، ومن علم إلى علم آخر، وقد استقصينا شغف صاحب بالمجاز واستكناه أثره في نمو العربية وتوسعها في مواضع غير قليلة من هذه الدراسة، منها: الترادف<sup>(٣)</sup> والمشارك اللفظي<sup>(٤)</sup>، والأضداد<sup>(٥)</sup>، والمجاز<sup>(٦)</sup>، والحقل الدلالي<sup>(٧)</sup>.

(١) المحيط ج ٦، ص ٣٤٨، و ج ٨، ص ١٦٦.

(٢) م ج ٢، ص ٤١٦، ج ٩، ص ١٦٤.

(٣) هذه الرسالة، ص ٢١٧-٢١٨.

(٤) م ن، ص ٢٢٢-٢٢٤.

(٥) م ن، ص ٢٣٠.

(٦) م ن، ص ٢٣١.

(٧) م ن، ص ٢٤٦-٢٥٠.

### سابعا: وفرة الألفاظ البدوية.

حرص صاحب على أن تكون معظم ألفاظه مأخوذة من أقوال الأعراب وخطب العرب الأقحاح وأشعارهم؛ ليضمن لألفاظه الدرجة العليا من الفصاحة والصحة. ومعجم المحيط ثري بالألفاظ البدوية والحوشية والغريبة التي يصعب على أبناء عصرنا فهمها، لذلك شكا اللغويون المحدثون من الشقة التي توجد بها الألفاظ البدوية بيننا وبين المعاجم "واقْتصار لغويينا القدامى على الأخذ من فصحاء البادية، وإحجامهم عن الأخذ عن سكان الحاضرة جعل معاجمنا غنية بالكلمات التي تأثرت بالحياة البدوية لفظاً ومعنى، غنى لا يتلاءم وحياتنا العصرية المتحضرة"<sup>(١)</sup>.

الحق أن مقياس الغرابة والحوشى مقيد في العصر وأبنائه، فقد يكون الغريب في عصرنا ليس بغريب في العصر العباسي، والسلس في عصرنا قد يصبح حوشياً في عصر أحفادنا، فضلاً عن التغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية التي تلعب دوراً كبيراً في حوشي لفظة وغرابة أخرى.

أشارت معظم كتب التراجم إلى ولع ابن عباد بالألفاظ البدوية وحفظها حتى أنه كان يسأل كل من يأتي مجلسه عنها، مما حدا بالتوحيدي<sup>(٢)</sup> إلى النيل منه.

حفل المحيط بتراكيب وألفاظ بدوية منها: "ويقولون: ذلك على ظهر العس: أي أنه ظاهر واضح، كقولهم على رأس الثمام"<sup>(٣)</sup> "كلام قِعُور: يتقعر فيه"<sup>(٤)</sup> "جعجت الجزور: نحرته"<sup>(٥)</sup>، "التنعن: الاضطراب"<sup>(٦)</sup> "ذهبت الإبل العمهي: لم يدر أين ذهبت"<sup>(٧)</sup>.

لا يعد ذكر الألفاظ البدوية عيباً إذا فُسّر معناها، لأننا نبحت في المعجم غالباً عن ألفاظ وتراكيب غيب عن معناها، أما العيب الذي يقدر في المعجم، فهو اعتماده على الألفاظ البدوية والحوشية في توضيح معاني الكلم.

### ثامنها: معجم المحيط في اللغة هو المعجم الحقيقي أن يُسمى معجماً.

اتسمت معجماتنا الأمّات بسمة جمعتها ولم تفارق معظمها، فقد كانت معاجمنا ميداناً للبحث في مختلف علوم العصر، إذ ناقش المعجمي فيها علوم القرآن من أسباب نزوله ومشكله وقراءاته وتفسيره وأسماء سورته وحروفه المنقطعة في بدايات السور وعلوم الحديث من تفسيره وشرح معانيه ومشكله وناسخه ومنسوخه وروايته ورواياته ونقد كليهما (دراسة المتن والسند)، وعرض لعلوم الفقه وأراء الفقهاء في مفاهيمه وفروعه وترجيح أحد الآراء فيه، بالإضافة إلى أن المعجمي كان يستقصي متعلقات الشاعر وأغراضه إذ كان يعلل تسمية الشاعر بهذا الاسم ولقبه وكنيته، ويسرد أخبار الشعراء

(١) فؤاد حنا ترزي، مقال: المعاجم العربية وضرورة تهذيبها وتطويرها، ص ٣٩٠.

(٢) أبو حيان التوحيدي، أخلاق الوزيرين، ص ٥٨.

(٣) المحيط ٣، ص ٤٦٦.

(٤) م.ن ج ١، ص

(٥) م.ن ج ١، ص ٧٤.

(٦) م.ن ج ١، ص

(٧) م.ن ج ١، ص



ووقائعهم ومعارضاتهم الشعرية، ويعتني عناية كبيرة بروايات الشعر مقدماً إحداهما على ما سواها.

كما كانت المعاجم ميداناً فسيحاً لمباحث علمي الصرف والنحو، وعرض آراء مدرستي البصرة والكوفة ملحقة تلك الآراء بتعليقات صرفية ونحوية ومنطقية.

وقد كان المعجميون يتعدون في استقصائهم إلى مفاهيم ومقومات علوم التاريخ والجغرافيا، والفلك، والطب، والمصطلحات والتراكيب التي استحدثتها الحياة الإسلامية، ناهيك عن علوم اللغة المختلفة.

أما المحيط فغاير معظم المعجمات، إذ إنه معجم لغوي يوضح مصطلحات تلك العلوم إذا كانت مشتقة من التقليل المتناول إن كان في تبيان مفهومها خدمة للمعنى اللغوي، ولم يبذل صاحب جهداً في استقصاء نشوء العلوم ومصطلحاتها وتطورها ورأي العلماء فيها؛ لأنّ غرضه الأول هو توضيح المعنى المعجمي، وليس نقل العلوم المختلفة ومصطلحاتها.

وكي لا اتهم بالمبالغة والغلو بأنني لم أكن موضوعية في إطلاق هذا الحكم؛ إنّ غرض صاحب خدمة المعنى اللغوي لا إبراز حداقته وتمرسه في العلوم الأخرى وإتقانها، سأضرب أمثلة توضيحية من معاجم مختلفة ألفت قبل صاحب وبعده، ثم أقابلها بما كتبه صاحب حول الأمثلة نفسها لكي نتبين الفارق بينها وبين المحيط.

شابه ابن سيده صاحب في عرض مادة معجمه المتسمة بالاختصار والإيجاز، لكنه كان يفصل القول في قضايا النحو والصرف وفي تفسير معظم الآيات القرآنية، ويغلب عليه أن يلجأ في تفسير معنى الآية إلى أسس علماء الكلام والمناطق، وأمثلة ذلك كثيرة منها قوله: "وقوله تعالى: 'يصبكم بعض الذي يعدكم' غافر/ ٨، إن قال قائل: كيف قال: بعض الذي يعدكم، والنبي صلى الله عليه وسلم إذا وعد وعداً وقع الوعد بأسره، ولم يقع بعضه؟ وحقّ اللفظ: كلّ الذي يعدكم، فالجواب: أنّ هذا باب من النظر، يذهب فيه المناظر إلى إلزام محبته بأيسر الأمر، وليس في هذا نفي الكل، وإنما ذكر البعض ليجب له الكل، لأنّ البعض هو الكل، ومثّل هذا قول الشاعر:

قد يُدرك المتأنّي بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

لأنّ القائل إذا قال: أقلّ ما يكون للمتأنّي إدراك بعض الحاجة، وأقلّ ما يكون للمستعجل الزلل؛ فقد أبان فضل المتأنّي على المستعجل، بما لا يقدر الخصم أن يدفعه، وكان مؤمناً آل فرعون قال لهم: أقلّ ما يكون في صدقه أن يصيبكم بعض الذي يعدكم، وفي ذلك هلاككم<sup>(١)</sup>.

غاير صاحب المعجميين في تناوله تقليب (بعض)، فهو لم يورد أية قرآنية واحدة في التقليل نفسه، وقد أشرنا إلى أسلوبه في تفسير اللفظة التي تضمنتها الآية القرآنية في حديثنا عن شواهد المحيط، فالصاحب لا يجهد نفسه في توضيح مدلول الآية كلها، وتتبع آراء المفسرين فيها، وتقديم رأي على آخر، وإنما كان يكتفي في تبيان معنى اللفظة

(١) المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، تحقيق: عبد الحميد الهنادي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٤٢١هـ، مادة

المتناولة الواردة في الآية القرآنية، ومن ذلك قوله "الصَّوْمُ: ترك الأكل والكلام، وقوله عز وجل "إني نذرت للرحمن صَوْماً" أي صَمْتاً<sup>(١)</sup>.

باين الزبيدي صاحب في منهج ترتيب مواد وفي عرضها وشواهدا، إذ احتوى معجم التاج على أمثلة غزيرة من الشواهد، فضلاً عن توقف الزبيدي عند فروع العلوم جميعها، ومنها الحديث، فهو يستقصى روايات الحديث، ومن ذلك قوله: "وفي حديث بدء الوحي "فرفعت رأسي فإذا هو قاعد على عرش في الهواء" وفي رواية "بين السماء والأرض" يعني جبريل عليه السلام على سرير<sup>(٢)</sup>.

وقد نبّه الزبيدي على أنّ اختلاف رواية الحديث قد تؤدي إلى اختلاف تفسيره، لذا كان يتتبعها ويقدم إحداهما متحريراً الدقة في تقدمته، فهو يقول: "يقال: السكر: كلّ ما يسكر ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم "حرّمت الخمر بعينها والسكر من كلّ شراب" رواه أحمد، كذا في البصائر للمصنف، وقال ابن الأثير: هكذا رواه الأثبات، ومنهم من يرويه بضم السين وسكون الكاف، يريد حالة السكران، فيجعلون التحريم للسكر لا لنفس المسكر، فيبيحون قليله الذي لا يسكر، والمشهور الأول<sup>(٣)</sup> وضحت معالم منهج صاحب الرئيسة في استشهاده بالأحاديث النبوية وإيرادها، وقد تبين أنه لم يُعن بروايات الحديث ونقدها، وإنما كان يورد أشهرها رواية مُظهراً معنى اللفظة التي تضمنها الحديث من التقليل المتناول "البَلَّةُ: الغفلة عن الشر، وفي الحديث: "أكثر أهل الجنة البَلَّة"<sup>(٤)</sup> "وفي الحديث: عين ساهرة، لعين نائمة" أي عين ماء لا ينقطع ويعني بالنائمة عين صاحبها، أي هو ينام وتلك تجري<sup>(٥)</sup>.

وإذا وجد للحديث غير تفسير واحد فإن صاحب لا يستقصيها، وإنما يشير إلى التفسير المتفق عليه غالباً، فهو لم يورد حديث "حرّمت الخمر بعينها والسكر من كلّ شراب" في تقليب (سكر<sup>(٦)</sup>)؛ لاختلاف رواياته واختلاف تفسيره وفقاً لها، كما أنه لم يورد الحديث في مادة (عرش<sup>(٧)</sup>) لاختلاف رواياته كما فعل الزبيدي في تقليب سكر وعرش الأنفي الذكور. ولا يعني أنه لم يبين معنى السكر الذي نص عليه بالشرع.

عني الخليل عناية كبيرة بعلمي الصرف والنحو مبيناً معاني الأبنية المختلفة. ومشيراً إلى أشيعها في الاستعمال، ومتحرراً الدقة في توضيح التغيرات الصرفية التي تحدث على اللفظة إذا ما أريد تحويلها من صيغة إلى صيغة، ومن مبني إلى مبني ولا سيما تحويل الألفاظ من المفرد إلى الجمع، وفي ذلك يقول الخليل: "العزهاة: اللثيم من الرجال، الذي لا يخالط الناس، ولا يطرب للسمع، ولا يحبّ اللهو، وجمعه عزهون تسقط منه الهاء والألف المُمالة، لأنها زائدة لا تُستخلف فتحة، ولو كانت أصلية، مثل ألف مثني لا تُستخلف فتحة كقولهم: مَنُون، وكل ياء مماله مثل ياء عيسى وموسى على فعلى

(١) المحيط ج ٨، ص ٢٠٧. سورة مريم، آية ٢٦.

(٢) تاج العروس ج ١٧، ص ٢٥١.

(٣) التاج ج ١٢، ص ٥٩.

(٤) المحيط ج ٢، ص ٤٩٣.

(٥) م ج ٢، ص ١٦٢.

(٦) م ج ٦، ص ١٨٤.

(٧) م ج ١، ص ٢٨٤.

وفعلی فهو مضموم بلا فتحة، تقول: عَيْسُونَ ومُوسُونَ. وَأَعْسَى وَيَحْيَى مفتوحان في الجميع لأنهما على أفعال ويفعل فيقال: أَعْسُونَ يَحْيُونَ..<sup>(١)</sup>.

لم يخلُ المحيط من مناقشة قضايا علم الصرف إذا كان في تناولها خدمة للمعنى وتفسير للدلالة، وقد تجلّى نهجه هذا حينما ناقشنا المستوى الصرفي في معجمه، لكنه لم يجعل القضايا الصرفية والخوض فيها من الأغراض الرئيسة التي ألف معجمه من أجلها، فهو لم يناقش السبب الذي جعل العرب يجمعون عَزْهَاءَ على عَزْهُونَ، ولم يتطرق لأضرب أخرى من المفرد يغير جمعها جمع عَزْهَاءَ مثل يحيى ومثى، وإنما اكتفى في ذكر اللغات المختلفة لعَزْهَاءَ مبيّناً جمعها كتابة غير أبه في تحديد أحرفها الأصلية وأحرفها المزيدة متكناً على المعرفة بعلم الصرف، وفي ذلك يقول: "رَجِلٌ عَزْهَاءٌ وَعَزْهَاءٌ وَعَزْهَاءٌ: لثيم، والذي لا يطرب للسمع واللّهو، وقد عَزَّهَ عَزْهَاءً. وجمع العزّهاء عَزْهُونَ"<sup>(٢)</sup>.

معجم التهذيب معجم موسوعي تناول العلوم جميعها عرضاً ونقداً كما أشير، فلم يدع علماً من علوم العصر إلا وسبر أغواره وتخطى أعواره.

مع أنّ الأزهرى لم يشتهر بأنه نحوي، لكنه تبخّر في فروع النحو جميعها مستقصياً آراء مدرستي الكوفة والبصرة، ومعللاً ميله إلى أحدهما.

عهدنا في منهج الأزهرى أن يناقش القضايا النحوية التي لها صلة بأحد ألفاظ التقليل المتناول وإن لم تكن مهمة المعجمي-، فقد عرض في تقليل (فعل) إلى أنواع المفاعيل جميعها مردفاً كلّ نوع بمثال توضيحي له، وفي ذلك يقول: "وقال النحويون المفعولات على وجوه في باب النحو، فمفعول به، كقولك: أكرمت زيدا وأعنت عمرا وما أشبهه، ومفعول له، كقولك: فعلت ذلك حذار غضبك. وسمي هذا مفعولاً من أجل أيضاً. ومفعول فيه وهو على وجهين، أحدهما الحال والآخر في الظروف. فأما الظرف كقولك: نمت البيت وفي البيت، وأما الحال فكقولك: ضرب فلان راكباً. أي في حال ركوبه، ومفعول عليه؛ كقولك: علوت السطح، ورقيت الدرجة، ومفعول بلا صلة: وهو المصدر. ويكون ذلك في الفعل اللازم والواقع؛ كقولك: انكسرت انكساراً والعرب تشتق من الفعل المثلّ للابنية التي جاءت عن العرب؛ مثل فَعَالَةٌ وفَعُولَةٌ، وأفعول ومفعول وفعلول وفَعُولٌ وفِعْلٌ وفَعْلٌ وفَعْلَةٌ ومُفَعَّلٌ وفِعِيلٌ وفِعِيلٌ. شِعْرٌ مفتعل إذا ابتدعه قائله ولم يحذره على مثال تقدّمه فيه من قبله"<sup>(٣)</sup>.

أما صاحب فقد أضرب صفحا عن تتبع آراء النحويين في المباحث المختلفة، فهو يلمح إلى مباحث النحو إماماً، ولم تشغله تعليقات النحويين لا سيما آراء وتعليقات الكوفة والبصرة. ولأبين الفارق بينهما سأنقل كلّ ما أورده في تقليل فعل: "الفَعَالُ: اسم للفعل الحسن، والفَعْلَةُ العَمَلَةُ"<sup>(٤)</sup>.

(١) الخليل، العين مادة عزه ج١، ص ١٠٠.

(٢) صاحب، المحيط مادة عزه ج١، ص ١١٠ - ١١١.

(٣) الأزهرى، التهذيب مادة فعل ج٢، ص ٤٠٥.

(٤) المحيط، مادة فعل ج٢، ص ٥٢.

لسان العرب موسوعة عرض للعلوم جميعها، واستقصى أدلتها وتعليقاتها لا سيما الصرفية والنحوية والأدبية، ولا عجب في ذلك فإنه قد اتكا مؤلفه في تصنيفه على موسوعة علمية، والمعنى بذلك التهذيب للأزهري.

فالتهذيب واللسان والقاموس والتاج موسوعات لا معاجم؛ لأن الباحث يستطيع أن يأخذ منها كل ما يشاء من تعريف العلوم وأقسامها واستظهار مشاهيرها ومقوماتها مستكنها تعليقات مشاهير علماء العلوم وتأويلاتهم، وقد زاد اللسان على غيره من المعاجم في اتكائه على الغريب المصنّف والمحكم ونهاية الغريب وحواشي ابن برّي، وهذه المؤلفات تزيد مادته غنى وجزارة.

تناول ابن منظور في مادة (شعر)<sup>(١)</sup> تعريف الشعر ومراتبه ومراتب شعرائه، معرجاً في تناوله على قضايا صرفية ونحوية مؤكداً لها بأقوال لغويين مشاهير، وخاتماً قوله بحديث نبوي يغني مادته معنى، ويرفع من قدر الشعر ومنزلته في اللغة، ودوره في ظهور موضوعات مختلفة.

أجمل صاحب معظم الأفكار التي تضمنها قول ابن منظور غير أنه لم يقم نفسه بالقضايا الصرفية والنحوية التي ناقشها ابن منظور في اللسان، وفي ذلك يقول: "الشعر: القريض يجمع على الأشعار والشعور، ويقولون: شعر شاعر؛ إذا كان جيداً، وشعر: حال الشعر، وشعر بالكسر - صار شاعراً"<sup>(٢)</sup>.

تبيّن من الأمثلة السابقة مناهج المعجميين في عرض مادتهم، وأن تلك المعاجم موسوعات لا معاجم، فهي تهدف إلى تقصي فروع العلوم وتعريفاتها جميعها، ولم يكن غرضها توضيح معنى اللفظة فقط.

أمّا صاحب فاتكا على العلوم الأخرى ليوضح معاني الألفاظ، وليفسّر فكرة التراكيب المختلفة، فالعلوم لديه وسيلة لغاية، وليست غاية بنفسها؛ فالغاية عند صاحب هي تفسير دلالة الكلم، وإذا كان تفسير بعض التراكيب والألفاظ لا يتم إلا بالاتكاء على العلوم الأخرى كان يعرج عليها ليزيد المعنى توضيحاً وإظهاراً؛ لأن هنالك ألفاظاً وتراكيب استعملت استعمالاً خاصاً وليس عاماً، فإن بعض الآيات والأحاديث النبوية تستخدم ألفاظاً لتدل بها على حكم شرعي، وقد ظهر ذلك جلياً في مصطلحات علوم الفقه والحكم فيه، ناهيك عن استخدامات الشعراء التي تباين استعمالات النثرين واستخدامات العامة لها.

ولا يعني إضراب صاحب عن الخوض في فروع العلوم المختلفة ولا سيما الصرف والنحو ناتج عن عدم معرفته بها، فلا يُعقل أن يكون من تتلمذ على يدي النحوي الكبير أبي سعيد السيرافي شارح كتاب سيبويه جاهلاً في علوم النحو والصرف، فضلاً عن أن معظم كتب التراجم أكدت على إتقان صاحب لمعظم العلوم لا سيما علوم التفسير والحديث والتاريخ وعلم الكلام، والأدب، واللغة كما أشير<sup>(٣)</sup>.

(١) ابن منظور، لسان العرب: طبعة مصورة عن طبعة --- المؤسسة المصرية العامة للتأليف والانتباء والنشر ج ٥، ص ٧٧ - ٧٨.

(٢) المحيط، مادة شعر، ج ١، ص ٢٨٢.

(٣) انظر تمهيد الدراسة.

أخذ العلماء المحدثون<sup>(١)</sup> على معاجمنا الأمّات خروجها عن الغرض الذي أُنفت من أجله (تفسير معنى الألفاظ والتراكيب)، فقد صيروا من المعجم كتاب تفسير وقرّاءات وروايات للحديث ونقد لها، وصيّروا منه كتاباً للفقّه، فكانه الموطأ، وقد يستغني الباحث عن قراءة كتاب سيبويه وكتب النحويين؛ لأنّ المعجميين كفوهم مؤونة البحث في علمي الصرف والنحو.

أدرك الصاحب مدلول كلمة معجم، وعمل على توطيدها في الحركة المعجمية وترسيخها في الفكر العربي، وذلك في تتحيه عن الجدل في قضايا العلوم على اختلافها، فهو قد غاير المعجميين في وعيه المبكر لمدلول كلمة معجم، ولا أريد أن أكرر القول وأدافع عن وجهتي في هذا المضمار، فكفى بالأمثلة التي أشير إليها سابقاً دليلاً ساطعاً وبرهاناً قوياً عليهما.

(١) فؤاد حنا ترزي في مقالة: المعاجم العربية وضرورة تهذيبها وتطويرها، ص ٤٠ - ٤١.

## المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ط٤، ج٢، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريده، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ١٩٦٧م.
- أرنست كاسيرر، فلسفة الحضارة الإنسانية، ترجمة: إحسان عباس، دار الأندلس ومؤسسة فرنكلين المساهمة للطباعة والنشر، بيروت-نيويورك، ١٩٦١م.
- الأمدي، سيف الدين أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد، (٦٣١هـ-)، الإحكام في أصول الأحكام (٤ج)، ط١، تعليق: عبد الرازق عفيفي، تصحيح: عبد الله غديان. وعلي الحمد الصالحي، ط١، مؤسسة النور للطباعة والتجليد، الرياض، ١٣٨٧هـ.
- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر - القاهرة، ١٩٨٧م.
- إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ط٢، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٣م.
- إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ط٦، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ت.
- إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ط٣، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ت.
- إبراهيم السامرائي، التطور اللغوي التاريخي، ط٣، دار الأندلس، بيروت - لبنان، ١٩٨٣م.
- إبراهيم السامرائي، التعريب بين ماضيه وحاضره، مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد ٢٩، ج١، ١٩٧٨.
- إبراهيم السامرائي، الدخيل في العربية، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، مجلد ٤٠، جزء ٣، ١٩٦٥م.
- إبراهيم اليازجي، نجعة الرائد وشرعه الوارد في المترادف والمتوارد، ط٣، مكتبة لبنان، لبنان-بيروت، ١٩٨٥م.
- ابن الأثير، ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن محمد الجزري (٦٣٧هـ-)، المثل السائر من أدب الكاتب والشاعر، ط١، تحقيق: أبو أحمد الحوفي، ود. بدوي طبانة، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة ١٩٥٩م.
- ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني، (٦٣٠هـ-)، الكامل في التاريخ، ١٢ج، دار صادر ودار بيروت، بيروت - لبنان، ١٩٦٦م.
- أحمد محمد زيب أبو دلو، الاتباع في العربية ظواهره وعلله، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، اربد، ١٩٩٢م.
- أحمد أمين، مقال: أسباب تضخم المعجمات العربية، مجلة مجمع القاهرة، ١٩٥٧م.
- أحمد بهمنار، صاحب ابن عباد، شرح أحوال وأثار، تصحيح: محمد إبراهيم باستاني باريزي-طهران، جامعة طهران، ١٩٦٤م.

- أحمد عبد الغفور عطار، الصحاح والمعجمات العربية، ط٢، بيروت، ١٩٦٧م.
- أحمد محمد المعنوق، المعاجم اللغوية العربية، المعاجم العامة وظائفها ومستوياتها، أثرها في تنمية لغة الناشئة، دراسة وصفية تحليلية نقدية، أبو ظبي-الإمارات العربية المتحدة، المجمع الثقافي، ١٩٩٩م.
- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، الكويت، مكتبة دار العروبة، ١٩٨٢م.
- أحمد نعيم الكراعين، علم الدلالة بين النظر والتطبيق، المؤسسة الجامعية للدراسات-بيروت، ١٩٩٣م.
- أرنست كاسيرر، فلسفة الحضارة الإنسانية، ترجمة: إحسان عباس، دار الأندلس ومؤسسة فرنكلين المساهمة للطباعة والنشر، بيروت-نيويورك، ١٩٦١م.
- الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد (٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، ١٦ج، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ومحمد علي النجار، المؤسسة العامة المصرية للتأليف، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٤م.
- اسماعيل عمارة، الأقيسة الفعلية المهجورة، دار الملاحى، الأردن-اربد، ١٩٨٨م.
- الأصمعي، عبد الملك بن فريب، (٢١٦هـ)، الأضداد، تحقيق: أوغست هافنرو قد جمعه مع كتابي الأضداد للسجستاني والأضداد لابن السكيت، وعنوانه بثلاثة كتب في الأضداد، دار المشرق، بيروت-لبنان، ١٩١٣م.
- الأصمعي، عبد الملك بن فريب، (٢١٦هـ)، ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه، ط١، تحقيق: ماجد حسن الذهبي، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٦م.
- إميل بديع يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، ط١، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ١٩٨٢م.
- ابن الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم، (٣٢٨هـ)، الأضداد، تحقيق: أبو الفضل ابراهيم، دائرة المطبوعات والنشر في الكويت، ١٩٦٠م.
- ابن الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم، (٣٢٨هـ)، المذكر والمؤنث، ط١، تحقيق: طارق عبد عون الجنابي، مطبعة العاني-بغداد، ١٩٧٨م.
- ابن الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد، (٥٧٧هـ)، البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث، تحقيق: رمضان عبد التواب، مطبعة دار الكتب، الجمهورية العربية المتحدة، ١٩٧٠م.
- ابن الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد، (٥٧٧هـ)، حلية العقود في الفرق بين المقصور والممدود، تحقيق: د. عطية عامر، نشر جامعة ستوك هولم، د.ت.
- ابن الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد (٥٧٧هـ)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: ابراهيم السامرائي، مطبعة المعارف-بغداد، ١٩٥٩م.
- انستاس ماري الكرملى، نشوء اللغة العربية ونموها واكتهاالها، المطبعة العصرية بالفجالة، مصر-القاهرة، ١٩٣٨م.
- أنيس فريحة، نظريات في اللغة، ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان، ١٩٧٣م.

- أوتوجسبرسن، اللغة بين الفرد والمجتمع، ترجمة وتعليق: عبد الرحمن محمد، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر-القاهرة، د.ت.
- الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب، (٤٠٣هـ-)، إعجاز القرآن، ط٣، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر-القاهرة، ١٩٧١م.
- بدوي طبانة، صاحب ابن عباد الوزير الأديب العالم، المؤسسة المصرية العامة د.ت.
- ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (٥٤٢هـ-)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ٤ج، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٩م.
- بسمة عودة الرواشدة، القضايا اللغوية في كتاب الصاحب في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها لابن فارس، دراسة نقدية، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، عمان-الأردن، ١٩٩٥م.
- البطريرك مار أغناطيوس، مقال: الألفاظ السريانية في المعاجم العربية، مجلة المجمع العلمي العربي، ١٩٤٨م.
- البطلوسي، أبو محمد عبد الله بن محمد (٥٢١هـ-)، الفرق بين الحروف الخمسة، ط١، تحقيق: عبد الله الناصير، دار المأمون للتراث، دمشق، د.ت.
- البغدادي، شمس الدين أبو الظفر يوسف قزاً وعلي بن عبد الله، (٦٥٤هـ-)، مرآة الزمان، تحقيق: جنان خليل محمد، الدار الوطنية-بغداد، ١٩٩٠م.
- البغدادي، الحافظ محب الدين بن النجار، (٦٤٣هـ-)، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، ط١، تحقيق وتعليق: محمد مولود خلف، إشراف ومراجعة: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ١٩٨٦م.
- البلوي، أبو الحجاج يوسف محمد، (١٢٠٧هـ-)، ألف باء، ٢ج، عالم الكتب، بيروت، توزيع: مكتبة المثنى، القاهرة، ومكتبة سعد الدين، دمشق، د.ت.
- البهلولي، جعفر بن أحمد اليماني، (٥٧٣هـ-)، شرح قصيدة الصاحب ابن عباد في أصول الدين، ط١، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، مطبعة المعارف-بغداد، ١٩٦٥م.
- بيار غيرو، علم الدلالة، ترجمة انطوان أبو زيد، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٨٦م.
- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي، (٨٧٤هـ-)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٦ج، ط١، دار الكتب المصرية، مصر-القاهرة، ١٩٩٢م.
- تمام حسان، الأصول دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٨م.
- تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ط٢، دار الثقافة، درب سيدنا - الدار البيضاء، ١٩٧٤م.
- التوحيدي، أبو حيان علي بن محمد بن العباس، (٤٠٠هـ-)، أخلاق الوزيرين، ط١، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٩٩٧م.



- التوحيدي، أبو حيان علي بن محمد بن العباس، (٤٠٠هـ-)، الإمتاع والمؤانسة، ٣ ج، تصحيح: أحمد أمين، وأحمد الزين، دار مكتبة الحياة، بيروت-لبنان، د.ت.
- التوحيدي، أبو حيان علي بن محمد بن العباس، (٤٠٠هـ-)، مثالب الوزيرين، ط٢، تحقيق: إبراهيم الكيلاني، دار الفكر المعاصر، بيروت-لبنان، ١٩٩٨م.
- توفيق محمد شاهين، المشترك اللغوي نظرية وتطبيق، ط١، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٨٠م.
- ابن تيمية، نقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام الحراني، (٧٢٨هـ-)، الإيمان، تحقيق ومراجعة: هاشم محمد الشاذلي، دار الحديث، القاهرة، د.ت.
- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد النيسابوري، (٤٢٩هـ-)، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥م.
- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد النيسابوري، (٤٢٩هـ-)، فقه اللغة وسر العربية، الطبعة الأخيرة، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، شركة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٧٢م.
- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد النيسابوري، (٤٢٩هـ-)، بيتمة الدهر، ٥ ج، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة الحسين التجارية، لصاحبها محمود توفيق، مطبعة حجازي، القاهرة، د.ت.
- ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني (٢٩١هـ-)، الفصيح، تحقيق ودراسة: عاطف مدكور، دار المعارف، مصر-القاهرة، د.ت.
- ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني (٢٩١هـ-)، مجالس ثعلب، ٢ ج، ط٢، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة-مصر، ١٩٤٩م.
- الجاحظ، أبو عثمان بن بحر، (٢٥٥هـ-)، الحيوان، ٨ ج، ط٣، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ١٩٦٩م.
- جاقوب كورك، اللغة في الأدب الحديث، ترجمة: ليود يوسف، وعزيزي عمانوئيل، دار المأمون للترجمة والنشر، ١٩٦٣م.
- ابن جنبي، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (٣٩٢هـ-)، الخصائص، ٣ ج، ط٤، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب ودار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠م.
- ابن جنبي، أبو الفتح عثمان الموصلي، (٣٩٢هـ-)، سر صناعة الإعراب، ٢ ج، ط١، تحقيق: حسن هندراوي، دار القلم، دمشق، ١٩٨٥م.
- ابن جنبي، أبو الفتح عثمان الموصلي، (٣٩٢هـ-)، المحتسب في شواذ القراءات، ٢ ج، تحقيق: علي النجدي ناصف وعبد الحلیم النجار، وعبد الفتاح اسماعيل شلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٦٦م.

- ابن جنّي، أبو الفتح عثمان الموصلي، (٣٩٢هـ)، المنصف، ٤، ج، ط١، تحقيق: إبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٥٤م.
- الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضير، (٥٤٠هـ)، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، أعيد طبعه بالأوفست في طهران، طهران، ١٩٦٦م.
- جورجى زيدان الفلسفة اللغوية، ط١، دار الجيل للنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ١٩٨٢م.
- جورجى زيدان، اللغة العربية كائن حي، دار الهلال، القاهرة، د.ت.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، (٥٩٧هـ)، فنون الأفتان في عيون علوم القرآن، ط١، تحقيق: حسن ضياء الدين عتر، دار البشائر الإسلامية، بيروت-لبنان، ١٩٨٧م.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (٥٩٧هـ)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ١٠، ج، ط١، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصححه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٩٩٢م.
- جوزيف فندريس، اللغة، تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة لجنة البيان العربي-القاهرة، ١٩٥٠م.
- جون لاينز، علم الدلالة، ترجمة عبد الحليم الماشطة، حليم حسن فالح، كاظم حسين باقر، البصرة-جامعة البصرة، ١٩٨٠م.
- أبو حاتم الرازي، أحمد بن حمدان، (٣٢٢هـ)، الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، ٢، ج، ط٢، عارضه بأصوله وعلق عليه: حسين بن فيض الله الهمداني اليعبري الحرّازي، دار الكتاب العربي، مصر-القاهرة، ١٩٥٧م.
- أبو حاتم السجستاني، سهل بن محمد بن عثمان، (٢٤٨هـ)، الأضداد، تحقيق: أوغست هافنر، نشره في كتاب ثلاثة كتب في الأضداد، دار المشرق، بيروت-لبنان، ١٩١٣م.
- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب حلبي، (١٠٦٧هـ)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ٢، ج، دار الفكر، ١٩٨٢م.
- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي (٨٥٢هـ)، لسان الميزان، ١٠، ج، إعداد ودراسة: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان.
- ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (٤٦٥هـ)، الإحكام في أصول الأحكام، ٢، ج، ط٢، مراجعة وتحقيق: لجنة بإشراف الناشر، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٢م.
- حسن الصدر، (١٣٥٤هـ)، تأسيس الشيعة، دار الرائد العربي، بيروت-لبنان، ١٩٨١م.

- حسين نصار، المعجم العربي نشأته وتطوره، ٢ج، ط٤، دار مصر للطباعة، ١٩٨٨م.
- حسين نصار، مقال: نحو معجم جديد، مجلة الفكر العربي، ج١، ١٩٧٨م، ١٩٧٩م.
- حفني ناصف، مميزات لغات العرب، ط١، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ١٣٠٤هـ.
- حلمي خليل، مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.
- حلمي خليل، مقدمة لدراسة فقه اللغة، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٣م.
- حلمي خليل، المولد في العربية، ط٢، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ١٩٨٥م.
- حميد آدم تويني، مقال: مع مؤيدي المجاز ومنكريه، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، مجلد ٩، ١٩٨٥م.
- أبو حيان الأندلسي، أثر الدين أبو حيان محمد بن يوسف، (٧٤٥هـ)، البحر المحيط، ١١ج، ط١، تحقيق: عادل أحمد بن عبد الموجود، وعلي محمد معوض وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، د.ت.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (٨٠٨هـ)، تاريخ ابن خلدون، ٧ج، تحقيق: تركي فرحان المصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، د.ت.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (٨٠٨هـ)، المقدمة، ٣ج، ط١، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، لجنة البيان العربي، مصر، ١٩٦٢م.
- ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر (٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٧ج، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت-لبنان، ١٩٧١م.
- الخليل بن أحمد الفراهيدي، أبو عبد الرحمن (١٧٥هـ)، العين، ٨ج، ط٢، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ودار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٦م.
- خليل مردم بيك، (١٩٥٩م)، أئمة الأدب، صاحب ابن عباد، مطبعة الترقى، دمشق، ١٩٣٢م.
- الخوانساري، أحمد باقر الموسوي الخوانساري الأصبهاني (١٣١٣هـ)، روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، ٨ج، تحقيق: أسد الله اسماعيلين، مكتبة اسماعيليان، تهران، يطلب من دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، د.ت.
- دافيد كريستل، التعريب بعلم اللغة، ط٢، ترجمة وتعليق: حلمي خليل، دار نشر الثقافة، ودار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٣م.
- الداودي، محمد بن علي (٩٤٥هـ)، طبقات المفسرين، ٢ج، تحقيق: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، د.ت.
- ابن درستويه، أبو محمد عبد الله بن جعفر المرزبان، (٣٤٧هـ)، تصحيح الفصح، ط١، تحقيق: عبد الله الجبوري، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٥.

- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري (٣٢١هـ)، الجمهرة، ٤ ج، ط١، طبعة جديدة بالأوفست، مكتبة المثنى، بغداد، ١٣٤٥هـ.
- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري (٣٢١هـ)، الملاحن، صححه وعلق عليه: أبو اسحاق اطفيس الجزائري، المطبعة السلفية، القاهرة-مصر، ١٣٤٧هـ.
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨هـ)، تاريخ الإسلام، ٤٠ ج، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، دم. د.ت.
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، ٢٣ ج، ط١، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإكرام البوشي، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣م.
- الرضي الاسترابادي، محمد رضي الدين بن الحسن (٨٦١هـ)، شرح الكافية في النحو لابن الحاجب، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٩٨٢م.
- الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى (٣٨٤هـ)، الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى، ط٢، تحقيق: فتح الله صالح المصري، دار الوفاق للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ١٩٨٨م.
- الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى (٣٨٤هـ)، الحدود في النحو، تحت عنوان رسائل في النحو واللغة، تحقيق: مصطفى جواد، ويوسف يعقوب مسكوني، دار الجمهورية، بغداد، ١٩٦٩م.
- رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، ط٢، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ودار الرفاعي بالرياض، ١٩٨٣م.
- رمضان عبد التواب، لحن العامة والتطور اللغوي، ط١، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٦٧م.
- الزبيدي، السيد محمد مرتضى الحسيني (١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، ٢٣ ج، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، ١٩٦٥م.
- زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع الهجري، ٢ ج، دار الجيل-بيروت، ١٩٧٥م.
- سعيد الأفغاني، في أصول النحو، ط٣، مطبعة جامعة دمشق، دمشق، ١٩٦٤م.
- السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي (٦٢٦هـ)، مفتاح العلوم، ط١، ضبط وتعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٩٨٣م.
- ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن اسحاق، (٢٤٤هـ)، الإبدال، تقديم وتحقيق: حسين محمد شرف، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٩٧٨م.
- ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن اسحاق، (٢٤٤هـ)، الأضداد، تحقيق: أوغست هافنر، نشره تحت عنوان ثلاثة كتب في الأضداد، در المشرق، بيروت-لبنان، ١٩١٣م.
- ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن اسحاق (٢٤٤هـ)، تهذيب الألفاظ، طبع وضبط وجمع: الأب لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت-لبنان، ١٨٩٥م.

- سليمان أبو غوش، عشرة آلاف كلمة انجليزية من أصل عربي، ط١، حقوق الطبع والتأليف محفوظة للمؤلف، الكويت، ١٩٧٧م.
- السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور (٥٦٢هـ)، الأنساب، ١٠ ج، تحقيق: محمد عواملة، مطبعة محمد هاشم الكتبي بدمشق، بيروت-لبنان، د.ت.
- ابن سنان الخفاجي، عبد الله بن محمد بن سعيد (٤٦٦هـ)، سر الفصاحة، تحقيق: سليم سليمان الأنصاري، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، بغداد، ١٩٧٥م.
- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (١٨٠هـ)، الكتاب، ٥ ج، ط٣، تحقيق: عبد السلام هارون، عالم الكتب، مصر، ١٩٨٣م.
- السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ط٢، ٥٦ ج، مطبعة الإنصاف، بيروت-لبنان، ١٩٦١م.
- ابن سيده، أبو الحسن علي بن اسماعيل الأندلسي، (٤٥٨هـ)، المحكم والمحيط الأعظم، ١١ ج، ط٢، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان. ١٤٢١هـ.
- ابن سيده، أبو الحسن علي بن اسماعيل الأندلسي (٤٥٨هـ)، المخصص، ١٧ ج - المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت-لبنان.
- ابن سينا، أبو علي الحسين بن علي (٤٢٨هـ)، أسباب حدوث الحروف، ولاديمر خوليد ياني تقليس متسينا ربا، ١٩٦٦م.
- السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، (٩١١هـ)، الأشباه والنظائر في النحو، ٤ ج، تحقيق: عبد الإله نبهان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، د.ت.
- السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين (٩١١هـ)، الاقتراح في علم أصول النحو، ٢ ج، ط٢، صححه: عبد الرحمن بن يحيى اليماني، وسعيد بن عبد الله العمودي، وأحمد بن محمد اليماني، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ١٣٥٩هـ.
- السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين (٩١١هـ)، بغية الوعاة، ٢ ج، ط٢، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت-لبنان، ١٩٧٩م.
- السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين (٩١١هـ)، المزهرة في علوم اللغة، ٢ ج، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى، وعلي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت-لبنان، د.ت.
- السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين (٩١١هـ)، المطالع السعيدة شرح السيوطي على ألفيته المسماة بالفريدة في النحو والتصريف، تحقيق وشرح: طاهر سليمان حمودة، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، شارع بيومي-الاسكندرية، ١٩٩٩م.
- السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين (٩١١هـ)، المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب، تحقيق: التهامي الراجي الهاشمي، طبع تحت إشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة، د.ت.

- الشافعي، محمد بن ادريس (٢٠٤هـ)، الرسالة، ط١، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٤٠م.
- أبو شجاع، محمد بن الحسين (٣٨٩هـ)، ذيل كتاب تجارب الأمم، شركة التمدن الصناعية، مصر، ١٩٦١م.
- الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن الحسين (٤٥٦هـ)، المجازات النبوية، تحقيق: محمود مصطفى، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٣٨م.
- شفيق جبري، المترادف، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، مجلد ١٧، ج ٩ و ١٠، ١٩٤٢م.
- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الحكبي، منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز، الناشر: حسن محمد محمود العلوي الشنقيطي، الرياض، ١٣٧٦هـ.
- شهاب الدين الخفاجي، محمود أو أحمد المصري (١٠٦٩هـ)، شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، ط١، تصحيح وتعليق ومراجعة: محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الحرم الحسيني التجارية الكبرى، مصر، ١٩٥٢م.
- ابن شهر آشوب، محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني (٥٨٨هـ)، معالم العلماء، منشورات المطبعة الحيدرية-النجف، ١٩٦١م.
- الصاحب بن عباد، أبو القاسم اسماعيل بن عباد بن عباس بن ادريس (٣٨٥هـ)، الإبانة عن مذهب أهل العدل بحجج القرآن والعقل، ط١، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، دار المعارف-بغداد، ١٩٥٣م.
- الصاحب بن عباد، أبو القاسم اسماعيل بن عباد بن عباس بن ادريس (٣٨٥هـ)، الإقناع في العروض وتخريج القوافي، ط١، تحقيق: محمد أحمد الإدكاوي، ١٩٨٧م.
- الصاحب بن عباد، أبو القاسم اسماعيل بن عباد بن ادريس (٣٨٥هـ)، الأمثال السائرة، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، مطبعة المعارف-بغداد، ١٩٦٥م.
- الصاحب بن عباد، أبو القاسم اسماعيل بن عباد بن عباس بن ادريس (٣٨٥هـ)، التذكرة في الأصول الخمسة، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، دار المعارف-بغداد، ١٩٥٤م.
- الصاحب بن عباد، أبو القاسم اسماعيل بن عباد بن عباس بن ادريس (٣٨٥هـ)، ديوان الصاحب ابن عباد، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، مكتبة النهضة-بغداد، ١٩٦٥م.
- الصاحب بن عباد، أبو القاسم اسماعيل بن عباد بن عباس بن ادريس (٣٨٥هـ) رسائل الصاحب، ط١، تصحيح: عبد الوهاب عزام، وشوقي ضيف، دار الفكر العربي، د.م. د.ت.
- الصاحب بن عباد، أبو القاسم اسماعيل بن عباد بن عباس بن ادريس (٣٨٥هـ)، الروزنامة، ط١، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، مطبعة المعارف-بغداد، ١٩٦٥م.

- صاحب بن عباد، أبو القاسم اسماعيل بن عباد بن عباس بن ادريس (٣٨٥هـ-)، عنوان المعارف وذكر الخلائف، ط١، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، دار المعارف، ١٩٥٣م.
- صاحب بن عباد، أبو القاسم اسماعيل بن عباد بن عباس بن ادريس (٣٨٥هـ-)، الفرق بين الضاد والظاء، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، بغداد، ١٣٧٧هـ.
- صاحب بن عباد، أبو القاسم اسماعيل بن عباد بن عباس بن ادريس (٣٨٥هـ-)، الكشف عن مساوئ شعر المتنبي، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، مكتبة النهضة-بغداد، ١٩٦٥م.
- صاحب بن عباد، أبو القاسم اسماعيل بن عباد بن عباس بن ادريس (٣٨٥هـ-)، المحيط في اللغة، ١١ ج، ط١، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، ١٩٩٤م.
- الصاغاني، رضي الدين الحسن بن محمد بن الحسن، (٦٥٠هـ-)، الأضداد، تحقيق: أوغست هافنر، ذيل به كتاب ثلاثة كتب في الأضداد، دار المشرق، بيروت-لبنان، ١٩١٣م.
- الصاغاني، رضي الدين الحسن بن محمد بن الحسن (٦٥٠هـ-)، التكملة والذيل والصلة، ٦ ج، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، وعبد الحميد حسن، مطبعة دار الكتب، القاهرة، د.ت.
- الصاغاني، رضي الدين الحسن بن محمد بن الحسن (٦٥٠هـ-)، العباب الزاخر واللباب الفاخر، ٣٠ ج، ط١، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة، العراق-بغداد، ١٩٨٧م.
- صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، ط١٢، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ١٩٨٩م.
- الصفدي، خليل بن ابيك (٧٦٤هـ-)، الوافي بالوفيات، ٢٢ ج، ط٣، اعتناء، يوسف فان إس فيسبادن فرانز شتايز، ١٩٩١م.
- الطريحي، فخر الدين بن محمد بن علي بن أحمد (١٦٧٤م)، مجمع البحرين، ٦ ج، دار الكتب العلمية، مكتبة الوارث، دم، د.ت.
- طوبيا العنسي، تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية مع ذكر أصلها بحروفه، دار العرب للبستاني، القاهرة، ١٩٦٥م.
- أبو الطيب اللغوي، عبد الواحد بن علي الحلبي (٣٥١هـ-)، الإبدال، تحقيق: عز الدين التتوخي، المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٦٠م.
- أبو الطيب اللغوي، عبد الواحد بن علي الحلبي، (٣٥١هـ-)، الإبتاع، تحقيق: عز الدين التتوخي، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٦١م.
- أبو الطيب اللغوي، عبد الواحد علي الحلبي (٣٥١هـ-)، شجر الدر في تداخل الكلام بالمعاني المختلفة، تحقيق: محمد عبد الجواد، دار المعارف، مصر، ١٩٥٧م.

- أبو العباس، أحمد بن عماد المقرئ، (٤٤٠هـ-)، ظاءات القرآن الكريم، شرح: أبي الطاهر الترقى، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، د.ت.
- العباسي، عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد (٩٦٣هـ-)، معاهد التنصيص، ٤ ج، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى-مصر، ١٩٤٨م.
- عبد الله العلايلي، مقدمة لدرس لغة العرب، إدارة المطبعة العصرية-مصر، د.ت.
- عبد الحق فاضل، دخيل أم أثيل، مجلة اللسان العربي، مجلة اللسان العربي، مجلد ٧، ج ١، ١٩٧٠م، وما بعدها.
- عبد الحق فاضل، مغامرات لغوية، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، د.ت.
- عبد الحميد محمد أحمد أبو سكين، نظرات في دلالة الألفاظ، مطبعة الأمانة، القاهرة، ١٤٠٤هـ.
- عبد الرحمن أيوب، أصوات اللغة، مكتبة الشباب، د.ت.
- عبد السميع محمد أحمد، المعاجم العربية، دراسة تحليلية، دار الفكر العربي، دم، د.ت.
- عبد العظيم المطعني، المجاز في اللغة والقرآن، ط ١، مطبعة حسان المطعني، القاهرة، د.ت.
- عبد العلي الود غيري، المعجم العربي بالأندلس، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، دم، د.ت.
- عبد الغني النابلسي (١١٤٣هـ-)، تشريف التغريب في تنزيه القرآن عن التعريب، تحقيق: عبد الله الجبوري، مجلة آداب المستنصرية، عدد ١٣، ١٩٨٦.
- عبد القادر عبد الجليل، أصوات اللغة، ط ١، دار صفاء للنشر والتوزيع، ١٩٩٨م.
- عبد القادر عبد الجليل، المدارس المعجمية دراسة في البنية التركيبية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان.
- عبد القاهر الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، (٤٧١هـ-)، أسرار البلاغة، ط ٦، تحقيق: السيد محمد رشيد رضا، مكتبة القاهرة، مصر، ١٩٥٩م.
- عبد القاهر الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن (٤٧١هـ-)، دلائل الإعجاز في علم المعاني، صحح الأصل: محمد عبده، ومحمد محمود التركي الشنقيطي تعليق وتصحيح الطبع: السيد محمد رشيد رضا، مكتبة القاهرة، مصر، ١٩٦١م.
- عبد الكريم مجاهد، الدلالة اللغوية عند العرب، دار الضياء، عمان-الأردن، ١٩٨٥م.
- أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (٢٢٤هـ-)، الغريب المصنف، ٣ ج، تحقيق: محمد مختار العبيدي، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة-تونس، د.ت.
- أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي، مجاز القرآن، ط ١، تعليق ومعارضة: محمد فؤاد سزكين، محمد سامي أمين الخانجي الكتبي، مصر، ١٩٥٤م.



- عرفان أبو حمد، ألفاظ أجنبية في اللغة العربية، دار المشرق للترجمة والطباعة والنشر، شفا عمرو، ١٩٨٣م.
- العسكري، أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد (٣٨٢هـ)، شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، تحقيق: السيد محمد يوسف، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، د.ت.
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله (٣٢٠هـ)، الصناعتين، ط١، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، ١٩٥٢م.
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله (٣٢٠هـ)، الفروق في اللغة، ط٥، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق، بيروت-لبنان، ١٩٨١م.
- ابن عصفور، أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد (٦٦٩هـ)، الممتع في التصريف، ط١، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، بيروت-لبنان، د.ت.
- علي زوين، بين التراث وعلم اللغة الحديث، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦م.
- علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، ط٥، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، مصر، ١٩٦٢م.
- علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ط٢، مكتبة النهضة المصرية، مصر-القاهرة، ١٩٤٤م.
- علي عبد الواحد وافي، مقال: المعرب والأعجمي، قرارات مجمع اللغة العربية الملكي، القاهرة، د.ت.
- علي عبد الواحد وافي، نشأة اللغة عند الإنسان والطفل، مطبعة العالم العربي، القاهرة، ١٩٧١م.
- ابن العماد أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد العكبري (١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج٨، ط١، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق-بيروت، ١٩٨٩م.
- عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ط١، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ١٩٩٣م.
- أبو عمر المطرز، محمد بن عبد الواحد الزاهد (٣٤٥هـ)، المداخل، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، مجلد ٩، جزء ٨، ١٩٢٩م.
- أبو العمثيل الأعرابي، عبد الله بن خليد (٢٤٠هـ)، ما اتفق لفظه واختلف معنله، ط١، تحقيق: محمود شاكر سعيد، نادي جازان الأدبي، جدة-السعودية، ١٩٩١م.
- عيسى فتوح، مقال: نظرة في معاجمنا العربية، مجلة اللسان العربي، ج ١ و ٢، ١٩٧٨م.
- غالب فاضل المطلبي، في الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المد العربية، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ١٩٨٤م.

- الغزالي، حجة الإسلام الإمام أبو حامد محمد بن محمد (٥٠٥هـ—)، المنخول من تعليقات الأصول، ط٢، تحقيق: محمد حسن هيتو، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٠م.
- الفارابي، أبو ابراهيم اسحاق بن ابراهيم (٣٥٠هـ—)، ديوان الأدب، ٤ج، تحقيق: أحمد مختار عمر، و ابراهيم أنيس، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٩٧٤م.
- الفارابي، أبو النصر محمد بن محمد بن طرخان (٣٣٩هـ—)، الحروف، تحقيق: محسن مهدي، دار المشرق، بيروت-لبنان، ١٩٦٩م.
- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا الرازي القزويني (٣٩٥هـ—)، الاتباع والمزاوجة، تحقيق: رودلف برونو

VERLAG VON ALFRED TOPELMANN VORMALS

J.RICKER \* GIESZEN \* 1906.

- ابن فارس أحمد بن فارس بن زكريا الرازي القزويني (٣٩٥هـ—)، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق: مصطفى الشويمي، مؤسسة أ. بدران للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ١٩٦٣م.
- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا الرازي القزويني، (٣٩٥هـ—)، متخير الألفاظ، تحقيق: هلال ناجي، المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي، الرباط-المملكة المغربية.
- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا الرازي القزويني (٣٩٥هـ—)، المقاييس، ٦ج، ط١، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت-لبنان، ١٩٩١م.
- الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسين، المحصول في علم أصول الفقه، ٢ج، ط٢، تحقيق: طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ١٩٩٢م.
- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد الديلمي، (٢٠٧هـ—)، المقصور والممدود، تحقيق: ماجد الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م.
- فؤاد حنا ترزي، الاشتقاق، منشورات كلية العلوم والآداب في جامعة بيروت الأميركية، دار الكتب، بيروت-لبنان، ١٩٦٨م.
- فؤاد حنا ترزي، في أصول النحو، دار الكتب، بيروت-لبنان، د.ت.
- فؤاد حنا ترزي، مقال: المعاجم العربية وضرورة تهذيبها وتطويرها، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، م٤٧، ١٩٧٢م.
- الفيروزآبادي، مجد الدين أبو الطاهر محمد بن يعقوب (٨٣٢هـ—)، القاموس المحيط، ٤ج، دار الحديث، القاهرة، د.ت.
- أبو القاسم القوبائي، أحمد بن محمد الحسيني، رسالة الإرشاد في أحوال الصاحب ابن عباد، تصحيح: جلال الدين الحسيني الطهراني، مطبعة المجلس، د.ت.
- أبو القاسم، سعد بن علي بن محمد (١٠٤١هـ—)، الفرق بين الظاء والضاد، تحقيق: محمد سعيد المولوي.

- القالي، أبو علي اسماعيل بن القاسم البغدادي، (٣٦٥هـ)، الأمالي، ٢، ج، ط٣، المكتبة التجارية الكبرى، مصر-القاهرة، ١٩٥٤م.
- القالي، أبو علي اسماعيل بن القاسم البغدادي (٣٦٥هـ)، البارع، ط١، تحقيق: هاشم الطعان، مكتبة النهضة، دار الحضارة العربية-بغداد، ١٩٧٥م.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (٢٧٦هـ)، أدب الكاتب، ط٤، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٩٦٣م.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (٢٧٦هـ)، تأويل مشكل القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، د.ت.
- قطرب، أبو علي محمد بن المستنير (٢٠٦هـ)، الأضداد، تحقيق: هانس كوفلر، مجلة اسلاميكا، مجلد ٥، ١٩٣١م.
- القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (٦٤٦هـ)، إنباه الرواه على أنباه النحاة، ٣، ج، ط١، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الكتب المصرية، مصر-القاهرة، ١٩٥٠م.
- كامل حسين، مقال: اخطاء اللغويين، مجلة مجمع القاهرة، ج ٢، ١٩٦٧م.
- ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي (٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، ١٣، ج، ط٣، تحقيق: أحمد أبو ملح، وعلي بخيت عطوي وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٩٨٧م.
- كلود جرمان، علم الدلالة، ط١، ترجمة: نور الهدى لوشن، نشر: جامعة قار يونس بنغازي، ١٩٩٧م.
- كمال بشر، علم اللغة العام (الأصوات العربية)، مكتبة الشباب.
- كمال يوسف الحاج، في فلسفة اللغة، دار النهار للنشر، بيروت-لبنان، ١٩٦٧م.
- م.م لويس، اللغة في المجتمع، ترجمة: تمام حسان، و ابراهيم أنيس. دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٥٩م.
- ابن مالك الطائي، جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله الجبائي (٦٧٢هـ)، الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة، ط١، تحقيق: محمد حسن عواد، دار الجبل، بيروت-لبنان، ودار عمار، عمان-الأردن، ١٩٩١م.
- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (٢٨٥هـ)، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أبي الفضل ابراهيم، مطبعة نهضة مصر-القاهرة، د.ت.
- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (٢٨٥هـ)، ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد، تحقيق: عبد العزيز الميمني الراجوتي الأثري، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، ١٣٥٠هـ.
- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، (٢٨٥هـ)ن المذكر والمؤنث، تحقيق: رمضان عبد التواب، وصلاح الدين الهادي، مطبعة دار الكتب، دم، ١٩٧٠م.

- محمد أحمد أبو الفرج، المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، دار النهضة للطباعة والنشر، ١٩٦٦م.
- محمد الأنطاكي، الوجيز في فقه اللغة، ط٣، دار الشروق، د.م، ١٩٦٩م.
- محمد حسن آل ياسين، الصاحب ابن عباد، حياته وأدبه، ط١، دار المعارف لتأليف والترجمة والنشر، مطبعة المعارف-بغداد، ١٩٥٧م.
- محمد حسن آل ياسين، نفائس المخطوطات ٢ج، ط١، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، مطبعة دار المعارف-بغداد، ١٩٥٣م، و ١٩٥٤م.
- محمد السيد علي بلاسي، مقال: الترادف والمشارك اللفظي والتضاد وأثر كل في نمو العربية، مجلة اللسان العربي، عدد ٣٣، ١٩٨٩م.
- محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، ط٣، دار الفكر، بيروت-لبنان، ١٩٦٨م.
- محمد بن يوسف بن عبد الله التميمي المازني (٥٣٨هـ-)، المسلسل في غريب لغة العرب، تحقيق: محمد عبد الجواد، مكتبة الخانجي بمصر، دار الجيل، جمهورية مصر، د.ت.
- محمود حجازي، اللغة العربية عبر القرون، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٨م.
- الأب مرمرجي الدومنيكي، المعجمية العربية على ضوء الثنائية والألسنية السامية، مطبعة الفرنسيين، القدس، ١٩٣٧م.
- مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، ط٢، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٩٤٠م.
- المنشي، محمد جمال الدين بن بدر الدين، (١٠٠هـ-)، رسالة الأضداد، ط١، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، مكتبة الفكر العربي، بغداد، ١٩٨٥م.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (٧١١هـ-)، لسان العرب، ١٥ج، دار صادر ودار بيروت، بيروت-لبنان، ١٩٥٥م، ١٩٥٦م، ١٩٦٨م.
- ابن النديم، محمد بن اسحاق بن محمد بن اسحاق، (٤٣٨هـ-)، الفهرست، ط١، تحقيق: ناهد عباس عثمان، دار قطري بن الفجاءة، ١٩٨٥م.
- نوال محمد عطية، علم النفس اللغوي، ط١، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ١٩٧٥م.
- نوري جعفر، اللغة والفكر، مكتبة التومي، الرباط، ١٩٧١م.
- النويري، أحمد بن عبد الوهاب (٧٣٣هـ-)، نهاية الأرب، ١٨ج، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب مع استدراقات وفهارس جامعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مصر، د.ت.
- الهمذاني، عبد الرحمن بن عيسى بن حماد (٣٩٥هـ-)، الألفاظ الكتابية، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٨٠م.
- الوشاء، أبو الطيب محمد بن أحمد (٣٢٥هـ-)، تحقيق: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٩م.

- ابن ولاد، أبو العباس أحمد بن محمد (٣٣٢هـ-)، المقصور والممدود، لندن وليدن، تحقيق: Dr. poul Boonnle.
- اليافعي، عفيف الدين أبو السعادات عبد الله بن أسعد (٧٦٨هـ-)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، ٤ ج، ط١، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٩٩٧م.
- ياقوت الحموي، أبو عبد الله بن عبد الله الرومي (٦٢٦هـ-)، معجم الأدياء، ٧ ج، ط١، تحقيق: إحسان عباس، دار المغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ١٩٩٣م.
- اليزيدي، ابراهيم بن أبي محمد يحيى اليزيدي (٢٥٠هـ-) ما اتفق لفظه واختلف معناه، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان، ١٩٨٧م.

## الملحق

- هذا الثبوت خصص لأهم المصادر والمراجع التي كتبت عن حياة ابن عباد في جوانبها المختلفة قديماً وحديثاً، وهذه المؤلفات مرتبة ترتيباً زمنياً حسب سنة وفاة مؤلفيها:
- الروزنامجة، الصاحب ابن عباد (٣٨٥هـ)، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، مطبعة المعارف - بغداد، ١٩٦٥م، ط١، ص ٨٣ وما بعدها.
  - ذيل كتاب تجارب الأمم، أبو شجاع محمد بن الحسين (٣٨٩هـ)، شركة التمدن الصناعية، مصر، ١٩١٦م، ج٣، ص ٢٦١-٢٦٣.
  - الصاحب في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، ابن فارس (٣٩٥هـ)، تحقيق: مصطفى الشويمي، مؤسسة أ. بدران للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ١٩٦٣م، ص ٢٩، ٤٤.
  - الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي (٤٠٠هـ)، تصحيح: أحمد أمين، وأحمد الزين، دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان، ج١، ص ٥٤-٦٣.
  - مثالب الوزيرين، أبو حيان التوحيدي (٤٠٠هـ)، تحقيق: ابراهيم الكيلاني، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، ط٢، ١٩٩٨م.
  - أخلاق الوزيرين، أبو حيان التوحيدي (٤٠٠هـ)، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٩٧م.
  - يتيمة الدهر، الثعالبي (٤٢٩هـ)، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ج٣، ص ٢٢٥-٣٣٧.
  - الفهرست، ابن النديم (٤٣٨هـ)، تحقيق: ناهد عباس عثمان، ط١، دار قطري بن الفجاءة، ١٩٨٥م، ص ٢٦٠.
  - دمية القصر، الباخريزي (٤٦٧هـ)، تحقيق: محمد التونجي، دار الجيل - بيروت، ط١، ١٩٩٣م، ج١، ص ١٠٤، ٣٨٨، ٥٢٥.
  - محاسن أصفهان، المافروخي (٤٧٥هـ)، تصحيح: السيد جلال الدين الحسيني الطهراني، مطبعة مجلس، ص ١٣-١٤، ٢٧، ٩٨-٩٩، ١١١.
  - الأنساب، السمعاني (٥٦٢هـ)، تحقيق: محمد عواملة، مطبعة محمد هاشم الكتبي بدمشق، بيروت - لبنان، ج٨، ص ١٧٨-١٧٩.
  - شرح قصيدة الصاحب ابن عباد في أصول الدين، القاضي البهلولي (٥٧٣هـ)، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، مطبعة المعارف - بغداد، ط١، ١٩٦٥م.
  - نزهة الألباء في طبقات الأدباء، أبو البركات الأنباري (٥٧٧هـ)، تحقيق: ابراهيم السامرائي، مطبعة المعارف - بغداد، ١٩٥٩م، ص ٢٢٢-٢٢٤.
  - معالم العلماء، ابن شهر آشوب (٥٨٨هـ)، منشورات المطبعة الحيدرية - النجف، ١٩٦١م، ص ١٠، ١٤٨.

- المنتظم، ابن الجوزي (٥٩٧هـ)، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥، ج٩، ص ٣٠-٣٢.
- معجم الأدباء، ياقوت الحموي (٦٢٦هـ)، تحقيق: إحسان عباس، ط١، دار المغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ١٩٩٣م، ج٢، ص ٦٦٢-٧٢١.
- الكامل في التاريخ، ابن الأثير (٦٣٠هـ)، دار صادر ودار بيروت، بيروت - لبنان، ١٩٦٦م، ج٩، ص ١١٠-١١١.
- المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، البغدادي (٦٤٣هـ)، تحقيق: محمد مولود خلف، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ١٩٨٦م، ص ٩.
- إنباه الرواة على أنباء النحاة، القفطي (٦٤٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٠م، ج١، ص ٢٠١-٢٠٣.
- مرآة الزمان، أبو المظفر البغدادي (٦٥٤هـ)، تحقيق: جنان خليل محمد، الدار الوطنية - بغداد، ١٩٩٠م، ص ٢٥٠-٢٥٢.
- وفيات الأعيان، ابن خلكان (٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت - لبنان، ١٩٧١م، ج١، ص ٢٢٨-٢٣٢.
- تاريخ أبي الفداء (المختصر في أخبار البشر)، أبو الفداء (٧٣٢هـ)، علق عليه ووضع حواشيه: محمود ديوب، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ج١، ص ٤٧٤-٤٧٥.
- نهاية الأرب، النويري (٧٣٣هـ)، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب مع استدراقات وفهارس، جامعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مطابع كوستاتسوماس وشركاه، ج٣، ص ١١٣.
- سير أعلام النبلاء، الذهبي (٧٤٨هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، إكرام البوشي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٨٣م، ج١٦، ص ٥١١-٥١٥.
- تاريخ الإسلام، الذهبي (٧٤٨هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ج٢٧، ص ٩٢-٩٨.
- الوافي بالوفيات، الصفدي (٧٦٤هـ)، اعتناء: يوسف فان إس، فيسبادن فرانز شتايز، ط٣، ١٩٩١م، ج٩، ص ١٢٥-١٤٠.
- مرآة الجنان، اليافعي (٧٦٨هـ)، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٩٧م، ج٢، ص ٣١٧-٣١٩.
- البداية والنهاية، ابن كثير (٧٧٤هـ)، تحقيق: أحمد أبو ملح، وعلي بخيت عطوي، وآخرون، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٩٨٧م، مجلد ٦، ج١١، ص ٣٣٥-٣٣٧.
- تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون (٨٠٨هـ)، تحقيق: تركي فرحان مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ج٤، ص ٤٦٧.
- لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، إعداد ودراسة: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ج١، ص ٦٣٧-٦٤١.

- النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي (٨٧٤هـ)، قدم له وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٩٩٢م، ج٤، ص١٧١-١٧٣
- بغية الوعاة، السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، ج١، ص٤٤٩-٤٥١.
- طبقات المفسرين، الداودي (٩٤٥هـ)، تحقيق: لجنة من العلماء بإشراف الناشو، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ج١، ص٦٠-٦٢.
- معاهد التصيص، عبد الرحيم بن أحمد العباسي (٩٦٣هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى-مصر، ١٩٤٨م، ج٤، ص١١١-١٣٦.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة (١٠٦٧هـ)، دار الفكر، ١٩٨٢م، ج٥، ص٢٠٩.
- شذرات الذهب، ابن العماد (١٠٨٩هـ)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، ط١، دار ابن كثير، دمشق-بيروت، ١٩٨٩م، ج٣، ص٢٣٩-٢٤١.
- امل الأمل، الحر العاملي (١١٠٤هـ)، تحقيق: أحمد الحسيني، مكتبة الأندلس - بغداد، ط١، ١٣٨٥م، ص١٨٨.
- رسالة الإرشاد في أحوال الصاحب ابن عباد، أبو القاسم القوبائي تصحيح: جلال الدين الحسيني الطهراني: مطبعة المجلس.
- روضات الجنات، الخوانساري (١٣١٣هـ)، تحقيق: أسد الله اسماعيلين، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ج٢، ص١٩-٣٣.
- تأسيس الشيعة، السيد حسن الصدر (١٣٥٤هـ)، دار الرائد العربي، بيروت-لبنان، ١٩٨١م، ص١٥٩-١٦١.
- مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي (١٦٧٤م)، دار الكتب العلمية، مكتبة الوارث، ج٦، ص٣٩٦.
- الذريعة إلى تصانيف الشيعة، آقازبك الطهراني، تنقيح: أحمد المنزوي، ط١، ١٩٦٧م، ج١٨، ص٤٢، ١٠٦.
- دائرة المعارف، البستاني (١٨٨٣م)، مؤسسة مطبوعات اسماعيليان، ج١، ص٥٨٠-٥٨٣.
- تاريخ آداب اللغة العربية، جورج زيدان (١٩١٤م)، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت-لبنان، ١٩٩٢م، ج١، ص٥٨٥-٥٨٤.
- أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، ط٢، مطبعة الأنصاف، بيروت-لبنان، ١٩٦١م، ج١١، ص٢٣١-٣٧٥.
- تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، (١٩٥٦م)، ترجمة: عبد الحلیم النجار، دار المعارف-مصر، ١٩٦١م، ج٢، ص٢٦٨-٢٧١.
- أئمة الأدب، الصاحب ابن عباد، خليل مردم بيك (١٩٥٩م)، مطبعة الترقى، دمشق، ١٩٣٢م.



- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، آدم متز، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ط٤، ١٩٦٧م، مجلد ٢، ص ٢٣٦.
- صاحب بن عباد الأديب الوزير العالم، بدوي طبانة، المؤسسة المصرية العامة.
- النثر الفني في القرن الرابع الهجري، زكي مبارك، دار الجيل-بيروت، ١٩٧٥م، ج٢، ص ٢٩٦-٣١٢.
- صاحب بن عباد حياته وأدبه، محمد حسن آل ياسين، دار المعارف للتأليف والترجمة والنشر، ط١، مطبعة المعارف-بغداد، ١٩٥٧م.
- صاحب بن عباد، شرح أحوال وأثار، أحمد بهمينار، تصحيح: محمد إبراهيم باسستاني باريزي-طهران، جامعة طهران، ١٩٦٤م.
- الإبانة عن مذهب أهل العدل بحجج القرآن والعقل، صاحب بن عباد، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، دار المعارف-بغداد، ١٩٥٣م، ط١، المجموعة الأولى من نفائس المخطوطات، مقدمة المحقق ص ٦-٨.
- الإقناع في العروض وتخريج القوافي، صاحب بن عباد، تحقيق: محمد أحمد الإدكاوي، ط١، ١٩٨٧، مقدمة المحقق، ص ١٢-٣٠.
- الأمثال السائرة، صاحب بن عباد، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، مطبعة المعارف-بغداد، ١٩٦٥م، ص ٥-٢١.
- التذكرة في الأصول الخمسة، صاحب بن عباد، تحقيق: محمد حسن آل ياسين. دار المعارف-بغداد، ١٩٥٤م، المجموعة الثانية من نفائس المخطوطات، ص ٨٤-٨٦.
- ديوان صاحب بن عباد، صاحب بن عباد، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، مكتبة النهضة-بغداد، ١٩٦٥م، ص ٥-١٣.
- رسائل صاحب، صاحب ابن عباد، تصحيح: عبد الوهاب عزام، وشوقي ضيف دار الفكر العربي، ط١، مقدمة المحققين ص أ-ت.
- عنوان المعارف ونكر الخلائف، صاحب ابن عباد، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، دارا لمعارف، ١٩٥٣م، ط١، المجموعة الأولى من نفائس المخطوطات، ص ١-٤.
- الفصول الأدبية، صاحب بن عباد، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٢م، ص ٨-١٣.
- الكشف عن مساوي شعر المتنبي، صاحب بن عباد، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، مكتبة النهضة-بغداد، ١٩٦٥م، ص ١٠.

- المحيط في اللغة، صاحب بن عباد، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، ط١، ١٩٩٤م، مقدمة المحقق، ج١، ص ٩-٣٤.
- الأعلام، الزركلي، ط٩، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ١٩٩٠م، ج١، ص ٣١٦.
- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ١٩٩٣م، ج١، ص ٣٦٧.
- معجم الألقاب والكنى، عبد الهادي حماد، ١٩٩٩م، ج٢، ص ٨٥٣-٨٥٤.